الشعر والشعراء

ابن قتيبة الدينوري

الجزء الأول

المقدمة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: هذا كتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم. وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطاء في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون. وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الأول.

قال أبو محمد: وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء، الذين يعرفهم جل أهل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأما من خفي اسمه، وقل ذكره، وكسد شعره، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص، فما أقل من ذكرت من هذه الطبقة. إذ كنت لا أعرف منهم إلا القليل، ولا أعرف لذلك القليل أيضاً أخباراً من هذه الطبقة، وإذ كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمى لك أسماء لا أدل عليها بخبرٍ أو زمانٍ، أو نسبٍ أو نادرةٍ، أو بيتٍ يستجاد، أو يستغرب.

ولعلك تظن رحمك الله أنه يجب على من ألف مثل كتابنا هذا ألا يدع شاعراً قديماً ولا حديثاً إلا ذكره ودلك عليه، وتقدر أن يكون الشعراء بمنزلة رواة الحديث والأخبار، والملوك والأشراف، الذين يبلغهم الإحصاء، ويجمعهم العدد.

والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام، أكثر من أن يحيط بهم محيطٌ أو يقف من وراءِ عددهم واقفٌ، ولو أنفد عمره في التنقير عنهم، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال. ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعرٌ إلا عرفه، ولا قصيدةٌ إلا رواها.

حدثنا سهل بن محمد حدثنا الأصمعي، حدثنا كردينُ بن مسمعٍ، قال: جاء فتيانٌ إلى أبي ضمضمٍ بعد العشاء، فقال لهم: ما جاء بكم يا خبثاء؟ قالوا: جئناك نتحدث، قال: كذبتم، ولكن قلتم، كبر الشيخ

فنتلعبه عسى أن نأخذ عليه سقطةٌ ! فأنشدهم لمائة شاعرٍ، وقال مرة أخرى، لثمانين شاعراً، كلهم اسمه عمروٌ.

قال الأصمعي: فعددتُ أنا وخلفٌ الأحمر فلم نقدر على ثلاثين.

فهذا ما حفظه أبو ضمضم، و لم يكن بأروى الناس، وما أقرب أن يكون من لا يعرفه من المسمين بهذا الاسم أكثر ممن عرفه.

هذا إلى من سقط شعره من شعراء القبائل، و لم يحمله إلينا العلماء والنقلة.

أخبرنا أبو حاتم حدثنا الأصمعي قال: كان ثلاثةٌ إخوة من بني سعد لم يأتوا الأمصار، فذهب رجزهم، يقال لهم منذرٌ ونذير ومنتذرٌ، ويقال إن قصيدة رؤبة التي أولها:

وقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِى الُمخْتَرَقْ ....لِمُنْتَذِرِ

قال أبو محمد: و لم أعرض في كتابي هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر. فقد رأينا بعض من ألف في هذا الفن كتاباً يذكر في الشعراء من لا يعرف بالشعر و لم يقل منه إلا الشذ اليسير، كابن شبرمة القاضي، وسليمان بن قتة التيمي المحدث. ولو قصدنا لذكر مثل هؤلاء في الشعر لذكرنا أكثر الناس، لأنه قلَّ أحدٌ له أدنى مسكة من أدب. وله أدنى حظ من طبعٍ، إلا وقد قال من الشعر شيئاً. ولاحتجنا أن نذكر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلة التابعين، وقوماً كثيراً من حملة العلم، ومن الخلفاء والأشراف، ونجعلهم في طبقات الشعراء.

و لم أسلك فيما ذكرته من شعر كلٌ شاعر مختاراً له، سبيل من في قلد، أو استحسن باستحسان غيره. ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظه، ووفرتُ عليه حقه.

فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى قائله

و لم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قومٍ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره، وكل شرفٍ خارجيةً في أوله، فقد كان جريرٌ والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين. وكان أبو عمر وابن العلاء يقول: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته.

ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا، كالخريمي والعتابي والحسن بن هانيءٍ وأشباههم. فكل من أتى بحسنٍ من قول أو فعل ذكرناه له، وأثنينا به عليه، و لم يضعه

عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنه. كما أن الردىء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه.

وكان حق هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره، وعمن رفعه الله بالمديح، وعمن وضعه بالهجاء وعما أودعته العرب من الأخبار النافعة، والأنساب الصحاح، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة، والعلوم في الخيل، والنجوم وأنوائها والاهتداء بها، والرياح وما كان منها مبشراً أو جائلا، والبروق وما كان منها خلباً أو صادقاً، والسحاب وما كان منها جهاماً أو ماطراً، وعما يبعث منه البخيل على السماح، والجبان على اللقاء، والدني على السمو.

غير أني رأيت ما ذكرت من ذلك في كتاب العرب كثيراً، كافياً، فكرهت الإطاعة بإعادته، فمن أحب أن يعرف ذلك، ليستدل به على حلو الشعر ومره. نظر في ذلك الكتاب، إن شاء الله تعالى.

أقسام الشعر

قال أبو محمد: تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب.

ضربٌ منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول القائل في بعض بني أمية:

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ   مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يغْضِي حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ   فَما يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

لم يقل في الهيبة شيءٌ أحسن منه.

وكقول أوس بن حجر:

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعَا   إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

لم يبتدى أحدٌ مرثيةٌ بأحسن من هذا.

وكقول أبي ذؤيبٍ:

والنَّفْس رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا   وإِذَا تُرَدَ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

حدثني الرياشي عن الأصمعي، قال: هذا أبدع بيت قاله العرب.

وكقول حميد بن ثورٍ:

أَرَى بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ   وحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا

ولم يقل في الكبر شيءٌ أحسن منه.

وكقول النابغة:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وليْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

لم يبتدى أحدٌ من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب.

ومثل هذا في الشعر كثيرٌ، ليس للإطالة به في هذا الموضع وجهٌ، وستراه عنه ذكرنا أخبار الشعراء.

وضربٌ منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، كقول القائل:

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجةٍ ومَسَّحَ بالأَرْكانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارِى رِحَالُنَا ولا يَنْظُرُ الغَادِي الذي هُوَ رَائحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرافِ الأَحَادِيث بَيْنَنَا وسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ

هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيءٍ مخارج ومطالع ومقاطع، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى، واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح.

وهذا الصنف في الشعر كثيرٌ.

ونحوه قول المعلوط:

إِنَّ الذين غَدَوْا بُلُبِّكَ غادَرُوا وَشَلاً بِعيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا

غيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وقُلْنَ لي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى ولَقِينَا

ونحوه قول جريرٍ:

يا أُخْتَ نَاجِيَةَ السَّلَامُ عَلَيْكُمُ قَبْلَ الرَّحِيلِ وقَبْلَ لَوْمِ العُذَّلِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمُ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ ما لم أَفْعَلِ

وقوله:

بَانَ الخليطُ ولوْ طُوِّعْتُ ما بَانَا وقَطَعُوا مِنْ حِبَالِ الوَصْلِ أَقْرَانَا

إِنَّ العُيُونَ التي في طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَّلْنَنَا ثُمَّ لم يُحيينَ قَتْلاَنَا

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حتى لَا حَرَاكَ بِهِ وهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكانا

وضربٌ منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:

ما عَاتَبَ المَرْءَ الْكَرِيمَ كَنَفْسِهِ والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ

هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق.

وكقول النابغة للنعمان:

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حِبَالٍ مَتِينَةٍ   تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ

قال أبو محمد: رأيت علماءنا يستجدون معناه، ولست أرى ألفاظه جياداً ولا مبينةً لمعناه، لأنه أراد: أنت في قدرتك على كخطاطيف عقفٍ يمد بها، وأنا كدلوٍ تمد بتلك الخطاطيف، وعلى أني أيضاً لست أرى المعنى جيداً.

وكقول الفرزدق:

والشَّيْبُ يَنْهَضُ في الشَّبَاب كأَنَّه   لَيْلٌ يَصِيحُ بجَانِبَيْهِ نَهَارُ

وضربٌ منه تأخر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى في امرأةٍ:

وفُوها.....كَأَقَاحِيَّ   غَذَاهُ دَائِمُ الهَطْلِ

كما شِيبَ برَاحٍ بَا   رِدٍ مِنْ عَسَلِ النَّحْلْ

وكقول:

إِنَّ مَحَلاًّ وإِنَّ مُرْتَحَلا   وإِنَّ في السَّفْرِ ما مَضَى مَهَلا

اسْتَأْثَرَ اللهُ بالوَفَاءِ وَبِالْ   حَمْدِ وَوَلَّى المَلَامَةَ الرَّجُلا

والأَرْضُ حَمَّالَةٌ لمَا حَمَّلَ الَّلْ   هُ ومَا إِنْ تَرُدُّ ما فعَلَا

يَوْماً تَرَاهَا كَشِبْهِ أَرْدِيَةِ الْ   عَصْبِ ويَوْماً أَدِيمُهَا نَغِلَا

وهذا الشعر منحولٌ، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن إلا قوله:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ ولَا   يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

يريد أن كل شاربٍ يشرب بكفه، وهذا ليس ببخيل فيشرب بكف من بخل، وهو معنًى لطيف.

وكقول الخليل بن أحمد العروضي:

إِنَّ الخَلِيطَ تَصَدَّعْ   فَطِرْ بِدَائِكَ أَوْقَعْ

لَوْلَا جَوَارٍ حِسَانٌ   حُورُ الْمَدَامِعِ أَرْبَعْ

أُمُّ البَنِينَ وأَسْمَا   ءُ والرَّبَابُ وبَوْزَعْ

لَقُلْتُ لِلرَّاحِلِ ارْحَلْ   إِذَا بدا لَكَ أَوْ دَعْ

وهذا الشعر بين التكلف رديء الصنعة. وكذلك أشعار العلماء، ليس فيها شيءٌ جاء عن إسماحٍ وسهولة، كشعر الأصمعي، وشعر ابن المقفع وشعر الخليل، خلا خلفٍ الأحمر، فإنه كان أجودهم طبعاً وأكثرهم

شعراً. ولو لم يكن في هذا الشعر إلا أم البنين وبوزع لكفاه! فقد كان جررٌ أنشد بعض خلفاء بني أمية قصيدته التي أولها:

بانَ الخَليطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا　　أَوَ كُلَّمَا جَدُّوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ

كَيْفَ العَزَاءُ ولم أَجِدْ مُذْ بِنْتُمُ　　قَلْباً يَقِرُّ ولا شَرَاباً يَنْقَعُ

وهو يتحفز ويزحف من حسن الشعر، حتى إذا بلغ إلى قوله:

وتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى العَصَا　　هَلاَّ هَزِئْتِ بِغَيْرِنَا يَا بَوْزَعُ

قال له: أفسدت شعرك بهذا الاسم وفتر.

قال أبو محمد: وقد يقدح في الحسن قبح اسمه، كما ينفع القبيح حسن اسمه، ويزيد في مهانة الرجل فظاعة اسمه، وترد عدالة الرجل بكنيته ولقبه. ولذلك قيل: اشفعوا بالكنى، فإنها شبهةٌ.

وتقدم رجلان إلى شريحٍ، فقال أحدهما: ادع أبا الكويفر ليشهد، فتقدم شيخٌ فرده شريحٌ و لم يسأل عنه، وقال: لو كنت عدلاً لم ترض بها، ورد آخر يلقب أبا الذبان و لم يسأل عنه.

وسأل عمر رجلاً أراد أن يستعين به على أمرٍ عن اسمه واسم أبيه، فقال: ظالم بن سراق، فقال: تظلم أنت ويسرق أبوك و لم يستعن به.

وسمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يدعو رجلاً: يأبا العمرين، فقال: لو كان له عقلٌ كفاه أحدهما! ومن هذا الضرب قول الأعشى:

وقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يتْبَعُني　　شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلِ

وهذه الألفاظ الأربعة في معنً واحد، وكان قد يستغني بأحدها عن جميعها، وماذا يزيد هذا البيت أن كان للأعشى أو ينقص؟ وقول أبي الأسد، وهو من المتأخرين الأخفياء:

ولَائِمَةَ لَامَتْكَ يَا فَيْضُ في النَّدَى

أَرَادَتْ لِتَثْنِي الفَيْضَ في كُلِّ بَلْدَةٍ

فَقُلْتَ لَها لَنْ يَقْدَحَ اللَّوْمُ في البَحْرِ　　ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر

مَوَاقِعُ جَوْدِ الفَيْضِ في كُلِّ بَلْدَة　　مَوَاقِعُ ماءِ المُزْنِ في البَلَدِ القَفْرِ

كَأَنَّ وُفُودَ الفَيْضِ حِينَ تَحَمَّلُوا　　إلى الْفَيِض وَافَوْا عِنْدَهُ لَيْلَةَ القَدْرِ

وهو القائل:

لَيْتَكَ آذَنْتَنِي بِوَاحِدَاةٍ　　تَكُونُ لي مِنْكَ سَائِرَ الأَبَدِ

تَحْلِفُ أَلاَّ تَبَرَني أَبَداً ... فَإِنَّ فِيهَا بَرْداً على كَبِدِي

إِنْ كانَ رِزْقي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ ... في نَاظِرَيْ حَيَّةٍ على رَصَدِ

ومن هذا الضرب أيضاً قول المرقش:

هَلْ بِالدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ ... لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقاً كَلَمْ

يَأْبي الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ ولاَ ... تَغْبِطْ أَخَاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمْ

والعجب عندي من الأصمعي، إذ أدخله في متخيره، وهو شعرٌ ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروى، ولا متخير اللفظ، ولا لطيف المعنى ولا أعلم فيه شيئاً يستحسنُ إلا قوله:

النَّشرُ مِسْك والوُجُوهُ دنَا ... نِيرُ وأَطْرَاف الأَكُفِّ عَنَمْ

ويستجاد منه قوله:

لَيْسَ على طُولِ الحيَاةِ نَدَمْ ... ومنْ ورَاءِ المَرْءِ مَا يُعْلَمْ

وكان الناس يستجيدون للأعشى قوله:

وكَأْسٍ شَرِبْتُ على لَذةٍ ... وأُخْرَى تَدَاوَيْتُ منْهَا بهَا

حتى قال أبو نواس:

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ ... وَدَاوِني بالتي كانَتْ هِيَ الدَّاءُ

فسلخه وزاد فيه معنًى آخر، اجتمع له به الحسنُ في صدره وعجزه، فللأعشى فضل السبق إليه، ولأبي نواسٍ فضل الزيادة فيه.

وقال الرشيد للمفضل الضبي: اذكر لي بيتاً جيد المعنى يحتاج إلى مقارعة الفكر في استخراج خبيئه ثم دعني وإياه، فقال له المفضل: أتعرف بيتاً أوله أعرابي في شملته، هاب من نومته، كأنما صدر عن ركبٍ جرى في أجفانهم الوسن فركد، يستفزهم بعنجهية البدو، وتعجرف الشدو، وآخره مدني رقيق، قد غذى بماء العقيق؟ قال: لا أعرفه، قال: هو بيت جميل بن معمر:

أَلاَ أَيُّهَا الرَّكْبُ النيَامُ أَلاَ هُبُّوا

ثم أدركته رقة المشوق، فقال:

أسائلكم: هل يقتل الرجل الحب؟

قال: صدقت، فهل تعرف أنت الآن بيتاً أوله أكثم بن صيفي في إصالة الرأي ونبل العظة، وآخره إبقراط في معرفته بالداء والدواء؟ قال المفضل: قد هولت علي، فليت شعري بأي مهرٍ تفترع عروس هذا الخدر؟ قال: بإصغائك وإنصافك، وهو قول الحسن بن هاني:

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فَإنَّ اللَّوْمَ إغْرَاءُ وَدَاوِني بالتي كانَتْ هِي الدَّاءُ

قال أبو محمد: وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظغن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم عن ماءٍ إلى ماءٍ، وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان. ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة، والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريبٌ من النفوس، لأئطٌ بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسببٍ، وضارباً فيه بسهمٍ، حلالٍ أو حرامٍ، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحل الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء، وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكأفاة، وهزه للسماح، وفضله على الأشباه، وصغر في قدره الجزيل.

فالشاعر المجيد من سلك هذه الأسالب، وعدل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، و لم يطل فيمل السامعين، و لم يقطع وبالنفوس ظمآءٌ إلى المزيد.

فقد كان بعض الرجاز أتى نصر بن سيارٍ وإلى خراسان لبني أمية، فمدحه بقصيدةٍ، تشبيبها مائة بيتٍ، ومديحها عشرة أبياتٍ، فقال نصرٌ: والله ما بقيت كلمةٌ عذبةً ولا معنى لطيفاً إلا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك، فإن أردت مديحي فاقتصد في التسيب، فأتاه فأنشده،

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لأُمِّ الغَمْرِ دَعْ ذَا وحَبِّرْ مدْحَةً في نَصْرِ

فقال نصر: لا ذلك ولا هذا ولكن بين الأمرين.

وقيل لعقيل بن علفة: ما لك لا تطيل الهجاء؟ فقال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقيل لأبي المهوش الأسدي: لم لا تطيل الهجاء؟ فقال: لم أجد المثل السائر إلا بيتاً واحداً.

وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام، فيقف على متزلٍ عامر، أو يبكى

عند مشيد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المترل الداثر، والرسم العافي. أو يرحل على حمارٍ أو بغلٍ ويصفهما، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد على المياه العذاب الجواري، لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي. أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد، لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة.

قال خلفٌ الأحمر: قال لي شيخٌ من أهل الكوفة، أما عجبت من الشاعر قال:

أَنْبَتَ قَيْصُوماً وجَثْجَاثَا

فاحتمل له، وقلت أنا:

أَنْبَتَ إِجَّاصاً وتُفَّاحَا

فلم يحتمل لي؟ وليس له أن يقيس على اشتقاقهم، فيطلق ما لم يطلقوا.

قال الخليل بن أحمد: أنشدني رجلٌ:

تَرَافعَ العِزُّ بِنَا فارْفَنْعَعا

فقلت. ليس هذا شيئاً، فقال: كيف جاز للعجاج أن يقول:

تَقاعَسَ العِزُّ بِنَا فَاقْعَنْسَسا

ولا يجوز لي؟! ومن الشعراء المتكلف والمطبوع: فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهيرٍ والحطيئة، وكان الأصمعي يقول: زهيرٌ والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر، لأنهم نقحوه و لم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين، وكان الحطيئة يقول: خير الشعر الحولي المنقح المحكك. وكان زهيرٌ يسمى كبر قصائده الحوليات.

وقال سويد بن كراعٍ، يذكر تنقيحه شعره:

أَبيتُ بِأَبْوابِ القَوافي كَأَنَّمَا ... أُصَادي بها سِرْباً مِنَ الوَحْشِ نُزَّعَا

أُكَالِئُهَا حَتَّى أعَرِّسَ بَعْدَ ما ... يكُونُ سُحَيْراً أَوْ بُعْيَدُ فأَهْجَعا

إِذَا خِفْتُ أَنْ تُرْوَى علَّى رَدَتْتُهَا ... ورَاءَ التَّرَاقِي خَشْيَةً أَنْ تَطَلَّعا

وَجَشَّمَني خَوفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا ... فَثَقَّفْتُهَا حَوْلاً جَرِيداً ومَرْبَعا

وقَدْ كان في نَفْسِي عليْها زِيَادَةٌ ... فَلَمْ أَرَ إلاَّ أَنْ أُطِيعَ وأَسْمَعا

وقال عدي بن الرقاع:

وقَصيدَةٍ قَدْ بِت أَجْمَعُ بَيْنَها ... حَتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَها وسِنَادَها

نَظَرَ المُثَقِّفِ في كُعُوبِ قَنَاتِهِ   حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنَآدَها

وللشعر دواعٍ تحث البطيء وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب.

وقيل للحطيئة، أي الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حية، فقال: هذا إذا طمع.

وقال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخريمي: مدائحك لمحمد بن منصور بن زياد، يعني كاتب البرامكة، أشعر من مراثيك فيه وأجود؟ فقال: كنا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بونٌ بعيد.

وهذه عندي قصة الكميت في مدحه بني أمية وآل أبي طالبٍ، فإنه كان يتشيع وينحرف عن بني أمية بالرأي والهوى، وشعره في بني أمية أجود منه في الطالبيين، ولا أرى علة ذلك إلا قوة أسباب الطمع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآجرة.

وقيل لكثيرٍ: يأبا صخرٍ كيف تصنع. إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال: أطوف في الرباع المخلية والرياض المعشبة، فيسهل علي أرصنه، ويسرع إلى أحسنه.

ويقال أيضاً إنه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي.

وقال الأحوص:

وأَشْرَفْتُ في نَشْزٍ مِنَ الأَرْضِ يَافِعٍ   وقَدْ تَشْعَفُ الأَيْفَاعُ مَنْ كانَ مُقْصَدَا

وإذا شعفته الأيفاع مرته واستدرته.

وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سهية: هل تقول الآن شعراً؟ فقال: كيف أقول أنا للشنفري ما أشرف ولا أطرب ولا أغضب، وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه.

وقيل للشنفري حين أسر: أنشد، فقال: الإنشاد على حين المسرة، ثم قال:

فَلاَ تَدْفِنُوني إِنَّ دَفني مُحَرَّمٌ   عليْكُمْ ولكِنْ خَامِرِي أَمَّ عَامِرِ

إِذَا حَمَلُوا رأسِي وفي الرأسِ أَكثَرِي   وغودِرَ عِنْدَ المُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِى

هُنالِكَ لاَ أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّني   سَمِيرَ الليالي مُبْسَلاً بالجَرَائِرِ

وللشعر تاراتٌ يبعد فيها قريبه، ويستصعب فيها ريضه. وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات، فقد يتعذر على الكاتب الأديب وعلى البليغ الخطيب، ولا يعرف لذلك سببٌ، إلا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاءٍ أو خاطر غم.

وكان الفرزدق يقول: أنا أشعر تميمٍ عند تميمٍ، وربما أتت على ساعةٌ ونزع ضرس أسهل على من قول

بيت.

وللشعر أوقاتٌ يسرع فيها أتيه، ويسمح فيها أبيه. منها أول الليل قبل تغشى الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة في الحبس والمسير.

ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكتاب.

وقالوا في شعر النابغة الجعدي: خمارٌ بواف ومطرفٌ بآلاف.

ولا أرى غير الجعدي في هذا الحكم إلا كالجعدي، ولا أحسب أحداً من أهل التمييز والنظر، نظر بعين العدل وترك طريف التقليد، يستطيع أن يقدم أحداً من المتقدمين المكثرين على أحد من إلا بأن يرى الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره.

ولله در القائل: أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه.

وقال العتبي: أنشد مروان بن أبي حفصة لزهير فقال: زهير أشعر الناس، ثم أنشد للأعشى فقال: بل هذا أشعر الناس، ثم أنشد لامرىء القيس فكأنما سمع به غناءً على شراب، فقال: امرؤ القيس والله أشعر الناس.

وكل علمٍ محتاجٌ إلى السماع. وأحوجه إلى ذلك علم الدين، ثم الشعر، لما فيه من الألفاظ الغريبة، واللغات المختلفة، والكلام الوحشي، وأسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه. فإنك لا تفصل في شعر الهذليين إذا أنت لم تسمعه بين شابة وساية وهما موضعان ولا تثق بمعرفتك في حزم نبايع، وعروان الكراث، وشسى عبقر، وأسد حلية، وأسد ترجٍ، ودفاقٍ، وتضارع، وأشباه هذا لأنه لا يلحق بالذكاء والفطنة، كما يلحق مشتق الغريب.

وقرىء يوماً على الأصمعي في شعر أبي ذؤيب:

بِأَسْفَل ذاتِ الدَّيْرِ أُفْرِدَ جَحْشُهَا

فقال أعرابي حضر المجلس للقارىء: ضل ضلالك أيها القارىء! إنما هي ذات الدبر وهي ثنيةٌ عندنا، فأخذ الأصمعي بذلك فيما بعد.

ومن ذا من الناس يأخذ من دفتر شعر المعذل بن عبد الله في وصف الفرس:

مِنَ السُّحِّ جَوالاً كَأَنَّ غُلاَمَهُ　　　يُصَرِّف سِبْداً في العنَان عَمَّرِدَا

إلا قرأه سيداً يذهب إلى الذئب، والشعراء قد تشبه الفرس بالذئب وليست الرواية المسموعة عنهم إلا سبداً قال أبو عبيدة: المصحفون لهذا الحرف كثير، يروونه سيداً أي ذئباً، وإنما هو سبدٌ بالباء معجمة بواحدة، يقال فلانٌ سبدٌ أسبادٍ أي داهية دواه.

وكذلك قول الآخر:

زَوْجُكِ يا ذاتَ الثَّنَايَا الغُرِّ　　الرِّتِلاَتِ والجَبِينِ الحُرِّ

يرويه المصحفون والآخذون عن الدفاتر الربلات وما الربلات من الثنايا والجبين؟ وهي أصول الفخذين، يقال: رجل أربل إذا كان عظيم الربلتين، أي عظيم الفخذين وإنما هي الرتلات بالتاء يقال: ثغرٌ رتلٌ إذا كان مفلجاً.

وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى، ولكنه قد يختار ويحفظ على أسبابٍ: منها الإصابة في التشبيه، كقول القائل في وصف القمر:

بَدَأَنَ بنا وابْنُ اللَّيَالي كَأَنَّهُ　　حُسَامٌ جلَتْ عَنْهُ القُيُونُ صقِيلُ

فما زِلْتُ أُفْنى كُلَّ يَوْمٍ شَبَابَهُ　　إلى أَنْ أَتَتْكَ العيسُ وهْوَ ضَئِيلُ

وكقول الآخر في مغن:

كَأَنَّ أَبَا الشُّمُوس إِذَا تَغَنَّى　　يُحَاكي عَاطِساً في عَيْنِ شَمْسِ

يَدُوكُ بلَحْيِهِ طَوْراً وطَوْراً　　كَأَنَّ بلَحْيِهِ ضَرَبَانَ ضِرْسِ

وقد يحفظ ويختار على خفة الروى، كقول الشاعر:

يا تَمْلكُ يَا تَمْلي　　صِليني وذَرِى عَذْلِى

ذَريني وسِلاَحي ثُـ　　ـمَّ شُدَّى الكفَّ بِالغَزْلِ

ونَبْلى وفُقَاهَا كَعَـ　　ـرَاقِيبِ قَطاً طُحْلِ

ومِنِّى نَظْرَةٌ بَعْدِي　　ومنَّى نَظْرَةٌ قَبْلي

وثَوْبَاىَ جَدِيدَانِ　　وأُرْخِى شِرْكَ النَّعْلِ

وإِمَّا مُتُّ يا تَمْلي　　فَكُونِي حُرَّةً مِثْلي

وهذا الشعر مما اختاره الأصمعي بخفة رويه.

وكقول الآخر:

ولَو أُرْسِلْتُ مِنْ حُبـ　　ـكِ مَبْهُوتاً مِنَ الصِّينْ

لَوَافَيْتُكِ قَبْل الصُّبـ　　ـحِ أَوْ حِينَ تُصَلِّينْ

وكان يتمثل بهذا كثيراً وقال: المبهوت من الطير الذي يرسل من بعد قبل أن يدرج.

وقد يختار ويحفظ لأن قائله لم يقل غيره، أو لأن شعره قليلٌ عزيز، كقول عبد الله بن أبي بن سلولٍ المنافق:

مَتَى ما يَكُنْ مَوْلاكَ خَصْمَكَ لا تَزَلْ تَذِلُّ ويَعْلُوكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ

وهلْ يَنْهَضُ البَازِي بَغْيرِ جَنَاحِهِ وإنْ قُصَّ يَوْماً رِيشُهُ فَهْوَ وَاقِعُ

وقد يختار ويحفظ لأنه غريبٌ في معناه، كقول القائل في الفتى:

لَيس الفَتَى بفتًى لا يُستَضَاءُ بِهِ ولا يكُونُ له في الأَرْضِ آثَارُ

وكقول آخر في مجوسي:

شهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ المُشَاشِ وأَنَّكَ بَحْرٌ جَوَادٌ خِضَمْ

وأَنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الجَحِيمِ إِذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمْ

قَرِينٌ لِهَامَانَ في قَعْرِهَا وفِرْعَوْنَ والمُكْتَنَى بالحَكَمْ

وقد يختار ويحفظ أيضاً لنبل قائله، كقول المهدي:

تُفَّاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تُفّاحَةِ جَاءَتْ فماذا صَنَعَتْ بالفُؤادْ

واللهِ ما أَدْرِي أَأَبْصَرْتُها يَقْظَانَ أَمْ أَبْصَرْتُهَا في الرُّقَادْ

وكقول الرشيد:

النَّفْسُ تَطْمَعُ والأَسْبَابُ عاجِزَةٌ والنَّفسُ تَهْلِكُ بَيْنَ اليَأْسِ والطَّمعِ

وكقول المأمون في رسول:

بعَثْتُكَ مُشْتَاقاً فَفُزْتَ بِنَظْرَةٍ وأَغْفَلْتَني حتَّى أَسَأْتُ بِكَ الظَّنَّا

ونَاجَيْتَ مَنْ أَهْوَى وكُنْتَ مُقَرَّباً فَيَالَيْتَ شِعْرِي عَنْ دُنُوِّكَ ما أَغْنَى

ورَدَّدْتَ طَرْفاً في مَحَاسِنِ وجْهِهَا ومَتَّعْتَ باسْتماعِ نَغْمتِهَا أُذْنَا

أَرَى أَثَراً مِنْها بِعَيْنَيْكَ لَمْ يَكُنْ لقد سَرقَتْ عَيْنَاكَ مِنْ وجْهِهَا حُسْنَا

وكقول عبد الله بن طاهر:

أَمِيلُ مَعَ الذَّمَامِ على ابْنِ عَمِّي وأَحْمِلُ لِلصَّدِيقِ على الَّشقِيقِ

وإنْ أَلْفَيْتَنِي مَلِكاً مُطَاعاً فإِنَّك واجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ

أُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِي ومَنِّي وأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي والحُقُوقِ

وهذا الشعر شريفٌ بنفسه وبصاحبه.

وكقوله:

مُدْمِنُ الإِغْضَاء مَوْصُولُ ومُدِيمُ العَتْبِ مَمْلُولُ

ومَدِينُ البِيضِ في تَعَبٍ وغَرِيمُ البِيضِ مَمْطُولُ

وأَخُو الوَجْهَيْنِ حَيْثُ وهَى بَهواهُ فَهْوَ مَدْخولُ

وكقول إبراهيم بن العباس لابن الزيات:

أَبَا جَعْفَرٍ عَرِّجْ عَلَى خُلَطَائِكَا وأقْصِرْ قَلِيلاً مِنْ مَدَى غُلَوَائكا

فإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ في اليَوْمِ رِفْعَةً فإِنَّ رَجَائي في غَدٍ كَرَجَائكا

والمتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاءٌ على ذوي العلم، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر، وشدة العناء، ورشح الجبين، وكثرة الضرورات، وحذف ما بالمعاني حاجةٌ إليه، وزيادة ما بالمعاني غنًى عنه. كقول الفرزدق في عمر بن هبيرة لبعض الخلفاء:

أَوَلَّيْتَ العِرَاقَ ورَافِدَيْهِ فَزَارِيًّا أَحَذَّ يَدِ القَمِيصِ

يريد: أوليتها خفيف اليد، يعني في الخيانة، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص، ورافداه: دجلة والفرات.

وكقول الآخر:

مِنَ اللَّوَاتي والتي واللَّاتي زَعَمْنَ أَنى كَبِرتُ لِدَاتي

وكقول الفرزدق:

وعَضُّ زَمَانٍ يا ابْنَ مَرْوانَ لم يَدَعْ مِنَ المَالِ إلاَّ مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ

فرفع آخر البيت ضرورةً، وأتعب أهل الإعراب في طلب العلة، فقالوا وأكثروا، ولم يأتوا فيه بشيءٍ يرضي، ومن ذا يخفى عليه من أهل النظر أن كل ما أتوا به من العلل احتيالٌ وتمويه؟ وقد سأل بعضهم الفرزدق عن رفعه إياه فشتمه وقال: علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا! وقد أنكر عليه عبد الله بن إسحق الحضرمي من قوله:

مُسْتَقْبِلِين شَمَالَ الشَّأْمِ تَضرِبُنَا بحَاصِبٍ من نَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ

على عَمَاعنا تُلْقِى وأَرْحُلُنا على زَوَاحِفَ تُزْجَى مُخُّهَا رِيرُ

مرفوعٌ فقال ألاَّ قلتَ على زَوَاحِفَ نُزْجِيهَا مَحَاسِيرِ

فغضب وقال:

فلَوْ كانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلًى هَجَوْتُهُ ولكِنَّ عبدَ الله مَوْلَى مَوَالِيَا

وهذا كثير في شعره على جودته.

وتتبين التكلف في الشعر أيضاً بأن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره، ومضموماً إلى غير لفقه، ولذلك قال عمر بن لجإٍ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك، قال: وبم ذلك؟ فقال: لأني أقول البيت وأخاه، ولأنك تقول البيت وابن عمه.

وقال عبد بن سالم لرؤبة: مت يأبا الجحاف إذا شئت! فقال رؤبة: وكيف ذلك؟ قال: رأيت ابنك عقبة ينشد شعراً له أعجبني، قال رؤبة: نعم، ولكن ليس لشعره قرانٌ. يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه. وبعض أصحابنا يقول قرآن بالضم، ولا أرى الصحيح إلا الكسر وترك الهمز على ما بينت.

والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغزيرة، وإذا امتحن لم يتعلثم ولم يتزحر.

وقال الرياشي حدثني أبو العالية عن أبي عمران المخزومي قال: أتيت مع أبي والياً على المدينة من قريش، وعنده ابن مطيرٍ، وإذا مطرٌ جودٌ، فقال له الوالي، صفه، فقال: دعني حتى أشرف وأنظر، فأشرف ونظر، ثم نزل فقال:

كَثُرَتْ لِكَثْرَةِ قَطْرِهِ أطْبَاؤُهُ ... فإذَا تَحَلَّبَ فَاضَتِ الأَطْبَاءُ

وكَجَوْفِ ضَرَّتِهِ التي في جَوْفِهِ ... جَوْفُ السَّمَاءِ سِبَحْلَةٌ جَوْفَاءُ

ولَهُ رَبَابٌ هَيْدَبٌ لِرَفِيفِهِ ... قَبلَ التَّبَعُّقِ دِيمَةٌ وطْفَاءُ

وكأَنَّ بَارِقَهُ حَرِيقٌ يَلتَقِي ... رِيحٌ عليهِ وعَرْفَجٌ وألاَءُ

وكَأَنَّ رَيِّقَهُ ولَمَّا يَحْتَفِلْ ... وَدْقُ السَمَاءِ عَجَاجَةٌ كَدْرَاءُ

مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ مُسْتَعْبِرٌ ... بِمَدَامِعٍ لَمْ تَمْرِهَا الأَقْذَاءُ

فَلَهُ بِلاَ حُزْنٍ ولا بِمَسَرَّةٍ ... ضَحِكٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ وبُكَاءُ

حَيْرَانُ مُتَّبَعٌ صَبَاهُ تَقُودُهُ ... وجَنُوبُهُ كِنْفٌ لَهُ ووِعاءُ

ودَنَتْ لَهُ نَكْبَاؤُهُ حتَّى إذا ... مِنْ طُولِ مَا لَعِبَتْ بِهِ النَّكْبَاءُ

ذَابَ السَّحَابُ فَهُو بَحْرٌ كُلُّهُ ... وعلى البُحُورِ مِنَ السَّحَابِ سَمَاءُ

ثَقُلَتْ كُلاَهُ فنَهَّرَتْ أَصْلاَبَهُ ... وتَبَعَّجَتْ مِنْ مَائِهِ الأَحْشَاءُ

غَدَقٌ يُنَتِّجُ بالأَبَاطِحِ فُرَّقاً ... تَلِدُ السُيُولَ وما لَهَا أَسْلاَءُ

غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ دوَالحِ ضُمِّنَتْ حَمْلَ اللِّقَاحِ وكلُّهَا عَذْرَاءُ

سُحْمٌ فَهُنَّ إذَا كَظَمْنَ فَوَاحِمٌ سُودٌ وهُنَّ إِذَا ضَحِكْنَ وِضَاءُ

لَوْ كانَ مِن لُجَجِ السَّوَاحِلِ مَاؤُهُ لم يَبْقَ مِن لُجَجِ السَّوَاحِل مَاءُ

قال أبو محمد: وهذا الشعر، مع إسراعه فيه كما ترى، كثير الوشي لطيف المعاني.

وكان الشماخ في سفرٍ مع أصحابٍ له، فترل يحدو بالقوم فقال:

لم يَبْقَ إلاَّ مَنْطَقٌ وأَطْرَافْ ورَيْطَتَانِ وقَمِيصٌ هَفْهَافْ

وشُعْبَتَا مَيسٍ بَرَاهَا إسْكَافْ يَا رُبَّ غَازٍ كارِهٍ للأَيجَافْ

أَغْدَرَ في الحَيِّ بَرُودَ الأَصْيَافْ مُرْتَجَّةَ البُوصِ خَضِيبَ الأَطْرافْ

ثم قطع به هذا الروى وتعذر عليه، فتركه وسمح بغيره على إثره، فقال:

لَمَّا رَأَتْنَا وَاقِفِي المَطِيَّاتْ قَامَتْ تَبَدَّى لي بأَصْلَتِيَّاتْ

غُرٍ أَضَاءَ ظَلْمُهَا الثَّنِيَّاتْ خَوْدٌ مِنَ الظَّعَائِنِ الضَّمْرِيَّاتْ

حَلاَلَةُ الأَوْدِيةِ الغَوْرِيَّاتْ صَفِيُّ أَتْرَابٍ لَهَا حَيِيَّاتْ

مِثْلِ الأَشَاءَاتِ أَوِ البَرْدِيَّاتْ أَوِ الغَمَامَاتِ أَوِ الوَدِيَّاتِ

أَوْ كَظِبَاءِ السِّدْرِ العُبْرِيَّاتْ يَحْضُنَ بالقَيْظِ على رَكِيَّاتْ

وَضَعْنَ أَنْمَاطاً على زِرْبِيَّاتْ ثُمَّ جلسْنَ بِرَكَةَ البُخْتِيَّاتْ

مَنْ رَاكِبٌ يُهْدِي لَهَا التَّحِيَّاتْ أَرْوَعُ خرَّاجٌ مِنَ الدَّاوِيَّاتْ

يَسْرِى إِذَا نَامَ بَنُو السَّرِيَّاتْ

قال أبو عبيدة: اجتمع ثلاثةٌ من بني سعد يراجزون بني جعدة، فقيل لشيخٍ من بني سعد: ما عندك؟ قال: أرجز هم يوماً إلى الليل لا أفثج، وقيل لآخر: ما عندك؟ قال: أرجز هم يوماً إلى الليل ولا أنكف، وقيل للثالث: ما عندك؟ قال: أرجز هم يوماً إلى الليل ولا أنكش، فلما سمعت بنو جعدة كلامهم انصرفوا و لم يراجزوهم.

والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون: منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء. ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل.

وقيل للعجاج: إنك لا تحسن الهجاء؟ فقال: إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم، وأحساباً تمنعنا من أن نظلم، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم.

وليس هذا كما ذكر العجاج، ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمديح بشكل، لأن المديح بناءٌ والهجاء بناءٌ، وليس كل بانٍ بضربٍ بانياً بغيره. ونحن نجد هذا بعينه في أشعارهم كثيراً، فهذا ذو الرمة، أحسن الناس تشبيهاً، وأجودهم تشبيباً، وأوصفهم لرمل وهاجرةٍ وفلاةٍ وماءٍ وقرادٍ وحيةٍ، فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع. وذاك أخره عن الفحول، فقالوا: في شعره أبعار غزلانٍ ونقط عروسٍ! وكان الفرزدق زير نساءٍ وصاحب غزل، وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب. وكان جريرٌ عفيفاً عزهاةً عن النساء، وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيباً، وكان الفرزدق يقول: ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره لما ترون.

عيوب الشعر

الإقواء والإكفاء

قال أبو محمد: كان أبو عمرو بن العلاء يذكر أن الإقواء: هو اختلاف الإعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافيةٌ مرفوعةً وأخرى مخفوضةً، كقول النابغة:

قالتْ بَنُو عامرٍ خَالُوا بَني أَسَدٍ | يا بُؤْس للجَهْلِ ضَرَّاراً لِأَقْوَامِ

وقال فيها:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طَالِعَةٌ | لاَ النُّورُ نُورٌ ولا الإظْلَامُ إظْلَامُ

وكان يقال إن النابغة الذبياني وبشر بن أبي خازم كانا يقويان، فأما النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره ففطن فلم يعد للإقواء.

وبعض الناس يسمى هذا الإكفاء ويزعم أن الإقواء نقصان حرف من فاصلة البيت، كقول حجل بن نضلة، وكان أسر بنت عمرو ابن كلثوم وركب بها المفاوز، واسمها النوار:

حَنَّتْ نَوَارُ ولاتَ هَنَّا حَنَّتِ | وبَدَا الَّذي كانَتْ نَوَارُ أَجَنْتِ

لمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلاَ مَشْرُوباً | والفَرْثَ يُعْصَرُ في الإنَاءِ أَرَنِّت

سمى إقواءً لأنه نقص من عروضه قوةٌ. وكان يستوي البيت بأن تقول متشرباً. يقال أقوى فلانٌ الحبل إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى، وهو حبلٌ قوٍ.

مثل قول حميد:

إنِّي كبِرْتُ وإنَّ كُلَ كَبِيرٍ | مِمَّا يُضَنُّ بِهِ يَمَلُّ ويَفْتُرُ

وكقول الربيع بن زيادٍ:

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ   تَرْجُو النسَاءُ عَوَاقِبَ الأَطْهَارْ

ولو كان بن زهيرة لاستوى البيت.

والسناد: هو أن يختلف إرداف القوافي، كقولك علينا في قافيةٍ وفينا في أخرى، كقول عمرو بن كلثوم:

أَلاَ هُبّي بِصَحْنِك فاصْبَحينَا

فالحاء مكسورة. وقال في آخر:

تُصَفِّقُهَا الرِّيَاحُ إذَا جَرَيْنَا

فالراء مفتوحةٌ، وهي بمنزلة الحاء.

وكقول القائل:

كَأَنَّ عُيُونَهُنَّ عُيُونُ عني

ثم قال:

وأَصْبَحَ رَأْسُهُ مِثْلَ اللُّجيْنِ

والإيطاء، هو إعادة القافية مرتين، وليس بعيبٍ عندهم كغيره.

الإجازة: اختلفوا في الإجازة، فقال بعضهم: هو أن تكون القوافي مقيدةً فتختلف الأرداف، كقول امرىء القيس:

لاَ يَدَّعي القَوْمُ أَنِّي أَفِرّ

فكسر الردف، وقال في بيت آخر:

وكِنْدَةُ حَوْلي جَميعاً صُبُرْ

فضم الردف، وقال في بيتٍ آخر:

أَلْحَقْتَ شَراً بِشَرْ

ففتح الردف.

وقال الخليل بن أحمد: هو أن تكون قافيةٌ ميماً والأخرى نوناً، كقول القائل:

يا رُبَّ جعْدٍ منهمُ لَوْ تَدْرِينْ   يضربُ ضَرْبَ السَّبِطِ المَقاديِمْ

أو طاءً والأخرى دالاً، كقول الآخر:

تَاللهِ لَوْلاَ شَيْخُنَا عَبَّادُ   لَكَمَرُونا عِنْدَهَا أَوْ كَادُوا

فَرْشَطَ لَمَّا كُرِهَ الفِرشَاطُ بفيْشَةٍ كَأَنَّهَا مِلْطَاطُ

وهذا إنما يكون في الحرفين يخرجان من مخرج واحدٍ أو مخرجين متقاربين.

قال ابن الأعربي: الإجازة: مأخوذة من إجازة الحبل والوتر.

العيب في الإعراب

وقد يضطر الشاعر فيسكن ما كان ينبغي له أن يحركه، كقول لبيد:

ترَّاكُ أَمْكنَةٍ إذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

يريد: أترك المكان الذي لا أرضاه إلى أن أموت، لا أزال أفعل ذلك.

وأو هاهنا بمنزلة حتى. وكقول امرىء القيس:

فاليوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحِقبٍ إثماً مِنَ اللهِ ولاَ واغِلِ

ولولا أن النحويين يذكرون هذا البيت ويحتجون به في تسكين المتحرك لاجتماع الحركات، وأن كثيراً من الرواة يروونه هكذا، لظننته.

فاليَوْمَ أُسقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ

قال أبو محمد: وقد رأيت سيبويه يذكر بيتاً يحتج به في نسق الاسم المنصوب على المخفوض، على المعنى لا على اللفظ، وهو قول الشاعر:

مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فأَسْجِعْ فَلَسْنَا بالجِبَالِ ولا الحَدِيدَا

قال: كأنه أراد: لسنا الجبال ولا الحديدا، فرد الحديد على المعنى قبل دخول الباء، وقد غلط على الشاعر، لأن هذا الشعر كله مخفوضٌ، قال الشاعر:

فهبْهَا أُمَّةً ذَهَبَتْ ضَيَاعاً يَزِيدُ أَمِيرُهَا وأَبُو يَزِيدِ

أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا وجَرَدْتُمُوهَا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ

ويحتج أيضاً بقول الهذلي في كتابه، وهو قوله:

يَبِيتُ على مَعارِيَ فَاخِرَاتٍ بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ العِبَاطِ

وليست هاهنا ضرورة فيحتاج الشاعر إلى أن يترك صرف معارٍ ولو قال

يَبِيتُ على مَعَارٍ فَاخِراتٍ

كان الشعر موزونا والإعراب صحيحاً.

قال أبو محمد: وهكذا قرأته على أصحاب الأصمعي.

وكقوله في بيتٍ آخر:

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ ومُخْتَبِطٌ ممَّا تُطيحُ الطوَائحُ

وكان الأصمعي ينكر هذا ويقول: ما اضطره إليه؟ وإنما الرواية:

لِيَبْكِ يَزِيدَ ضَارِعٌ لِخُصُومَة

وكذلك قول الفراء:

فَلَئِنْ قَوْمٌ أَصَابُوا عِزَّةً وأَصَبْنَا مِن زَمَانٍ رَنَقَا

لَلَقَدْ كَانُوا لَدَى أَزْمَاتِهِ لَصَنِيعينَ لِبَأْسٍ وتُقَى

هو فلقد كانوا وهذا باطل.

وكذلك قوله:

مَنْ كانَ لاَ يَزْعُمُ أَنِّي شَاعِرٌ فَيَدْنُ مِنِّي تَنْهَهُ المَزَاجِرُ

إنما هو فليدن مني وبه يصح أيضاً وزن الشعر.

وكذلك قوله:

فَقُلْتُ اعِي وأَدْعُ فَإِنَّ أَنْدَى لِصَوتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

إنما هو:

فَقُلْتُ ادْعِي وأَدْعُوَ إنَّ أَنْدَى

وكقول الفرزدق:

رُحْتِ وفي رِجْلَيْكِ عُقَّالَةٌ وقدْ بَدَا هَنْكِ مِنَ المِئْزَرِ

وقد يضطر الشاعر فيقصر الممدود، وليس له أن يمد المقصور. وقد يضطر فيصرف غير المصروف، وقبيحٌ ألا يصرف المصروف. وقد جاء في الشعر، كقول العباس بن مرداس السلمى:

وما كانَ بَدْرٌ ولا حابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ في مَجْمَعِ

وأما ترك الهمز من المهموز فكثيرٌ واسعٌ، لا عيب فيه على الشاعر، والذي لا يجوز أن يهمز غير المهموز. وليس للمحدث أن يتبع المتقدم في استعمال وحشي الكلام الذي لم يكثر، ككثير من أبنية سيبويه، واستعمال اللغة القليلة في العرب، كإبدالهم الجيم من الياء، كقول القائل: يا رب إن كنت قبلت حجتج

يريد حجتي وكقولهم جمل بختج يريدون بخت وعلج يريدون علي.

وإبدالهم الياء من الحرف في الكلمة المخفوضة، كقول الشاعر:

لَهَا أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمِّرُهُ مِنَ الثَّعالِي ووَخْزٌ منْ أَرانِيهَا

يريد من أرانبها وكقول الآخر: ولضفادى جمه نقانق يريد ضفادع.

وكإبدالهم الواو من الألف، كقولهم أفعو وحبلو يريدون أفعى وحبلى وقال ابن عباس: لا بأس برمي الحدو للمحرم وأستحب له ألا يسلك فيما يقول الأساليب التي لا تصح في الوزن ولا تحلو في الأسماع، كقول القائل:

قُلْ لِسُلَيْمى إذَا لاقَيْتَهَا هَلْ تَبْلُغِنَّ بَلْدَةً إلا بِزَادْ

قُلْ للصَّعَالِيكِ لا تَسْتَحْسِرُوا مِن الْتماسٍ وسَيْرٍ في البِلاَدْ

فالغَزْوُ أَحْجَى على مَا خَيَّلَتْ من اضْطِجَاعٍ على غَيْرِ وِسَادْ

لَوْ وصلَ الغَيْثُ أَبْنَاءَ امْرِىءٍ كانَتْ لَهُ قُبَّةً سَحْقَ بِجَادْ

وبَلْدَةٍ مُقْفِرٍ غِيطَانُها أَصْدُاؤُهَا مَغْرِبَ الشَّمْسِ تَنادْ

قَطَعْتُها صَاحِبي حُوشِيَّةٌ في مِرْفَقَيْهَا عنِ الزَّوْرِ تَعَادْ

وكقول المرقش:

هَلْ بالدِّيارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقاً كَلَّمْ

يَأْبِى الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ ولاَ تَغبطْ أَخاكَ أَنْ يُقَالَ حكَمْ

قال أبو محمد: وهذا يكثر، وفيما ذكرت منه ما دلك على ما أردت من اختيارك أحسن الروى، وأسهل الألفاظ، وأبعدها من التعقيد والاستكراه وأقربها من إفهام العوام. وكذلك أختار للخطيب إذا خطب، والكاتب إذا كتب. فإنه يقال: أسير الشعر والكلام المطمع، يراد الذي يطمع في مثله من سمعه، وهو مكان النجم من يد المتناول.

قال أبو محمد: وقد أودعت كتاب العرب في الشعر أشياء من هذا الفن ومن غيره، وستراها هناك مجموعةٌ كافيةٌ، إن شاء الله عز وجل.

أوائل الشعراء

لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة. فمن قديم الشعر قول دريد بن نهد القضاعي:

اليَوْمَ يُبْنَى لِدُوَيْدٍ بَيْتُهُ لَوْ كان للدَّهْرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ

أَوْ كان قِرْنِى واحداً كَفَيْتُهُ يا رُبَّ نَهْبٍ صالِحٍ حَوَيْتُهُ

ورُبَّ عَبْلٍ خَشِنٍ لَوَيْتُهُ

وقال الآخر:

أَلْقَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً ويَدَا والدَّهْرُ ما أَصلَحَ يوماً أَفْسَدَا

يُصلْحِهُ اليومَ ويُفْسِدُه غدَا

وقال أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، واسمه منبه ابن سعد، وهو أبو غني وباهلة والطفاوة:

قالتْ عُمَيْرَةُ ما لِرَأْسِك بَعْدَ ما نَفِدَ الشَّبَابُ أَتَى بلَوْن مُنْكَر

أَعُمَيْرَ إنَّ أَباكِ شَيَبَ رَأْسَه مَرُّ الليالي واخْتِلاَفُ الأَعْصُرُ

وقال الحرث بن كعب وكان قديماً:

أَكَلْتُ شَبَابي فأَفْنَيْتُهُ وأَفْنَيْتُ بَعْدَ شُهُور شُهُورَا

ثلاثةُ أَهْلينَ صاحبْتُهم فبانُوا وأَصبْحَتْ شَيَخاً كَبِيرَا

قَليلَ الطَّعَامِ عَسِيرَ القيا مِ قد تَرَكَ القَيْدُ خَطْوِى قَصيرَا

أَبيتُ أُراعي نُجُومَ السماءِ أُقَلِّبُ أَمْرِى بُطُوناً ظُهُوراً

تراجم الشعراء

امرؤ القيس بن حجر

هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، وهو من أهل نجد، من الطبقة الأولى. وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد.

قال لبيد بن ربيعة: أشعر الناس ذو القروح، يعني امرأ القيس.

وملك حجرٌ على بني أسد، فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً، فامتنعوا منه، فسار إليهم فأخذ سرواقم فقتلهم بالعصى، فسموا عبيد العصا وأسر منهم طائفةً، فيهم عبيد بن الأبرص، فقام بين يدي الملك فقال:

يا عيْنِ ما فابْكي بَني أَسَدٍ هُمُ أَهلُ النَّدَامَه

أَهْلَ القِبَابِ الحُمْرِ وال نَّعَمِ المُؤَبَّلِ والمُدَامَهْ

مَهلاً أَبيْتَ اللَّعْنَ مَهْلاً إِنَّ فيما قُلْتَ آمهْ

في كُلّ وادٍ بَيْنَ يَثْ رِبَ والقُصُورِ إلى اليمَامَهْ

تَطْرِيبُ عانٍ أَوْ صيَا حُ مُحَرَّقٍ وزُقَاءُ هامَهْ

أَنْتَ المَلِيك عليهمُ وهُمُ العَبدُ إلى القِيَامَهْ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردهم إلى بلادهم، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة، تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي، فقال: يا عباد قالوا: لبيك ربنا! فقال: والغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يقلق رأسه الصخب، هذا دمعه يثعب وهو غداً أول من يسلب، قالوا: من هو ربنا؟ قال: لولا تجيش نفسٌ جايشه أنباتكم أنه حجر ضاحيه. فركبت بنو أسد كل صعبٍ وذلول، فما أشرق لهم الضحى حتى انتهوا إلى حجر، فوجدوه نائماً فذبحوه وشدوا على هجائنه فاستاقوها.

وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع، وكان له عاشقا، فطلبها زماناً فلم يصل إليها، وكان يطلب منها غرةً، حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان فقال:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيب ومَنْزِلِ

فلما بلغ ذلك حجراً أباه دعا مولًى له يقال له ربيعة، فقال له: اقتل امرأ القيس وأتني بعينيه، فذبح جؤذراً فأتاه بعينيه، فندم حجر على ذلك، فقال: أبيت اللعن! إني لم أقتله، قال: فأتني به، فانطلق فإذا هو قد قال شعراً في رأس جبلٍ، وهو قوله:

فلا تَتْرُكَنِّي يا رَبِيعَ لِهذِهِ وكُنْتُ أَراني قبْلَها بِكَ واثِقاً

فرده إلى أبيه، فنهاه عن قول الشعر، ثم إنه قال:

أَلاَ انْعَمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالي

فبلغ ذلك أباه فطرده، فبلغه مقتل أبيه وهو بدمون، فقال:

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ دَمُّونُ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ

وإِنَّنَا لِأَهْلِنَا مُحِبُّونْ

ثم قال: ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمرٌ، وغداً أمرٌ، ثم قال:

خَلِيلَّى ما في اليوم مَصْحًى لشارِبٍ ولا في غَدٍ إِذْ كان ما كان مَشْرَبُ

ثم آلى لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه، فلما كان الليل لاح له برقٌ فقال:

أَرِقْتُ لبَرْق بلَيْل أَهَلّ يُضىءُ سَنَاهُ بأَعْلَى الجَبَلْ

بقَتْلِ بَني أَسَدٍ ربَّهُمْ ... أَلاَ كُلُّ شَيءٍ سِوَاهُ جَلَلْ

ثم استجاش بكر بن وائل، فسار إليهم وقد لجؤوا إلى كنانة، فأوقع بهم، ونجت بنو كاهل من بني أسد، فقال:

يا لَهْفَ نَفْسِي إذْ خَطِئْنَ كاهِلاَ ... القاتِلينَ المَلِكَ الحُلاَحلا

تَاللهِ لا يذهَبُ شَيْخي باطَلا

وقد ذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم، فتأبى عليه ذلك الشعراء قال عبيد:

ياذا المُخَوِّفُنَا بِقَتْ ... ل أَبِيهِ إِذْلاَلاً وحَيْنَا

أَزَعمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْ ... تَ سرَاتَنَا كَذِباً ومَيْنَا

و لم يزل يسير في العرب يطلب النصر، حتى خرج إلى قيصر، فدخل معه الحمام، فإذا قيصر أقلف، فقال:

إنِّي حَلَفْتُ يميناً غَيْرَ كاذبَةٍ ... أَنَّكَ أَقْلَفُ إلاَّ ما جَنَى القَمَرُ

إذَا طَعَنْتَ به مالَتْ عِمَامَتُهُ ... كَمَا تَجَمَّعَ تَحْتَ الفَلْكَةِ الوبَرُ

ونظرت إليه ابنة قيصر فعشقته، فكان يأتيها وتأتيه وطبن الطماح ابن قيسٍ الأسدي لهما، وكان حجرٌ قتل أباه، فوشى به إلى الملك، فخرج امرؤ القيس متسرعاً، فبعث قيصر في طلبه رسولاً، فأدركه دون أنقرة بيومٍ، ومعه حلةٌ مسمومة، فلبسها في يومٍ صائفٍ، فتناثر لحمه وتفطر جسده، وكان يحمله جابر بن حنى التغلبي، فذلك قوله:

فَإمَّا تَرَيْنِي في رِحَالَةِ جابرٍ ... على حَرَجٍ كالقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفَاني

فَيَارُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ ... وعانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ عنه ففدَّاني

إذَا المَرْءُ لم يَخْزُنْ عليه لِسَانَهُ ... فلَيْسَ على شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

وقال حين حضرته الوفاة:

وطَعْنَة مُسْحَنْفِرَهْ وجَفْنَةٍ مُثعَنْجِرَهْ ... تَبْقَى غَداً بأَنقِرَهْ

قال ابن الكلبي: هذا آخر شيءٍ تكلم به، ثم مات.

قال أبو عبد الله الجمحي: كان امرؤ القيس ممن يتعهر في شعره، وذلك قوله:

فمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ

وقال:

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ ما نامَ أَهْلُهَا

وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته عليها الشعراء، من استيقافه صحبه في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ.

ويستجاد من تشبيهه قوله:

كأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً ويابِساً   لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البالى

وقوله:

كأَنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ قِبَابِنَا   وأَرْحُلِنا الجَزْعُ الَّذِي لم يُثَقَّبِ

وقوله:

كأَني غَدَاةَ البَينِ لَمَّا تَحَمَّلُوا   لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنْظَلَ

وقد أجاد في صفة الفرس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً   كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

لَهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وساقَا نَعَامَةٍ   وإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

ومما يعاب عليه من شعره قوله:

إِذَا ما الثُّرَيَّا في السَّماءِ تَعَرَّضَ   تَتَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

وقالوا: الثريا لا تعرض لها، وإنما أراه أراد الجوزاء، فذكر الثريا على الغلط، كما قال الآخر: كأحمر عاد وإنما هو كأحمر ثمود وهو عاقر الناقة.

قال يونس النحوي: قدم علينا ذو الرمة من سفرٍ، وكان أحسن الناس وصفاً للمطر، فذكرنا له قول عبيدٍ وأوس وعبد بني الحسحاس في المطر، فاختار قول امرىء القيس:

دِيمَةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ   طَبَقُ الأَرْضِ تَحَرَّى وتَدُرّْ

أقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء، إذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ، وأنشد بعض القوم:

لمّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّها   وأَنَّ البَيَاضَ من فَرَائِصِهَا دامِي

تَيَمَّمَتِ العَيْنَ التي عِنْدَ ضَارِجٍ   يَفِيءُ عليها الظَّلُّ عَرْمَضُهَا طامِي

فقال الراكب: من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس، فقال: والله ما كذب، هذا ضارجٌ عندكم، وأشار إليه، فمشوا على الركب، فإذا ماءٌ غدقٌ، وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه، فشربوا وحملوا، ولولا ذلك

لهلكوا.

ومما يتمثل به من شعره قوله:

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِى أَبِيهِم وبالأَشْقَيْنَ ما كان العقابُ

وقوله:

صُبَّتْ عَلَيْهِ ولَمْ تَنْصَبَّ من كَثَبٍ إِنَّ الشَّقَاءَ على الاشْقَيْنَ مَصْبُوبُ

وقوله:

وقَدْ طَوَّفْتُ في الآفَاق حَتىَّ رَضِيتُ مِن الغَنِيمَةِ بالإياب

ومما يتغنى به من شعره: قِفَا نَبْكِ من ذكْرَى حَبِيب ومَنْزِل قوله:

تَقُولُ وقَدْ مال الغَبِيطُ بنا مَعاً عقَرْتَ بَعيري يا امْرَأَ القَيْسِ فانزِل

وقال أبو النجم يصف قينة:

تُغَنِّي فإِنَّ اليَوْمَ يَوْمٌ مِنَ الصبِّى بِبَعْضِ الَّذِي غَنَّى امْرُؤُ القَيْسِ أَو عَمْرُو

فظَلَّتْ تُغَنَّى بالغَبِيطِ ومَيْلِه وتَرْفَعُ صَوْتاً في أَوَاخِرِهِ كَسْرُ

وقوله:

كأَنَّ المُدَامَ وصَوْبَ الغَمَامِ وريحَ الخُزَامى ونَشْرَ القُطُرْ

يُعَلُّ به بَرْدُ أَنْيَابِها إِذا طَرَّبَ الطائِرُ المُسْتَحِرْ

وكل ما قيل في هذا المعنى فمنه أخذ.

واجتمع عند عبد الملك أشراف من الناس والشعراء، فسألهم عن أرق بيت قالته العرب، فاجتمعوا على بيت امرىء القيس:

وما ذَرَفَتْ عيْنَاك إِلاَّ لِتَضْرِبِي بَسْهَمِيْكِ في أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وقال:

والله أَنْجَحُ ما طَلَبْتَ بِهِ والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ

وقال:

مِنْ آل لَيْلَى وأَيْنَ لَيْلى وخَيْرُ ما رُمْتَ ما يُنَالُ

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثورٍ، وهو كندة. وأمه فاطمة بنت ربيعة ابن الحرث بن زهير، أخت كليبٍ ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين. وكليب هو الذي تقول

فيه العرب: أعز من كليب وائل وبمقتله هاجت حرب بكر وتغلب.

وكان قباذ ملك فارس ملك الحرث بن عمرو جد امرىء القيس على العرب، ويقول أهل اليمن: أن تبعاً الأخير ملكه، وكان الحرث ابن أخته، فلما هلك قباذ وملك أنوشروان ملك على الحيرة المنذر بن ماء السماء، وكانت عنده هندٌ بنت الحرث بن عمرو بن حجر، فولدت له عمرو بن المنذر وقابوس بن المنذر، وهند عمة امرىء القيس، وابنها عمرو هو محرقٌ.

ثم ملكت بنو أسدٍ حجراً عليها، فساءَت سيرته، فجمعت له بنو أسد، واستعان حجرٌ ببني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، فقال امرؤ القيس:

تميمُ بنُ مُرٍّ وأَشْياعُها وكِنْدَةُ حَوْلِي جَميعاً صُبُرْ

فبعثت بنو أسد إلى بني حنظلة تستكفها وتسألها أن تخلى بينها وبين كندة، فاعتزلت بنو حنظلة، والتقت كندة وأسدٌ، فانهزمت كندة وقتل حجرٌ، وغنمت بنو أسدٍ أموالهم. وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص الأسدي:

هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْ دَةَ يَوْمَ ولَّوْا هَارِبِينَا

وكان قاتل حجرٍ علباء بن الحرث الأسدي، وأفلت امرؤ القيس يومئذٍ، وحلف لا يغسل رأسه ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره ببني أسد، فأتى ذا جدنٍ الحميري فاستمده فأمده، وبلغ الخبر بني أسد فانتقلوا عن منازلهم، فنزلوا على قومٍ من بني كنانة بن خزيمة، والكنانيون لا يعلمون بمسير امرىء القيس إليهم، فطرقهم في جندٍ عظيم، فأغار على الكنانيين وقتل منهم، وهو يظن أنهم بنو أسدٍ ثم تبين أنهم ليسوا هم، فقال:

أَلاَ يا لَهْفَ نَفْسِي إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كانُوا الشِّفَاءَ فلم يُصَابُوا

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ ببَنِي أَبِيهِمْ وبالأَشْقَيْنَ ما كانَ العِقَابُ

وأَفْلَتَهُنَّ عِلْباءٌ جَرِيضاً ولَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوطَابُ

ثم تبع بني أسدٍ فأدركهم وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وقال:

قُولاَ لِدُودَانَ عَبِيدَ العَصَا ما غَرَّكُمْ بالأَسَدِ الباسل

قد قَرَّتِ العَيْنَانِ من وائل ومن بني عَمْرو ومن كاهِلِ

نَطْعُنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً كرَّكَ لَأْمَيْن على نَابِلِ

حَلَّتْ لَي الخَمْرُ وكُنْتُ امْرَءًا عَنْ شُرْبِهَا في شُغُلٍ شاغِلِ

فاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُستَحْقِبٍ إثْماً مِنَ اللهِ ولا واغِلِ

ثم إن المنذر بن ماءٍ السماء غزا كندة فأصاب منهم، وأسر اثني عشر فتًى من ملوكهم، فأمر بهم فقتلوا بمكان بين الحيرة والكوفة، يقال له جفر الأملاك، وكان امرؤ القيس يومئذٍ معهم، فهرب حتى لجأ إلى سعد بن الضباب الإيادي، سيد إياد، فأجاره.

وكان ابن الكلبي يذكر أن أم سعدٍ كانت عند حجرٍ أبي امرىء القيس، فتزوجها الضباب فولدت سعداً على فراشه، واستشهد على ذلك قول امرىء القيس:

يُفَكِّهُنا سَعْدٌ ويُنْعِمُ بالَنا ويَغْدُو عَلَيْنا بالجفانِ وبالجُزُرْ

ونَعْرِفُ فيه من أَبِيهِ شَمَائِلاً ومن خالِهِ ومن يزَيدَ ومن حُجُرْ

وهذا الشعر يدل على أن العرب كانت في الجاهلية ترى الولد للفراش.

ثم تحول إلى جبلى طيءٍ، فنزل على قوم، منهم عامر بن جوينٍ الطائي، فقالت له ابنته: إن الرجل مأكولٌ فكله، فأتى عامرٌ أجأً وصاح: ألا إن عامر بن جوين غدر، فلم يجبه الصدى، ثم صاح: ألا إن عامر بن جوينٍ وفى، فأجابه الصدى، فقال: ما أحسن هذه وما أقبح تلك! ثم خرج امرؤ القيس من عنده، فشيعه، فرأت ابنته ساقيه وهو مدبرٌ، وكانتا حمشتين، فقالت: ما رأيت كاليوم ساقى واف، فقال: هما ساقا غادرٍ أقبح.

ويقال إن صاحب هذا القول أبو حنبلٍ بن مرٍّ مجير الجراد.

ويقال إن ابنته لما أشارت عليه بأخذ ماله دعا بجذعة من غنمه، فحلبها في قدح ثم شرب فروى، ثم استلقى وقال: والله لا أغدر ما أجزأتني جدعة، ثم قام فمشى، وكان أعور سناطاً، قصيراً حمش الساقين، فقالت ابنته: ما رأيت كاليوم ساقي وافٍ؟ فقال لابنته: يا بنية، هما ساقا غادرٍ شرٌّ، وقال:

لَقَدْ آلَيتُ أَغْدِرُ في جَدَاعِ ولوْ مُنِّيتُ أُمّاتِ الرِّبَاعِ

لأَنَّ الغَدْرَ في الأَقْوَامِ عارٌ وإنَّ الحُرَّ يَجْزَأُ بالكُرَاعِ

و لم يزل ينتقل من قوم إلى قوم بجبلى طيءٍ، ثم سمت به نفسه إلى ملك الروم، فأتى السموأل بن عادياء اليهودي، ملك تيماء، وهي مدينة بين الشأم والحجاز، فاستودعه مائة درعٍ وسلاحاً كثيرا، ثم سار ومعه عمرو بن قميئة، أحد بني قيس بن ثعلبة، وكان من خدم أبيه، فبكى ابن قميئة، وقال له: غررت بنا، فأنشأ امرؤ القيس يقول:

بكى صاحبي لَمَّا رأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وأَيْقَنَ أَنَّا لاحِقَانِ بقَيْصَرَا

فقُلْتُ لَهُ لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنَما نُحَاوِلُ مُلْكاً أَو نَمُوتَ فنُعْذَرَا

وإني أَذينٌ إنْ رَجَعْتُ مُمَلَكاً بِسَيْرٍ تَرَى منه الفُرَانقَ أَزْوَرَا

على ظَهْرِ عاديٍّ تُحارِبُهُ القَطَا إذا سافَهُ العَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا

وبلغ الحرث بن أبي شمرٍ الغساني، وهو الحرث الأكبر، ما خلف امرؤ القيس عند السمؤال، فبعث إليه رجلاً من أهل بيته، يقال له الحرث بن مالك، وأمره أن يأخذ منه سلاح امرىء القيس وودائعه، فلما انتهى إلى حصن السموأل أغلقه دونه، وكان للسموأل ابنٌ خارج الحصن يتصيد، فأخذه الحرث، وقال للسموأل: إن أنت دفعت إلي السلاح وإلا قتلته، فأبى أن يدفع إليه ذلك، وقال له اقتل: أسيرك فإني لا أدفع إليك شيئاً. فقتله. وضربت العرب المثل بالسموأل في الوفاء. وقد ذكره الأعشى في قصةٍ له قد ذكرها في أخباره.

وصار امرؤ القيس إلى ملك الروم، فأكرمه ونادمه، واستمده فوعده ذلك، وفي هذه القصة يقول:

ونادَمْتُ قَيصَرَ في مُلْكه فأَوْجَهَني وركِبْتُ البَرِيدَا

إِذَا ما ازْدَحَمْنا على سِكَّةٍ سَبَقْتُ الفُرَانِقَ سَبْقاً بَعيداً

ثم بعث معه جيشاً فيهم أبناء ملوك الروم، فلما فصل قيل لقيصر: إنك أمددت بأبناء ملوك أرضك رجلاً من العرب، وهم أهل غدر، فإذا استمكن مما أراد وقهر بهم عدوه غزاك. فبعث إليه قيصر مع رجلٍ من العرب كان معه يقال له الطماح بحلة منسوجةٍ بالذهب مسمومةٍ، وكتب إليه: إني قد بعثت إليك بحلتي التي كنت ألبسها يوم الزينة، ليعرف فضل مترلتك عندي، فإذا وصلت إليك فالبسها على اليمن والبركة، واكتب إلي من كل مترل بخبرك. فلما وصلت إليه الحلة اشتد سروره بها، ولبسها، فأسرع فيه السم وتنفط، جلده والعرب تدعوه ذا القروح لذلك، ولقوله:

وبُدِّلْتُ قَرْحاً دامِياً بَعْدَ صِحَّةٍ فَيَالَكَ نُعْمَى قَدْ تَحَوَّلَ أَبْؤُسَا

وقال الفرزدق:

وَهَبَ القَصَائِدَ لي النَّوَابغُ إذْ مَضَوْا وأَبُو يَزِيدَ وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ

قال أبو محمد: أبو يزيد هو المخبل السعدي، وذو القروح امرؤ القيس، وجرول الحطيئة.

ولما صار إلى مدينة بالروم تدعى أنقرة ثقل، فأقام بها حتى مات، وقبر هناك، وقال قبل موته:

رُبَّ خُطْبَةٍ مُسحَنْفِرَهْ وطَعْنَةٍ مُثْعَنْجِرَهْ

وجَعْبَةٍ مُتَحَيِّرَهْ تُدْفَنْ غَداً بأَنْقِرَهْ

ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقرة، فسأل عن صاحبه فخبر بخبرها، فقال:

أَجَارَتَنَا إِنَّ المَزَارَ قَرِيبُ وإِنِي مُقِيمٌ ما أَقَامَ عَسِيبُ

أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ ههنا وكُلُ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

وعسيب: جبل هناك.

ولما بلغ السموأل موت امرىء القيس دفع ما خلف عنده من السلاح وغيره إلى عصبته.

وكان امرو القيس مئناثاً لا ذكر له، وغيوراً شديد الغيرة، فإذا ولدت له بنتٌ وأدها، فلما رأى ذلك نساوه، غيبن أولادهن في أحياء العرب، وبلغه ذلك فتتبعهن حتى قتلهن.

وكان امرؤ القيس جميلاً وسيماً، ومع جماله وحسنه مفركاً، لا تريده النساء إذا جربنه. وقال لامرأةٍ تزوجها: ما يكره النساء مني؟ قالت: يكرهن منك أنك ثقيل الصدر، خفيف العجز، سريع الإراقة، بطيء الإفاقة، وسأل أخرى عن مثل ذلك فقالت: يكرهن منك أنك إذا عرقت فحت بريح كلب! فقال: أنت صدقتني، إن أهلي أرضعوني بلبن كلبة، و لم تصبر عليه إلا امرأةٌ من كندة يقال لها هند، وكان أكثر ولده منها، وكان يعد من عشاق العرب والزناة. وكان يشبب بنساءٍ: منهن فاطمة بنت العبيد بين ثعلبة بن عامر العذرية، وهي التي يقول لها:

أَفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هذَا التَّدلُّل

ويقال لها:

لاَ وأَبِيكِ ابْنَةَ العَامِرِ يّ لا يَدَّعي القومُ أَني أَفِرّ

ومنهن أم الحرث الكلبية، وهي التي يقول فيها:

كَدَأَ بِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَها وجارَتِها أُمِّ الربَابِ بمَأْسَل

ومنهن عنيزة، وهي صاحبة يوم دارة جلجل.

قال محمد بن سلام: حدثني راويةٌ للفرزدق أنه لم ير رجلاً كان أروى لأحاديث امرىء القيس وأشعاره من الفرزدق، هو وأبو شفقل، لأن امرأ القيس كان صحب عمه شرحبيل قبل الكلاب، حتى قتل شرحبيل بن الحرث، وكان قاتله أخاه معدى كرب بن الحرث، وكان شرحبيل بن الحرث مسترضعاً في بني دارمٍ رهط الفرزدق، وكان امرؤ القيس رأى من أبيه جفوةٌ، فلحق بعمه، فأقام في بني دارمٍ حيناً، قال: قال الفرزدق: أصابنا بالبصرة مطرٌ جودٌ، فلما أصبحت ركبت بغلة لي وصرت إلى المربد، فإذا آثار دواب قد خرجت إلى ناحية البرية، فظننت أنهم قومٌ قد خرجوا إلى النزهة، وهم خلقاء أن يكون معهم سفرة. فاتبعت آثارهم حتى انتهيت إلى بغالٍ عليها رحائل موقوفة على غدير، فأسرعت إلى الغدير فإذا

نسوةٌ مستنقعاتٌ في الماء، فقلت: لم أر كاليوم قط ولا يوم دارة جلجلٍ! وانصرفت مستحيياً، فناديني: يا صاحب البغلة ارجع نسألك عن شيءٍ، فانصرفت إليهن، فقعدن إلى حلوقهن في الماء، ثم قلن: بالله لما أخبرتنا ما كان حديث يوم دارة جلجل؟ قال: حدثني جدي، وأنا يومئذ غلامٌ حافظٌ: أن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عنيزة، وأنه طلبها زماناً فلم يصل إليها، حتى كاي يوم الغدير، وهو يوم دارة جلجل. وذلك أن الحي احتملوا، فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع رجالة قومه غلوةً فكمن في غيابةٍ من الأرض حتى مر به النساء وفيهن عنيزة، فلما وردن الغدير قلن: لو نزلنا فاغتسلنا في هذا الغدير فذهب عنا بعض الكلال، فترلن في الغدير ونحين العبيد، ثم تجردن فوقعن فيه، فأتاهن امرؤ القيس وهن غوافل، فأخذ ثيابهن فجمعها وقعد عليها، وقال: والله لا أعطي جاريةً منكن ثوبها ولو ظلت في الغدير يومها حتى يخرج متجردةً فتأخذ ثوبها! فأبين ذلك عليه، حتى تعالى النهار، وخشين أن يقصرن عن المترل الذي يردنه، فخرجن جميعاً غير غنيزة، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها، فأبى، فخرجت فنظر إليها مقبلةً ومدبرةً، وأقبلن عليه فقلن له: إنك قد عذبتنا وحبستنا وأجعتنا! قال: فإن نحرت لكن ناقتي تأكلن منها؟ قلن: نعم فخرط سيفه فعرقبها ونحرها ثم كشطها، وجمع الخدم حطباً كثيراً فأججن ناراً عظيمة، فجعل يقطع لهن من أطايبها ويلقيه على الجمر، ويأكلن ويأكل معهن، ويشرب من فضلة خمرٍ كانت معه ويغنيهن، وينبذ إلى العبيد من الكباب، فلما أرادوا الرحيل قالت إحداهن: أنا أحمل طنفسته، وقالت الأخرى: أنا أحمل رحله وأنساعه، فتقسمن متاع راحلته وزاده، وبقيت عنيزة لم يحملها شيئاً، فقال لها: يا ابنة الكرام! لا بد أن تحمليني معك فإني لا أطيق المشي، فحملته على غارب بعيرها، وكان يجنح إليه فيدخل رأسه في خدرها فيقبلها، فإذا امتنعت مال حدجها، فتقول: عقرت بعيري فانزل، ففي ذلك يقول:

ويَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي	فَيَاعَجَباً مِنْ رَحْلِها المُتَحَمَّلِ
يظَلُّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بلَحْمِها	وشَحْمٍ كهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ
ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ	فقالَتْ لَكَ الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي
تَقُولُ وقَدْ مال الغَبِيطُ بنَا مَعاً	عَقَرتَ بعيري يا امْرَأَ القَيْسِ فانْزِل
فقُلْتُ لها سيرِي وأَرْخِي زِمَامَهُ	ولا تُبْعِدِينا من جَنَاكِ المُعَلَّلِ

وكان امرؤ القيس في زمان أنوشروان ملك العجم، لأني وجدت الباعث في طلب سلاحه الحرث بن أبي شمرٍ الغساني، وهو الحرث الأكبر، والحرث هو قاتل المنذر بن امرىء القيس الذي نصبه أنو شروان بالحيرة. ووجدت بين أول ولاية أنو شروان وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين سنةً، كأنه ولد

لثلاث سنين خلت من ولاية هرمز بن كسرى.

ومما يشهد لهذا أن عمرو بن المسبح الطائي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في وفود العرب، وهو ابن مائة وخمسين سنةً، وأسلم، وعمرو يومئذٍ أرمى العرب، وهو الذي ذكره امرؤ القيس فقال:

رُبَّ رامٍ من بَنِي ثُعَلٍ ... مُخْرِجٍ كَفَّيْهِ من سُتَرِهْ

وله يقول الآخر:

نَعَب الغَرَابُ ولَيْتَهُ لم يَنْعَبِ ... بالبَيْنِ مِنْ سَلْمَى وأُمِّ الحَوْشَبَ

لَيْتَ الغُرَابَ رَمَى حَمَاطَةَ قَلْبِه ... عمْروٌ بأَسْهُمِهِ الَّتي لم تُلْغَب

وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "هو قائد الشعراء إلى النار" وفي خبرٍ آخر: "معه لواء الشعراء إلى النار".

قال ابن الكلبي: أقبل قومٌ من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فضلوا ووقعوا على غير ماءٍ، فمكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء، فجعل الرجل منهم يستذرى بفيء السمر والطلح، فبيناهم كذلك أقبل راكبٌ على بعير، فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرىء القيس، لما رأت البيتين فقال الراكب: من يقول هذا الشعر؟ قال: امرؤ القيس، قال: والله ما كذب، هذا ضارجٌ عندكم، وأشار لهم إليه، فأتوه فإذا ماء غدقٌ، وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه، فشربوا منه وارتووا، حتى بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه، وقالوا: أحياناً بيتان من شعر امرىء القيس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "ذاك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها، منسى في الآخرة خاملٌ فيها، يجيء يوم القيمة معه لواء الشعراء إلى النار".

وذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: سابق الشعراء خسف لهم عين الشعر.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يقول من فضله: إنه أول من فتح الشعر واستوقف، وبكى في الدمن، ووصف ما فيها، ثم قال: دع ذا رغبةً عن المنسبة، فتبعوا أثره. وهو أول من شبه الخيل بالعصا واللقوة والسباع والظباء والطير، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف.

قال ابن الكلبي: أول من بكى في الديار امرؤ القيس بن حارثة بن الحمام بن معاوية، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله:

يا صاحِبَيَّ قِفَا النَّوَاعِجَ ساعَةً ... نَبْكِى الدّيَارَ كما بَكَى ابنُ حُمَامِ

وقال أبو عبيدة: هو ابن خذام وأنشد:

عُوجَا على الطَّلَل المُحِيلِ لَعَلَّنَا ... نَبْكِي الدّيارَ كما بَكَى ابنُ خِذَامِ

قال: وهو القائل:

كَأَني غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا   لَدَى سَمُرَاتِ الدّارِ ناقِفُ حَنْظَلِ

أراد أنه بكى في الدار عند تحملهم، فكأنه ناقف حنظلٍ وناقف الحنظلة ينقفها بظفره، فإن صوتت علم أنها مدركةٌ فاجتناها، فعينه تدمع لحدة الحنظل وشدة رائحته. كما تدمع عيناً من يدوف الخردل، فشبه نفسه حين بكى بناقف الحنظل.

فمما أخذه الشعراء من شعر امرىء القيس: قال امرؤ القيس:

وُقُوفاً بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ   يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أَسْى وتَجَمَّلِ

أخذه طرفة فقال:

وُقُوفاً بها صَحْبِي عليَّ مَطِيَّهُمْ   يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَلَّدِ

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

ويَخْطُو على صُمٍّ صِلاَبٍ كَأَنَّها   حِجَارَةُ غَيْلٍ وارِسَاتٌ بِطُحْلُبِ

أخذه النابغة الجعدي فقال:

كأَنَّ حَوَامِيَهُ مُدْبِراً   خُضِبْنَ وإِنْ كان لم يُخْضَبِ

حِجَارَةُ غَيْلٍ بِرَضْرَاضَةٍ   كُسِينَ طِلاَءً مِنَ الطُّحْلُبِ

وقال امرؤ القيس يصف الناقة:

كَأَنَّ الحَصَى مِنْ خَلْفِها وأَمامِها   إِذا نَجَلَتْهُ رِجْلُها خَذْفُ أَعْسَرَ

أخذ الشماخ فقال:

لها مَنْسَمٌ مِثْلُ المَحَارَةِ خِفَةً   كأَنَّ الحَصَى من خَلْفِهِ حَذْفُ أَعْسَرَا

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبدُ عَنْ حالِ مَتْنِهِ   كما زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بالمُتَنَزّلِ

أخذه أوس بن حجرٍ فقال:

يزِلُّ قُتُودُ الرَّحْلِ عن دَأْيَاتِها   كما زَلَّ عن عَظْمِ الشَّجِيحِ المَحَارِفُ

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

سَلِيمِ الشَّظَا عَبْلِ الشَّوَى شَنِجِ النَّسَا   له حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ على الفالِ

فأخذه كعب بن زهير، فقال:

سَلِيم الشظا عَبل الشَّوَى شَنَج النَّسَا كَأَنَّ مَكانَ الرِّدْف من ظَهْرِه قَصْرُ

وأخذ النجاشي فقال:

أَمينُ الشظا عارِي الشوَى شَنَجُ النَّسَا أَقَبُّ الحَشَا مُسْتَنْزِعُ النَّدَفَانِ

وقال امرؤ القيس:

فَلأْياً بِلَأْيٍ مَّا حَمَلْنا غُلَامَنا على ظَهْرِ مَحْبُوكِ السَّرَاة مُحَنَّبِ

فأخذه زهيرٌ فقال:

فَلَأْياً بِلأْيٍ مَا حَمَلْنا غُلاَمَنا على ظَهْرِ مَحَبْوكٍ ظِمَاءٍ مَفَاصِلُهْ

وقال امرؤ القيس:

وعَنْسٍ كأَلْوَاحِ الإِرانِ نَسَأْتُها على لاحِبٍ كالبُرْدِ ذِي الحِبَرَاتِ

أخذه طرفة فقال:

أَمُونٍ كأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَسَأْتُها على لاحِبٍ كأَنَّه ظَهْرُ بُرْجُدِ

وقال امرؤ القيس يصف امرأةً:

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بعَيْنِ جازِئَةٍ حَوْراءَ حانِيَةٍ على طِفْلِ

أخذه المسيب فقال:

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بعَيْنِ جازِئَةٍ في ظِلِّ بارِدَةٍ منَ السِّدْرِ

وقال امرؤ القيس يصف الفرس:

يَجُمُّ على الساقَيْنِ بَعْدَ كَلاَلِهِ جُمُومَ عُيُونِ الحِسْى بَعْدَ المْخِيضِ

أخذه زيد الخيل فقال:

يَجُمُّ على الساقَيْنِ بَعْدَ كَلاَلِهِ كما جَمَّ جَفْرٌ بالكُلاَبِ نَقِيبُ

قال أبو عبيدة: هو أول من قيد الأوابد، يعني في قوله في وصف الفرس قيد الأوابد فتبعه الناس على ذلك.

وقال غيره: هو أول من شبه الثغر في لونه بشوك السيال فقال:

مَنابِتُهُ مثْلُ السُّدُوسِ ولَوْنُه كَشَوْكِ السَّيَالِ وَهْوَ عَذْبٌ يَفِيصُ

فاتبعه الناس. وأول من قال فعادى عداءً فاتبعه الناس. وأول من شبه الحمار بمقلاءِ الوليد وهو عود القلة. وبكر الأندري والكر: الحبل. وشبه الطلل بوحي الزبور في العسيب والفرس بتيس الحلب.

ومما انفرد به قوله في العقاب:

كأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً ويابِساً   لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي

شبه شيئين بشيئين في بيت واحدٍ، وأحسن التشبيه.

وقوله:

له أَيْطَلاَ ظَبْى وساقَا نَعَامَةٍ   وإرْخاءُ سِرْحان وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

وقد تبعه الناس في هذا الوصف وأخذوه، ولم يجتمع لهم ما اجتمع له في بيت واحد، وكان أشدهم إخفاءً لسرقةٍ القائل وهو المعذل:

له قُصْرَيَا رِئْمٍ وشدْقَا حَمَامَةٍ   وسالفَتَا هَيْقٍ من الرُّبْدِ أَرْبَدَا

ويستجاد من قوله:

فإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عليكَ كفاخرٍ   ضَعِيفٍ ولم يغْلِبكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ

ويعاب من قوله:

فمثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طرَقْتُ ومُرْضِعٍ   فأَلْهَيْتُها عن ذي تَمَائِمَ مُحْوَلِ

إِذَا ما بَكَى مِنْ خَلْفِها انحرَفَتْ له   بِشِقٍّ وتَحْتِي شِقُّها لم يُحَوَّلِ

قال أبو محمد: وليس هذا عندي عيباً، لأن المرضع والحبلى لا تريدان الرجال ولا ترغبان في النكاح، فإذا أصباهما وألهاهما كان لغيرهما أشد إصباءً وإلهاءً.

ويعاب من قوله:

أَغرَّكِ منِّي أنَّ حُبَّكِ قاتِلِي   وأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمرِي القَلْبَ يَفْعَلِ

وقالوا: إذا كان هذا لا يغر فما الذي يغر؟ إنما هو كأسير قال لآسره: أغرك مني أني في يديك وفي إسارك وأنك ملكت سفك دمي! قال أبو محمد: ولا أرى هذا عيباً، ولا المثل المضروب له شكلاً، لأنه لم يرد بقوله حبك قاتلي القتل بعينه، وإنما أراد به: أنه قد برح بي فكأنه قد قتلني، وهذا كما يقول القائل: قتلتني المرأة بدلها وبعينها، وقتلني فلانٌ بكلامه فأراد: أغرك مني أن حبك قد برح بي وأنك مهما تأمري قلبك به من هجري والسلو عني يطعك، أي فلا تغتري بهذا، فإني أملك نفسي وأصبرها عنك وأصرف هواي.

ويعاب عليه تصريحه بالزنا والدبيب إلى حرم الناس، والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وإن فعلته قال:

سَمَوْتُ إليها بَعْدَ ما نامَ أَهْلُها   سُمُوَّ حَبَابِ الماءِ حالاً على حالِ

فقالت سَبَاكَ الله إنَّكَ فاضحِي   أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ والناسَ أَحْوالِي

فقُلْتُ يَمينَ اللهِ أَبْرَحُ قاعداً   ولَوْ قَطَعوا رَأْسِي لَدَيْكِ وأَوْصَالِي

حَلَفْتُ لها باللهِ حَلْفَةَ فاجِرٍ لَناموُا وما إنْ من حَديثٍ ولا صالِي

فلمَّا تَنَازَعنْا الحَديثَ وأَسْمَحَتْ هَصرَتُ بغُصْنٍ ذي شَمَاريخَ مَيَّالِ

وصِرنْا إلى الحُسَنى ورَقَّ كَلامُنا ورُضْتُ فذَلَّتْ صَعْبَةً أيَّ إذْلال

فأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً وأَصبَحَ بَعلُها عَلَيْهِ القَتَامُ سَيِّىءَ الظَّنِّ والبالِ

زهير بن أبي سلمى

هو زهير بن ربيعة بن قرط، والناس ينسبونه إلى مزينة، وإنما نسبه في غطفان، وليس لهم بيت شعرٍ ينتمون فيه إلى مزينة إلا بيت كعب بن زهير، وهو قوله:

هُمُ الأَصْل منِّى حَيْثُ كُنْتُ وإنَّني من المُزَنيينَ المُصَفَّيْنَ بالكَرَمْ

ويقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحدٍ من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، وفي الإسلام ما اتصل في ولد جرير.

وكان زهير راوية أوس بن حجر.

ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: أنشدوني لأشعر شعرائكم، قيل: ومن هو؟ قال: زهير، قيل: وبم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين القول، ولا يتبع حوشي الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه، وهو القائل:

إذَا ابْتَدَرَتْ قَيْسُ بنُ عَيْلاَنَ غايَةً منَ المَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إلَيْها يُسَوَّدِ

سَبَقْتَ إلَيْها كُلَّ طَلْقٍ مُبَرزٍ سَبُوقٍ إلى الغاياتِ غَيْرِ مُخلَدِ

ويروى غير مبلد والمخلد في هذا الموضع: المبطى.

فلَوْ كان حَمْدٌ يُخْلِدُ الناسَ لم تَمُتْ ولكنَّ حَمْدَ المَرْءِ لَيْسَ بمُخْلدِ

وكان قدامة بن موسى عالماً بالشعر، وكان يقدم زهيراً ويستجيد قوله:

قَدْ جَعَلَ المُبْتَغُونَ الخَيْرَ في هَرِمٍ والسَّائلُونَ إلى أَبْوَابِه طرُقَا

مَنْ يَلْقَ يَوْماً على عِلاَّتِه هَرِماً يَلْقَ السَّمَاحَةَ فيه والنَّدَى خُلُقَا

قال عكرمة بن جريرٍ: قلت لأبي: من أشعر الناس؟ قال: أجاهليةً أم إسلاميةً؟ قلت: جاهليةً؟ قال: زهير، قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق، قلت: فالأخطل؟ قال: الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر،

قلت له: فأنت؟ قال أنا نحرت الشعر نحراً.

قال عبد الملك لقومٍ من الشعراء: أي بيت أمدح؟ فاتفقوا على بيت زهيرٍ:

تَرَاهُ إذَا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً　　كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سائِلُهْ

قيل لخلف الأحمر: زهيرٌ أشعر أم ابنه كعب؟ قال: لولا أبياتٌ لزهيرٍ أكبرها الناس لقلت إن كعباً أشعر منه، يريد قوله:

لِمَنِ الديارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ　　أَقوَيْنَ من حِجَجٍ ومن دَهْرِ

ولَأَنْتَ أَشْجَعُ من أُسَامَةَ إذْ　　دُعِيَ النزَالُ ولُجَّ في الذُّعْرِ

ولَأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبَعْ　　ضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

لَوْ كُنْتَ من شيءٍ سِوَى بَشَرٍ　　كُنْتَ المُنَوِّرَ لَيْلَةَ البَدْرِ

وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره على إيمانه بالبعث وذلك قوله:

يُؤَخَّرْ فيُوَدَعْ في كِتاب فيُدَّخَرْ　　لِيَوْمِ الحِسابِ أَو يُعَجَّلْ فيُنْقَم

وشبه زهيرٌ امرأةً في الشعر بثلاثة أوصافٍ في بيت واحد فقال:

تَنَازَعَتِ المَهَا شَبَهاً ودُرَّ البُ　　حُورِ وشاكَهَتْ فيها الظِّبَاءُ

ثم قال ففسر:

فأَمَّا ما فُوَيْقَ العِقْدِ منها　　فمِنْ أَدْماءَ مَرْتَعُهَا الخَلاَءُ

وأَمَّا المُقْلَتانِ فمن مَهَاةٍ　　وللدُّرِّ المَلاَحَةُ والصَّفاءُ

وقال بعض الرواة: لو أن زهيراً نظر في رساله عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، ما زاد على ما قال:

فإِنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاَثٌ　　يَمينٌ أَو نِفَارٌ أَو جِلاَءُ

يعني يميناً أو منافرةً إلى حاكم يقطع بالبينات أو جلاءً، وهو بيان وبرهانٌ يجلو به الحق وتتضح الدعوى.

ومما يتمثل به من شعره:

وهَلْ يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلاَّ وَشِيجُهُ　　وتُغْرَسُ إلاَّ في مَعَادِنِها النَّخْلُ

ويستحسن قوله:

يَطْعَنُهُمْ ما ارْتَمَوْا حَتَّى إذا اطَّعَنُوا　　ضارَبَ حَتَّى إذا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا

ويستحسن أيضاً قوله:

هُوَ الجَوَادُ الَّذِي يُعطِيكَ نَائِلَهُ   عَفْواً ويُظْلَمُ أَحْيَاناً فَيَنْظَلِمُ

قد سبق زهيرٌ إلى هذا المعنى، لا ينازعه فيه أحدٌ غير كثير، فإنه قال يمدح عبد العزيز بن مروان:

رَأَيْتُ ابنَ لَيْلَى يَعتَرِي صلْبَ مالِهِ   مَسَائِلُ شَتَّى من غَنِيٍّ ومُصْرِم

مَسَائِلُ إنْ تُوجَدْ لديهِ تَجُدْ بها   يَدَاهُ وإنْ يُظْلَمْ بها يَتَظَلَّمِ

المصرم: القليل المال.

هو زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياحٍ المزني، من مزينة مضر، وكان زهيرٌ جاهلياً لم يدرك الإسلام، وأدركه ابناه كعبٌ وبجيرٌ، وأتى بجيرٌ النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فكتب إليه كعب:

أَلاَ أَبْلِغَا عَنَّى بُجَيْراً رِسَالَةً   فهل لَّكَ فيما قُلْتَ بالخَيْفِ هَل لَّكَا

سُقِيتَ بكأْسٍ عِنْدَ آلِ مُحَمَّد   فأَنْهَلَكَ المَأْمُونُ منها وعَلَّكَا

فخالَفْتَ أَسْبَابَ الهُدَى وتَبعْتَهُ   على أَيِّ شَيْءٍ ويْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره هذا، فتوعده ونذر دمه، فكتب بجير إلى كعبٍ يخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا ممن كان يهجوه، وأنه لم يبق من الشعراء الذين كانوا يؤذونه إلا ابن الزبعري السهمي وهبيرة بن أبي وهبٍ المخزومي، وقد هربا منه، فإن كانت لك في نفسك حاجةٌ فاقدم عليه، فانه لا يقتل أحداً أتاه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج بنفسك. فلما ورد عليه الكتاب ضاقت عليه الأرض برحبها، وأرجف به من كان بحضرته من عدوه، فقال قصيدته التي أولها:

بانَتْ سُعادُ فقَلْبى اليَوْمَ مَتْبُولُ

وفيها قال:

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ الله أَوْعَدَني   والعَفْوُ عنْدَ رَسُولِ الله مَأْمُولُ

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وأنشده شعره، فقبل توبته وعفا عنه، وكساه برداً، فاشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم، فهو عند الخلفاء إلى اليوم.

وكان لكعب ابنٌ يقال له عقبة بن كعب، شاعر، ولقبه المضرب، وذلك أنه شبب بامرأة من بني أسد فقال:

ولا عَيْبَ فيها غَيْرَ أَنَّك واجدٌ   مَلاقِيهَا قد دُيِّثَتْ برُكُوبِ

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف، فلم يمت، وأخذ الدية، فسمى المضرب وولد لعقبة العوامُ، وهو شاعر. فهولاء خمسة شعراء في نسق: العوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، وكان أبو سلمى أيضاً شاعراً. وهو القائل في خاله أسد المري، وابنه كعب بن أسعد، وكان حمل أمه وفارقهما:

لَتُصْرَفَنْ إبِلٌ مُحَبَّبَةٌ   من عِنْد أَسْعَدَ وابْنِه كَعْب

اَلْآكِلِينَ صَرِيحَ قَوْمِهِمَا   أَكْلَ الحُبَارَى بُرْعُمَ الرُّطْبِ

وقال عمر لابن عباس: أنشدني لشاعر الشعراء الذي لم يعاظل بين القوافي، و لم يتبع وحشي الكلام، قال: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير. فلم يزل ينشده إلى أن برق الصبح.

وكان زهيرٌ أستاذ الحطيئة. وسئل عنه الحطيئة فقال: ما رأيت مثله في تكفيه على أكناف القوافي، وأخذه بأعنتها حيث شاء، من اختلاف معانيها، امتداحا وذما. قيل له: ثم من؟ قال: ما أدرى، إلا أن تراني مسلنطحاً، واضعاً إحدى رجلي على الأخرى رافعاً عقيرتي أعوى في أثر القوافي.

قال أبو عبيدة: يقول من فضل زهيراً على جميع الشعراء: إنه أمدح القوم وأشدهم أسر شعرٍ. قال: وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: الفرزدق يشبه بزهير وكان الأصمعي يقول: زهيرُ والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر، لأنهم نقحوه و لم يذهبوا به مذهب المطبوعين.

قال وكان زهير يسمى كبر قصائده الحوليات.

وكان جيد شعره في هرم بن سنانٍ المري. وقال عمر رضي الله عنه لبعض ولد هرمٍ: أنشدني بعض ما قال فيكم زهيرٌ، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، فقال: يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل! فقال عمر رضي الله عنه: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.

ومما سبق إليه زهيرٌ فأخذ منه قوله يمدح هرماً:

هُوَ الجَوَادُ الَّذِي يُعطِيكَ نَائِلَهُ   عَفْواً ويُظْلَمُ أَحْيَاناً فَيَظلَمُ

أي يسأل ما لا يقدر عليه فيتحمله، أخذه كثيرٌ، فقال:

رَأَيْتُ ابنَ لَيْلَى يَعترِي صُلْبَ مالِهِ   مَسَائِلُ شَتَّى من غَنِيٍّ ومُعْدِمِ

مسائِلُ إنْ تُوجَدْ لَدَيْكَ تَجُدْ بها   يَدَاكَ وإنْ تُظْلَمْ بها تَتَظَلَّمِ

وقال زهيرٌ:

كما استَغَاثَ بسَيءٍ فَزٌّ غَيْطَلةٍ   خافَ العُيُونَ فلم يُنْظَرْ به الحَشَكُ

السيء: اللبن في الضرع. والفز: ولد البقرة. والغيطلة: البقرة. والحشك: الدرة. أخذه الطرماح فقال:

بَادَرَ السَّيْءَ ولم يَنْتَظِرْ نُبْهَ فِيقَاتِ العُيُونِ النِّيَام

نبه: تحرك العروق. الفيقه: مثل الفواق.

وقال زهيرٌ يصف ظبيةً أكل ولدها السبع:

أَضاعَتْ فلم تُغْفَرْ لها غَفَلاَتُها فلاقَتْ بَياناً عندَ آخرِ مَعْهَد

دَماً عندَ شِلْوٍ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حوْلُهُ وبَضْعَ لِحَام في إهاب مُقَدَّدِ

وقال الجعدي:

ولاقَتْ بيَاناً عِنْدَ أَوّلِ مَعْهَد إهاباً ومَعْبُوطاً من الجَوْفِ أحْمَرَا

قال: ومما سبق إليه كعب بن زهير فأخذه الشعراء منه، قال كعب بن زهير يذكر ذئباً وغراباً:

فلم يَجِدَا إلاَّ مُناخَ مَطِيَّةٍ تَجَافَى بها زَوْرٌ نَبيلٌ وكَلْكَلُ

ومضْرِبَهَا وَسْطَ الحَصَى بجِرانِها ومَثْنَى نَوَاجٍ لم يَخُنْهُنَّ مِفْصَلُ

ومَوْضِعَ طُولِيٍّ وأَحْنَاءِ قاترٍ يَئِط إذَا ما شُدّ بالنِّسْعِ منْ عَلُ

وأَتْلَعَ يُلْوَى بالجَدِيلِ كأَنَّهُ عَسِيبٌ سَقَاهُ من سُمَيْحَةَ جَدْوَلُ

وسُمْرٌ ظِمَاءٌ واتَرَتْهُنَّ بَعْدَ ما مَضَتْ هَجْعَةٌ منْ آخرِ اللَّيْلِ ذُبَّلُ

سَفَى فوْقَهُنَّ التُّرْبَ ضافٍ كأَنَّهُ على الفَرْجِ والحاذَيْنِ قِنْوٌ مُذَلَّلُ

ومَضْطَمِرٌ من خاشعِ الطَّرْفِ خائفٌ لما تَضَعُ الأَرْض القَوَاءُ وتَحْمِلُ

فأخذه ذو الرمة والطرماح، فقال الطرماح:

أَطاف بها طِمْلٌ حَرِيصٌ فلم يَجِدْ بها غيْرَ مُلْقَى الواسطِ المُتَبَايِنِ

ومَخْفِقِ ذي زِرَّيْنِ في الأَرض مَتْنُهُ وفي الكَّفِ مَثْنَاهُ لَطيفُ الأَسَائِنِ

خَفِيٍّ كمُجْتازِ الشُّجاعِ وذُبَّلٍ ثلاثٍ كَحَبَّاتِ الكَبَاثِ القَرَائِنِ

وضَبْثَةِ كفٍّ باشَرَتْ بيَمِينِها صَعِيداً كَفَاها فَقْدَ ماءِ المُصَافِنِ

ومُعْتَمَدٍ من صَدْرِ رِجْلٍ مُحَالَةٍ على عَجَلٍ من خائِفٍ غيْرِ آمنِ

مُقَلصَةٍ طارَتْ قَرِينَتُها بها إلى سُلَّمٍ في دَفٍّ عَوْجَاءَ دافِنِ

ومَوْضِعِ مَثْنَى رُكْبَتَيْنِ وسجْدَةٍ تَوَخَّى بها رُكْنَ الحَطِيمِ المُيَامِنِ

وقال ذوالرمة:

إِذَا اعتَسَّ فيها الذئبُ لم يَلْتَقِطْ بها منَ الكَسْبِ إلا مِثْلَ مُلْقَى المَشَاجِرِ

وبَيْنَهما مُلْقَى زِمَامٍ كأَنَّهُ مَخيطُ شُجاعٍ آخِرَ اللَّيْلِ ثائرِ
ومَغْفَى فتًى حلَّتْ له فَوْقَ رَحْلِه ثَمَانِيَةً جُرْداً صلاةَ المُسَافرِ
سِوَى وَطْأَةٍ في الأَرْضِ من غير جَعْدَةٍ ثَنَى أُخْتَها في غَرْزِ عَوْجاءَ ضامرِ
ومَوْضِعِ عِرْنِينٍ كَرِيمٍ وجَبْهَةٍ إلى هَدَفٍ من مُسْرِعٍ غَيْرِ فاجرِ

وقال كعب بن زهير:

لا يَشْتَكُونَ المَوْتَ إنْ نَزَلَتْ بهمْ شَهْبَاءُ ذاتُ مَعاقِيمٍ وأُوَارِ

سمعه بعضهم فقال:

رُمِيَتْ نَطَاةُ من الرَّسُولِ بِفَيْلَقٍ شَهْبَاءَ ذاتِ مَعَاقِمٍ وأُوَارِ

ومما سبق إليه زهيرٌ فلم ينازع فيه قوله:

فإن الحق مقطعه ....البيت .

يريد أن الحقوق إنما تصح بواحدةٍ من هذه الثلاث: يمينٌ أو محاكمةٍ أو حجةٌ بينةٌ واضحةٌ. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أنشد هذا تعجب من معرفته بمقاطع الحقوق.

ومن ذلك قوله:

يَطْعُنُهُم ما ارْتَمَوْا حَتَّى إذَا اطَّعَنُوا ضارَبَ حَتَّى إذَا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا

فجمع في بيت واحد صنوف القتال.

ومن ذلك قوله:

اَلِّسِتْرُ دُونَ الفاحشاتِ ولا يَلْقاكَ دُونَ الخَيْرِ من سِتْرِ

ومما يستجاد له:

وذِي نِعْمَةٍ تَمَّمْتَها وشَكَرْتَها وخَصْمٍ يَكادُ يَغْلَبُ الحَقَّ باطُلُهْ
دَفَعْتَ بمَعْرُوفٍ منَ القَوْلِ صائبٍ إذا ما أَضَلَّ الناطِقِينَ مَفاصِلُهْ
وذِي خَطَلٍ في القَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُصيبٌ فما يُلْمِمْ به فهو قائلُهْ
عَبَأْتَ له حلْماً وأكْرَمْتَ غَيْرَه وأَعْرَضْتَ عنه وهو بادٍ مَقَاتِلُهْ
وذِي نَسَبٍ ناءٍ بَعِيدٍ وصَلْتَهُ بمالٍ وما يَدْرِي بأَنَّكَ واصِلُهْ
وأَبْيَضَ فَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ على مُعْتَفِيه ما تُغِبُّ نَوَافِلُهْ

غَدَوْتُ عَلَيْهِ غُدْوَةً فوَجَدْتُه ... قُعُوداً لَدَيْهِ بالصَّرِيمِ عوَاذِلُه

يُفَدِّينَهُ طَوْراً وطَوْراً يَلُمْنَهُ ... وأعْيَا فما يَدْرِينَ أَيْنَ مَخاتِلُهْ

وأَعْرَضْنَ منه عن كَرِيمٍ مُرَزَّإٍ ... جَمُوعٍ على الأَمْرِ الذي هو فاعله

أَخِي ثِقَةٍ ما تُذْهِبُ الخَمْرُ مالَهُ ... ولِكنَّه قد يُذْهِبُ المالَ نائلُهْ

تَرَاهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهلِّلاً ... كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الذي أَنْتَ سائِلُهْ

ومن ذلك قوله، ويقال إنه لولده كعب:

ولَيْسَ لِمَنْ لم يَرْكَبِ الهَوْلَ بُغْيَةٌ ... ولَيْسَ لِرَحْلٍ حَطَّهُ الله حاملِ

إذا أَنْتَ لم تُعْرِضْ عنِ الجَهْلِ والخَنَا ... أَصَبْتَ حَلِيماً أَو أَصابكَ جاهِلُ

ومن ذلك قوله:

وفيهِمُ مَقاماتٌ حِسانٌ وُجُوهُهُمْ ... وأَنْدِيَةٌ يَنْتابُها القَوْلُ والفِعْلُ

على مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ ... وعِنْدَ المُقِلِّينَ السَّماحَةُ والبَذْلُ

سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لِكَيْ يُدْرِكُوهُمُ ... فلم يَبْلُغُوا ولم يُلِيمُوا ولم يَأْلُوا

وأخذ العلماء عليه قوله يذكر الضفادع:

يَخْرُجْنَ من شَرَباتٍ ماؤُها طَحِلٌ ... على الجُذُوعِ يَخَفْنَ الغَمَّ والغرَقَا

وقالوا: ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغم والغرق، وإنما ذلك لأنهن يبضن في الشطوط.

وأخذ عليه قوله:

ثُمَّ استَمَرُّوا وقالوا إنَّ مَشْرَبَكُمْ ... ماءٌ بشَرْقِيِّ سَلْمَى فَيْدُ أَورَكَكُ

وقال الأصمعي: سألت بجنيات فيد عن الركك؟ فقالوا لي: ما هنا ركك ولكن رك فعلمت أن زهيراً احتاج فضعف.

وأخذ على ابنه كعبٍ قوله في وصف ناقة:

ضَخْمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها

قال الأصمعي: هذا خطاء، إنما توصف النجائب بدقة المذبح.

ومما يستجاد لكعبٍ ابنه قوله يذكر رجلا قتل من مزينة رهطه:

لَقَدْ وَلَّى أَلِيَّتَهُ جُوَيٌّ ... مَعَاشِرَ غَيْرَ مَطْلُولٍ أَخُوها

فإنْ تَهْلِكْ جُوَيٌّ فكلُّ نَفْسٍ ... سَيَجْلِبُها لذلك جالِبُوها

وإنْ تَهْلِكْ جُوَىٌّ فإنَّ حوْلِي كَظَنِّكَ كان بَعْدَك مُوقدُوها
وما ساءَتْ ظُنُونك يَوْمَ تُؤتَى بأَرْماحٍ وَفَى لك مُشْرِعُوها
كأنَّك كُنْتَ تَعْلَمُ يَوْمَ بُزَّتْ ثِيَابُك ما سيَلْقَى سالِبوها
فما قُلْنا لهم نَفْسٌ بنَفْسٍ أَقِيدُونا بها إن لم تَدُوها
ولكنَّا دَفَعْناها ظِماءً فرَوَّاها بذِكْرِك مُنهِلُوها
ولو بَلَغَ القَتِيلَ فَعَالُ حَيٍّ لَسَرَّكَ من سُيُوفك مُنْتَضُوها

ومن ذلك قوله:

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شيءٍ لَأَعْجَبَنِي سَعْيُ الفَتَى وهو مَخْبُوٌّ لَهُ القَدَرُ
يَسْعَى الفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا والنَّفْسُ واحِدَةٌ والهَمُّ مُنْتَشِرُ
والمَرْءُ ما عاش مَمْدُودٌ له أَمَلٌ لا تَنْتَهِي العَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِي الأَثرُ

وكعبٌ القائل:

ومَنْ للقَوَافِي شَأْنُهَا مَنْ يَحُوكُهَا إذا ما ثَوَى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ
يَقُولُ فلا يَعْيَا بشيءٍ يَقُولُهُ ومنْ قائلِها مَنْ يُسِيءُ ويَعْمَلُ
يُقَوِّمُها حَتَّى تَلِينَ مُتُونُهَا فيُقْصِرَ عنها كلُّ ما يَتَمَثَّلُ
كَفَيْتُكَ لا تَلْقَى من الناس شاعِراً تَنَخَّلَ منْهَا مِثْلَ ما أَتَنَخَّلُ

وسمعه الكميت فقال في قصيدة له:

وما ضَرَّهَا أَنَّ كَعْباً ثَوَى وفَوَّزَ مِنْ بعده جَرْوَلُ

كعب بن زهير

وكان كعبٌ فحلاً مجيداً، وكان يحالفه أبداً إقتارٌ وسوء حال. وكان أخوه بجيرٌ أسلم قبله، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة، وكان أخوه كعب أرسل إليه ينهاه عن الإسلام، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتواعده، فبعث إليه بجير فحذره، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبدأ بأبي بكر، فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلم من صلاة الصبح جاء به وهو متلثمٌ بعمامته، فقال: يا رسول الله، هذا رجل جاء يبايعك على الإسلام، فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يده، فحسر كعب عن وجهه، وقال: هذا مقام العائذ بك يا رسول الله، أنا كعب بن زهير، فتجهمته الأنصار

وغلظت له، لذكره كان قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحبت المهاجرة أن يسلم ويؤمنه النبي صلى الله عليه وسلم، فآمنه واستنشده:

بانَتْ سُعَادُ فقَلْبي اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لم يُجزَ مَكْبُولُ

وما سُعادَ غَداةَ البَيْن إذ عَرَضَتْ ... إلاَّ أغَنُّ غَضيضُ الطَّرف مَكْحُولُ

وما تَدُومُ على العَهْدِ الذي زَعَمَتْ ... كما تَلَوَّنُ في أثْوَابِها الغُولُ

ولا تَمَسَّكُ بالوُدِّ الذي زَعَمَتْ ... إلاَّ كما تُمْسِكُ الماءَ الغَرَابيلُ

كانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً ... وما مَوَاعِيدُه إلاَّ الأَباطيلُ

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعدَني ... والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَبْذُولُ

مَهْلاً هَدَاكَ الذي أَعْطَاكَ نافلَةَ الْ ... قُرْآنَ فيها مَوَاعِيظٌ وتَفْصِيلُ

لا تأْخُذَنِّي بأَقْوَالِ الوُشاةِ ولم ... أُذْنِبْ ولَوْ كَثُرَتٍ فِيَّ الأَقاويلُ

فلما بلغ قوله:

إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ به ... وصارمٌ منْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

في عُصْبَةٍ منْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائلُهُمْ ... ببَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

زَالُوا فما زالَ أَنْكَاسٌ ولا كُشُفُ ... يَوْمَ اللِّقَاءِ ولا سُودٌ مَعَازِيلُ

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من عنده من قريشٍ، كأنه يومي إليهم أن يسمعوا، حتى قال:

يَمْشُونَ مَشْيَ الجمال البُهْمِ يَعْصِمُهُمْ ... ضَرْبٌ إذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابيلُ

يعرض بالأنصار، لغلظتهم كانت عليهم، فأنكرت قريشٌ عليه وقالوا: لم تمدحنا إذ هجوتهم، فقال:

مَنْ سَرَّهُ شَرَفُ الحَيَاةِ فلا يَزَلْ ... في مِقْنَبٍ من صالِحِي الأَنْصَارِ

اَلباذِلينَ نُفُوسَهم لِنَبِيِّهِمْ ... يَوْمَ الهِيَاجِ وسَطْوَةِ الجَبَّارِ

يَتَطَهَّرُونَ كأَنَّهُ نُسُكٌ لهم ... بدِماءِ مَنْ عَلِقُوا منَ الكُفَّارِ

فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردةً اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم، وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدين، زعم ذلك أبان بن عثمان بن عفان.

وقال الحطيئة لكعبٍ: قد علمتم روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك ثم تذكرني بعدك، فإن الناس أروى لأشعاركم، فقال:

فمَنْ للقَوافِي شَأْنِها مَنْ يَحُوكُها إذا ما مضَى كَعْبٌ وفوَّزَ جرْوَلُ
كَفَيْتُكَ لا تَلْقَى من الناس واحِداً تنَخَّلَ منها مثْلَ ما يَتَنَخَّلُ
يُثَقِّفُهَا حتَّى تَلِينَ كُعُوبُهَا فيُقْصِرَ عنها من يُسيءُ ويَعْمَلُ

فاعترضه مزردٌ أخو الشماخ فقال:

فلَسْتَ كحَسَّانَ الحُسَامِ ابنِ ثابتٍ ولَسْتَ كشَمَّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ
فباسْتِكَ إنْ خَلَّفْتنِي خلْفَ شاعرٍ من الناس لا أُكْفَى ولا أَتَنَخَّلُ

وقال الكميت:

فدُونَكَ مُقْرَبَةً لا تُسَا طُ كَرْهاً بسَوطٍ ولا تُرْكَلُ
مُهَذَّبَةً لا كَقَوْلِ الهُذَا ءِ ممَنْ يُسيءُ ومَنْ يَعْمَلُ
وما ضرَّها أَنَّ كَعْباً ثَوَى وفوَّزَ من بَعْدِهِ جَرْوَلُ

النابغة الذبياني

هو زياد بن معاوية، ويكنى أبا أمامة، ويقال أبا ثمامة، وأهل الحجاز يفضلون النابغة وزهيرا.

وقال شعيب بن صخر: سمعت عيسى بن عمر ينشد عامر بن عبد الملك المسمعي شعر النابغة، فقلت: يا أبا عبد الله، هذا والله الشعر، لا قول الأعشى:

لَسْنا نُقاتِل بالعُصِ يِّ ولا نُرامِي بالحِجارَهْ

ويقال: كان النابغة أحسنهم ديباجة شعرٍ، وأكثرهم رونق كلامٍ، وأجزلهم بيتاً، كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف، ونبغ بالشعر بعد ما احتنك، وهلك قبل أن يهتر.

قال: وكان يقوي في شعره، فعيب ذلك عليه وأسمعوه في غناء:

أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أَو مُغْتَدِ عَجْلانَ ذا زادٍ وغَيْرَ مُزوَّدِ
زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَداً وبذاك خَبَّرنَا الغُدافُ الأَسْوَدُ

ففطن فلم يعد.

قال الشعبي: دخلت على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه، فالتفت إليه عبد الملك فقال: من أشعر الناس؟ فقال: أنا، فأظلم ما بيني وبينه، فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتعجب عبد الملك من عجلتي؟ فقال: هذا الأخطل، فقلت: أشعر منه الذي يقول:

هذَا غُلامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبَلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامْ

للحارثِ الأَكبرِ والحارثِ ال أَصْغَرِ والأَعْرَجِ خَيْرِ الأَنَامْ

ثم لِهِنْدٍ ولهِندٍ وقَدْ يَنْجَعُ في الرَّوْضاتِ ماءُ الغَمامْ

ستَّةُ آبائِهِمْ ما هُمُ هُمْ خَيْرُ مَن يَشْرَبُ صَفْوَ المُدامْ

فقال الأخطل: صدق يا أمير المؤمنين، النابغة أشعر مني، فقال لي عبد الملك: ما تقول في النابغة؟ قلت: قد فضله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرةٍ، خرج وببابه وفد غطفان، فقال: أي شعرائكم الذي يقول:

أَتَيْتُكَ عارياً خَلَقاً ثِيابي على خَوْف تُظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ

فأَلْفَيْتُ الأَمانَةَ لم تَخُنْها كذلِكَ كان نُوحٌ لا يَخُونُ

قالوا: النابغة، قال: فأي شعرائكم الذي يقول:

حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وليْسَ وراءَ اللهِ للمَرْءِ مَذْهَبُ

قالوا: النابغة، قال: فأي شعرائكم الذي يقول:

فإِنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذي هو مُدْرِكي وإنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنك واسِعُ

ويروى وازع، قالوا: النابغة، قال: هذا أشعر شعرائكم.

قال حسان: وفدت على النعمان بن المنذر فمدحته، فأجازني وأكرمني، فإني لجالسٌ عنده ذات يوم إذا صوتٌ من خلف قبته يقول:

أَنامَ أَمْ يَسْمَعُ رَبُّ القُبَّهْ يا أَوْهَبَ الناسِ لِعَنْسٍ صُلْبَهْ

ضَرَّابَة بالمِشْفَرِ الأَذَبَّهْ ذاتِ نَجاءٍ في يَدَيْها جَذْبَهْ

قال: أبو ثمامة! فدخل، فأنشده قصيدته التي على الباء والتي على العين، وكان يوم ترد فيه النعم السود، ولم يكن بأرض العرب بعيرٌ أسود إلا له، فأمر له منها بمائة بعير معها رعاؤها ومظالها وكلابها، فلم أدر على ما أحسده؟ على جودة شعره: أم على جزيل عطيته؟ قال أبو عبيدة عن الوليد بن روحٍ قال: مكث النابغة زماناً لا يقول الشعر، فأمر يوماً بغسل ثيابه وعصب حاجبيه على عينيه، فلما نظر إلى الناس قال:

المَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِي شَ وطُولُ عَيْش مَّا يَضُرُّهْ

تَفْنَى بَشاشَتُهُ ويَبْ قَى بَعْدَ حُلْو العَيْشِ مُرُّهْ

وتَخُونُهُ الأَيَّامُ حَ تَّى لا يَرَى شَيْئاً يَسُرُّهْ

كَمْ شامِتٍ بِيَ إنْ هَلَكْ ... تُ وقائلٍ للهِ درُّهْ

ومما يتمثل به من شعره:

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبا قابُوسَ أَوْعَدَني ... ولا قَرارَ على زَأْرٍ منَ الأَسَدِ

تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان.

وقوله:

فَلَوْ كَفِّى اليَمِينُ بَغَتْكَ خَوْناً ... لَأَفْرَدْتُ اليَمِينَ منَ الشِّمال

أخذه المثقب العبدي فقال:

ولَوْ أَني تَخالِفُني شِمالِي ... بنَصْرٍ لم تصاحِبْهَا يَمِينى

وقوله:

فحَمَّلْتَني ذَنْبَ امْرِىءٍ وتَرَكْتَهُ ... كَذى العُرِّ يكْوَى غَيرُهُ وهْو راتعُ

أخذه الكميت فقال:

ولا أَكْوِى الصِّحَاحَ براتِعَاتٍ ... بِهِنَّ العُرُّ قَبْلِى ما كُوِينا

وقوله:

واسْتَبْقِ وُدَّكَ للصَّدِيقِ ولا تكُنْ ... قَتَباً يَعَضُّ بِغَارِبٍ مِلْحَاحا

أخذه ابن ميادة فقال:

ما إِنْ أُلحُّ على الإخْوانِ أَسْأَلُهُمْ ... كما يُلِحُّ بِعَضِّ الغارِبِ القَتَبُ

ويقال إن النابغة هجا النعمان بقوله:

قَبَحَ اللهُ ثُمَّ ثَنَّى بلَعْنٍ ... وارِثَ الصائِغِ الجَبَانَ الجَهُولاَ

والصائغ هو عطية، أبو سلمى، أم النعمان.

وكانت العرب تضرب أمثالاً على ألسنة الهوام.

قال المفضل الضبي: يقال امتنعت بلدةٌ على أهلها بسبب حية غلبت عليها، فخرج أخوان يريدانها، فوثبت على أحدهما فقتلته، فتمكن لها أخوه في السلاح، فقالت: هل لك أن تؤمنني فأعطيك كل يومٍ ديناراً؟ فأجابها إلى ذلك حتى أثرى، ثم ذكره أخاه، فقال: كيف يهنئني العيش بعد أخي؟ فأخذ فأساً وصار إلى جحرها، فتمكن لها، فلما خرجت ضربها على رأسها، فأثر فيه و لم يمعن، ثم طلب الدينار حين فاته قتلها! فقالت: إنه ما دام هذا القبر بفنائ وهذه الضربة برأسي فلست آمنك على نفسي! فقال النابغة في ذلك:

تَذَكَّرَ أَنَّى يَجْعَلُ اللهُ فُرْصَةً فيُصْبِحَ ذا مالٍ ويَقْتُلَ واتِرَهْ

فلمّا وَقَاها اللهُ ضَرْبَةَ فأْسِهَ وللبِرِّ عَيْنٌ لا تُغَمِّضُ ناظِرَهُ

فقالَتْ معاذَ اللهِ أُعْطِيكَ إنني رأَيْتُكَ غَدَّاراً يَمِينُك فاجِرَهْ

أَبَى لِيَ قَبْرٌ لا يزالُ مُقابِلِي وضَرْبَةُ فأْسٍ فَوْقَ رَأسي فاقِرَهْ

ومما أخذ منه قوله:

لَوْ أَنَّها عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ راهِبٍ عَبَدَ الإلهَ صَرُورَةً مُتَعَبِدِ

لَرَنَا لِبَهْجَتِها وحُسْنِ حَدِيثِها ولَخَالَهُ رُشْداً وإنْ لم يَرْشُدِ

أخذه ربيعة بن مقرومٍ الضبي فقال:

لَوْ أَنَّها عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ راهِبٍ في رأس مُشْرِفَةِ الذُّرَى يَتَبَتَّلُ

لَرَنَا لَبهْجَتِها وحُسْنِ حَدِيثِها ولَهَمَّ من نَامُوسِهِ يَتَنَزَّلُ

ومما يتمثل به أيضاً من شعره:

ومَنْ عَصاك فعاقِبْهُ مُعاقَبَةً تَنْهَى الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ

وهو الذل والهوان. قال أوس بن حارثة: المنيه، ولا الدنيه، والنار، ولا العار.

وقال النابغة في العفة: وهو أحسن ما قيل فيه:

رِقاقُ النعالِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحانِ يَوْمَ السَّباسِبِ

أخذه عدي بن زيدٍ فقال:

أَجْلَ أَنَّ اللهَ قد فَضَّلَكُمْ فَوْقَ مَن أَحْكِي بصُلْبٍ وإزارِ

فالصلب: الحسب، والإزار: العفاف.

وفي أمثالهم أصدق من قطاةٍ، قال النابغة:

تَدْعُو القَطَا وبها تُدْعَى إذَا نُسِبَتْ يا حُسْنَها حِينَ تَدْعُوها فتُنْتَسِبُ

وذلك لأنها تلفظ باسمها، أخذه أبو نواس فقال:

أَصْدَقُ من قَوْلِ قَطاةٍ قَطَا

هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ ابن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان. وسمى النابغة بقوله:

فَقَدْ نَبَغَتْ لنا منهم شُؤُونُ

وكان شريفاً فغض منه الشعر، وكان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه وجده، وكانوا له مكرمين.

قال ابن الكلبي: قال حسان بن ثابت: رحلت إلى النعمان، فلقيت رجلا فقال: أين تريد؟ فقلت: هذا الملك، قال: فإنك إذا جئته متروكٌ شهراً، ثم يسأل عنك رأس الشهر، ثم أنت متروكٌ شهراً آخر، ثم عسى أن يأذن لك، فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيبٌ منه، وإن رأيت أبا أمامة النابغة فاظعن، فإنه لا شيء لك، قال: فقدمت عليه، ففعل بي ما قال، ثم خلوت به وأصبت منه مالا كثيراً ونادمته، فبينا أنا معه في قبةٍ إذ جاء رجل يرجز حول القبة:

أَنِمْتَ أَمْ تَسْمَعُ رَبَّ القُبَّهْ ... يا أَوْهَبَ الناسِ لعَنْسٍ صُلْبَهْ

ضَرَّابَةٍ بالمُشفَرِ الأَذِبَّهْ ... ذاتِ هِبَاتٍ في يَدَيها جُلْبَهْ

فقال النعمان: أبو أمامة! فأذنوا له، فدخل فحياه وشرب معه، ووردت النعم السود، ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أسود يعلم مكانه، ولا يفتحل أحد فحلا أسود، فاستأذنه أن ينشده، فأنشده كلمته التي يقول فيها:

فإِنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَوَاكِبٌ ... إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كَوْكَبُ

فدفع إليه مائة ناقةٍ من الإبل السود، فيها رعاؤها، فما حسدت أحداً حسدى النابغة، لما رأيت من جزيل عطيته، وسمعت من فضل شعره.

ثم إن النعمان بلغ عنه شيئاً، فنذر دمه، فسار النابغة إلى ملوك غسان، وقد اختلفوا في السبب الذي بلغه عنه، فقال قوم: ذكروا أنه هجاه فقال:

مَلِكٌ يُلاعِبُ أُمَّه وقَطِينَه ... رِخْوُ المَفاصل أَيْرُهُ كالمِرْوَد

وهجاه أيضاً فقال قصيدةٌ فيها:

قَبَحَ اللهُ ثم ثَنَّى بلَعْنٍ ... وارِثَ الصائغِ الجَبَانَ الجَهُولاَ

مَنْ يَضُرُّ الأَدْنى ويَعْجَزُ عن ضُ ... رِّ الأَقَاصِي ومَن يَخُونُ الخَلِيلاَ

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذا الأُلوفِ ويَغْزُو ... ثم لا يَرْزَأُ العَدُو فَتِيلاَ

ووارث الصائغ هو النعمان بن المنذر، وكان الصائغ جد النعمان بن المنذر، وأمه سلمى بنته، واسمه عطية، ومترله فدك.

ويقال إن هذا الشعر والذي قبله لم يقله النابغة، وإنما قاله على لسانه قومٌ حسدوه، منهم عبد قيس بن خفافٍ التميمي ومنهم مرة بن ربيعة ابن قرثعٍ السعدي.

ويقال: كان السبب في مفارقته إياه ومصيره إلى غسان أن النعمان قال له وعنده المتجردة امرأته: صفها لي في شعرك يا أبا أمامة! فقال قصيدته التي أولها:

أَمِنَ الِ مَيَّةَ رائحٌ أَو مُغْتَدِ

وقد ذكر فيها بطنها وعكنها ومتنها وروادفها وفرجها فقال:

وإذا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَخْثَمَ جاثِماً — مُتَحَيِّزاً بمكانِهِ مِلءِ اليَدِ
وإذا طَعَنْتَ طَعَنْتَ في مُسْتَهْدِفٍ — رابِي المَجَسَّةِ بالعَبِيرِ مُقَرْمَدِ
وإذا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عن مُسْتَحْصِفٍ — نَزْعَ الحَزَوَّرِ بالرِّشاءِ المُحْصَدِ

وكان للنعمان نديمٌ يقال له المنخل اليشكري يتهم بالمتجردة، ويظن بولد النعمان منها أنهم منه، وكان المنخل جميلاً، وكان النعمان قصيراً دميماً أبرش، فلما سمع المنخل هذا الشعر قال للنعمان: ما يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا من قد جرب! فوقر ذلك في نفسه، وبلغ النابغة ذلك، فخافه فهرب إلى غسان، فصار فيهم، وانقطع إلى عمرو بن الحرث الأصغر بن الحرث الأعرج بن الحرث الأكبر بن أبي شمر الغساني، وإلى أخيه النعمان بن الحرث، فأقام النابغة فيهم فامتدحهم، فغم ذلك النعمان، وبلغه أن الذي قذف به عنده باطل، فبعث إليه: إنك صرت إلى قومٍ قتلوا جدي فأقمت فيهم تمدحهم، ولو كنت صرت إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنعٌ وحصنٌ، إن كنا أردنا بك ما ظننت، وسأله أن يعود إليه، فقال شعره الذي يعتذر فيه، وقدم عليه مع زبان بن سيار ومنظور بن سيار الفزاريين، وكان بينهما وبين النعمان دخللٌ، فضرب لهما قبةٌ، ولا يشعر أن النابغة معهما، ودس النابغة أبياتاً من قصيدته:

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فالسَّنَدِ

وهي:

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبا قابُوسَ أَوْعَدَني — ولا قَرارَ على زأرٍ منَ الأَسَدِ
مَهْلاً فِداءً لَّكَ الأَقوامُ كُلُّهُمُ — وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولَدِ
فلا لَعَمْرُ الَّذي مَسَّحْتُ كَعْبَتَه — وما أُريقَ على الأَنْصَابِ من جَسَدِ
ما إنْ بَدَأْتُ بشيءٍ أَنت تَكْرَهُهُ — إِذَنْ فلا رَفَعَتْ سَوْطي إلَيَّ يَدي

فلما سمع النعمان الشعر أقسم بالله إنه لشعر النابغة، وسأل عنه، فأخبر أنه مع الفزاريين، وكلماه فيه فأمنه.

قال الأصمعي: كان النابغة يضرب له قبةٌ حمراء من أدمٍ بسوق عكاظٍ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها.

وقال أبو عبيدة: يقول من فضل النابغة على جميع الشعراء: هو أوضحهم كلاماً، وأقلهم سقطاً وحشواً، وأجودهم مقاطع، وأحسنهم مطالع، ولشعره ديباجةٌ، إن شئت قلت: ليس بشعرٍ مولفٍ، من تأنثه ولينه، وإن شئت قلت: صخرةٌ لو رديت بها الجبال لأزالتها، قال: وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كان الأخطل يشبه بالنابغة.

قال: وكان يقوي في شعره، فدخل يثرب فغني بشعره، ففطن فلم يعد للإقواء.

ومما سبق إليه النابغة فأخذ منه قوله في المرأة:

لو أَنَّها عرضت.... ....البيتين

أخذه بعض شعراء ضبة، وأحسبه ربيعة بن مقروم فقال:

لَوْ أَنها........ ....البيتين

وقال النابغة:

فاستَبْقِ وُدَّكَ........ البيت

أخذه ابن ميادة فقال:

ما إِنْ أُلِحُّ......... .....البيت

ومما أخذه العلماء عليه قوله في صفة الثور:

تَحِيدُ عن أَسْتَنٍ سُودٍ أَسافِلُهُ مَشْيَ الإماءِ الغَوَادي تَحْمِلُ الحُزَمَا

قال الأصمعي: وإنما توصف الإماء في مثل هذا الموضع بالرواح لا بالغدو، لأنهن يجئن بالحطب إذا رحن، ومثله قول الأخنس التغلبي:

يَظَلُّ بها رُبْدُ النعامِ كأَنَّها إماءٌ تُزَجَّى بالعَشِيِّ حَوَاطِبُ

وقال بعض من طلب له التخرج: إنما أراد أن الإماء تغدو لحمل الحزم رواحاً.

وأخذوا عليه قوله:

تَخُبُّ إلى النُّعْمان حتَّى تَنَالَهُ فِدًى لكَ من رَبٍّ طَرِيفي وتَالِدي

وكُنْتُ امْرَءًا لاَ أَمْدَحُ الدَّهْرَ سُوقَةً فلَسْتُ على خَيْرٍ أَتاكَ بحاسدِ

فامتن عليه بمدحه، وجعله خيراً سيق إليه لا يحسده عليه.

وأخذوا عليه قوله:

إذَا ما غزَا بالجَيْش حلَّقَ فَوْقَهُ ... عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بعَصائِبِ

جوانحَ قد أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ ... إذا ما التَقَى الجَمْعَانِ أَوَّلُ غالِبِ

جعل الطير تعلم الغالب من المغلوب قبل التقاء الجمعين، والطير قد تتبع العساكر للقتلى، ولكنها لا تعلم أيها يغلب.

وأخذوا عليه قوله في وصف السيوف:

يطيرُ فُضَاضاً حَوْلَها كُلُّ قَوْنَس ... ويَتْبَعُها منهم فَرَاشُ الحَواجِبِ

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... ويُوقِدْنَ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُبَاحِبِ

وذكر أنها تقد الدروع التي ضوعف نسجها والفارس والفرس، حتى تبلغ الأرض فتنقدح النار بها من الحجارة.

وقال صالح بن حسان لجلسائه: أعلمتم أن النابغة كان مخنثاً؟! قالوا: وكيف علمت ذلك؟ قال: بقوله:

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسْقاطَهُ ... فتَنَاوَلَتْهُ واتَّقَتْنَا باليَدِ

لا والله ما عرف تلك الإشارة إلا مخنثٌ؟! قالوا: وقد سبق في صفة الثور إلى معنًى لم يحسن فيه، وأحسن فيه غيره، قال يذكره:

من وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ ... طاوِى المَصيرِ كسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ

أراد بالفرد: أنه مسلول من غمده، وأخذه الطرماح فأحسن، قال يذكر الثور:

يَبْدُو وتُضْمِرُهُ البلادُ كأَنَّه ... سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

وكان الأصمعي يستحسن قول الطرماح.

قالوا: وأفرط في وصف العنق بالطول، فقال يذكر امرأةً:

إذَا ارتَعَثَتْ خاف الجَبَانُ رِعاثَهَا ... ومَن يَتَعلَّقْ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَقِ

والرعاث: القرط، وقال غيره فأحسن:

على أَنَّ حِجْلَيْهَا وإنْ قُلْتَ أُوسِعَا ... صَمُوتَانِ من مَلْءٍ وقِلَّةِ مَنْطِقِ

ومما سبق إليه ولم ينازعه قوله:

فإِنَّكَ كاللَّيْلِ الذي هو مُدْركي وإنْ خلتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنكَ واسِعُ

ثم قال:

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بها أَيْدٍ إليك نَوَازِعُ

قال أبو محمد: رأيت قوماً يستجيدونه، وهو عندي غير جيدٍ في المعنى ولا التشبيه.

وكان الأصمعي يكثر التعجب من قوله:

وعَيَّرَتْني بنو ذُبْيَانَ خَشْيَتَهُ وهل عليَّ بأَنْ أَخْشَاكَ من عارِ

قال: ومما سبق إليه ولم يجاذبه قوله في أول شعره:

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ

قالوا: وقايس في شعره فأحسن، قال للنعمان حين فارقه:

ولكِنَّني كُنْتُ امْرَأً لِيَ جانِبٌ منَ الأرض فيه مُسْتَمَازٌ ومَذْهَبُ

مُلُوكٌ وإخْوَانٌ إذَا ما لَقِيتُهُمْ أُحَكَّمُ في أَمْوَالِهم وأُقَرَّبُ

كفِعْلِكَ في قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتُهم ولَم تَرَهُمْ في شُكْرِ ذلك أَذْنَبُوا

يقول: اجعلني كقومٍ صاروا إليك وكانوا مع غيرك، فاصطنعتهم وأحسنت إليهم، ولم ترهم مذنبين إذ فارقوا من كانوا معه، يقول: فأنا مثلهم، صرت عنك إلى غيرك، فاصطنع إلي، فلا تربي مذنباً إذ لم تر أولئك مذنبين.

ومن جيد شعره قوله:

ولَسْتَ بمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ أَيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ

يقول: من لم تصلحه وتقومه من الناس فلست بمستبقيه ولا راغبٍ فيه.

ويستجاد له قوله في صفة المرأة:

نَظَرَت إِلَيْكَ بحاجةٍ لم تَقْضِها نَظَرَ السَّقِيمِ إلى وُجُوهُ العُوَّدِ

يقول: نظرت إليك ولم تقدر أن تكلمك، كما ينظر المريض إلى وجوه عواده، ولا يقدر أن يكلمهم.

ويستجاد له قوله:

تُكَلِّفُني أَنْ يَفْعَلَ الدَّهْرُ هَمَّهَاو هَلْ وَجَدَتْ قَبْلى على الدَّهْرِ قادِرَا

ومما أكفأ فيه قوله في قصيدةٍ مجرورة، أولها:

قالت بنو عامرٍ خَالُوا بَنِي أَسَد يا بُؤْسَ للجَهْل ضَرَّاراً لأَقْوَامِ

وقال فيها:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طالِعَةٌ | لا النُّورُ نُورٌ ولا الإظْلامُ إظلامُ

وقال في قصيدته التي أولها:

أَمِنَ الِ مَيَّةَ رائحٌ أَو مُغْتَدِ

وبذاك خَبَّرَنا الغرابُ الأَسْوَدُ

المسيب بن علس

هو من شعراء بكرٍ بن وائلٍ المعدودين، وخال الأعشى، وهو القائل:

ولَقَدْ بَلَوْتُ الفاعلينَ وفِعْلَهم | فَلِذِي الرُّقَيْبِةِ ما لَهُ مِثْلُ

كَفَّاهُ مُخْلِفَةٌ ومُتْلِفَةٌ | وعَطاؤُهُ مُتَخَرِّقٌ جَزْلُ

ويستحسن قوله:

تَبِيتُ المُلوكُ على عَتْبِها | وشَيْبَانُ إنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ

وكالشُّهْدِ بالراحِ أَخْلاَقُهُمْ | وأَحْلامُهمْ منهما أَعْذَبُ

وكالمِسكِ تُرْبُ مَناماتِهمْ | ورَيَّا قُبُورِهِمُ أَطْيَبُ

هو من جماعة وهم من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار، ويكنى أبا الفضة، وهو خال الأعشى أعشى قيس، وكان الأعشى راويته.

واسمه زهير بن علسٍ، وإنما لقب المسيب ببيتٍ قاله. وهو جاهلي لم يدرك الإسلام، وكان امتدح بعض الأعاجم، فأعطاه ثم أتى عدواً له من الأعاجم يسأله فسمه فمات، ولا عقب له.

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله يذكر ثغر المرأة:

وكأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ به | إِذْ ذُقْتَهُ وسُلافَةَ الخَمْرِ

شَرِقاً بماءِ الذَّوْبِ أَسْلَمَهُ | لِلْمُبْتَغِيهِ مَعَاقِلُ الدَّبْرِ

وقال الجعدي:

وكأَنَّ فاها باتَ مُغْتَبِقاً | بَعْدَ الكَرَى من طَيِّبِ الخَمْرِ

شَرِقاً بِماءِ الذَّوْبِ أَسْلَمَهُ | بالطَّوْدِ أَيْمَنُ من قُرَى النَّسْرِ

وقال المسيب في النحل:

سُودُ الرُّؤُوسِ لَصوتِهَا زَجَلٌ مَحْفُوفةٌ بَمَسارِبٍ خُضرٍ

وقال الجعدي:

قُرْعُ الرُّؤوس لصَوتِها زَجَلٌ في النَّبعِ والكَحْلاَءِ والسِّدْرِ

بَكَرَتْ تُبَغِّي الخَيْرَ في سُبُلٍ مَخْرُوفَة ومسارب خَضْر

وقال المسيب يذكر النحل:

بَكَرَتْ تَعَرَّضُ في مَرَاتِعهَا فَوْقَ الهِضَابِ بمَعقْلِ الوبْر

وغَدَتْ لمَسْرَحِها وخالِفَهَا مُتَسَرْبِلٌ أَدَماً على الصَّدْر

فأصاب ما حَذِرتْ ولو عَلِمَتْ حَدِبَتْ عليه بِضيِّقٍ وعْر

حتَّى تَحدَّرَ من عَوَازِبِهِ أُصُلاً بسَبْعِ ضَوَائِنٍ وُفْرٍ

وقال الجعدي:

حَتَّى إذا عَقَلَتْ وخالَفَهَا مُتَسَرْبِلٌ أَدَماً على الصَّدْرِ

صدَعٌ أُسَيِّدُ من شَنُوءَةَ مَشْ اءٌ قَتَلْنَ أباه في الدَّهْر

يَمْشِي بمِحْجَنِه وقِرْبَتِه مُتَلَطِّفاً كتَلَطُّفِ الوبْر

فأَصابَ غِرَّتَها ولو شَعَرَتْ حَدِبَتْ عليه بِضَيِّق وَعْر

حتَّى تَحَدَّرَ من منازِلِها أُصُلاً بسَبْعِ ضَوائِنٍ وُفرِ

ومما يستجاد له من شعره قوله في ذي الرقيبة

ولقد شهدت...... .....البيتين

وقوله في بني شيبان:

تبيت الملوك........ ......الثلاثة الأبيات

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله في الناقة:

مَرِحَتْ يَداها للَّنجاءِ كأَنَّما تَكْرُو بِكَفَّىْ ما قِطٍ في قَاعِ

تكرو: تلعب بالكرة، والماقط: الذي يضرب بالكرة الحائط، ثم يأخذها.

أخذه الشماخ فقال:

كأَنَّ أَوْبَ يَدِيْها حينَ عاوَدَها أَوْبُ المِراحِ وقد همُّوا بتَرْحالِ

مَقْطُ الكُرِينَ على مَكْنُوسَةَ زَلَفٍ		في ظَهْرِ حَنَّانَةِ النِّيَرَيْن معْوالِ

ويستجاد له قوله:

لو كُنْتَ من شيءٍ سِوَى بَشَرٍ		كنْتَ المُنَوِّرِ لَيْلَةَ البَدْرِ

ويستجاد له قوله في المرأة:

تَامَتْ فُؤَادَكَ إِذْ له عَرَضَتْ		حَسَنٌ برَأيِ العَيْن ما تَمِقُ

بانَتْ وصَدْعٌ في الفُؤَادِ بها		صَدْعَ الزَّجاجَةِ لَيْسَ يَتَّفِقُ

وأخذ عليه قوله في الناقة:

وكأنَّ غاربَها رِبَاوَةُ مَخْرِمٍ		وتَمُدُّ ثِنْيَ جَدِيلِها بشِراعِ

أراد: تمد جديلها بعنق طويلة، والجديل: الزمام. وأراد أن يشبه العنق بالدقل، فشبهها بالشراع، قال ابن الأعرابي: لم يعرف الشراع من الدقل، وليس هذا عندي غلطاً، والشراع يكون على الدقل، فسمي باسمه، والعرب تسمي الشيء باسم غيره إذا كان معه وبسببه، يدل على ذلك قوله أبي النجم:

كأنَّ أَهْدَامَ النَّسِيلِ المُنْسَلِ		على يَدَيْها والشِّرَاعِ الأَطْوَلِ

أراد بقايا الوبر على يديها وعنقها، فسمي العنق شراعاً.

المتلمس

هو جرير بن عبد المسيح، من بني ضبيعة، وأخواله بنو يشكر، وكان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة، وهو الذي كان يكتب له إلى عامل البحرين مع طرفة بقتله، وكان دفع كتابه إلى غلامٍ بالحيرة ليقرأه، فقال له: أنت المتلمس؟ قال: نعم، قال: فالنجاء، فقد أمر بقتلك، فنبذ الصحيفة في نهر الحيرة وقال:

أَلْقَيْتُها بالثِّنْيِ من جَنْبِ كافرٍ		كذلكَ أُقْنِي كلَّ قِطٍ مُضَلَّلِ

رَضِيتُ لها بالماءِ لمَا رَأَيْتُها		يَجُولُ بها التَيَار في كلِ جَدْوَلِ

وكان أشار على طرفة بالرجوع، فأبى عليه، فهرب إلى الشأم، فقال:

مَنْ مُبْلِغُ الشُعَرَاءِ عن أَخَوَيْهِمُ		خَبَرًا، فتَصْدُقَهُمْ بذاكَ الأَنْفُسُ

أَوْدَى الذي عَلِقَ الصَحِيفة منهما		ونَجَا، حِذَارَ حِبائِه، المُتَلَمِسُ

أَلْقِ الصَحِيفَةَ،لا أَبا لكَ، إنَه		يُخْشَى عليك من الحِباءِ النِقْرِسُ

ومن جيد شعره قوله:

وما كنتُ إلا مِثْلَ قاطِعِ كَفِه　　　بكَف له أُخرَى فأَصْبَحَ أَجْذَما

يَداه أَصابَتْ هذه حَتْفَ هذه　　　فلم تَجِدِ الأُخْرَى عليها مُقَدَمَا

فلمَا استقادَ الكفَ بالكَفِ لم يَجِدْ　　　له دَركًا في أَن تَبينَا فأَحْجَمَا

فأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُجاعِ ولو رأَى　　　مَساغاً لنَابَاهُ الشُجاعُ لَصَمَّمَا

لِذِي الحِلْمِ قَبْلَ اليوم ما تُقْرَعُ العَصَا　　　وما عُلِمَ الإنسانُ إلَا لِيَعْلَمَا

ومن إفراطه قوله:

أَحارِثُ إِنَا لو تُساطُ دِماونا　　　تزايَلْنَ حتَى لا يَمَسَ دَمٌ دَمَا

يقول: إن دماءهم تنماز من دماء غيرهم، وهذا ما لا يكون.

وسمي المتلمس بقوله:

وذاكَ أَوَانُ العِرْضِ جُنَ ذُبابُهُ　　　زَنَابِيرُهُ والأَزْرَقُ المُتَلَمِسُ

العرض: الوادي، ويروى حي ذبابه.

هو المتلمس بن عبد العزي، ويقال: ابن عبد المسيح، من بني ضبيعةٌ بن ربيعة، ثم من بني دوفنٍ، وأخواله بنو يشكر، واسمه جرير، وسمي المتلمس بقوله:

فهذا أَوانُ العِرْضِ حَيًا ذُبابَه　　　زنابيرُه والأَزْرَقُ المتلمِسُ

وكان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة هو وطرفة بن العبد، فهجواه، فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين، أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز، وكتب إليه يأمره بقتلهما! فخرجا حتى إذا كانا بالنجف، إذا هما بشيخ على يسار الطريق، يحدث ويأكل من خبزٍ في يده، ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه! فقال المتلمس: ما رأيت كاليوم شيخاً أحمق! فقال الشيخ: وما رأيت من حمقى؟ أخرج خبيثاً، وأدخل طيباً، وأقتل عدواً، أحمق مني والله من حاملٌ حتفه بيده! فاستراب المتلمس بقوله، وطلع عليهما غلامٌ من أهل الحيرة، فقال له: المتلمس: أتقرأ يا غلام؟ قال: نعم، ففك صحيفته ودفعها إليه، فإذا فيها: أما بعد، فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً، فقال لطرفة: ادفع إليه صحيفتك يقرأها، ففيها والله ما في صحيفتي، فقال طرفة: كلا، لم يكن ليجترى علي! فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة وقال:

قذفت بها　　　البيت وأخو نحو الشأم

وأخذ طرفة نحو البحرين، فضرب المثل بصحيفة المتلمس.

وحرم عمرو بن هندٍ على المتلمس حب العراق، فقال:

آلَيْتَ حَبَّ العِراقِ الدَهْرَ آكُلُهُ والحَبُّ يأْكُلُه في القَرْيَةِ السُوسُ

وأتى بصرى فهلك بها، وكان له ابنٌ يقال له عبد المدان، أدرك الإسلام، وكان شاعراً وهلك ببصرى ولا عقب له.

قال أبو عبيدة: واتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثةٌ: المتلمس، والمسيب بن علسٍ، وحصين بن الحمام المري.

ومما يعاب من شعره قوله:

وقد أَتَنَاسَى الهَمَ عِنْدَ احتضارِهِ بناجٍ عليه الصَيْعَرِيَةُ مُكْدَمِ

والصيعرية سمةٌ للنوق لا للفحول، فجعلها لفحلٍ. وسمعه طرفة وهو صبيٌّ ينشد هذا، فقال: استنوق الجمل! فضحك الناس وسارت مثلا. وأتاه المتلمس فقال له: أخرج لسانك، فأخرجه فقال: ويلٌ لهذا من هذا يريد: ويلٌ لرأسه من لسانه.

ويعاب قوله:

أَحارِثُ إِنَا لو تُشاط...... ....البيت

وهذا من الكذب والإفراط.

ومثله قول رجل من بني شيبان: كنت أسيراً مع بني عم لي، وفينا جماعة من موالينا، في أيدي التغالبة، فضربوا أعناق بني عمي وأعناق الموالي على وهدةٍ من الأرض، فكنت والله أرى دم العربي ينماز من دم المولى حتى أرى بياض الأرض بينهما، فإذا كان هجيناً قام فوقه و لم يعتزل عنه؟ ويتمثل من شعره بقوله:

وأَعْلَمُ عِلْمَ حَقٍ غَيْرَ ظَنِ وتَقْوَى اللَهِ من خَيْرِ العَتَادِ

لَحِفْظُ المالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغَاهُ وضَرْبٍ في البِلادِ بغَيْرِ زَادِ

وإِصْلاحُ القَليلِ يَزِيدُ فيه ولا يَبْقَى الكثيرُ على الفَسَادِ

طرفة بن العبد

هو طرفة بن العبد بن سفيان، وهو أجودهم طويلةً، وهو القائل:

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ ببُرْقَةِ ثَهْمَدِ

وله بعدها شعرٌ حسن، وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد إلا القليل.

وكان في حسبٍ من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم. وكانت أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مرثدٍ، وكان عبد عمرو سيدٌ أهل زمانه، فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه، فقال:

ولا عَيْبَ فيه غَيْرَ أَنَ له غنًى	وأَنَ له كَشْحًا، إذَا قام، أَهْضَما
وأَنَ نساءَ الحَي يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ	يَقُلْنَ: عَسِيبٌ من سَرَارَةِ مَلْهَمَا

فبلغ عمرو بن هند الشعر، فخرج يتصيد ومعه عبد عمرو، فأصاب حماراً فعقره، وقال لعبد عمرو: انزل إليه، فنزل إليه فأعياه، فضحك عمرو بن هند وقال: لقد أبصرك طرفة حين قال ولا عيب البيت! وكان عمرو بن هند شريراً، وكان طرفة قال له قبل ذلك:

لَيْتَ لنا مكانَ المَلك عَمْرو	رَغُوثاً حَوْلَ قُبَتِنَا تَخُورُ

فقال عبد عمرو: أبيت اللعن، الذي قال فيك أشد مما قال في، قال: وقد بلغ من أمره هذا؟ قال: نعم، فأرسل إليه، وكتب له إلى عامله بالبحرين فقتله. وقد بينت خبره في كتاب الشراب. ويقال إن الذي قتله للعلى بن حنش العبدي، والذي تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأيفلى حي من طسمٍ وجديس.

ومن جيد شعره قوله:

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بَخِيلٍ بمالِه	كقَبْرِ غَوِىً في البَطَالَة مُفْسدِ
أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكَرِيمَ ويَصْطَفِى	عَقيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشدد
أَرَى الدَهْرَ كَنْزًا ناقصاً كُل لَيْلَة	وما تَنْقُصِ الأَيَامُ والدَهْرُ يَنْفَد
لعَمْرُكَ إنَ المَوْتَ ما أَخْطأَ الفتَى	لَكَالطوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ في اليَدِ

وكان أبو طرفة مات وطرفة صغير، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله، فقال:

ما تَنْظُرُونَ بمالِ وَرْدَةَ فيكُمُ	صَغُرَ البَنُونَ ورَهْطُ ورْدَةَ غُيبُ
قد يَبْعَثُ الأَمرَ العظيمَ صَغيرُهُ	حتى تَظَلَ له الدماءُ تَصبَبُ
والظُلْمُ فَرَقَ بين حَيَىْ وائل	بَكْرٌ تُسَاقيها المنايا تَغْلبُ
والصِدْقُ يَأْلَفُهُ الكَريمُ المُرْتَجَى	والكِذْبُ يَأْلَفُهُ الدَنِئُ الأَخْيَبُ

ويتمثل من شعره بقوله:

وتَرُدُ عنك مَخيلَةَ الرَجُلِ ال	عريضِ مُوضِحَةٌ عنِ العَظْمِ
بِحُسامِ سيْفِكَ أَو لِسانِكَ، والْ	كَلِمُ الأَصِيلُ كأَرْغَبِ الكَلْمِ

وبقوله:

لنا يَومٌ وللكِرْوانِ يَوْمٌ تَطِيرُ البائِسَاتُ ولا نَطيرُ

الكروان: جمع كروان، مثل شقذان وشقذان وهي دويبة.

ويقال إن أول شعرٍ قاله طرفة أنه خرج مع عمه في سفر، فنصب فخاً، فلما أراد الرحيل قال:

يا لَكِ من قُبَّرَةٍ بمَعْمَرِ خَلاَ لَكِ الجَوُّ فَبِيَضي واصْفِري

ونَقِّري ما شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي قد رُفِعَ الفخُّ فماذا تَحْذَرِي

لا بُدَّ يَوْماً أَنْ تُصَادِي فاصْبِري

قال أبو محمد: هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة. ويقال إن اسمه عمرو، وسمي طرفة ببيت قاله. وأمه وردة من رهط أبيه، وفيها يقول لأخواله وقد ظلموها حقها:

ما تَنْظُرُونَ بحَقِّ........ ....البيت

وكان أحدث الشعراء سناً وأقلهم عمراً، قتل وهو ابن عشرين سنة، فيقال له: ابن العشرين. وكان ينادم عمرو بن هند، فأشرفت ذات يومٍ أخته، فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده، فقال:

ألا يا بِأَبِي الظَّبْيُ ا لَّذي يَبْرُقُ شَنْفَاهُ

ولوْلا المَلِكُ القاعِ دُ قد أَلْثَمَني فَاهُ

فحقد ذلك عليه، وكان قال أيضاً:

ولَيْتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمْرٍو رَغوثاً حَوْلَ قُبَّتِنا تَدورُ

لَعَمْرُكَ إنَّ قابوسَ بنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكَه نُوكٌ كَثِيرُ

وقابوس: هو أخو عمرو بن هندٍ، وكان فيه لينٌ، ويسمى قينة العرس. فكتب له عمرو بن هند إلى الربيع بن حوثرة عامله على البحرين كتاباً أوهمه فيه أنه أمر له بجائزةٍ، وكتب للمتلمس بمثل ذلك.

قال أبو محمد: وأما المتلمس فقد ذكرت قصته. وأما طرفةٌ فمضى بالكتاب، فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتى أثمله، ثم فصد أكحله، فقبره بالبحرين، وكان لطرفة أخٌ يقال له معبد بن العبد، فطلب بديته فأخذها من الحواثر.

قال أبو عبيدة: مر لبيدٌ بمجلسٍ لنهد بالكوفة، وهو يتوكأ على عصاً، فلما جاوز أمروا فتًى منهم أن

يلحقه فيسأله: من أشعر العرب؟ ففعل، فقال له لبيدٌ: الملك الضليل، يعني أمرأ القيس، فرجع فأخبرهم قالوا: ألا سألته: ثم من؟ فرجع فسأله: فقال: ابن العشرين، يعني طرفة، فلما رجع قالوا: ليتك كنت سألته: ثم من؟ فرجع فسأله، فقال: صاحب المحجن، يعني نفسه.

قال أبو عبيدة: طرفة أجودهم واحدةً ولا يلحق بالبحور يعني امرأ القيس وزهيراً والنابغة، ولكنه يوضع مع أصحابه: الحرث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل.

ومما سبق إليه طرفة فأخذ منه قوله يذكر السفينة:

يَشُقُّ حَبَابَ الماءِ حَيْزُومُها بها — كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُغَايِلُ باليَدِ

أخذه لبيدٌ فقال:

تَشُقُّ خَمَائِلَ الدَّهْنَا يَدَاهُ — كما لَعِبَ المُقامِرُ بالفَيَالِ

وأخذه الطرماح فقال:

وغَدَا تَشُقُّ يداه أَوساطَ الرُّبا — قَسْمَ الفِيَالِ تَشُقُّ أَوسطَه اليَدُ

ومن ذلك قوله:

ومَكان زَعِلٍ ظُلْمَانُه — كالمَخَاضِ الجُرْبِ في اليوم الخَدِرْ
قد تَبَطَّنْتُ وتحْتى سُرُحٍ — تَتَّقِي الأَرضَ بمَلْثُومٍ مَعِرْ

أخذه عدي بن زيد ولبيد، فقال عدي:

ومكانِ زَعِلٍ ظُلْمانُه — كرجال الحبش تمشى بالعمد
قد تَبَطَّنْتُ وتحتى جَسْرَةٌ — عبر أسفار كمخراق وحد

وقال لبيدٌ:

ومكانِ زَعِلٍ ظُلْمانُه — كحَزِيقِ الحَبَشِيِّنَ الزُّجَلْ
قد تَبَطَّنْتُ وتحتى جَسْرَةٌ — حَرَجٌ في مِرْفَقَيْها كالفَتَلْ

ومن ذلك قوله:

فلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ من عِيشَةِ الفَتَى — وجَدِّكَ لم أَحْفِلْ متى قام عُوَّدي
فمنهنَّ سَبْقِى العاذِلاتِ بشَرْبَةٍ — كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماءِ تُزْبِدِ
وكَرِّى إذا نادَى المُضافُ مُحَنَّباً — كَسِيدِ الغَضا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ
وتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ — ببَهْكَنَةٍ تَحْتَ الخِباءِ المُعَمَدِ

أخذه عبد الله بن نهيك بن إساف الأنصاري فقال:

فلَوْلا ثَلاَثٌ هُنَّ من عيشَةِ الفتَى   وجَدِّكَ لم أَحْفِلْ متَى قام رَامِسُ
فمنهنَّ سَبْقِى العاذِلاتِ بشَرْبَةٍ   كأَنَّ أَخاها مَطْلَعَ الشَّمْسِ ناعُس
ومنهنَّ تَجْرِيدُ الكَواعِبِ كالدُّمَى   إذَا ابتُزَّ عن أَكْفالِهِنَّ المَلابِسُ
ومنهنَّ تَقْرِيطُ الجوَادِ عِنانَه   إذَا استَبَقَ الشَّخْصَ الخفِيَّ الفوَارِسُ

ومما سبق إليه قوله:

سَتُبْدِي لك الأَيَّامُ ما كنتَ جاهِلاً   ويأْتِيكَ بالأَخْبارِ مَن لَّم تُزَوِدِ

وقال غيره:

ويأْتِيك بالأَنباءِ من لم تبَعْ له   بَتَاتاً ولم تَضْرِبْ له وقْتَ مَوْعِدِ

ومن جيد شعره:

ألاَ أَيُّها الَّلاحِيَّ أَنْ أَحْضُرَ الوَغَى   وأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنتَ مُخْلِدِي
فإِنْ كنتَ لا تَسْتَطِيعُ دفْعَ مَنِيَّتِي   فذَرْنِي أُبادِرْها بما مَلَكَتْ يَدِي
أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخيلٍ بمالِه.......   ....البيت
أَرَى الدَّهْرَ كنزاً..........   ....البيتين

ومن جيد شعره:

ولا غَرْوَ إلاَّ جارَتِي وسُؤالُها   أَلاَ هل لَّنا أَهْلٌ سُئِلْتِ كذلِكِ

دعا عليها بأن تغترب حتى تسأل كما سألته.

ومن حسن الدعاء قول النابغة الذبياني:

أَغَيْرَكَ مَعْقِلاً أَبغِى وحِصْناً   فأَعْيَتْنِي المَعاقِلُ والحُصُونُ
وجِئْتُكَ عارِياً خَلَقاً ثِيابي   على خَوْفٍ تُظَنُّ بي الظُّنُونُ

العاري: من عراك يعروك إذا أتاك يطلب ما عندك، ونحوه العافي.

ومن جيد شعر طرفة:

وأَعْلَمُ عِلْماً لَيْسَ بالظَّنِّ أَنَّه   إذا ذَلَّ مَوْلَى المَرْءِ فَهْوَ ذَلِيلُ
وإِنَّ لِسَانَ المَرْءِ ما لم تَكُنْ له   حَصاةٌ على عَوْراتِهِ لَدَلِيلُ
وإِنَّ امْرَءًا لم يَعْفُ يَوْماً فُكاهَةً   لِمَنْ لم يُرِدْ سُوءًا بها لَجَهُولُ

وقال وهو صبيٌّ:

كُلُّ خَلِيل كنتُ خالَلْتُه لا تَرَكَ اللهُ له واضِحَهْ

كلُّهُمُ أَرْوَغُ من ثَعْلَبٍ ما أَشْبَهَ الليلة بالبارِحَهْ

ومما يعاب من شعره قوله يمدح قوماً:

أَسْدُ غِيلٍ فإذَا ما شَرِبُوا وَهَبُوا كُلَّ أَمُونٍ وطمِرّْ

ثمّ راحُوا عَبِقُ المِسْكِ بهم يَلْحَفُونَ الأَرضَ هُدَّابَ الأُزرْ

ذكر أنهم يعطون إذا سكروا، ولم يشرط لهم ذلك في صحوهم كما قال عنترة:

وإذَا شَرِبْتُ فإنَّني مُسْتَهلِكٌ مَالِي وعِرْضي وافرٌ لم يُكْلَمِ

وإذَا صحوْتُ فما أُقصِرُ عن نَدًى وكما عَلِمْتَ شمائِلي وتَكَرُّمِي

قالوا: والجيد قول زهيرٍ:

أَخُو ثِقَةٍ لا تُتْلِفُ الخمْرُ مالَهُ ولكنَّه قد يُتْلِفُ المالَ نائِلُهْ

وقال بعض المحدثين:

فتًى لا تَلُوكُ الخَمْرُ شَحْمَةَ ماله ولكِنْ عطايا عُوَّدٌ وبَوَادي

وطرفة أول من ذكر الأدرة في شعره، فقال:

فما ذَنْبُنا في أَنْ أَداءَتْ خُصاكمُ وأَنْ كُنْتُمُ في قُومِكم مَعْشَراً أُدْرَا

إذَا جَلَسُوا خَيَّلْتَ تَحْتَ ثِيابِهِمْ خَرَانِقَ تُوفي بالضَّغِيبِ لها نَذْرَا

وذكرها النابغة الجعدي فقال:

كَذِي داءٍ بإحْدَى خُصْيَتَيْه وأُخْرَى لم تَوَجَّع من سَقَامِ

فضَمَّ ثِيابَهُ من غيرِ بُرْءٍ على شَعْرَاءَ تُنْقِضُ بالبِهَامِ

وطرفة أول من طرد الخيال، فقال:

فقُلْ لِخيَالِ الحَنْظَلَيَّةِ يَنقَلِبْ إليها فإني واصِلٌ حَبْلَ مَنْ وَصَلْ

وقال جريرٌ:

طرَقَتْكَ صائِدَةُ القُلُوبِ ولَيْسَ ذَا وَقتَ الزِّيارَةِ فارْجِعِي بسَلاَمِ

قال الأصمعي: قلت لشيخ مسن من المدنيين: أرأيت قول كثيرٍ:

قد أَرُوعُ الخَلِيلَ بالصرْمِ منِّي لم يَخَفْهُ وقِلَّةِ التَّكْلِيمِ

أي شيءٍ هذا من السباب؟ فقال: يا ابن أم، أي شيءٍ يصنع؟ أحرقته!

الحارث بن حلزة اليشكرى

هو من بني يشكر من بكر بن وائلٍ، وكان أبرص وهو القائل:

آذَنَتْنا بِبَيْنِها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءُ

ويقال إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هندٍ ارتجالا، في شيءٍ كان بين بكر وتغلب بعد الصلح، وكان ينشده من وراء السجف، للبرص الذي كان به، فأمر برفع السجف بينه وبينه استحساناً لها، وكان الحرث متوكئاً على عترةٍ، فارتزت في جسده وهو لا يشعر.

وكان له ابنٌ يقال له: مذعور، ولمذعور ابنٌ يقال له: شهاب بن مذعور، وكان ناسباً وفيه يقول مسكينٌ الدارمي:

هَلُمَّ إلى ابن مَذْعورٍ شِهابٍ يُنَبِّىءُ بالسِّفَالِ وبالمَعَالِي

قال الأصمعي: قد أقوى الحرث بن حلزة في قصيدته التي ارتجلها قال:

فمَلَكْنا بذلك الناسِ إذْ ما مَلَكَ المُنْذِرُ بنُ ماءِ السَّماءِ

قال أبو محمد: ولن يضر ذلك في هذه القصيدة، لأنه ارتجلها فكانت كالخطبة.

ومما يتمثل به من شعره:

فعِشْ بِجَدٍّ لا يَضِرْ كَ النُّوكُ ما أُوتيتَ جَدَّا

والنُّوكُ خَيْرٌ في ظِلاَ لِ العَيْشِ ممَّنْ عاشَ كَدَّا

لقيط بن معمر

هو لقيط بن معمرٍ، من إيادٍ، وكانت إيادٌ أكثر نزارٍ عدداً، وأحسنهم وجوهاً، وأمدهم وأشدهم وأمنعهم، وكانوا لقاحاً لا يؤدون خرجاً، وهم أول معدىٍّ خرج من تهامة، فنزلوا السواد، وغلبوا على ما بين البحرين إلى سنداد والخورنق، وسنداد نهرٌ كان بين الحيرة إلى الأبلة، وكانوا أغاروا على أموالٍ لأنوشروان فأخذوها، فجهز إليهم الجيوش، فهزموهم مرةً بعد مرةٍ، ثم إن إياداً ارتحلوا حتى نزلوا الجزيرة، فوجه إليهم كسرى بعد ذلك ستين ألفاً في السلاح، وكان لقيط متخلفاً عنهم بالحيرة، فكتب إليهم:

سَلاَمٌ في الصَّحيفَة من لَقِيطٍ إلىَ مَن بالجزيرة من إيادِ

بأَنَّ اللَّيْثَ كِسْرَى قد أَتَاكمْ فلا يَشْغلْكمُ سَوْقُ النِّقَادِ

أَتاكم منْهُمُ ستُّونَ أَلْفاً يَزْجُّون الكَتَائبَ كالجرَاد

على حَنَق أَتيْنَكمُ فهذَا أَوَانُ هَلاَكِكمْ كهَلاَك عَادِ

فاستعدت إيادٌ لمحاربة جنود كسرى، ثم التقوا، فاقتتلوا قتالا شديداً، أصيب فيه من الفريقين، ورجعت عنهم الخيل، ثم اختلفوا بعد ذلك، فلحقت فرقةٌ بالشأم، وفرقةٌ رجعت إلى السواد، وأقامت فرقةٌ بالجزيرة.

وفي هذه القصة يقول أيضاً لقيطٌ في قصيدته:

يا دارَ عَبْلَةَ من مُحْتَلِّهَا الجرَعَا

يا لَهْفَ نفسيَ إنْ كانت أُمورُكمُ شَتَّى وأُبْرِمَ أَمْرُ الناس فاجْتَمَعَا

أَحْرَارُ فارسَ أَبْنَاءُ المُلُوك لهم من الجُمُوعِ جُمُوعٌ تَزْدَهي القَلَعَا

فهمْ سرَاعٌ إليكم بَيْنَ مُلْتَقِطٍ شَوْكاً وآخرَ يَجْني الصَّابَ والسَّلَعَا

هو الجَلاَءُ الَّذي تَبْقَى مَذَلَّتُهُ إنْ طارَ طائرُكم يوماً وإنْ وَقَعَا

قُومُوا قياماً على أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ ثم افْزَعُوا قد يَنَالُ الأَمْنَ مَنْ فَزِعَا

وقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لله دَرُّكُمُ رَحْبَ الذِّرَاعِ بأَمْرِ الحربِ مُضْطَلِعا

لا مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العَيْشِ ساعَدَهُ ولاَ إذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ به خَشَعَا

ما زال يَحْلُبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطُرَهُ يَكونُ مُتَّبِعاً طَوْراً ومُتَّبَعَا

حَتَّى استَمَرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُه مُسْتَحْكِمَ السنِّ لاَ قَحمْاً ولا ضَرَعَا

أوس بن حجر

هو أوس بن حجر بن عتاب، قال أبو عمرو بن العلاء: كان أوس فحل مضر، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه، وقيل لعمرو بن معاذ، وكان بصيراً بالشعر: من أشعر الناس؟ فقال: أوس، قيل: ثم من؟ قال: أبو ذؤيب، وكان أوس عاقلاً في شعره، كثير الوصف لمكارم الأخلاق، وهو من أوصفهم للحمر والسلاح، ولا سيما للقوس، وسبق إلى دقيق المعاني، وإلى أمثالٍ كثيرة.

وهو القائل:

وجاءَتْ سُلَيْمٌ قَضَّهُا وقَضِيضَهَا بأَكْثَرِ ما كانوا عَدِيداً وأَوكَعُوا

أوكعوا: اشتدوا، يقال: استوكعت المعدة وأوكعت إذا اشتدت.

وفي أمثال العرب: أسمحت قرونته. أي سمحت نفسه، قال أوس:

فلاقَى امْرَءًا من مَيْدَعانَ وأَسْمَحَتْ قَرُونته باليَأْسِ منها فَعجَّلاَ

ويقال: رجل مخلطٌ مزيلٌ إذا كان ولاجاً خراجاً، قال أوس:

وإنْ قال لي ماذا تَرَى يَسْتَشِيرُني يَجِدْنِي ابنُ عَمِّي مِخْلَطَ الأَمْرِ مِزْيَلاَ

ومن جيد معانيه قوله:

وما أَنا إلاَّ مُسْتَعِدٌّ كما تَرَى أَخو شُرَكِيٍّ الورْدِ غَيْرُ مُعَتِّمِ

وشركي وردٍ ماءٌ في إثر ماءٍ، وهو المتتابع، يقول: أغشاهم بما يكرهون، ومنه يقال فلان يتوردنا بشر وغير معتم غير محتبس.

وقوله:

وإنْ هَزَّ أَقْوَامٌ إليَّ وحَدَّدُوا كَسَوْتُهُمُ من خَيْرِ بَزٍّ مُتَحَّمِ

هز من السير، ومتحم من الأتحمي، وهو بردٌ، وهذا مثلٌ ضربه، يقول: إنه يهجوهم بأخبث هجاءٍ يقدر عليه، ومنه قول الآخر:

سأَكْسُوكما يا ابْنَيْ يَزيد بن جُعْشُمٍ رِداءَيْنِ من قِيرٍ ومن قَطِرَانِ

وقال أوس:

تَرَكْتُ الخَبِيثَ لم أُشارِكْ ولم أَدِقْ ولكِنْ أَعَفَّ اللهُ مالي ومَطْعَمِي

لم أدق لم أدن، ومنه قول ذي الرمة:

كانت إذَا وَدَقَتْ أَمْثَالُهُنَّ لَهُ فبَعْضُهُنَّ عنِ الأُلاَّفِ مُنْشَعِبُ

وقال أوس:

فقَوْمِي وأَعْدَائِي يَظُنُّونَ أَنَّنِي مَتَى يُحْدِثُوا أَمْثَالَهَا أَتَكَلَّمِ

يظنون يوقنون، وليس من ظن الشك، قال الله جل وعز وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه، أي أيقنوا.

قال أوس يصف قوساً:

كَتُومٌ طِلاَعُ الكَفِّ لا دُونَ مِلْئِهَا ولا عَجْسُهَا عن مَوْضِعِ الكَفِّ أَفْضَلاَ

إذَا ما تَعَاطَوْهَا سَمِعْتَ لِصَوْتِهَا إذَا أَنْبَضُوا عنها نَئِيماً وأَزْمَلاَ

النئيم صوت البوم، والأزمل صوت الجن، ثم وصف النابل والنبل فقال:

كَساهُنَّ من رِيشٍ يَمَان ظَواهِراً سُخَاماً لُؤاماً لَيِّنَ المَسِّ أَطْحَلا

يَخُزْنَ إذا أُنْفِزْنَ في ساقِطِ النَّدَى وإنْ كان يَوْماً ذا أَهاضِيبَ مُخْضِلاَ

خُوَارَ المَطافِيلِ المُلَمَّعَةِ الشَّوَى وأَطْلاَؤُها صادَفْنَ عِرْنانَ مُبْقِلاَ

ثم وصف السيف فقال:

كأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يتَّبِعُ الرُّبَى ومَدْرَجَ ذَرٍّ خافَ بَرْداً فأَسْهَلاَ

على صَفْحَتَيْهِ بَعْدَ حِينِ جِلاَئِه كَفَى بالذي أَبْلَى وأَنْعَتَ مُنْصُلاَ

هو من تميمٍ، أسيدي، وهو شاعر تميمٍ. قال أبو عبيدة: حدثني يونس عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان أوسٌ شاعر مضر، حتى أسقطه النابغة وزهيرٌ، تميمٍ في الجاهلية غير مدافعٍ.

وقال الأصمعي: قال أوس بن حجر:

لعَمْرُكَ إنّا والأَحاليفَ هؤُلاَ لَفِي حِقْبَةٍ أَظْفارُها لم تُقَلَّمِ

أي نحن في حرب، فأخذ المعنى زهيرٌ والنابغة، قال زهير:

لَدَى أَسَدٍ شاكِي السِّلاحِ مُقَذَّف له لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لم تُقَلَّمِ

وقال النابغة:

وبنو قُعَيْنٍ لا مَحالَةَ أَنَّهُمْ آتُوكَ غيرَ مُقَلَّمِي الأَظْفارِ

وقال الأصمعي: أوس بن حجر أشعر من زهيرٍ، ولكن النابغة طأطأ منه، قال أوس:

تَرَى الأَرضَ منَّا بالفَضاءِ مَرِيضَةً مُعَضلَةً مِنّا بجَمْعٍ عَرَمْرَمِ

وقال النابغة: جَيْشٌ يَظَلُّ به الفَضاءُ مُعَضِّلاً=يَدَعُ الإكامَ كأَنَّهُنَّ صَحَارِى فجاء بمعناه وزاد: وقالت الشعراء في نفار الناقة وفزعها فأكثرت، ولم تعد ذكر الهر المقرون بها وابن آوى، وقال أوس بن حجر:

كأَنَّ هِرّاً جَنِيباً عنْدَ غُرْضَتِها والْتَفَّ دِيكٌ برِجْلَيْها وخِنْزِيرُ

قالوا: وجمع ثلاثة ألفاظٍ أعجميةٍ في بيت واحد، فقال:

وقارَفَتْ وهي لم تَجْرَبْ وباعَ لها منَ الفَصافِصِ بالنُّمِّيِّ سِفْسِيرُ

الفصافص الرطبة وهي بالفارسية إسبست والنمى الفلوس بالرومية والسفسير السمسار.

قال الأصمعي: ولم أسمع قط ابتداء مرثية أحسن من ابتداء مرثيته:

أَيَّتُها النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعَا إنَّ الَّذي تَحْذَرِينَ قد وقَعَا

قال: وأحسن في وصف السحاب:

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكادُ يَدْفُعُه مَنْ قام بالرَّاحِ
يَنْفِى الحصى عن جَدِيد الأَرِض مُبْتَرِكاً كأَنَّه فاحِصٌ أَو لاعِبٌ دَاحِ
فَمَنْ بنَجْوَتهِ كمَنْ بعَقْوَته والمُسْتَكِنُّ كمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ

ويستجاد له قوله:

إذا ما علَوا قالوا أَبُونا وأُمُّنا وليس لهم عالينَ أُمٌّ ولا أَبُ

ويستجاد له قوله:

وإني رَأَيْتُ الناسَ إلاَّ أَقَلَّهُمْ خِفَافَ العُهُودِ يُكْثِرُونَ التَّنَقُّلاَ
بَنِي أُمِّ ذي المالِ الكَثِيرِ يَرَوْنَهُ وإنْ كان عَبْداً سَيِدَ الأَمْرِ جَحْفَلاَ
وهُمْ لمُقِلِّ المالِ أَولادُ علَّة وإنْ كان مَحْضاً في العُمُومَة مُخْولاَ
وليس أَخُوك الدائمَ العَهْدِ بالذي يَسُوءُكَ إنْ ولَّى ويُرْضِيك مُقْبِلاَ
ولكنْ أَخوكَ النّاءِ ما كنتَ آمِناً وصاحِبُك الأَدْنى إِذَا الأَمْرُ أَعْضَلاَ

ويستجاد له قوله في السيف:

كأَنَّ مَدَبَّ.......... ....البيت

وهو أوصف الناس للقوس ثم تبعه الشماخ.

المرقش الأكبر

هو ربيعة بن سعد بن مالك، ويقال: بل هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. وسمي المرقش بقوله:

الدارُ قَفْرٌ والرُّسومُ كما رَقَّشَ في ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ

وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته أسماء بنت عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وكان أبوها زوجها رجلاً من مراد، والمرقش غائب، فلما رجع أخبر بذلك، فخرج يريدها ومعه عسيفٌ له من غفيلة، فلما صار في بعض الطريق مرض، حتى ما يحمل إلا معروضاً، فتركه الغفيلي هناك في غارٍ، وانصرف إلى أهله، فخبرهم أنه مات، فأخذوه وضربوه حتى أقر، فقتلوه، ويقال إن أسماء وقفت على أمره، فبعثت إليه فحمل إليها، وقد أكلت السباع أنفه، فقال:

يا راكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ أَنَسَ بنَ عمرو حَيْثُ كان وحَرْمَلاَ

للهِ دَرُّكُمَا ودَرُّ أَبِيكما ... إنْ أَفْلَتَ الغُفَلِيُّ حتَّى يُقْتَلاَ

مَنْ مُبْلِغُ الفِتْيَانِ أَنَّ مُرَقِّشاً ... أَضْحَى على الأَصْحَابِ عِبْأً مُثْقِلاَ

ذَهَبَ السِّباعُ بأَنفِهِ فَتَرَكْنَهُ ... يَنْهَسْنَ منه في القِفارِ مُجَدَّلاً

وكأَنما تَرِدُ السِّباعُ بشِلْوِهِ ... إذْ غابَ جَمْعُ بني ضُبَيْعَةَ مَنْهَلاَ

ويقال: بل كتب هذه الأبيات على خشب الرحل، وكان يكتب بالحميرية، فقرأها قومه، فلذلك ضربوا الغفيلي حتى أقر.

ومن جيد شعره قوله:

فهَلْ يَرْجِعَنْ لي لِمتَّي إنْ خَضَبْتُها ... إلى عَهْدِها قَبْلَ المَماتِ خِضابُهَا

رأَتْ أُقْحُوانَ الشَّيْبِ فوقَ خَطِيطَةٍ ... إذَا مُطِرَتْ لم يَسْتَكِنَّ صُؤَابُهَا

فإنْ يُظْعِنِ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فقد تُرَى ... به لِمَّتي لم يُرْمَ عنها غُرابُها

وقوله:

وَدوِّيَّةٍ غَبْرَاءَ قد طال عهْدُها ... تَهَالَكُ فيها الوِرْدُ والمَرْءُ ناعُس

قَطَعْتُ إلى مَعْرُوفِها مُنْكَراتها ... بعَيْهَمَةٍ تَنْسَلُّ واللَّيْلُ دامِسُ

وتَسْمَعُ تَزْقاءً منَ البُومِ حوْلَها ... كما ضُرِبَتْ بَعْدَ الهُدُوِّ النوَاقِسُ

وأَعْرَضَ أَعْلاَمُ كأَنَّ رُؤُسَها ... رُؤُوسُ رجالٍ في خَلِيجٍ تَغامَسُ

ولمَّا أَضَأْنا اللَّيْلَ عند شِوائنا ... عَرَانا عليها أَطْلَسُ اللَّوْنِ بائسُ

نَبَذْتُ إليه حُزَّةً من شِوائنا ... حَيَاءً وما فُحْشِى على مَنْ أُجالِسُ

فآبَ بها جَذْلانَ يَنْفُضُ رأْسَه ... كما آبَ بالنَّهْبِ الكَمِيُّ المُخالِسُ

ومما سبق إليه قوله:

يَأْبِي الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ ولا ... تَغْبِطْ أَخاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمْ

أخذه عمرو بن قميئة فقال:

لا تَغْبِطِ المَرْءَ أَنْ يقالَ له ... أَضْحَى فلانٌ لسِنِّه حكَمَا

إنْ سَرَّه طُولُ عُمْرِهِ فلَقَدْ ... أَضْحَى على الوَجْهِ طُولُ ما سَلِمَا

هو عمرو بن سعد بن مالك بن عباد بن ضبيعة وسمي المرقش بقوله:

كما رقَّش........... ....البيت

وأكل السبع أنفه فقال:

مَن مُبْلِغُ الفتيان......... ....البيتين.

قال أبو محمد: وهو يعد من العشاق، وصاحبته ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك، وعوفٌ هو الحسام. ويستحسن له قوله:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجوهُ دَنَا نيرُ وأَطْرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

ليس على طُولِ الحَياةِ نَدَمْ ومن وَراءِ المَرْءِ ما يَعْلَمْ

ومما سبق أليه فأخذ منه قوله:

يأْبِى الشبابُ.......... ....البيت

أخذه الكميت فقال:

لا تغبط............ ....البيتين

المرقش الأصغر

يقال إنه أخو الأكبر، ويقال: إنه ابن أخيه، واختلفوا في اسمه: فقال بعضهم: هو عمرو بن حرملة، وقال آخرون: هو ربيعة بن سفيان وهو من بني سعد بن مالك بن ضبيعة، وأحد عشاق العرب المشهورين، وصاحبته فاطمة بنت المنذر، وكانت له خادمةٌ تجمع بينهما، يقال لها هند بنت عجلان فلذلك ذكرها في شعره.

وكان للمرقش ابن عم يقال له: جناب بن عوف بن مالك، لا يؤثر عليه أحداً، وكان لا يكتمه شيئاً من أمره، فألح عليه أن يخلفه ليلةً عند صاحبته، فامتنع عليه زماناً، ثم إنه أجابه إلى ذلك، فعلمه كيف يصنع إذا دخل عليها، فلما دنا منها أنكرت عليه مسه، فنحته عنها، وقالت: لعن الله سراً عند المعيدي، وجاءت الوليدة فأخرجته، فأتى المرقش فأخبره، فعض على إبهامه فقطعها أسفاً، وهام على وجهه حياءً، فذلك قوله:

أَلاَ يا اسْلَمى لا صَرْمَ في اليوم فاطِمَا ولا أَبَداً ما دام وَصْلُكِ دائماً

رمتْكَ ابنةُ البَكْرِىّ عن فَرْعِ ضَالَةٍ وهَذَّ بنا خُوصٌ يُخَلْنَ نَعَائمَا

صَحَا قَلْبُهُ عنها خَلاَ أَنَّ رُوعَه إِذا ذُكِرَتْ دارَتْ به الأَرضُ قائِمَا

أَفاطمَ لو أَنَّ النساءَ ببَلْدَةٍ وأَنتِ بأُخْرَى لَاتَّبَعْتُك هائمَا

مَتَى ما يَشأْ ذُو الوُدِّ يَصرِمْ خَليلَهُ ... ويَغْضَبْ عليه لا محالةَ ظالِمَا

وآلى جَنَابٌ حَلْفَةً فأَطَعْتَه ... فنَفْسَكَ وَلِّ اللَّوْمَ إنْ كنتَ نادمَا

أَمِنْ حُلْمٍ أَصْبَحْتَ تَمْكُثُ واجماً ... وقد تَعْتَرِي الأَحلامُ مَنْ كان نائمَا

ومما سبق إليه قوله:

ومَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ الناسُ أَمرَهُ ... ومن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائمَا

أخذه القطامي فقال:

والناس مَنْ يَلْقَ خَيْراً قائلون له ... ما يَشْتَهي ولأُمِّ المُخْطِيءِ الهَبَل

هو عمرو بن سفيان بن سعد بن مالك، ابن أخي المرقش الأكبر، ويقال هو ابن حرملة، وهو يعد من العشاق، وصاحبته بنت عجلان، أمةٌ كانت لبنت عمرو بن هند، وفيها يقول:

يا بنتَ عَجْلاَنَ ما أَصْبَرَني ... على خُطُوبٍ كنحْتِ بالقَدُومْ

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

ومَنْ يلَقَ خيراً.......... ... .البيت

أخذه القطامي فقال:

والناسُ مَن يَلْقَ.......... ... .البيت

ويعاب عليه قوله في المرأة:

صَحَا قلبُه عنها على أَنَّ ذِكْرَةً ... إِذَا خَطَرَتْ دارتُ به الأَرضُ قائمَا

قالوا: كيف يصحو من إذا ذكرت له دارت به الأرض؟ قالوا: وكان عض سبابته فقطعها من حبها، وقال:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْءَ يَجْذِمُ كَفَّهُ ... ويَجْشَمُ من هَولِ الأُمورِ المَجاشِمَا

وكان هرب من المنذر وأتى الشأم، فقال:

أَبْلِغِ المُنْذِرَ المُنَقِّبَ عَنِّي ... غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ولا مُسْتَعِين

لاتَ هَنَّا ولَيْتني طَرَفَ الزُّ ... جِّ وأَهْلي بالشأْمِ ذاتِ القُرُون

علقمة بن عبدة

هو من بني تميمٍ جاهلي، وهو الذي يقال له علقمة الفحل، وسمي بذلك لأنه احتكم مع امرىء القيس إلى امرأته أم جندب لتحكم بينهما، فقالت: قولا شعراً تصفان فيه الخيل على روى واحد وقافية واحدة، فقال امرو القيس:

خَلِيلَّي مُرَّا بِي على أُمِّ جُنْدَبِ	لنَقْضيَ حاجاتِ الفُؤَادِ المُعَذَبِ

وقال علقمة:

ذَهَبْتَ منَ الهجْرَانِ في كُلّ مَذْهَبِ	ولم يَكُ حَقّاً كُلُّ هذا التَّجَنُّبِ

ثم أنشداها جميعاً، فقالت لامرىء القيس: علقمة أشعر منك، فقال: وكيف ذاك؟ قالت: لأنك قلت:

فللسَّوْطِ أُلْهُوبٌ ولِلساق درَّةٌ	وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ

فجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك، وقال علقمة:

فأَدْرَكَهُنَّ ثانياً من عِنانِهِ	يَمُرُّ كمَرِّ الرائحِ المُتَحَلَّبِ

فأدرك طريدته وهو ثانٍ من عنان فرسه، لم يضربه بسوط، ولا مراه بساقٍ، ولا زجره، قال: ما هو بأشعر منك ولكنك له وامقٌ! فطلقها فخلف عليها علقمة، فسمي بذلك الفحل. ويقال: بل كان في قومه رجل يقال له علقمة الخصي، ففرقوا بينهما بهذا الاسم.

ومن جيد قوله:

فإِنْ تَسْأَلُونِي بالنِّسَاءِ فإِنَّني	بَصيرٌ بأَدْواءِ النِّسَاءِ طَبيبُ
إِذَا شاب رأْسُ المَرْءِ أَو قَلَّ مالُه	فليس له في وُدِّهنَّ نَصيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءِ المالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ	وشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجيبُ

هو تميمي، من ربيعة الجوع، وهو الذي يقال له الفحل، وكان ينازع امرأ القيس الشعر، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فقال علقمة: قد حكمت امرأتك أم جندبٍ بيني وبينك، فقال: قد رضيت، فقال أم جندب: قولا شعراً تصفان فيه الخيل على روى واحد وقافية واحدة، فقال امرو القيس قصيدته التي أولها:

خَلِيلَّي مُرَّا بِي على أُمِّ جُنْدَبِ	نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَبِ

وقال علقمة قصيدته التي أولها:

ذَهَبْتَ من الهجْرانِ في غَيْرِ مَذْهَبِ	...................البيت

ثم أنشداها جميعاً، فقالت لامرىء القيس: علقمة أشعر منك قال: وكيف؟ قالت: لأنك قلت:

فلِلسَّوطِ أُلهوبٌ........ ......البيت

فجهدت فرسك بسوطك وزجرك فأتبعته بساقك، وقال علقمة:

فولَّى على آثارهِنَّ بحاصِبٍ وغَيْبَةِ شُؤبُوبٍ منَ الشَّد مُلْهَبِ

فأَدْرَكَهُنَّ ثانياً........ ....البيت

فأدرك طريدته وهو ثانٍ من عنانه، لم يضربه بسوطه، ولم يمره بساقه، ولم يزجره، فقال له: ما هو بأشعر مني ولكنك له عاشقٌ! فطلقها وخلف عليها علقمة، فسمي الفحل لذلك.

ويقال إنه قيل له الفحل لأن في رهطه رجلاً يقال له علقمة الخصي، وهو علقمة بن سهلٍ، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ويكنى أبا الوضاح، وكان بعمان، وسبب خصائه أنه أسر باليمن فهرب، فظفر به، ثم هرب مرة أخرى، فأخذ فخصي، فهرب ثالثةً، وأخذ جملتين يقال لهما عوهجٌ وداعرٌ، فصارا بعمان، فمنها العوهجية والداعرية، وكان شهد على قدامة بن مظعون، وكان عامل عمر على البحرين، بشرب الخمر، فحده عمر.

وهو القائل:

يقول رجالُ من صَديق وحاسدٍ أراكَ أَبا الوَضَّاحِ أَصْبَحْتَ ثاويَا

فلا يَعْدَمِ البانُونَ بَيْتاً يُكِنُّهُم ولا يَعْدَمِ الميراثَ منِّى المَوَاليَا

وجَفَّتْ عُيُونُ الباكياتِ وأَقْبَلوُا إلى ما لِهِمْ قد بِنْتُ عنه وماليَا

حَراصاً على ما كُنْتُ أَجْمَعُ قَبْلَهم هَنيئاً لهم جَمْعِي وما كُنْتُ وانيَا

وكان لعلقمة بن عبدة أخٌ يقال له شأس بن عبدة، أسره الحرث بن أبي شمرٍ الغساني مع سبعين رجلا من بني تميم، فأتاه علقمة ومدحه بقصيدةٍ أولها:

طَحَا بك قَلْبٌ في الحِسان طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ

إلى الحرثِ الوَهّابِ أَعْلَمْتُ ناقتي لِكَلْكَلِها والقُصْرَيَيْن وَجيب

فلما بلغ هذا البيت:

وفي كلّ حَيٍّ قد خَبَطْتَ بنِعْمَةٍ فحُقَّ لشَأْس من نَدَاكَ ذَنُوبُ

فقال الحرث: نعم وأذنبةٌ. وإنما أراد علقمة بقوله:

وفي كلّ حيّ قد خَبَطَتَ بنعمة

أن النابغة كان شفع في أساري بني أسدٍ فأطلقهم، وكانوا نيفاً وثمانين، ثم سأله علقمة أن يطلق أساري بني تميم ففعل، ويقال إن شأساً هو ابن أخي علقمة.
ويستجاد له من هذا الشعر:

فإن تَسْأَلُوني بالنساءِ..... ....الثلاثة الأبيات

الأفوه الأودى

هو صلاءة بن عمرو، من مذحج، ويكنى أبا ربيعة، وهو القائل:

لاَ يَصْلُحُ القَومُ فَوْضَى لاَ سَرَاةَ لَهُمْ ولا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا
تُهْدَى الأُمُورُ بِأَهل الرَّأيِ مَا صَلَحَتْ فإنْ تَوَلَّتْ فَبالأَشْرَارِ تَنْقَادُ

ومن جيد شعره قوله:

إنَّمَا نِعْمَةُ قَوْمٍ مُتْعَةٌ وحَيَاةُ المَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعارُ
حَتَمَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا أَنَّهُ ظَلَفٌ ما نالَ منَّا وجُبَارُ

ظلفٌ: باطلٌ وجبارٌ: هدرٌ. وهذه القصيدة من جيد شعر العرب، أولها:

إنْ تَرَىْ رأسِي فيه نَزَعٌ وشَوَاىَ خَلَّةٌ فيها دُوَارُ

وهو القائل:

والمَرْءُ ما يُصْلِحْ له لَيْلَة بالسَّعْدِ تُفْسِدْهُ لَيالِي النُّحُوسْ
والخَيْرُ لا يأْتِي ابتْغاءٌ به والشَّرُّ لا يُفْنِيهِ ضَرْحُ الشَّمُوس

عدي بن زيد العبادي

هو عدي بن زيد بن حماد بن أيوب، من زيد مناة بن تميمٍ. وكان يسكن بالحيرة، ويدخل الأرباف فثقل لسانه، واحتمل عنه شيء كثيرٌ جداً، وعلماؤنا لا يرون شعره حجةً؟ وله أربع قصائد غررٍ، إحداهن:

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَم بُكُورُ لكَ فاعْمِدْ لأَيِّ حالٍ تَصيرُ

وفيها يقول:

أَيُّها الشامِتُ المُعَيرُ بالدَّهْ رِ أَأَنْتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ
أَم لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ منَ الْ أَيَّامِ أَم أَنْتَ جاهِلٌ مَغْرُورُ

مَنْ رَأَيْتَ المَنُونَ خلَّدْنَ أَم مَّنْ ذا عليه منْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى المُلُوك أَبُوسا سانَ أَمْ أَينَ قَبْلَهُ سابورُ

وبنو الأَصْفَرِ الكِرامُ مُلُوكُ ال رُّومِ لم يَبْقَ منهمُ مّذْكورُ

وأَخُو الحَضْرِ إِذْ بناه وإِذْ دِجْ لَةُ تُجْبَى إِليه والخابورُ

شادَهُ مَرْمَراً وجَلَّلَهُ كِلْ ساً فللطَّيْرِ في ذُرَاه وُكُورُ

وتَبَيَّنْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إِذْ أَشْ رَفَ يَوْماً وللهُدَى تَفْكِيرُ

سَرَّه حالُه وكَثْرَةُ ما يَمْ لِكُ والبَحْرُ مُعْرِضاً والسَّدِيرُ

فارْعَوَى قَلْبُهُ فقال وما غِبْ طَةُ حَيٍّ إِلى المَماتِ يَصِيرُ

ثمَّ بَعْدَ الفَلاَحِ والمُلْك والإِ مَّة وارَتْهُمُ هناكَ القُبورُ

ثمَّ أَضْحَوْا كأَنَّهم وَرَقٌ جَ فَّ فأَلْوَتْ به الصَّبَا والدَّبُورُ

والثانية:

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدارِ من أُمِّ مَعْبَدِ نَعَمْ فرَمَاك الشَّوْقُ قَبْلَ التَّجلُّد

وفيها يقول:

أَعاذِلَ ما يُدْرِيكِ أَنَّ مَنِيَّتي إلى ساعة في اليوم أَو في ضُحَى الغَد

ذَرِيني فإِني إِنما لِيَ ما مَضَى أَمامِيَ من مالي إِذا خَفَّ عُوَّدِى

وحُمَّتْ لِميقاتٍ إِلَيَّ مَنِيَّتي وغُودِرْتُ قد وُسِّدْتُ أَو لم أُوَسَّدِ

وللوارثِ الباقي منَ المال فاتْرُكِي عتابِي فإِني مُصْلِحٌ غَيْرُ مُفْسِدِ

والثالثة:

لم أَرَ مِثْلَ الفِتْيانِ في غَبَنِ الْ أَيَّامِ يَنْسَوْنَ ما عَوَاقِبُها

والرابعة:

طال لَيْلِى أُراقِبُ التَّنْوِيرَا أَرْقُبُ اللَّيْلَ بالصَّباحِ بَصِيرَا

وهو القائل في قصة الزباء وجذيمة وقصيرٍ الطالب بالثأر:

دَعا بالبَقَّة الأُمَرَاءَ يوماً جَذِيمَةُ عَصْرَ يَنْجُوهُمْ ثُبِينَا

فطاوَعَ أمرَهم وعَصَى قَصيراً وكان يقول لو تَبِعَ اليَقينَا

ودَسَّتْ في صَحيفَتِها إليه لِيَمْلِكَ بُضْعَهَا ولأَنْ تَدينَا

فأَرْدَتْه ورُغْبُ النَّفْسِ يُرْدِي ويُبْدِي للفَتَى الحَيْنَ المُبينَا

وخَبَّرَتِ العَصَا الأَنْباءُ عنه ولم أَرَ مثْلَ فارسها هَجينَا

وقَدَّمَتِ الأَديمَ لِرَاهَشْيه وأَلْفَى قوْلَها كَذِباً ومَيْنَا

ومِنْ حَذَرِ المَلاومِ والمَخازِي وهُنَّ المُنْدياتُ لِمَنْ مَنَيْنَا

أَطَفَّ لأَنْفِهِ المُوسَى قصيرٌ لَيجْدَعَهُ وكان به ضَنَينَا

فأَهْواهُ لِمَازِنِه فأَضحَى طِلابَ الوِتْرِ مجْدُوعا مَشينَا

وصادَفَتِ امْرَءًا لم تَخْشَ منه غَوائلَه وما أَمِنَتْ أَمينَا

فلمّا ارْتَدَّ منها ارْتَدَّ صُلْباً يَجُرُّ المالَ والصَّدْرَ أَمينَا

أَتَتْها العِيُس تَحْمِلُ ما دَهاها وقَنَّعَ في المُسُوحِ الدَّارِعينَا

ودَسَّ لها على الأَنْفاقِ عَمْراً بِشِكَّتِهِ وما خَشِيَتْ كَمينَا

فجلَّلَها قديمَ الأَثْرِ عضبْاً يَصُكُّ به الحواجبَ والجبينَا

فأَضْحَتْ من خَزائنها كأَن لم تَكُنْ زَبَّاءُ حاملَةً جنينَا

وأَبْرَزَها الحَوَادِثُ والمنَايَا وأَيَّ مُعَمَّرٍ لا يبْتَلينا

إذا أَمْهَلْنَ ذا جَدٍّ عَظيمٍ عَطَفْنَ له ولو فَرَّطْنَ حينَا

ولم أَجِدِ الفَتَى يَلْهُو بشيءٍ ولو أَثْرَى ولو وَلَدَ البَنينَا

هو عدي بن زيد بن حماد، بن زيد بن أيوب بن محروف ابن عامر بن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميمٍ. وأول من نزل الحيرة منهم أيوب، بسبب دمٍ أصابه، وكان مترله اليمامة، وكان حماد أول من تعلم الكتابة من بني أيوب، وكتب للنعمان الأكبر.

وكان عدي ترجمان أبرواز ملك فارس وكاتبه بالعربية، فلما قتل عمرو بن هند وصف له عدي بن زيد النعمان بن المنذر بن امرىء القيس، وأشار عليه بتوليته العرب، واحتال في ذلك حتى ولاه من بين إخوته، وكان أدمهم وأقبحهم. ثم بلغ النعمان عن عدي شيءٌ فخافه، فاحتال حتى وقع في يده، فحبسهن فقال في الحبس أشعاراً وبعث بها إليهن فمنها قوله:

أَلاّ مَن مُّبْلِغُ النُّعمانِ عَنّي عَلانيَةً وما يُغْنِى السِّرَارُ

بأَنَّ المَرْءَ لم يُخْلَقْ حَديداً	و لا هَضْباً تَوَقَّلَهُ الوِبَارُ
ولكِنْ كالشهابِ سَنَاهُ يَخْبُو	وحادِي المَوْتِ عنه ما يَحَارُ
فهَلْ من خالدٍ إمّا هَلَكْنا	و هل بِالمَوْت يا لِلنَّاس عَارُ

ومنها قوله:

أَبْلغِ النُّعْمانَ عنِّى مَأْلُكاً	أَنني قد طال حَبْسِي و انْتِظَارِى
لو بَغْيرِ الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ	كُنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعْتِصارِى

فلم يزل في حبسه حتى مات، ويقال إنه قتله.

وكان له ابنٌ يقال له زيد بن عدي، فتوصل إلى أبرواز حتى حل محل أبيه، وذكر زيدٌ لأبرواز نساء آل المنذر، ونعتهن له بالجمال، فكتب أبرواز إلى النعمان يأمره أن يزوجه أخته أو ابنته! فلما قرأ النعمان الكتاب قال للرسول: فأين الملك عن مها السواد؟ فرجع الرسول فأخبره بما قال، وحرف زيدٌ القول عنده، وقال: فأين هو عن بقر العراق؟ فطلبه أبرواز، وهرب النعمان منه حيناً، ثم بدا له أن يأتيه، فأتاه المدائن، فصف له كسرى ثمانية آلاف جاريةٍ صفين، فلما صار بينهما قلن له: أما فينا للملك غنًى عن بقر العراق؟ وعلم النعمان أنه غير ناج منه، وأمر به كسرى فحبس في ساباط المدائن، ثم ألقي تحت أرجل الفيلة، فتوطأته حتى مات.

وذكر أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيلٍ في النجوم، يعارضها ولا يجري مجاريها، قال: والعرب لا تروي شعره، لأن ألفاظه ليست بنجديةٍ، وكان نصرانياً من عباد الحيرة، قد قرأ الكتب.

قال الأصمعي: كان عدي لا يحسن أن ينعت الخيل، وأخذ عليه قوله في صفة الفرس فارهاً متتايعاً وقال: لا يقال للفرس فاره إنما يقال له جواد وعتيق ويقال للكودن والبغل والحمار فاره ووصف الخمر بالخضرة، و لم يعلم أحدٌ وصفها بذلك، قال:

و المَشْرفُ الهِنْدِيُّ نُسْقَى به	أَخْضرَ مَطْمُوثاً بماء الخَرِيصْ

وهو أول من شبه أباريق الخمر بالظباء، قال يذكر بيت الخمار:

بَيْتِ جُلُوفٍ بارِدٍ ظِلُّهُ	فيه ظِباءُ ودَوَاخِيلُ خُوصْ

فقال بعده:

كأَنَّ إبْرِيقَهُمْ ظَبْيٌ على شَرَفٍ

ويستجاد له قوله:

قد يُدْرِكُ المُبْطِىءُ مِن حَظِّه ... والخَيْرُ قد يَسْبِقُ جَهْدَ الحَرِيصْ

ويستجاد له قوله في وصف السقاة:

والرَّبْرب المَكْفُوف أَرْادنُه ... يَمْشِي رُوَيْداً كمَشْى الرَّهِيصْ

ثم قال بعد أن وصف الخمر والندامى:

ذلِكَ خَيْرٌ من فُيُوجٍ على البا ... ب وقَيْدَيْنِ وغُلٍّ قَرُوصْ

أَو مُرْتَقى نِيق على مَرْكَبٍ ... أَدْفرَ عَوْدٍ ذي إكَاف قَمُوصْ

لا يُحْسِنُ لمَشْيَ ولا يَقْبَلُ الرِّدْ ... فَ ولا يُعْطَى به قُلْبُ خُوصْ

ومن نُسُورٍ حَوْلَ مَوْتَى يُمَرِّقْ ... نَ لُحُوماً من طَرِىِّ الفَرِيصْ

قالوا: وهذان لا يتقاربان، وكيف يجعل هذا خيراً من هذا؟ ومما سبق إليه فأخذ منه قوله لأخيه يحذره أن يدخل أرض النعمان:

فلا تُلْفَيَنَّ كأُمِّ الغُلاَ ... مِ إلاَّ تَجِدْ عارِماً تعْتَرِمْ

أخذه ابن مقبلٍ فقال:

لا أُلْفيَنَّ وإيَّاكُمْ كعَارِمَةٍ ... إلاَّ تَجِدْ عارماً في الناس تَعْتَرِمِ

قال أبو محمد: معناه، إن لم تجد من يرضعها رضعت ثدي نفسها، يقال عرم الصبي أمه إذا رضعها، ويقال: إن لم تجد من يخادشها ويقاتلها خدشت وجه نفسها وادعته على بريٍّ.

وهو ممن أقر على نفسه بالزنا، فقال:

بَنَاتِ كِرَامٍ لم يُرَبْنَ بِضُرَّةٍ ... دُمًى شَرِقَاتٍ بالعَبِير رَوَادِعَا

لَهَوْتُ لَهُنَّ بين سرٍّ ورَشْدَةٍ ... ولم آلُ عن عَهْدِ الأَحِبَّة خادِعَا

يُسَارِقْنَ مِ الأَسْتَارِ طَرْفاً مُفَتَّرا ... ويُبْرِزْنَ من فَتْقِ الخُدُورِ الأَصَابِعَا

وينسب إلى الكذب بقوله:

رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْمُقُها ... تَقْضَمِ الهِنْدِيَّ والغارَا

يريد بالهندي العود.

قال أبو محمد: وليس هذا عندي كذباً، لأنه لم يرد أنه يوقدها بالعود، وإنما أراد أنها توقد بالغار، وهو شجر، وتلقى قطع العود على ذلك للطيب وهو مثل قول الحرث بن حلزة:

أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ العَقِيقِ فشَرْخَ ... يْنِ بِعُودٍ كما يَلُوحُ الضِيَاءُ

أراد أنها أوقدتها وألقت عليها عود البخور.

عمرو بن كلثوم

هو من بني تغلب، من بني عتاب، جاهلي قديم، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة، وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أن أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي.؟ فقالوا: نعم، عمرو بن كلثوم، قال: و لم ذلك؟ قالوا، لأن أباها مهلهل بن ربيعة، وعمها كليب وائل أعز العرب، وبعلها كلثوم بن مالك بن عتاب أفرس العرب، وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منه، فأرسل عمرو بن هندٍ إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمه أمه، فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تغلب، وأقبلت ليلى بنت مهلهلٍ في ظغنٍ من بني تغلب، وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه مملكته فحضروا، وأتاه عمرو بن كلثوم في وجوه بني تغلب، فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقة، ودخلت ليلى بنت مهلهلٍ أم عمرو بن كلثوم على هندٍ في قبةٍ في جانب الرواق، وهندٌ أم عمرو ابن هند عمة امرىء القيس الشاعر، وليلى بنت مهلهل أم عمرو بن كلثوم هي بنت أخي فاطمة بنت ربيعة أم امرىء القيس، وقد كان أمر عمرو ابن هند أمه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطرف، وتستخدم ليلى، فدعا عمرو بن هند بمائدةٍ فنصبها، فأكلوا، ثم دعا بالطرف، فقالت هند: يا ليلى ناوليني ذلك الطبق! فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فأعادت عليها وألحت، فصاحت ليلى: واذلاه! يا لتغلب! فسمعها عمرو بن كلثومٍ فثار الدم في وجهه، ونظر إلى عمرو بن هند، فعرف الشر في وجهه، فقام إلى سيف لعمرو بن هند معلقٍ بالرواق، وليس هناك سيفٌ غيره، فضرب به رأس عمرو بن هندٍ حتى قتله، ونادى في بني تغلب، فانتهبوا جميع ما في الرواق، وساقوا نجائبه، وساروا نحو الجزيرة، ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم:

بأَىِّ مَشيَّةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ ... تُطِيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدَرِينَا

تَهَدَّدْنَا وأَوْعِدْنا رُوَيْداً ... مَتَى كُنَّا لأُمَّكَ مُقْتَوِينَا

وقال الفرزدق لجريرٍ:

ما ضَرَّ تَغْلِبَ وائلٍ أَهَجَوْتَها ... أَم بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَان

قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ابنَ هِنْدٍ عَنْوَةً ... عمْراً وهُمْ قَسَطُوا على النُّعْمان

وقال أفنون التغلبي:

لَعَمْرُكَ ما عَمْرُو بنَ هِنْد إِذَا دَعَا ... لِيُخْدِمَ أُمِّى أُمَّهُ بِمُوَفَّقِ

ويقال إن أخاه مرة بن كلثوم هو قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر، وفي ذلك يقول الأخطل:

أَبَنِى كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّىَّ اللَّذَا ... قَتَلاَ المُلُوكَ وفَكَّكَا الأَغْلاَلاَ

يعني بعميه عمراً ومرة ابني كلثومٍ.

وعمرو بن كلثوم هو القائل:

أَلاَ هُبِّى بصَحْنِك فاصْبَحِينَا

وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند، وهي من جيد شعر العرب القديم، وإحدى السبع.

ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها قال بعض الشعراء:

أَلْهَى بَنِى تَغْلِبٍ عَنْ كلّ مَكْرُمَةٍ ... قَصيدَةٌ قالها عمروُ بن كُلْثُومِ

يُفاخِرُونَ بها مُذْ كان أَوَّلُهُمْ ... يا لَلرِّجالِ لِفَخْرٍ غَيْرِ مَسْؤُومِ

وابنه عباد بن عمرو بن كلثوم هو قاتلٌ بشر بن عمرو بن عدس، ولعمرو بن كلثوم عقبٌ، منهم العتابي الشاعر المشهور، واسمه كلثوم بن عمرو، ويكنى أبا عمروٍ، وكان كاتباً مجيداً في الرسائل وشاعراً مجيداً.

أبو دؤاد الإيادي

قال أبو محمد: اختلفوا في اسمه، فقال بعضهم: هو جارية ابن الحجاج، وقال الأصمعي: هو حنظلة بن الشرقي، وكان في عصر كعب بن مامة الإيادي، الذي آثر بنصيبه من الماء رفيقه النمري فمات عطشاً، فضرب به المثل في الجود، وبلغه عنه شيءٌ فقال:

وأَتَاني تَقْحِيمُ كَعْب إلى المنْ ... طقِ إِنَّ النَّكيثَةَ الإِقْحَامُ

في نظامٍ ما كُنْتُ فيه فلا يَحْ ... زُنْكَ قَوْلٌ لكُلِّ حَسْناء ذَامُ

ولَقَد رابني ابْنُ عَمِّىَ كَعْبٌ ... إِنَّه قد يَرُومُ ما لا يُرَامُ

غَيْرُ ذَنْبٍ بنى كنانَة منِّى ... إنْ أُفَارِقْ فإِنَّني مجْذَامُ

وكان بعض الملوك أخافه، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره فأحسن إليه، فضرب المثل بجار أبي دؤاد، قال طرفة:

إني كَفَانِيَ منْ هَمٍّ هَمَمْتُ به ... جارٌ كجارِ الحُذَاقِيِّ الَّذِي انْتَصَفَا

والحذاقي هو أبو دؤاد، وحذاق قبيلةٌ من إياد.

ويقال إنما أجاره الحرث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وذلك أن قباذ سرح جيشاً إلى إياد فيهم الحرث بن همام، فاستجار به قومٌ من إياد فيهم أبو دؤاد فأجارهم.

وكان أبو عبيدة يذكر أن جار أبي دؤاد هو كعب بن مامة، وأنشد لقيس بن زهير بن جذيمة في ربيعة بن قرط:

أُحاوِلُ ما أُحاوِلُ ثم آوِي ... إلى جار كجار أَبِي دؤادِ

وهو أحد نعات الخيل المجيدين. قال الأصمعي: هم ثلاثة، أبو دؤاد في الجاهلية، وطفيلٌ والنابغة الجعدي.

قال: والعرب لا تروي شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد، وذلك لأن ألفاظهما ليست بنجدية.

وقيل للحطيئة من أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول:

لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْماً ولكِنْ ... فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِئْتُهُ الإِعْدَامُ

مِنْ رجال من الأَقارِبِ فَادُوا ... من حُذَاق هُمُ الرُّؤُوس الكِرَامُ

فيهِم لِلْمُلاَيِنِينَ أَنَاةٌ ... وعُرَامٌ إِذَا يُرَادُ العُوَامُ

فَعَلى إِثْرَهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي ... حَسَرَاتٍ وذِكْرُهُمْ لي سَقَامُ

وهذه القصيدة أجود شعره، ويستجاد منها قوله في صفة إبله:

إِبِلِي الإِبْلُ لا يُحَوِّزُها الرَّا ... عُونَ مَجُّ النَّدَى عليها المُدَامُ

سَمِنَتْ فاسْتَحَشَّ أَكْرُعُهَا لا ال ... نَّيُّ نَيٌّ ولا السَّنَامُ سَنَامُ

فإِذا أَقْبَلَتْ تَقُولُ إِكامٌ ... مُشْرِفَاتٌ بَيْنَ الإِكامِ إِكامُ

وإِذا أَعْرَضتْ تَقُولُ قُصُورٌ ... من سَمَاهِيجَ فَوْقَها آطَامُ

وإِذا ما فَجِئْتَها بَطْنَ غَيْثٍ ... قُلْتَ نَخْلٌ قد حانَ منها صِرَامُ

فَهْيَ كالبَيْضِ في الأَدَاحِيِّ ما يُو ... هَبُ منها لِمُسْتَتِمٍّ عِصَامُ

ومما يتمثل به من شعره قوله:

أَكُلَّ امْرِىءٍ تَحْسِبِينَ امْرَءًا ... ونَاراً تَحَرَّقُ باللَّيْلِ نَارَا

وقوله:

الماءُ يَجْرِى ولا نِظَامَ لَهُ ... لو وَجَدَ الماءُ مَخْرَقاً خَرَقَهْ

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

تَرَى جارنَا آمِناً وَسْطَنَا ... يَرُوحُ بعَقْدِ وَثيقِ السَّبَبْ

إِذَا ما عَقَدنا له ذِمَّةً ... شَدَدْنا العِنَاجَ وعَقْدَ الكَرَبْ

أخذه الحطيئة فقال:

قَومٌ إذا عَقَدُوا عَقْداً لجارِهِمُ ... شَدُّو العِنَاجَ وشَدوا فَوْقَهُ الكَرَبَا

حاتم بن عبد الله الطائي

هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج من طيءٍ وأمه عتبة بنت عفيفٍ من طيءٍ.

وكان جواداً شاعراً جيد الشعر، وكان حيث ما نزل عرف مترله، وكان ظفراً إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح سبق، وإذا أسر أطلق.

ومر في سفره على عترة، وفيهم أسيرُ، فاستغاث به الأسير، ولم يحضره فكاكه، فاشتراه من العتريين، وأقام مكانه في القد حتى أدى فداءه، وقسم ماله بضع عشرة مرةً، وكان أقسم بالله لا يقتل واحد أمه.

قال أبو عبيدة: أجواد العرب ثلاثةٌ: كعب بن مامة، وحاتم طيءٍ وكلاهما ضرب به المثل، وهرم بن سنان صاحب زهير.

وكانت لحاتمٍ قدورٌ عظام بفنائه، لا تترل عن الأثافي وإذا أهل رجبٌ نحر كل يوم وأطعم.

وكان أبوه جعله في إبل له وهو غلام، فمر به عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني، وهم يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثة من إبله، وهو لا يعرفهم، ثم سألهم عن أسمائهم، فتسموا له ففرق فيهم الإبل كلها، وبلغ أباه ما فعل، فأتاه فقال له: ما فعلت الإبل؟ فقال: يا أبه، طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة، وأخبره بما صنع، فقال له أبوه: إذاً لا أساكنك أبداً ولا أوويك، قال حاتم: إذاً لا أبالي، فاعتزله.

وكانت أمه عنبة لا تليق سيئاً سخاء وجوداً، وكان إخوتها يمنعونها من ذلك فتأبى عليهم، وكانت موسرةً، فحبسوها في بيتٍ سنةً يرزقونها قوتاً، لعلها تكف عما كانت عليه إذا ذاقت طعم البؤس وعرفت

فضل الغنى، ثم أخرجوها ودفعوا إليها صرمةً من مالها، فأتتها امرأةٌ من هوازن فسألتها، فقالت لها: دونك الصرمة، فقد، والله، مسني من الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلا شيئاً! ثم أنشأت تقول:

فقُولا لهذا اللّائمى الآنَ أعْفِنى ... وإنْ أَنْتَ لم تَفْعَل فعَضّ الأَصابِعَا

ولاَ ما تَرَوْنَ اليَوْمَ إلاَّ طَبِيعَةً ... فكَيْفَ بتَرْكِى يا ابنَ أُرمَّ الطّبائِعَا

قال عدي بن حاتم: كان حاتم رجلاً طويل الصمت، وكان يقول: إذا كان الشيء يكفيكه الترك فاتركه.
وقالت النوار امرأته: أصابتنا سنةٌ اقشعرت لها الأرض، واغبر أفق السماء، وراحت الإبل حدباً حدابير، وضنت المراضع عن أولادها فما تبض بقطرة، وجلفت السنة المال، وأيقنا أنه الهلاك، فوالله إني لفي ليلة صنبرٍ بعيدةٍ ما بين الطرفين، إذ تضاغى أصيبيتنا من الجوع، عبد الله وعدي وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين، وقمت إلى الصبية، فوالله ما سكنوا إلا بعد هدأةٍ من الليل، ثم ناموا ونمت أنا معه، وأقبل يعللني بالحديث، فعرفت ما يريد، فتناومت، فلما تهورت النجوم إذا شيء قد رفع كسر البيت، فقال: من هذا؟ فولى ثم عاد، فقال: من هذا؟ فولى ثم عاد في آخر الليل، فقال: من هذا؟ فقالت: جارتك فلانة، أتيتك من عند أصيبية يتعاوون عواء الذئاب من الجوع، فما وجدت معولا إلا عليك أبا عدي، فقال: والله لأشبعنهم، فقلت: من أين؟ قال: لا عليك، فقال: أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل ابنين ويمشي جانبيها أربعةٌ، كأنها نعامة حولها رئالها، فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمديته، فخر، ثم كشطه، ودفع المدية إلى المرأة فقال: شأنك الآن، فاجتمعنا على اللحم، فقال: سوأةً أتأكلون دون الصرم؟ ثم جعل يأتيهم بيتاً بيتاً ويقول، هبوا أيها القوم، عليكم بالنار، فاجتمعوا، والتفع بثوبه ناحيةً ينظر إلينا، لا والله ما ذاق منه مزعةً، وإنه لأحوج إليه منا، فأصبحنا وما على الأرض من الفرس، إلا عظمٌ أو حافر، فعذلته على ذلك، فأنشأ حاتمٌ يقول:

مَهْلاً نَوَارُ أَقِلِّى اللَّوْمَ والعَذَلاَ ... ولا تَقُولى لِشيءٍ فاتَ ما فَعَلاَ

ولا تَقُولِى لمالٍ كُنْتُ مُهْلِكَهُ ... مهْلا وإن كُنْتُ أُعْطِى الجِنَّ والخَبَلاَ

يَرَى البَخِيلُ سَبيلَ المالِ واحدَةً ... إنَّ الجَوَادَ يَرَى في ماله سُبُلاَ

لا تَعْذُلِينَى في مالٍ وَصَلْتُ به ... رِحْماً وخَيْرُ سَبيلِ المالِ ما وَصَلاَ

وأتى حاتم ماوية بنت عفزرٍ يخطبها، فوجد عندها النابغة الذبياني ورجلاً من النبيت يخطبانها، فقالت لهم: انقلبوا إلى رحالكم، وليقل كل رجلٍ منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإني متزوجةٌ أكرمكم وأشعركم، فانطلقوا، ونحر كل رجل منهم جزوراً، ولبست ماوية ثياباً لأمةٍ لها واتبعتهم، فأتت النبيتي فاستطعمته، فأطعمها ذنب جزوره، فأخذته وأتت النابغة فأطعمها مثل ذلك، فأخذته، وأتت حاتماً وقد

نصب قدوره فاستطعمته، فقال: انتظري حتى تبلغ القدر إناها، فانتظرت حتى بلغت، فأطعمها أعظماً من العجز وقطعةً من السنام وقطعةٌ من الحارك، ثم انصرفت وأهدى إليها النابغة والنبيتي ظهري جزوريهما، وأهدي إليها حاتم مثل ما أهدى إلى امرأة من جاراته، وصبحوها، فاستنشهدتهم، فأنشدها النبيتي:

هَلاَّ سَأَلتِ هَداكِ اللهُ ما حَسَبِى — عِنْدَ الشِّتَاءِ إِذَا ما هَبَّتِ الرِّيحُ

ورَدَّ جازِرُهُمْ حَرْفاً مُصرَّمَةً — في الرَّأسِ وفي الأَنْقَاءِ تَمْلِيحُ

إِذَا اللقِّاحُ غدَتْ مُلْقَى أَصِرَّتُهَا — ولاَ كَرِيمَ مِنَ الوِلْدَانِ مَصْبُوحُ

ثم استنشدت النابغة فأنشدها:

هَلاَّ سَأَلْتِ بنى ذُبْيَانَ ما حَسَبِى — إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأَشْمطَ البَرَمَا

وهَبَّتِ الريحُ من تِلقَاءِ ذي أُرُلٍ — تُزْجِى مَعَ الصُّبْحِ مِنْ صُرَّادِها صِرَمَا

إنِي أُتَمِّمُ أَيْسَارِى وأَمْنَحُهُمْ — مَثْنَى الأَيَادِي وأَكْسُو الجفْنَةَ الأُدُمَا

ثم استنشدت حاتماً فأنشدها:

أَماوِىَّ إِنَّ المالَ غادٍ ورائِحٌ — ويَبْقَى من المالِ الأَحاديثُ والذَّكْرُ

أَماوِىّ إنِي لا أَقُولُ لسائِلٍ — إِذَا جاءَ يَوْماً حَلَّ في مالِنا نَذْرُ

أَماوِىَّ إِمَّا مانِعٌ فمُبَيِّنُ — وإِمَّا عَطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

أَماوِىَّ ما يُغْنِى الثَّرَاءُ عن الفَتَى — إِذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضاقَ بها الصَّدْرُ

أَماوِىَّ إِنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ — من الأَرضِ لا ماءٌ لَدَىَّ ولا خَمْرُ

تَرَىْ أَنَّ ما أَنْفَقْتُ لم يَكُ ضَرَّنِى — وأَنَّ يَدِي ممَّا بَخِلْتُ به صِفْرُ

وقد عَلِيمَ الأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حاتِماً — أَرَادَ ثَرَاءَ المالِ كان له وَفْرُ

فلما فرغ من إنشاده، دعت ماوية بالغداء فقدم إلى كل رجلٍ ما كان أطعمها، فنكس النبيتي والنابغة رؤوسهما، فلما رأى حاتم ذلك رمى بالذي قدم إليهما، وأطعمهما مما قدم إليه، فتسللا لواذاً، فتزوجت حاتماً. وفيها يقول:

وإِني لَمزْجَاءُ المَطِيِّ على الوَجَى — وما أنا من خُلاَّنِكِ ابْنَةَ عَفزَرَ

فلا تَسْأَلِينى واسْأَلِى أَيُّ فارِسٍ — إِذَا الخيْلُ جالَتْ في قَناً قد تَكَسَّرَا

وإِني لَوَهَّابٌ قُطُوعِى وناقَتِى — إِذَا ما انْتَشَيْتُ والكُمَيْتَ المُصَدَّرَا

وإني كأَشْلاَءِ اللِّجَامِ ولَن تَرَىْ أَخَا الحَرْبِ إلاَّ ساهِمَ الوَجْهِ أَغْبَرَا

أَخُو الحَرْبِ إنْ عَضتَّتْ به الحَرْبُ عَضَّها وإنَّ شَمَّرَتْ يَوْماً به الحَرْبُ شَمَّرَا

وكانت من بنات ملوك اليمن، ويقال إن عدي بن حاتم منها، ويقال: بل عدي وعبد الله وسفانة من النوار، وعقب حاتمٍ من ولد عبد الله، وليس لعدي عقبٌ من الذكور.

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

إذا كان بَعْضُ المال رَبّاً لأَهْلِهِ فإنى بحَمدِ اللهِ ما لي مُعَبَّدُ

أخذه حطائط بن يعفر، فقال:

ذَرِينِى أَكُنْ للمالِ ربّاً ولا يَكُنْ لِىَ المالُ رَبّاً تَحْمَدى غبَّه غدَا

أَرِينِى جوَاداً مات هَزْلا لَعَلَّنى أَرَى ما تَرَيْنَ أَو بَخيلا مُخَلَّدَا

ويستحسن له قوله:

أَلاَ أَبْلغَا وَهْمَ بن عَمْرو رسالةً فإنَّكَ أَنْتَ المَرْءُ بالخَيْر أَجْدَرُ

رَأَيْتُكَ أَدْنَى من أُناسٍ قَرَابَةً وغَيْرَكَ منهم كُنْتُ أَحْبُو وأَنْصُرُ

إذَا ما أَتَى يَوْمٌ يُفرقُ بَيْنَنَا بموْتٍ فكُنْ أَنْتَ الَّذى يَتأَخَّرُ

ومن شعره:

فإِنَّك إنْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سؤْلَهُ وفَرْجَكَ نَالاَ مُنْتَهَى الذَّمَّ أَجْمَعَا

وتكر طيءٌ أن رجلا يعرف بأبي خيبري مر بقبر حاتمٍ، فترل به، وبات يناديه: يا أبا عدي اقر أضيافك! فلما كان في السحر وثب أبو خيبري يصيح: وارحلتاه! فقال له أصحابه: ما شأنك؟ فقال: خرج والله حاتمٌ بالسيف حتى عقر ناقتي وأنا أنظر إليه، فنظروا إلى راحلته فإذا هي لا تنبعث، فقالوا: قد والله قراك، فنحروها وظلوا يأكلون من لحمها، ثم أردفوه وانطلقوا، فبيناهم كذلك من مسيرهم، طلع عليهم عدي ابن حاتم ومعه جملٌ أسود قد قرنه ببعيره، فقال: إن حاتماً جاءني في المنام فذكر لي شتمك إياه، وأنه قراك وأصحابك راحلتك، وقد قال في ذلك أبياتاً ورددها علي حتى حفظتها:

أَبَا خَيْبَرِىٍّ وأَنْتَ امْرُؤٌ حَسُودُ العَشِيرَةِ لَوَّامُهَا

فماذا أَرَدْتَ إلى رِمَّةٍ بدَاوِيَّةٍ صَخِبٍ هامُهَا

تُبَغِّى أَذَاها وإِعْسارَها وحَوْلَكَ عَوْفٌ وأَنْعَامُها

وأمرني بدفع جملٍ مكانها إليك، فخذه، فأخذه.

عنترة بن شداد العبسي

هو عنترة بن عمرو بن شداد بن عمرو بن قراد بن مخزوم ابن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض.

وقال ابن الكلبي: شدادٌ جده أبو أبيه، غلب على اسم أبيه فنسب إليه، وإنما هو عنترة بن عمرو بن شداد، وقال غيره: شداد عمه، وكان عنترة نشأ في حجره، فنسب إليه دون أبيه.
وإنما ادعاه أبوه بعد الكبر، وذلك أنه كان لأمةٍ سوداء يقال لها زبيبةٌ، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أمة استعبده، وكان لعنترة إخوةٌ من أمه عبيدٌ، وكان سبب ادعاء أبي عنترة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بني عبس، فأصابوا منهم، فتبعهم العبسيون، فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم: وعنترة فيهم، فقال له أبوه: كر يا عنترة! فقال عنترة: العبد لا يحسن الكر، إنما يحسن الحلاب والصر فقال: كر وأنت حرٌّ، فكر وهو يقول:

كُلُّ امْرِىءٍ يَحْمِى حِرَهْ ... أَسْوَدَهُ وأَحْمَرَهْ
والوارِدَاتِ مِشْفَرَهْ

وقاتل يومئذ فأبلي، واستنقذ ما كان بأيدي عدوهم من الغنيمة فادعاه أبوه بعد ذلك، وألحق به نسبه.
وهو أحد أغربة العرب، وهم ثلاثة: عنترة، وأمه زبيبة، سوداء، وخفاف بن عمير الشريدي، من بني سليم، وأمه ندبة، وإليها ينسب، وكنت سوداء والسليك بن عميرٍ السعدي، وأمه سلكة، وإليها ينسب، وكانت سوداء.
وكان عنترة من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة، حتى سابه رجلٌ من بني عبس، فذكر سواده وسواد أمه وإخوته، وعيره بذلك، وبأنه لا يقول الشعر، فقال له عنترة: والله إن الناس ليترافدون بالطعمة، فما حضرت مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط، وإن الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم، فما رأيناك في خيلٍ مغيرة في أوائل الناس قط، وإن اللبس ليكون بيننا، فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة فيصل، وإنما أنت فقعٌ نبت بقرقرٍ، وإني لأحتضر البأس، وأوفى المغنم، وأعف عن المسألة، وأجود بما ملكت يدي، وأفصل الخطة الصمعاء، وأما الشعر فستعلم، فكان أول ما قال قصيدةً:

هَلْ غادَرَ الشُّعَراءُ من مُتَرَدَّمِ

وهي أجود شعره، وكانوا يسمونها المذهبة.

وكان عنترة قد شهد حرب داحس والغبراء، فحسن فيها بلاؤه، وحمدت مشاهده.

قال أبو عبيدة: إن عنترة بعد ما تأوت عبسٌ إلى غطفان بعد يوم جبلة، وحملت الدماء، احتاج، وكان صاحب غارات، فكبر فعجز عنها، وكان له بكرٌ على رجلٍ من غطفان، فخرج قبله يتجازاه فهاجت رائحةٌ من صيفٍ، وهبت نافحةٌ، وهو بين شرجٍ وناظرة، فأصابت الشيخ فهرأته، فوجدوه ميتاً بينهما.

قال أبو عبيدة: وهو قتل ضمضماً المري، أبا حصين بن ضمضمٍ وهرم بن ضمضمٍ، في حرب داحسٍ والغبراء، وفي ذلك يقول:

وَلَقَدْ خَشِيتُ بأَنْ أَمُوتَ ولم تَدُرْ ... للحَرْبِ دائِرَةٌ على ابْنَى ضَمْضَمَ

الشاتِمَىْ عِرْضِى ولم أَشْتُمْهُما ... والناذِرَيْنِ إِذَا لَمَ الْقَهُما دَمى

إِنْ يَفْعَلاَ فلقدْ تَرَكْتُ أباهما ... جَزَرَ السباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

ومما سبق إليه و لم ينازع فيه قوله:

وخَلاَ الذُّبابُ بها فليس ببارِحٍ ... غَرِداً كفِعْلِ الشارِبِ المُتَرِّنِمِ

هَزِجاً يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بذِرَاعِهِ ... فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ

وهذا من أحسن التشبيه.

وقوله:

وإِذَا شَرِبْتُ فإِنَّنِى مُسْتَهْلِكٌ ... مالي وعِرْضِي وافِرٌ لم يُكْلَمِ

وإِذَا صَحَوْتُ فما أُقَصِّرُ عن نَدًى ... وكما عَلِمْتِ شَمَائِلى وتَكَرُّمى

ومن ذلك قوله:

إني امْرُؤٌ منْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْرِى وأَحْمِى سائِرِي بالمُنْصُلِ

وإِذَا الكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وتلاحَظَتْ ... أُلْفِيتُ خَيْراً من مُعَمٍّ مُخْوِلِ

يقول: النصف من نسبي في خير عبس، وأحمي النصف الآخر، وهو نسبه في السودان، بالسيف، فأشرفه أيضاً.

ومن حسن شعره قوله:

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنى الحُتُوفَ كأَنَّنى ... أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ

فأَجَبْتُها إِنَّ المَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ... لا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بذاكِ المَنْهَلِ

فاقْنَىْ حَياءَكِ لا أَبالَكِ واعْلَمِى أَنى امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إن لَّم أُقْتَلِ
إنَّ المَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلِى إِذَا نَزَلُوا بضَنْكِ المَنْزِلِ

ومن إفراطه قوله:

وأَنَا المَنيَّةُ في المَواطِنِ كُلَّها والطَّعْنُ مِنى سابِقُ الآجالِ

وفي هذه يفخر بأخواله من السودان يقول:

إنِى لَتُعَرفَ في الحُرُوبِ وَاطِنِى في آلِ عَبْسٍ مَشْهَدِي وفَعَالِي
منهم أَبى حَقّاً فهُمْ لي والِدٌ والأُمُّ من حامٍ فهُمْ أَخْوالى

الأسود بن يعفر

جاهلي هو من بني حارثة بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم، ويكنى أبا الجراح، وكان أعمى، ولذلك قال:

ومِنَ الحَوَادِثِ لا أَبا لَكِ أَنَّنى ضُرِبَتْ عليَّ الأَرضُ بالأَسْدَادِ
لا أَهْتَدى فيها لمَدْفَعِ تَلْعَة بَيْنَ العُذَيْبِ وبَيْنَ أَرْضِ مُرَادِ

وفيها يقول:

ماذَا أُؤَمِلُ بعد آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا منازِلَهم وبَعْدَ إيَادِ
أَهْلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقً والقَصْرِ ذي الشُّرُفَاتِ من سَنْدَادِ
نَزَلُوا بأَنْقِرَةٍ يَسِيلُ عليْهِمُ ماءُ الفُراتِ يَجِئُ من أَطْوَادِ
أَرْضٌ تَخَيَّرَها لِطيبِ مَقِيلِها كَعْبُ بنُ مَامَةَ وابنُ أُمِّ دُوَادِ
جرَتِ الرِّيَاحُ على مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فكأَنما كانوا على مِيعَادِ
فأَرَى النَّعِيمَ وكُلَّ ما يُلْهَى به يَوْماً يَصِيرُ إلى بِلًى ونَفَادِ

وسمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلاً يتمثل بالبيت الأخير، فقال:

كم تَرَكُوا من جَنَّات وعُيُون

وكان له أخٌ يقال له حطائطٌ وهو القائل:

أَرِيني جَوَدًا مات هَزْلا لَعَلَّنى أَرَى ما تَرَيْنَ أَو بَخِيلا مُخَلَّدَا

ولا عقب للأسود ولا لأخيه حطائط.

وكان الأسود ممن يهجو قومه، قال:

أَحقًّا بَنِى أَبْناءِ سَلْمَى بن جَنْدَل	وَعِيْدُكُمُ إِيّاىَ وَسْطَ المَجالِسِ

الأعشى ميمون بن قيس

هو من سعد بن ضبيعة بن قيس، وكان أعمى، ويكنى أبا بصير، وكان أبوه قيسٌ يدعى قتيل الجوع، وذلك أنه كان في جبل فدخل غاراً فوقعت صخرة من ذلك الجبل، فسدت فم الغار، فمات فيه جوعاً. وكان جاهلياً قديماً، وأدرك الإسلام في آخر عمره، ورحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم، فقيل له: إنه يحرم الخمر والزنا، فقال: أتمتع منهما سنةً ثم أسلم! فمات قبل ذلك بقرية باليمامة، وقالوا: إن خروجه يريد النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، فسأله أبو سفيان بن حربٍ عن وجهه الذي يريد؟ فقال: أريد محمداً، فقال أبو سفيان: إنه يحرم عليك الخمر والزنا والقمار، فقال: أما الزنا فقد تركني و لم أتركه، وأما الخمر فقد قضيت منها وطراً، وأما القمار فلعلي أصيب منه خلفاً، قال: فهل لك إلى خيرٍ؟ قال: وما هو؟ قال: بيننا وبينه هدنةٌ، فترجع عامك هذا وتأخذ مائة ناقةٍ حمراء، فإن ظهر بعد ذلك أتيته، وإن ظفرنا به كنت قد أصبت عوضاً من رحلتك، فقال: لا أبالي، فانطلق به أبو سفيان إلى مترله، وجمع إليه أصحابه، وقال: يا معشر قريش! هذا أعشى قيس، وقد علمتم شعره، ولئن وصل إلى محمد ليضربن عليكم العرب قاطبةً بشعره، فجمعوا له مائة ناقة حمراء، فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بعيره فقتله.

ويسمى صناجة العرب لأنه أول من ذكر الصنج في شعره فقال:

ومُسْتَجِيبٍ لصَوْتِ الصَّنْجِ تَسْمَعُه	إِذَا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضلُ

شبه العود بالصنج.

وكان للأعشى يفد على ملوك فارس، ولذلك كثرت الفارسية في شعره، كقوله:

فلأَشْرَبَنَّ ثَمانِياً وثَمانياً	وثَمانَ عَشْرَةَ واثْنَتَيْنِ وأَرْبَعَا

مِن قَهْوَةَ باتَتْ بفارِسَ صَفْوَةً	تَدَعُ الفَتَى مَلِكاً يَمِيلُ مُصَرَّعَا

بالجُلَّسانِ وطَيبٍ أَرْدَانُهُ	بالوَن يَضْرِبُ لي يَكُرُّ الإصبَعَا

والناىَ نَرْمِ وبَرْبَطٍ ذي بُحَّةٍ	والصَّنْجُ يَبْكى شَجْوَهُ أَنْ يُوضَعَا

وسمعه كسرى يوماً ينشد، فقال: من هذا؟ فقالوا: اسروذ كويذتازي، أي مغني العرب، فأنشد:

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المُؤَرِّقُ   وما بيَ من سُقْمٍ وما بىَ مَعْشَقُ

فقال كسرى: فسروا لنا ما قال! فقالوا: ذكر أنه سهر من غير سقمٍ ولا عشق! فقال كسرى: إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص! وكان يفد أيضاً على ملوك الحيرة، ويمدح الأسود بن المنذر، أخا النعمان وفيه يقول في قصيدته:

ما بُكَاءُ الكَبيرِ بالأَطْلالِ

أَنْتَ خَيْرٌ من أَلْفِ مِنَ النَّا   سِ إِذا ما كبَتْ وُجُوهُ الرِّجالِ

وقال له النعمان بن المنذر: لعلك تستعين على شعرك هذا؟ فقال له الأعشى: احبسني في بيت حتى أقول: فحبسه في بيتٍ، فقال قصيدته التي أولها:

أَأَزْمعْتَ من آلِ لَيْلَى ابتِكارَا   وشَطَّتْ على ذي هَوًى أَنْ تُزَارَا

وفيها يقول:

وقَيَّدَنِى الشِّعْرُ في بَيْتِهِ   كما قَيَّدَ الآسرَاتُ الحِمَارَا

قال حمادٌ الراوية: حدثني سماكٌ عن عبيد راوية الأعشى عن الأعشى، قال: قدمت على النعمان فأنشدته:

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كان كَلالُها   تَرَوحُ مع اللَّيْلِ التِّمامِ وتغْتَدِى

حتى أتيت على آخرها، فخرج إلى ظهر النجف، فرأيته قد اعتم بنباته، من بين أحمر وأصفر وأخضر، وإذا فيه من هذه الشقائق شيءٌ لم أر مثله، فقال: ما أحسن هذه الشقائق! احموها فحموها، فسمي شقائق النعمان بذلك.

قال: وحدثني الرياشي عن مؤرجٍ عن شعبة عن سماك عن عبيدٍ راوية الأعشى، قال: قلت للأعشى: ماذا أردت بقولك:

ومُدامَةٍ مِمّا تُعَتِّقُ بابِلٌ   كَدَمِ الذَّبيحِ سَلَبْتَهَا جِرْيَالَهَا

قال: شربتها حمراء وبلتها بيضاء، والجريال: اللون.

وكان عبيدٌ هذا يصحب الأعشى ويروى شعره، وكان عالماً بالإبل، وله يقول الأعشى في ذكر الناقة:

لم تُعَطَّفْ على حُوَارٍ ولم يَقْ   طَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَهَا من خُمَالِ

ولما قال الأعشى في علقمة بن علاثة:

عَلْقَمَ ما أَنْتَ إِلى عامِرٍ   الناقِضِ الأَوْتَارِ والواتِرِ

نذر علقمة دمه، فخرج الأعشى يريد وجهاً، فأخطأ به دليله، فألقاه في ديار بني عامر بن صعصعة، فأخذه رهط علقمة فأتوه به، فقال:

أَعَلْقَمَ قد صَيَّرَتْنِى الأُمورُ إِلَيْكَ وما أَنْتَ لي مُنْقِصُ

فهَبْ لي ذُنُوبى فَدَتْكَ النفُوسُ ولا زِلْتَ تَنْمِى ولا تَنْقُصُ

في أبيات فعفا عنه فقال الأعشى ينقض ما قال أولا:

عَلْقَمَ يا خَيْرَ بنى عامِرٍ للضَّيْفِ والصاحِبِ والزائِرِ

والضَّاحِكَ السِّنِّ على هَمِّهِ والغافِرَ العَثْرَةِ للعاثِرِ

قال أبو عبيدة: أسر رجلٌ من كلب الأعشى، فكتمه نفسه، وحبسه، واجتمع عند الكلبي شربٌ فيهم شريح بن عمرو الكلبي، فعرف الأعشى، فقال للكلبي: من هذا؟ فقال: خشاشٌ التقطته! قال: ما ترجو به ولا فداء له؟ خل عنه، فخلي عنه، فأطعمه شريحٌ وسقاه، فلما أخذ منه الشراب سمعه يترنم بهجاء الكلبي، فأراد استرجاعه فقال الأعشى:

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنِّى بَعْدَ ما عَلِقَتْ حِبَالُكَ اليَوْمَ بَعْدَ القدِّ أَظْفَارِى

كُنْ كالسَّمَوْأَلِ إِذْ طافَ الهُمَامُ به في جَحْفَلٍ كهَزِيعِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

بالأَبْلَقِ الفَرْدِ من تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ حِصْنٌ حَصِينٌ وجارٌ غَيْرُ غَدَّارِ

خَيَّرَهُ خُطَّتَىْ خَسْفٍ فقال له اعْرِضْهُمَا هكذَا أَسْمَعْهُمَا حَارِ

فقال ثُكْلٌ وغَدْرٌ أَنت بَيْنَهُمَا فاخْتَرْ وما فيهما حَظٌّ لمُخْتَارِ

فشَكَّ غَيْرَ طَوِيلٍ ثم قال له اُقْتُلْ أسِيرَكَ إني مانِعٌ جَارِى

وسَوْفَ يُعْقِبُنِيه إِنْ ظَفِرْتَ به رَبٌّ كَرِيمٌ وبِيضٌ ذاتُ أَطْهَارِ

فاخْتَارِ أَدراعَه أَن لاَّ يُسَبَّ بها ولم يَكُنْ عَهْدُهُ فيها بخَتَّارِ

قال أبو محمد: ذكر وفاء السموأل بن عادياء، في ما خلف عنده امرؤ القيس وأنه بذلك ابنه دون أمانته حتى قتل: وفي الأعشى يقول أبو كلبة وفي الأصم بن معبد من ولد الحرث ابن عباد، الذي قام بحرب بكر:

قُبِّحْتُمَا شاعِرَى حَيٍّ ذَوِى حَسَبِ وحُزَّ أَنْفَاكُمَا حزّاً بمنْشَارِ

أَعْنِى الأَصَمَّ وأَعْشَانَا إِذَا ابْتَدَرَا أَلاَّ اسْتَعَانَا على سمْعٍ وإِبْصَارِ

قال أبو عبيدة: الأعشى هو رابع الشعراء المتقدمين وهو يقدم على طرفة، لأنه أكثر عدد طوالٍ جيادٍ، وأوصف للخمر والحمر، وأمدح وأهجى، فأما طرفة فإنما يوضع مع الحرث بن حلزة، وعمرو بن كلثومٍ، وسويد بن أبي كاهل في الإسلام.

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

كأَنَّ نَعامَ الدَّوِّ بَاضَ عليهمُ   إِذَا رِيعَ يَوْماً للصَّرِيخ المُنَدَّرِ

وقال سلامة بن جندل، وهو جاهلي:

كأَنَّ نَعامَ الدَّوِّ بَاضَ عليهمُ   بِنَهْى القِذَافِ أَو بِنَهْيٍ مُخَفِّقِ

وقال زيد الخيل، وهو جاهلي:

كأَنَّ نَعامَ الدَّوِّ بَاضَ عليهمُ   وأَعْيُنُهم تَحْتَ الحَدِيدِ خَوَازِرُ

ويعاب الأعشى بقوله:

وقد غَدَوْتُ إلى الحانُوت يَتْبُعني   شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

وهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد.

ويعاب بقوله في ملك الحيرة:

ويَأْمُرُ لليَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ   بقَتٍّ وتَعْلِيقٍ فقد كاد يَسْنَقُ

واليحموم: فرسٌ، وقالوا: هذا مما لا يمدح به رجلٌ من خساس الجنود، لأنه ليس من أحدٍ له فرسٌ إلا وهو يعلفه قتاً ويقضمه شعيراً! وهذا مديحٌ كالهجاء.

قال أبو محمد: ولست أرى هذا عيباً، لأن الملوك تعد فرساً على أقرب الأبواب من مجالسها بسرجه ولجامه، خوفاً من عدو يفجؤها، أو أمر يترل، أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البدار إليها فلا يحتاج إلى أن يتلوم على إسراج فرسه وإلجامه، وإذا كان واقفاً غدى وعشى، فوضع الأعشى هذا المعنى، ودل به على ملكه وعلى حزمه.

ويستحسن له قوله في الخمر:

تُرِيكَ القَذَى مِن دُونها وهي دونَه   إِذَا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمطَّقُ

يريد: أنها من صفائها تريك القذاة عاليةً عليها والقذاة في أسفلها، فأخذ الأخطل المعنى فقال:

ولَقَدْ تُباكِرُني على لَذَّاتِها   صَهْباءُ عالِيَةُ القَذَى خُرْطُومُ

ولم تختلف الرواة في ألفاظ بيتٍ اختلافها في بيت له: وهو:

إني لَعَمْرُ الَّذي حَطَّتْ مَنَاسِمُها   تُحْدَى وسِيقَ إليها الباقِرُ العَثِلُ

رواه بعضهم خطت يريد: خطت التراب، ورواه بعضهم حطت أي اعتمدت في السير، وروى بعضهم تحدى وبعضهم تخدى وروى بعضهم الباقر العثل وهي الكثيرة، ورواه آخر الباقر الغيل وهي السمان ورواه آخر وجد عليها النافر العجل، يريد النفار من منًى.

وهو ممن أقر بالملكين الكاتبين في شعره، قال يمدح النعمان:

فلا تَحْسَبِّى كافراً لكَ نِعْمَةً   على شاهِدِى يا شاهِدَ اللهِ فاشْهَدِ

قوله على شاهدي يريد على لساني، يا شاهد الله يريد الملك الموكل به، وكان هذا من إيمان العرب بالملكين بقية من دين إسمعيل صلى الله عليه وسلم.

ويستحسن قوله في سكران:

فراحَ مَكِيثاً كأَنَّ الدَّبَا   يَدِبُّ على كُلّ عَظْمٍ دَبِيبَا

قال: وأحسن ما قيل في الرياض قوله:

ما روْضَةٌ من رِياضِ الحزْنِ مُعْشِبَةٌ   خَضْرَاءُ جَادَ عليها مسْبِلٌ هَطِلُ

يُضاحِكُ الشَّمْسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ   مَؤَزَّرٌ بَعمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ

يَوْماً بأَطْيَبَ منها نَشْرَ رائحةٍ   ولا بأَحْسَنَ منها إِذْ دَنَا الأُصُلُ

عبيد بن الأبرص الأسدي

هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحرث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وكان عبيد شاعراً جاهلياً قديماً من المعمرين وشهد مقتل حجر أبي امرىء القيس وهو القائل لامرىء القيس:

ياذاَ المُخَوَّفُنَا بقَتْ   لِ أَبيه إِذْلاً وحَينَا

أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قد قَتَلْ   تَ سَرَاتَنا كَذِباً ومَينَا

هَلاَّ على حُجْر بْنِ أُ   مِّ قَطَامِ تَبْكى لا عَلَيْنَا

إنَّا إِذَا عضَّ الثقا   فُ برَأْسِ صَعْدَتِنَا لَوَيْنَا

نَحْمِي حَقِيقَتَنَا وبَعْ   ضُ القَوْمِ يَسقُطُ بَيْنَ بَيْنَا

هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْ   دَةَ يَوْمَ ولَوْا أَيْنَ أَيْنَا

أَيَّامَ نَضْرِبُ هامَهُمْ ببوَاترٍ حتى انْحَنَيْنَا

وقتله النعمان بن المنذر يوم بوسه، ويقال إنه لقيه يومئذ وله أكثر من ثلاثمائة سنة، فلما رآه النعمان قال: هلا كان هذا لغيرك يا عبيد! أنشدني فربما أعجبني شعرك! فقال له عبيد: حال الجريض دون القريض، قال: أنشدني:

أَقْفرَ من أَهْلِه مَلْحُوبُ

فأنشده عبيدٌ:

أَقْفَرَ من أَهْلِه عَبيدُ فاليَوْمَ لا يُبْدِى ولا يُعِيدُ

فسأله: أي قتلة تختار؟ قال عبيدٌ: اسقني من الراح حتى أثمل، ثم افصدني الأكحل، ففعل ذلك به، ولطخ بدمه الغريين.

قال أبو محمد: الغريان طربالان كان يلطخهما بدماء القتلى يوم بؤسه وكان بناهما على نديمين له، وهما خالد بن نضلة الفقعسي وعمرو بن مسعود وهو موضعٌ معروف بالكوفة، يقال له الغريان.

وأجود شعره قصيدته التي يقول فيها:

أَقْفرَ من أَهْلِه مَلْحُوبُ

وهي إحدى السبع وفيها يقول:

وكُلُّ ذي نِعْمَةٍ مخلُوسُها وكلُّ ذي أَمَلٍ مَّكْذُوبُ

وكُلُّ ذِى إِبِلٍ مَوْرُثُها وكُلُّ ذي سَلَب مَسْلُوبُ

وكُلُّ ذي غَيْبَة يُؤُوبُ وغائبُ المَوْت لا يؤَوبُ

اِفْلَحْ بما شئْتَ فقد يُبْلَغُ بال ضَّعْفِ وقد يُخْدَعُ الأَريب

مَنْ يَسْأَلِ الناسَ يحْرِمُوهُ وسائلُ اللهِ لا يَخِيبُ

واللهُ لَيْسَ له شَرِيكٌ عَلاَّمُ ما أَخْفَتِ القُلُوبُ

لا يَعِظُ الناسَ مَن لم يَعِظْهُ ال دَّهْرُ ولا يَنْفَعث التَّلْبيبُ

ساعِفْ بأَرْضٍ إذَا كُنْتَ بها ولا تَقُلْ إِنَّنِى غريبُ

قد يُوصَلُ النازِحُ النَّائِى وقدْ يُقْطَعُ ذو السُّهْمَةِ القَرِيبُ

أَعَاقِرٌ مِثْلُ ذاتِ وُلْدِ أَمْ غانِمٌ مِثْلُ مَن يَخِيبُ

ومما يتمثل به من شعره قوله:

لَأَعْرِفَنَّكَ بَعْدَ اليَوْمِ تَنْدُبُنى		وفي حَيَاتَى ما زَوَّدْتَنى زَادى

بشر بن أبي خازم

هو من بني أسد، جاهلي قديمٌ، شهد حرب أسد وطيىءٍ، وشهد هو ابنه نوفل بن بشرٍ الحلف بينهما، قال أبو عمرو بن العلاء: فحلان من الشعراء كانا يقويان، النابغة وبشر بن أبي خازم، فأما النابغة فدخل يثرب فغني بشعره ففطن فلم يعد للإقواء وأما بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سوادة: إنك تقوي، قال: وما الإقواء؟ قال: قولك:

أَلَم تَرَ أَنَّ طُولَ الدَّهْرِ يُسْلِى		ويُنْسِى مِثْلَ ما نُسِيَتْ جُذَامُ

ثم قلت:

وكانوا قَوْمَنَا فبَغَوْا عَلَينْا		فسُقْنَاهُم إلى البَلَدِ الشَّآمِ

فلم يعد للإقواء.

ويعاب من شعره قوله في وصف فرس:

على كُلَّ ذي مَيْعَةٍ سابحٍ		يُقَطَّعُ ذو أَبْهَرَيْهِ الحِزَامَا

الأبهر: عرقٌ مكتنفٌ للصلب، وأراد بقوله ذو أبهريه جنبيه، فجعل الأبهر اثنين، وهو واحد، وكان الصواب أن يقول ذو أبهره والمعنى: أنه إذا انحط قطع حزامه لانتفاخ جنبيه، قال الآخر:

وللفُؤادِ وَجيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهري" وقال في سفينةٍ:

أُجَالِدُ صَفَّهُمْ ولَقَدْ أَرَانى		على زَوْرَاءَ تَسْجُدُ للرِّيَاحِ

إذا رَكِبَتْ بصاحِبِها خَلِيجاً		تَذَكَّرَ ما لَدَيْهِ من جُنَاحِ

ونَحْنُ على جوانِبِهَا قُعُودٌ		نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإبلِ القِمَاحِ

وهي الرافعة الرؤوس، والغض: الذل في الطرف.

وكان بشر في أول أمره يهجو أوس بن حارثة بن لأمٍ الطائي فأسرته بنو نبهان من طيىء فركب أوسٌ إليهم فاستوهبه منهم، وكان قد نذر ليحرقنه إن قدر عليه، فوهبوه له، فقالت له أمه سعدى: قبح الله

رأيك؟ أكرم الرجل وخل عنه، فإنه لا يمحو ما قال غير لسانه، ففعل، فجعل بشرٌ مكان كل قصيدة هجاءٍ قصيدة مدحٍ.

سلامة بن جندل

هو من بني عامر بن عبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زياد مناة بن تميمٍ، جاهلي قديم، وهو من فرسان تميم المعدودين، وأخوه أحمر بن جندلٍ من الشعراء والفرسان، وكان عمرو بن كلثومٍ أغار على حي من بني سعد بن زيد مناة، فأصاب منهم، وكان فيمن أصاب أحمرٌ بن جندلٍ.
وكان سلامة بن جندلٍ أحد من يصف الخيل فيحسن، وأجود شعره قصيدته التي أولها:

أَوْدَى الشَّبَابُ حَميداً ذو التَّعَاجِيبِ ... وَلَّى وذلك شَأْوٌ غَيْرُ مَطْلُوبِ
أَوْدَى الشَّبَابُ الذي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ ... فيه نَلَذُّ ولا لَذَّاتَ للشِّيبِ
ولَّى حَثيثاً وهذا الشَّيْبُ يتْبُعُه ... لَوْ كان يُدْرِكُهُ رَكْضَ اليَعَاقِيبِ

وهو القائل:

تقُولُ ابنَتِى إنَّ انْطِلاَقَكَ واحِداً ... إلى الرَوْعِ يوْماً تارِكِى لا أَبَالِيَا
ذَرِينى من الإشْفَاقِ أَو قدِّمي لنا ... مِنَ الحَدَثَانِ والمَنِيَّةِ وَاقِيَا
ستَتْلَفُ نَفْسِى أَو سَأَجْمَعُ هَجْمَةً ... تَرَى ساقِيَيْها يَأْلَمَانِ التَرَاقِيَا

لبيد بن ربيعة

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري. وكان يقال لأبيه ربيع المقترين لسخائه، وقتلته بنو أسدٍ في حرب بينهم وبين قومه، ويقال قتله منقذ بن طريف الأسدي ويقال قتله صامت بن الأفقم، من بني الصيداء، يقال ضربه خالد بن نضلة وتمم عليه هذا، وأدرك بثأره عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب أخوه، وذلك أنه قتل قاتله.
ويكنى لبيدٌ أبا عقيلٍ، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم.
وكان الحرث بن أبي شمرٍ الغساني، وهو الأعرج، وجه إلى المنذر ابن ماء السماء مائة فارسٍ وأمره عليهم، فصاروا إلى عسكر المنذر، وأظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته، فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم، فقتل أكثرهم، ونجا لبيدٌ، حتى أتى ملك غسان فأخبره الخبر، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم، وهو يوم حليمة، وكانت حليمة بن مالك غسان، وكانت طيبت هؤلاء الفتيان حين توجهوا،

وألبستهم الأكفان، والدروع وبرانس الإضريج.

وأدرك لبيدٌ الإسلام، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب، فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم، ثم قدم لبيدٌ الكوفة وبنوه، فرجع بنوه إلى البادية بعد ذلك، فأقام لبيد إلى أن مات بها، فدفن في صحراء بني جعفر بن كلاب، ويقال إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية، وأنه مات وهو ابن مائةٍ وسبع وخمسين سنةً.

و لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، واختلف في البيت، قال أبو اليقظان، هو:

الحَمْدُ للهِ إذْ لم يأْتِنى أَجَلِى حتَّى كَسَاني مِنَ الإسلامِ سِرْبالاَ

وقال غيره: بل هو قوله:

ما عاتَبَ المَرْءَ الكَريمَ كنَفسِه والمَرْءُ يُصلْحُهُ الجَلِيسُ الصالحُ

وقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنشدني من شعرك، فقرأ سورة البقرة، وقال: ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران، فزاده عمر في عطائه خمس مائة درهمٍ، وكان ألفين، فلما كان في زمن معاوية قال له معاوية: هذان الفودان فما بال العلاوة؟ يعني بالفودين الألفين، وبالعلاوة الخمس مائة، وأراد أن يحطه إياها، فقال: أموت الآن وتبقى لك العلاوة والفودان! فرق له معاوية وترك عطاءه على حاله، فمات بعد ذلك بيسيرٍ.

وكان لبيدٌ آلى في الجاهلية ألا تهب الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن، وألزمه نفسه في إسلامه، فخطب الوليد بن عقبة الناس بالكوفة يوم صباً، وقال: إن أخاكم لبيد آلى ألا تهب له الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن، وهذا اليوم من أيامه، فأعينوه وأنا أول من أعانه، ونزل فبعث إليه بمائة بكرةٍ، وكتب إليه:

أَرَى الجَزَّارَ يَشْحَذُ شَفْرَتَيْه إذَا هَبَّتْ رِياحُ أَبِى عَقِيل

أَشَمَّ الأَنْفِ أَصْيَدُ عامرِيٍء طَوِيلُ الباعِ كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ

وَفَى ابْنُ الجَعْفَرِىِّ بِحَلْفَتَيْه على العلاَّتِ والمالِ القَلِيل

بنَحْرِ الكُومِ إذْ سَحَبَتْ عليه ذُيُولَ صَبَاً تَجَاوَبُ بالأَصيلِ

فلما أتاه الشعر قال لابنته: أجيبيه فقد رأيتني وما أعيا بجواب شاعر، فقلت:

إذَا هَبَّتْ رِياحُ أَبِى عَقِيلٍ دَعْونا عند هَبَّتِها الوَلِيدَا

أَشَمَّ الأَنْفِ أَصْيَدَ عَبْشَمِياً أَعانَ على مُرُوءَتِه لبيدَا

بأَمْثالِ الهِضَابِ كأَنَّ رَكْباً عليها من بنى حَامٍ قُعُودا

أَبا وَهْبٍ جَزَاكَ اللهُ خَيْراً نَحَرْناها وأَطْعَمْنا الثرِيدَا
فعُدْ إنَّ الكَرِيمِ له مَعَادٌ وظَنِّى يا ابنَ أَرْوَى أَنْ تَعُودا

فقال له لبيدٌ أحسنت لولا أنك استطعمتيه قالت: إنه ملكٌ وليس بسوقةٍ، ولا بأس باستطعام الملوك.

وملاعب الأسنة هو عم لبيدٍ: واسمه عامر بن مالك، وسمي ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجرٍ:

ولا عَبَ أَطْرَافَ الأَسِنَّةِ عامرٌ فراحَ له حَظُّ الكَتِيبَةِ أَجْمَعُ

وكان ملاعب الأسنة أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية، ولما كبر عامرٌ وأهتر تنازع عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة الجعفريان في الرئاسة، حتى تنافرا إلى هرم بن قطبة بن سيارٍ الفزاري.

وأربد بن قيس الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم غادراً هو أخو لبيدٍ لأمه، وكان قدم عليه مع عامر بن الطفيل، فدعا الله عليه، فأصابته بعد منصرفه صاعقةٌ فأحرقته، ففيه قال لبيدٌ:

أَخْشَى على أَرْبَدَ الحُتُوفَ ولا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَدِ
فَجَّعَنِى الرَّعْدُ والصَّوَاعِقُ بالْ فارِسِ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ

ويقال فيه نزلت ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وفيه يقول وهو من جيد شعره:

بَلِينَا وما تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وتَبْقَى الجِبَالُ بَعْدَنَا
وقد كُنْتُ في أَكْنَافِ جارِ مَضَنَّةٍ ففارقَنِى جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ
فَلاَ جَزِعٌ إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَكُلُّ فَتًى يَوْماً به الدَّهْرُ فاجِعُ
وما الناسُ إلاَّ كالدَّيَارِ وأَهْلُهُا بها يَوْمَ حَلُّوهَا وغَدْواً بَلاَ قِعُ
وما المَرْءُ إلاَ كالشِّهَابِ وضَوْئِهِ يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إذْ هُوَ ساطِعُ
وما البرُّ إلاَّ مُضْمَرَاتٌ منَ التُّقَى وما المالُ إلاَّ مُعْمَرَاتٌ وَدَائِعُ
وما المالُ والأَهْلُونَ إلاَّ وَدَائِعٌ ولا بُدَّ يَوْماً أَنَّ تُرَدَّ الوَدَائِعُ
وما الناسُ إلاَّ عامَلان فعامِلٌ يُتَبِّرُ ما يَبْنِى وآخَرُ رافِعُ
فمنهم سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيبِه ومنهم شَقِىٌّ بالمعَيشَةِ قانِعُ
أَلَيْسَ وَرَائى إنْ تَرَاخَتْ مَنِيتَّى لُزُومَ العَصَا تُحْنَى عليها الأَصَابِعُ
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُرُونِ التَّي مَضَتْ أَدبٍّ كأني كُلَّمَا قُمْتُ راكِعُ
فأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ تَقَادُمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطِعُ
فلا تَبْعَدَنْ إنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ علينَا فَدَانٍ للطُّلُوعِ وطالِعُ

أَعَاذِلَ ما يُدْرِيك إلاَّ تَظَنِّياً ... إذَا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هُوَ رَاجعُ

أَتَجْزَعُ ممّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ لِلفتَى ... وأَيُّ كَرِيمٍ لم تُصبْه القَوَارِعُ

لَعَمْرُكَ ما تَدْرِي الضَّوَارِبُ بالحَصَى ... ولا زاجِرَاتُ الطَّيْرِ ما اللهُ صانعُ

ومما يستجاد له قوله أيضاً:

أَلَا كُلُّ شيءٍ ما خَلاَ اللهُ باطِلُ ... وكُلُّ نعيمٍ لاَ مَحالَةَ زائلُ

إذَا المَرْءُ أَسْرَى لَيْلَةً ظَنَّ أَنَّه ... قَضَى عَمَلاً والمَرْءُ ما عاشَ آملُ

حَبائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ بسَبِيلِه ... ويَفْنَى إذَا ما أَخْطَأَتْهُ الحَبائلُ

فَقُولاَ له إنْ كان يَقْسِمُ أَمْرَهُ ... أَلَمَّا يعِظْكَ الدَّهْرُ أُمُّك هابِلُ

فإنْ أَنْتَ لم تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فانتَسِبْ ... لَعلَّكَ تَهْدِيكَ القُرُونُ الأَوَائلُ

فإن لم تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنانَ والداً ... ودُونَ مَعَدٍّ فلْتَزَعْك العَوَاذِلُ

وكُلُّ امْرِىءٍ يَوْماً سَيَعْلَمُ سعْيَهُ ... إذَا كُشِفَتْ عندَ الإِلهِ المَحاصِلُ

وهذا البيت الآخر يدل على أنه قيل في الإسلام، وهو شبيه بقول الله تبارك وتعالى وحصل ما في الصدور أو كان لبيدٌ قبل إسلامه يؤمن بالبعث والحساب، ولعل البيت منحولٌ.

ومما يستجاد له قوله:

فاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعرَضَ وَصْلُهُ ... ولخَيْرُ واصِلِ خُلَّةٍ صرَّامُها

يقول: اقطع لبانتك ممن لم يستقم لك وصله، فإن أحسن الناس وصلاً أحسنهم وضعاً للقطيعة في موضعها.

ويستجاد له قوله:

واكْذِبِ النَّفْسَ إذَا حَدَّثْتَها ... إنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بالأَمَلْ

يقول: اكذب النفس أن تعدها الخبر وتمنيها إياهن وإذا صدقها فقال لها مصيرك إلى الهلكة والزوال أزرى ذلك بأمله، ثم قال:

غَيْرَ أَنْ لا تَكْذِبَنْها في التُّقَى ... واخْزُها بالبِرِّ للهِ الأَجَلّْ

قوله اخزها: سسها.

ومما يعاب له من هذه القصيدة:

ومَقامٍ ضيِّقٍ فَرَّجْتُهُ	بمقَامِي ولسانِي وجَدَلْ
لَوْ يقُومُ الفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ	زَلَّ عن مِثْلِ مَقَامِي وزَحَلْ

وقالوا: ليس للفيال من الخطابة والبيان، ولا من القوة، ما يجعله مثلا لنفسه! وإنما ذهب إلى أن الفيل أقوى البهائم، فظن أن فياله أقوى الناس! قال أبو محمد: وأنا أراه أراد بقوله: لو يقوم الفيل أو فياله مع فياله فأقام أو مقام الواو.

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

كَعَقْرِ الهاجِرِيِّ إِذَا بَنَاءُ	بأَشْباهٍ حُذِينَ على مِثَالِ

أخذه الطرماح فقال:

حَرَجاً كمِجْدَلِ هاجِرِيٍّ لَزَّهُ	بِذَوَاتِ طَبْخٍ أَطِيمَةَ لا تَخْمُدُ
قُدِرَتْ على مُثُلٍ فهُنَّ تَوَائِمٌ	شَتَّى يُلائِمُ بَيْنَهُنَّ القَرْمَدُ

ذوات طبخٍ: يعني الآجر، أطيمةٍ: يعني أتونٍ.

ومن ذلك قوله وذكر نوقاً:

لها حَجَلٌ قد قَرَّعَتْ من رُءُوسِهِ	لها فَوْقَه ممَّا تَحَلَّبُ واشِلُ

أخذه النابغة الجعدي فقال:

لها حَجَلٌ قُرْعُ الرُّؤُوسِ تَحَلَّبَتْ	على هامَةٍ بالصَّيْفِ حتَّى تَموَّرَا

يعني بالحجل أولادها الصغار.

قال أبو محمد: قال لي شيخٌ من أصحاب اللغة: اجتمعت الرواة على خطأ في بيت لبيد، وهو قوله:

من كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ	زَوْجٌ عليهِ كِلَّةٌ وقِرَامُهَا

وقال: المحفوف، الهودج، والزوج: النمط، فكيف يظل النمط، وهو أسفل، العصي، وهي فوق؟ وإنما كان ينبغي أن يرووه من كل محفوف يظل عصيه زوجاً ثم يرجع إلى المحفوف فيقول عليه كلةٌ وقرامها قال أبو محمد: ولا أرى هذا إلا غلطاً منه، و لم تكن الرواة لتجتمع على هذه الرواية إلا بأخذٍ عن العرب، وأراهم كانوا يلقون أيضاً النمط، فوق الأعواد ويلقونه داخله، وأحسبني قد رأيت هذا بعينه في البادية.

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

منَ المُسْبِلِينَ الرَّيْطَ لَذٍّ كأَنَّما	تَشَرَّبَ ضاحِي جِلدِهِ لَوْنَ مُذْهَبِ

أخذه الأخطل فقال:

لَذٍّ تَقَبَّلَهُ النَّعِيمُ كأَنَّمَا مُسِحَتْ ترائِبُهُ بماءٍ مُذْهَبِ

وقوله يذكر قوماً ماتوا:

وإنَّا وإخْواناً لَنَا قد تتابَعُوا لَكَالْمُغْتَدِى والرائِحِ المُتَهَجِّرِ

أخذه المحدث فقال:

سبَقُونا إلى الرَّحي ل وإنَّا لَبالأَثَرْ

ويستجاد له قوله في النعمان، يصف نظره وشرته:

وانْتَضَلْنَا وابنُ سَلْمَى قاعِدٌ كعَتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضِى ويُجَلْ

والهَبَانِيقُ قِيَامٌ مَعَهُمْ كُلُّ مَحْجُومٍ إِذَا صُبَّ هَمَلْ

تَحْسِرُ الدِّيباجَ عن أَذْرُعِهِمْ عِنْدَ ذي تاجٍ إِذَا قال فَعَلْ

فَتوَلَّوْا فاتِراً مَشْيُهُمْ كَرَوَايَا الطِّبْعِ هَمَّتْ بالوَحَلْ

ولبيدٌ أول من شبه الأباريق بالبط، فأخذ ذلك منه، قال يذكر الخمر:

تُضَمَّنُ بَيْضاً كالإِوَزِّ ظُرُوفُها إِذَا أَتْأَقُوا أَعْناقَها والحَواصِلاَ

فأخذه بعض الضبيين فقال:

ويَوْمٍ كظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرَ طُولَهُ دَمْ الزِّقِّ واصْطِفَاقُ المَزَاهِرِ

كأَنَّ أَبَارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةً إِوَزٌّ بأَعْلَى الطَّفِّ عُوجُ المَنَاقِرِ

وقال أبو الهندي:

سَيُغْنِى أَبا الهِنْدِىِّ عن وَطْبِ سالِمٍ باريقُ لم يَعْلَقْ بها وَضَرُ الزُّبْدِ

مُقَدَّمَةٌ قَزّاً كأَنَّ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الماءِ تَفْزَعُ للرَّعْدِ

وقال لبيدٌ:

حتَّى إذا أَلْقَتْ يَداً في كافِرٍ وأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلاَمُها

وقال ثعلبة بن صعيرٍ:

فَتَذَكَّرَا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَمَا أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمِينَهَا في كافِرِ

يعني الليل.

زيد الخيل

هو زيد الخيل بن مهلهلٍ، من طيىءٍ، جاهلي وأدرك الإسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد طيىءٍ وأسلم وسماه زيد الخير وقال له: "ما وصف لي أحدٌ في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون الصفة ليسك" يريد: غيرك، وقطع له أرضين، وكانت المدينة وبئةً، فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن ينج زيدٌ من أم ملدمٍ فلما بلغ بلده مات.

وكان يكنى أبا مكنفٍ، وكان له ابنان، يقال لهما مكنفٌ، وحريثٌ، أسلما وصحبا النبي صلى الله عليه وسلم وشهدا قتال الردة مع خالد ابن الوليد، وحمادٌ الراوية مولى مكنفٍ.

وحريثٌ هو الذي يقول يرثي أوس بن خالدٍ وقتل في حربٍ:

أَلاَ بَكَرَ النَّاعِى بأَوْسِ بن خالدٍ ... أَخِى الشَّتْوَةِ الغَبْرَاءِ والزَّمَنِ المَحْلِ

فلا تَجْزَعِى يا أُمَّ أَوْسٍ فإنَّه ... تُصيبُ المَنَايَا كلَّ حافٍ وذي نَعْلِ

فإنْ تَقْتُلُوا بالغَدْرِ أَوْساً فإننِى ... تَرَكْتُ أَبا سُفْيانَ مُلْتَزِمَ الرِّحْلِ

قَتَلْنا بقَتْلانَا منَ القَوْمِ عُصبْبَةً ... كِراماً ولم نأْكُلْ بهم حَشَفَ النَّخْلِ

ولَوْلاَ الأُسَى ما عِشْتُ في الناس ساعَةً ... ولكِنْ إذَا ما شِئُتُ ساعَدَنى مِثْلِى

وكان زيد الخيل أخذ فرساً لكعب بن زهير، فقال كعب بن زهير:

لقَدْ نال زَيْدُ الخَيْلِ مالَ أخيكُمُ ... فأصْبَحَ زَيْدٌ بعْدَ فَقْرٍ قد اقتَنَى

فأجابه زيد الخيل:

أفي كلِّ عامٍ مَأْتَمٌ تَبْعَثُونَهُ ... على مِحْمَرٍ عَوْدٍ أُثِيبَ وما رُضَى

تَقُولُ أَرَى زَيْداً وقد كان مُصْرِماً ... أُراهُ لَعَمْرِى قد تَموَّلَ واقْتَنَى

وذاكَ عَطاءُ اللهِ في كلِّ غارَةٍ ... مُشَمَّرَةٍ يَوْماً إذَا قُلَّصَ الخُصَى

فلَوْلاَ زُهَيْرٌ أَنْ أُكَدِّرَ نِعْمَةً ... لَقاذَعْتُ كَعْباً ما بَقِيتُ وما بَقَا

ومن خبيث الهجاء قول زيد الخيل:

فَخْيبَةُ مَن يُغِيرُ على غَنِىٍّ ... وباهِلَةَ بن أَعْصُرَ والرِّكابِ

وأَدَّى الغُنْمَ مَنْ أَدَّى قُشَيْراً ... ومَنْ كانَتْ له أَسْرَى كِلاَبِ

النابغة الجعدي

هو عبد الله بن قيسٍ، من جعدة بن كعب بن ربيعة، وإخوة جعدة عقيلٌ وقشيرٌ والحريش، وكان يكنى أبا ليلى، وهو جاهليٌ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جاءَ بالهُدَى ... ويَتْلُو كتاباً كالمَجَرَّة نيِّرَا

بَلَغنا السَّماءَ مَجْدَنا وجُدُوَدُنا ... وإِنَّا لنَرْجُو فَوْقَ ذلك مَظْهَرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إلى أين أبا ليلى"؟ فقال: إلى الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن شاء الله" وأنشده:

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إِذَا لم تَكُنْ له ... بَوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرا

ولا خَيْرَ في جَهْلٍ إِذَا لم يكن له ... حَلِيمٌ إِذَا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يفضض الله فاك": قال: فبقي عمره لم تنقض له سنٌّ.

وكان معمراً، ونادم المنذر أبا النعمان بن المنذر، وفي ذلك يقول:

تذَكَّرْتُ والذِّكْرَى تَهِيجُ على الفَتى ... ومن حاجَةِ المَحْزُونِ أَن يَتَذَكَّرَا

نَدَامايَ عِنْدَ المُنْذِرِ بن مُحَرَّقِ ... أَرَى اليَوْمَ منهم ظاهِرَ الأَرْض مُقْفِرَا

ويقال: إنه كان أقدم من النابغة الذبياني، لأن الذبياني نادم النعمان وهذا نادم أباه، ونسب المنذر إلى محرق وهو جده.

وعمر حتى ورد على ابن الزبير وروى له الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا والنبيون فراط لقاصفين". وحتى نازع الأخطل الشعر، فغلبه الأخطل، فهو من مغلبي مضر، ومات بإصبهان وهو ابن مائتين وعشرين سنة.

وكان العلماء يقولون في شعره: خمارٌ بواف ومطرفٌ بآلاف يريدون أن في شعره تفاوتاً، فبعضه جد مبرزٍ، وبعضه ردي ساقطٌ.

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله في صفه الفرس:

كأَنَّ مَقَطَّ شَرَاسِيفِهِ ... إلى طَرَفِ القُنْبِ فالمَنْقَبِ

لُطِمْنَ بتُرْسٍ شَدِيدِ الصِّقَا ... لِ من خَشَبِ الجَوْزِ لم يُثْقَبِ

أخذه ابن مقبلٍ فقال:

كأَنَّ ما بين جَنْبَيْهِ ومَنْقَبِه ... من جَوْزِهِ ومَنَاطِ القُنْبِ مَلْطُومُ

بتُرْسِ أَعْجَمَ لم تَنْخَرْ مَنَاقِبُه ... ممَّا تَخَيَّرُ في آطَامِهَا الرُّومُ

وقال الجعدي:

أَرَأَيْتَ إنْ بَكَرَتْ بلَيْلٍ هامَتِى ... وخَرَجْتُ منها بالِياً أَوْصَالِى

هل تَخْمِشَنْ إبِلِى علىَّ وُجُوهَها ... أَو تَضرِبَنَّ نُحُورَها بِمَآلِى

وقال الآخر:

أَرَأَيتَ إنْ بَكَرَتْ بلَيْل هامَتى ... وخَرَجْتُ منها بالِياً أَثْوَابى

هَلْ تَخْمِشَنْ إبِلِى علىَّ وُجُوهَها ... أَو تَعْصِبَنَّ رُؤُوسَها بسِلاَبِ

ويستحسن له قوله في نساءٍ سبين:

دَعَتْنَا النِّساءُ إذْ عَرَفْنَ وُجُوهَنَا ... دُعَاءَ نسَاءٍ لم يُفارِقْنَ عن قِلَى

حَنِينَ الهِجانِ الأُدْمِ نادَى بِورْدِها ... سُقَاةٌ يَمُدُّونَ المَوَاتِحَ بالدَّلاَ

فقُلْنا لهم خلُّوا طَرِيقَ نسائِنا ... فقالوا لنا كلاَّ فقُلْنا لهم بَلَى

فنَحْنُ غضَابٌ من مكانِ نِسَائِنَا ... ويَسْفَعُنا حَرٌّ منَ النارِ يُصْطَلَى

تفُورُ علَينا قدْرُهم فنديمُها ... ونَفْثَؤُها عَنَّا إذَا حَمْيُها غَلاَ

فلم أَرَ يوْماً كان أَكْثَرَ باكِياً ... ووَجْهاً تَرَى فيه الكَآبَةَ مُجْتَلَى

ومُفْتَصَلاً عن ثَدْىِ أُمٍّ تُحِبُّهُ ... عَزِيزٌ عليها أَن تُفَارِقَ مُفْتَلَى

وأَشْمطَ عُرْياناً يُشَدُّ كِتَافُه ... يُلاَمُ على جَهْدِ القِتالِ وما ائْتَلَى

وقال لامرأته حين خرج غازياً:

باتَتْ تُذَكِّرُنى باللهِ قاعِدَةً ... والدَّمْعُ ينْهَلُّ من شَأْنَيْهِمَا سَبَلاَ

يا ابْنَةَ عَمِّى كِتَابُ اللهِ أَخْرَجَنى ... كُرْهاً وهل أَمْنَعَنَّ اللهَ ما فَعَلاَ

فإنْ رَجَعتْ فَرَبُّ الناس يَرْجِعُنِى ... وإنْ لَحِقْتُ بِرَبِّى فابْتَغِى بَدَلاَ

ما كُنْتُ أَعْرَجُ أَوْ أَعْمَى فيَعْذِرَنى ... أَو ضارِعاً مِنْ ضَنًى لم يَسْتَطِعْ حوَلاَ

وقال يرثي رجلاً:

فَتًى كَمُلَتْ خيْراتُهُ غيْرَ أَنَّهُ ... جوَادٌ فما يُبْقِى منَ المال باقِيا

فَتًى تمَّ فيه ما يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... على أَنَّ فيه ما يَسُوءُ الأَعادِيَا

يُدِرُّ العُروقَ بالسِّنَانِ ويَشْترِى ... منَ المَجْدِ ما يَبقَى وإنْ كان غالِيَا

وقال:

ولوْ أنَّ قومِي لم تَخُنِّي جُدُودُهم   وأَحْلاَمُهُمُ أَصْبَحْتَ للفَتْق آسيَا

ولكِنَّ قَوْمِي أَصْبَحُوا مِثْلَ خَيْبَرٍ   بها دَاؤُهَا ولا تضرُّ الأَعاديَا

وقال يذكر سنه:

ومنْ يحْرِصْ على كِبَرى فإنَّى   مِنَ الشبَّانِ أَزْمَانَ الخُنَانِ

مضَتْ مَائةٌ لِعَامِ ولِدْتُ فيه   وعَشرٌ بَعْد ذاكَ وحِجَّتَانِ

وهو القائل:

الحمدُ للهِ لا شريكَ لَهُ   مَنْ لم يَقُلْها فنَفْسَه ظلَمَا

المُولِجِ اللَّيْلَ في النَّهَارِ وفي اللَّ   يْلِ نَهَاراً يُفَرِّجُ الظُّلَمَا

الخافِضِ الرَّافِعِ السَّمَاءَ على الْ   أَرْضِ ولم يَبْنِ تَحْتَهَا دِعَمَا

الخالِقِ البارِىءِ المُصوِّرِ في الْ   أَرْحامِ ماءً حَتَّى يَصِير دَمَا

منْ نُطْفَةٍ قدَّمَا مُقَدِّرُها   يَخْلُقُ منها الأَبْشَارَ والنَّسَمَا

ثمَّ عِظاماً أَقامَها عَصَبٌ   ثُمَّتَ لَحْماً كَسَاهُ فالْتأما

ثُمَّ كَسَا الرِّيشَ والعَقائِقَ أَب   شاراً وجِلْداً تَخَالُهُ أَدَمَا

والصَّوْتَ واللوْنَ والمَعايِشَ والْ   أَخْلاَقَ شَتَّى وفرَّقَ الكلِمَا

ثُمَّتَ لا بُدَّ أَنْ سَيجْمَعُكُمْ   واللهِ جَهْراً شَهَادَةً قَسمَا

فائْتَمِروُا الآنَ ما بَدَا لَكُمْ   واعْتَصِمُوا إِنْ وجَدْتُمْ عِصَمَا

في هذه الأَرْضِ والسَّماءِ ولا   عِصْمَةَ منه إِلاَّ لِمَنْ رَحِمَا

يا أَيُّهَا الناسُ هَلْ تَرَوْنْ إِلى   فَارِسَ بادَتْ وخَدُّها رَغَما

أَمْسَوْا عبِيداً يَرْعَوْنَ شَاءَكُمُ   كأَنَّمَا كان مُلْكُهُمْ حُلُمَا

أَوْ سَبَأَ الحاضِرينَ مَأْرِبَ إِذْ   يَبْنُونَ من دُونِ سَيْلِه العرِمَا

فمُزِّقُوا في البِلاَدِ واعْتَرَفُوا ال   هُونَ وذاقُوا البأْساءَ والعَدمَا

وبُدِّلُوا السِّدْرَ والأَرَاكَ به الْ   خَمْطَ وأَضْحَى البُنْيَانُ مُنْهَدِمَا

وقال أيضاً:

لَبِسْتُ أُنَاساً فأَفْنَيْتُهُمْ وأَفْنيْتُ بَعْدَ أُناسٍ أُناسَا

ثَلاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ وكان الإلهُ هُوَ المُسْتَآسَا

وعِشْتُ بعَيْشَيْنِ إنَّ المَنُونَ تَلَقَّى المَعَايِشَ فيها خِسَاسَا

فحيناً أُصادِفُ غِرَّاتِهَا وحيناً أُصادِفُ منها شِماسَا

نَشَأْتُ غُلاَماً أُقَاسِي الحُرُوبَ ويلْقَى المُقاسُونَ منِّي مراسَا

وحُمْرٍ من الطَّعْنِ غُلْبِ الرِّقا بِ كالأُسْدِ يَفْتَرِسُونَ افْترَاسَا

شَهِدْتُهُم لاَ أُرجِّي الحيَا ةَ حتَّى تَساقَوْا بسُمْرٍ كِيَاسا

وشُعْثٍ يُطابِقْنَ بالدَّارِعينَ طِبَاقَ الكِلاَبِ يَطَأْنَ الهَرَاسَا

فلمَّا دنَوْنَا لِجَرْسِ النُّبُوحِ ولا نُبْصُرِ الحَيَّ إلاَّ التْماسَا

أَضاءَتْ لنا النارُ وَجْهاً أَغَرَّ مُلْتَبِساً بالفُؤَادِ التْباسَا

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيطِ لم يَجْعَلِ اللهُ فيه نُحاسَا

بآنِسَةٍ غيْرِ أُنْسِ القِرَافِ وتَخْلِطُ بالأُنْسِ منها شِمَاسَا

إِذَا ما الضّجِيعُ ثَنَى جِيدَهَا تَثَنَّتْ عليه فكانت لِبَاسَا

مهلهل بن ربيعة

هو عدي بن ربيعة، أخو كليب وائلٍ الذي هاجت بمقتله حرب بكرٍ وتغلب، وسمي مهلهلاً لأنه هلهل الشعر، أي أرقه. وكان فيه خنثٌ ويقال إنه أول من قصد القصائد، وفيه يقول الفرزدق:

ومُهَلْهِلُ الشُّعَراءِ ذاكَ الأَوَّلُ

وهو خال امرىء القيس، وجد عمرو بن كلثوم، أبو أمه ليلى وهو أحد الشعراء الكذبة، لقوله:

ولوْلاَ الرِّيحُ أُسْمِعَ أَهْلُ حَجْرٍ صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ

وأحد البغاة، لقوله:

قلْ لِبَنِي حِصْنٍ يَرُدُّونهُ أَو يَصْبِرُوا للصَّيْلَمِ الخنْفَقِيق

مَنْ شاءَ دَلَّى النَّفْس في هُوَّة ضَنْكٍ ولكِنْ منْ له بالمَضِيقِ

أمرهم أن يردوا كليباً وقد قتل، وأعلمهم أنه لا يرضى بشيءٍ غير ذلك، وكان مهلهلٌ القائم بالحرب ورئيس تغلب، فلما كان يوم قضة، وهو آخر أيامهم، وكان على تغلب، أسر الحرث بن عبادٍ مهلهلا وهو لا يعرفه، فقال له الحرث: تدلني على عدي بن ربيعة المهلهل وأنت آمنٌ؟ فقال له المهلهل: إن دللتك على عدي فأنا آمنٌ ولي دمي؟ قال الحرث: نعم، قال: فأنا عدي! فجز ناصيته وخلاه، وقال: لم أعرف، وفي ذلك يقول الحرث بن عباد:

لَهْفَ نَفْسِى على عَدِيٍّ ولم أَعْـ رِفْ عَدياً إِذْ أَمْكَنَتْنى اليدَانِ
طُلَّ مَنْ طُلَّ في الحُرُوبِ ولم يُطْـ لَلْ قَتيلٌ أَبأْتهُ ابْنَ أَبَانِ

ثم خرج مهلهلٌ فلحق باليمن، فنزل في جنبٍ، حي من اليمن، فخطب إليه رجل منهم ابنته، فقال: إني طريدٌ غريبٌ فيكم، ومتى أنكحتكم قال الناس اعتسروه، فأكرهوه حتى زوجها، وكان المهر أدماً فقال:

أَنكَحَها فَقدُها الأَراقمَ في جَنْبٍ وكان الحبَاءُ من أَدَمِ
لوْ بأَبَانَيْنِ جاءَ يَخْطُبُهَا رُمِّلَ ما أَنْفُ خاطبٍ بدَمِ

ثم انحدر، فلقيه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وهو أبو أسماء صاحبة المرقش الأكبر، فأسره فمات في إساره.

وكانت أيام بكرٍ وتغلب خمسة أيامٍ مشاهير: أولها يوم عنيزة، وتكافؤوا فيه، والثاني يوم واردات، وكان لتغلب على بكرٍ، والثالث يوم الحنو، وكان لبكرٍ على تغلب، والرابع يوم القصيبات، وكان لتغلب على بكرٍ، وقتلوهم قتلاً ذريعاً، والخامس يوم قضة، وهو آخر أيامهم، وكان لبكرٍ، وفيه أسر مهلهل بن ربيعة.

العباس بن مرداس

مرداس: الحصاة التي يرمى بها في البئر ليظهر هل فيها ماءٌ أو لا.

يروى: أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى المؤلفة قلوبهم يوم حنينٍ، فأعطى أبا سفيان بن حربٍ مائةً من الإبلٍ، وأعطى صفوان بن أمية مائةً من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة، فقام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

أَتَجْعَلُ نَهْبِى ونَهْب العُبَيْـ دِ بينَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ
وما كان بَدْرٌ ولا حابِسٌ يَفُوقانِ مِرْداسَ في مَجْمَعِ
وما كُنْتُ دُونَ امْرِىءٍ منهما ومَنْ تَضعِ اليَوْمَ لاَ يُرْفَعِ

فأتم له النبي صلى الله عليه وسلم مائةً.

أبو زبيد الطائى

هو المنذر بن حرملة، من طيء، وكان جاهلياً قديماً، وأدرك الإسلام، إلا أنه لم يسلم، ومات نصرانياً، وكان من المعمرين، يقال إنه عاش مائةً وخمسين سنةً، وكان نديم الوليد بن عقبة، وذكر لعثمان أن الوليد يشرب الخمر وينادم أبا زبيدٍ، فعزله عن الكوفة وحده في الخمر، ففي ذلك يقول أبو زبيدٍ:

مَنْ يَرَى العِير لابْنِ أَرْوَى على ظَهْ ... رِ المُرَوَّى حُدَاتُهُنَّ عِجَالُ

وابن أروى هو الوليد، وأروى أمه وأم عثمان بن عفان، وفيها يقول:

قَوْلُهُمْ شُرْبُكَ الحَرَامُ وقد كا ... نَ شَرَابٌ سِوَى الحَرَامِ حَلاَلُ

وكان أبو زبيدٍ في بني تغلب، وهم أخواله، وكان له غلام يرعى عليه إبله، فغزت بهراء، وهم من قضاعة، بني تغلب، فمروا بغلامه، فدفع إليهم إبل أبي زبيدٍ، وانطلق معهم ليدلهم على عورة القوم، ويقاتل معهم، فهزمت بهراء وقتل الغلام، فقال أبو زبيدٍ في ذلك:

قد كُنْتَ في منْظَرٍ ومُسْتَمَعٍ ... عن نَصْرِ بَهرَاءَ غيْرِ ذي فَرَسِ

تَسْعى إلى فِتْيةِ الأَراقِمِ واسْ ... تَعجَلْتَ قَبْلَ الجُمَانِ والغَبَسِ

لا تِرَةٌ عِنْدَهُمْ فَتَطْلُبَها ... ولا هُمُ نُهْزَةٌ لمُخْتَلِسِ

إمَّا تُقارِنْ بك الرِّمَاحُ فلا ... أَبْكِيكَ إلا لِلدَّلْوِ والمَرَسِ

ولما صار الوليد بن عقبة إلى الرقة واعتزل علياً ومعاوية سار أبو زبيدٍ إليه، فكان ينادمه، وكان يحمل في كل يوم أحدٍ إلى البيعة، فيحضر مع النصارى ويشرب، فبينا هو في يوم أحدٍ يشرب والنصارى حوله، رفع رأسه إلى السماء فنظر، ثم رمى بالكأس عن يده وقال:

إذا جُعِلَ المَرْءُ الذي كان حازِماً ... يُحَلُّ به حَلَّ الحُوَارِ ويُحْمَلُ

فلَيْسَ له في العَيْشِ خَيْرٌ يُرِيدُهُ ... وتَكْفِينُه ميْتاً أَعَفُّ وأَجمَلُ

ومات، فدفن على البليخ، وهناك أيضاً قبر الوليد بن عقبة.

ولم يصف أحدٌ من الشعراء الأسد وصفه، قال شعبة قلت للطرماح: ما شأن أبي زبيد وشأن الأسد؟ قال: إنه لقيه أسدٌ بالنجف فسلحه: وهو القائل للوليد بن عقبة:

مَنْ يخُنْكَ الصَّفاءَ أَو يَتَبَدَّلْ ... أَو يَزُلْ مِثْلَ ما تَزُولُ الظِّلاَلُ

فاعْلَمَنْ أنني أَخُوكَ أَخُو العَهْ ... دِ حَيَاتي حتَّى تَزُولُ الجبالُ

لَيْسَ بُخْلٌ عليكَ منّي بمالٍ ... أَبَداً ما أَقَلَّ سيْفاً حِمَالُ

فلَكَ النَّصرُ باللِّسانِ وبالكَـ ... فِّ إِذَا كان لليَدَيْنِ مَصَالُ

كلُّ شيءٍ يَحْتالُ فيه الرِّجالُ ... غيْرَ أَنْ لَيْسَ للمنَايَا احْتِيالُ

ومن جيد شعره:

إِنَّ طُولَ الحَياةِ غَيْرُ سُعُودٍ ... وضَلاَلٌ تأْميلُ نَيْلِ الخُلُودِ

عُلِّلَ المَرْءُ بالرَّجَاءِ ويُضْحِي ... غَرضاً للمنُونِ نَصْبَ العُودِ

كلَّ يومٍ تَرْميهِ منها بِرَشْقٍ ... فمُصيبٌ أَوصافَ غيرَ بَعيدِ

كلُّ مَيْتٍ قد اغْتَفَرْتُ فلا أَوْ ... جَعُ من والدٍ ومن مَوْلُودِ

غيرَ أَنَّ الجُلاَحَ هَدَّ جَنَاحِي ... يَوْمَ فارَقْتُهُ بأَعْلَى الصَّعِيدِ

وعلى هذه القصيدة احتذى ابن مناذر مرثيته عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي.

ومن جيد شعره:

إنما مُتُّ والفُؤَادُ عَمِيدٌ ... يَوْمَ بانَتْ بوُدِّها حَنْسَاءُ

وفيها يقول:

لَيْتَ شِعْرِى وأَيْنَ منَّى لَيْتٌ ... إِنَّ لَيتاً وإِنَّ لوّاً عَنَاءُ

أَيُّ ساعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِى ... حِينَ لاحَتْ للصابحِ الجوْزَاءُ

واسْتَظَلَّ العُصفُورُ كَرْهاً مَعَ الضَّـ ... بِّ وأَوْفَى في عُودِهِ الحِرْبَاءُ

ونَفَى الجُنْدَبُ الحصَى بكُرَاعَيْ ... هِ وأَذْكَتْ نِيرانَها المَعْزَاءُ

ويستجاد من تشبيهه في الأسد قوله يصفه:

إذا واجَه الأَقْرانَ كان مَجَنَّهُ ... جَبِينٌ كَتَطْبَاقِ الرَّحَا اجتْابَ مَمْطَرَا

حسان بن ثابت

هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، ويكنى أبا الوليد وأبا الحسام، وأمه الفريعة من الخزرج، وهو جاهلي إسلامي متقدم الإسلام، إلا أنه لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهداً، لأنه كان جباناً، وكانت له ناصيةٌ يسدلها بين عينيه، وكان يضرب بلسانه روثة أنفه، من طوله، ويقول: ما يسرني به

مقول أحد من العرب، والله لو وضعته على شعرٍ لحلقه، أو على صخر لفلقه، وعاش في الجاهلية ستين سنةً وفي الإسلام ستين سنةً، ومات في خلافة معاوية، وعمي في آخر عمره.

قال الأصمعي: الشعر نكدٌ بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسان بن ثابتٍ فحلٌ من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره، وقال مرة أخرى: شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام، لحال النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان حسان يفد على ملوك غسان بالشام، وكان يمدحهم، ومن جيد شعره قوله فيهم:

أَوْلادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ … قَبْرِ ابْنِ مارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضَلِ

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهِمُ … بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ

يُغْشَوْنَ حَتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُمْ … لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ

وابن مارية هو الحرث الأعرج بن أبي شمرٍ الغساني، وكان أثيراً عندهم، ولذلك يقول:

قَدْ أَرَانِى هُنَاكَ حَق مَكِينٍ … عِنْدَ ذِي التَّاجِ مَقْعَدِي ومَكَانِي

ولما سار جبلة بن الأيهم إلى بلاد الروم ورد على ملك الروم رسول معاوية، فسأله جبلة عن حسانٍ، فقال له: شيخٌ كبيرٌ قد عمي، فدفع إليه ألف دينار، وقال: ادفعها إلى حسانٍ، قال: فلما قدمت المدينة ودخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيه حسان بن ثابتٍ، فقلت له: صديقك جبلة يقرأ عليك السلام، قال: فهات ما معك، فقلت: يا أبا الوليد كيف علمت؟ قال: ما جاءتني منه رسالةٌ قط إلا ومعها شيءٌ هذا في بعض الروايات.

قال: وحدثني ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي عن أهل المدينة قال: بعث الغساني إلى حسانٍ بخمس مائة دينارٍ وكسًى، وقال للرسول: إن وجدته قد مات فابسط هذه الثياب على قبره واشتر بهذه الدنانير إبلاً فانحرها على قبره، فجاء فوجده فأخبره، فقال: لوددت أنك وجدتني ميتاً! قال بعض أهل المدينة: ما ذكرت بيت حسانٍ إلا عدت في الفتوة، وهو قوله:

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمانِ في فَلَقِ الصُّ … بْحِ وصَوْتَ المُغَرِّدِ الغَرِدِ

وولد لحسانٍ عبد الرحمن، من أخت مارية أم إبرهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تسمى سيرين، وكان عبد الرحمن ابن حسان شاعراً، وكان له ابنٌ يقال له سعيدٌ بن عبد الرحمن.

وكانت لحسانٍ بنتٌ شاعرةٌ، وأرق حسان ذات ليلةٍ فعن له الشعر فقال:

مَتَارِيكُ أَذْنابِ الأُمُورِ إذا اعْتَرَتْ … أَخَذْنا الفُرُوعَ واجْتَثَثْنَا أُصُولَهَا

ثم أجبل فلم يجد شيئاً، فقالت له بنته: كأنك قد أجبلت يا أبه؟! قال: أجل، قالت: فهل لك أن أجيز عنك؟ قال: وهل عندك ذلك؟ قالت: نعم، قال: فافعلي، فقالت:

مَقَاوِيلُ بالمعروفِ خُرْسٌ عَنِ الخَنَا كِرامٌ يُعَاطُونَ العَشِيرَةَ سُولَهَا

فحمي الشيخ فقال:

وقافِيَةٍ مِثْلِ السِّنَانِ رُزِئْتُها تَنَاوَلْتُ من جُوِّ السماءِ نُزُولَهَا

فقالت:

يرَاها الَّذي لا يُنْطَقُ الشِعْرُ عِنْدَهُ ويَعْجِزُ عن أَمثَالِها أَنْ يَقُولَهَا

فقال حسان: لا أقول بيت شعرٍ وأنت حية، قالت: أو أومنك؟ قال: وتفعلين؟ قالت: نعم، لا أقول بيت شعرٍ ما دمت حياً.

وانقرض ولد حسانٍ فلم يبق له عقبٌ، وقال حسان أو ابنه عبد الرحمن: قلت شعراً لم أقله مثله، وهو:

وإِنَّ امْرَءًا أَمْسَى وأَصْبَحَ سالماً مِنَ النَّاسِ إِلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ

والناس يقولون:

فشَرُّكما لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

وهو عجز بيتٍ لحسان، قال:

أَتَهْجُوهُ ولَسْتَ له بِندٍّ فشَرُّكما لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

النمر بن تولب

هو من عكلٍ، وكان شاعراً جواداً، ويسمى الكيس، لحسن شعره وهو جاهلي، وأدرك الإسلام فأسلم، وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

إِنَّا أَتَيْنَاكَ وقَدْ طال السَّفَرْ نَقُودُ خَيْلا ضُمُّراً فيها عَسَرْ

نُطْعِمُهَا الشَّحْمَ إذا عَزَّ الشَّجَرْ والخيلُ في إِطْعَامِها اللَّحْمَ ضررْ

الشحم: يعني اللبن.

وعاش إلى أن خرف وأهتر وألقي على لسانه: اصبحوا الركب، فألقى رجلٌ على لسانه: افعلوا بالراكب!

فجعل يقولها، وكان له ابنٌ يقال له ربيعة، وهاجر إلى الكوفة.

وذكر الأصمعي عن حماد بن ربيعة بن النمر أنه قال: أظرف الناس النمر في قوله:

أَهِيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإِنْ أَمُتْ أُوَصِّ بدَعْدٍ مَنْ يَهيمُ بها بَعْدِى

والناس يروون البيت لنصيبٍ.

ومما يتمثل به من شعره قوله:

ومتَى تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فارْجُ الغِنى وإِلى الَّذى يُطْعِى الرَّغَائبَ فارْغَبِ

لا تَغْضَبَنَّ على امْرِىءٍ في مالِهِ وعلى كَرَائِمِ صُلْبِ مالِكَ فاغْضَبِ

وقوله:

إِذَا كُنْتَ في سَعْدٍ وأُمُّكَ مِنْهُمُ غَرِيباً فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ من سَعْدِ

فإِنَّ ابْنَ أُخْت القَوْمِ مُصغًى إِنَاؤُهُ إِذا لم يُزاحِمْ خالَهُ بِأَبٍ جَلْدِ

ومن جيد التشبيه قوله في إعراض المرأة:

فصَدَّتْ كأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِنَاعِها بَدَا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بحاجِبِ

أخذه المحدث فقال:

يا قَمَراً للنِّصْفِ من شَهْرِه أَبْدَى ضِياءً لِثَمَانٍ بَقِينَ

ومما يعاب عليه قوله في وصف سيف:

تَظَلُّ تَحْفِرُ عنه إِنْ ضرَبْتَ به بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ والهادِى

ذكر أنه قطع ذلك كله ثم رسب في الأرض، حتى احتاج إلى أن يحفر عنه! وهذا من الإفراط والكذب.

تأبط شرا

هو ثاتب بن عمسل وقال الأصمعي: كان ابن طرفة الهذلي، وهو أعلمهم بتأبط شراً وأمره، يقول: هو ثابت بن جابرٍ، وأنشد:

وَيْلُ امِّ طِرْفٍ قَتَلوا برِخْمانْ بثابِتِ بن جابِرِ بن سُفْيانْ

وهو من فهمٍ، وفهمٌ وعدوان أخوان.

وكان شاعراً بئيساً يغزو على رجليه وحده، وكانت أمه تؤخذ بوله إذا غزا فأخذت بوله وقد قتل بجي فعرفت أنه قد قتل وهذيلٌ تدعى قتله، وقد قال في شعره:

أَسَافَ وأَفْنَى ما لَدَيْهِ ابنُ عَمْسَلِ

يعني نفسه، ولعله لقبٌ ومن جيد شعره قوله:

يا مَن لِعَذَّالَةٍ خَذَّالَةٍ نَشِبٍ ... خَرَّقْتِ باللَّوْمِ جِلْدِى أَىَّ تَخراقِ

تَقُولُ أَهْلَكْتَ مالاً لَوْ ضَنَنْتَ بِهِ ... منْ ثَوْبِ عزٍّ ومن بَزٍّ وأَعلاقِ

سَدِّدْ خِلاَلَك من مالٍ تُجَمِّعُهُ ... حتَّى تُلاَقِىَ ما كُلُّ امرِىءٍ لاَقِ

عاذِلَتَا إِنَّ بَعْضَ اللَّوْمِ مَعْنَفَةٌ ... وهَلْ مَتاعٌ وإِنْ بَقَّيْتُه باقِ

إِنِّى زَعِيمٌ لَئِنْ لم تَتْرُكِى عَذَلِى ... أَنْ يَسأَلَ الحَىُّ عَنِّى أَهْلَ آفاقِ

أَنْ يَسأَلَ الحَىُّ عَنِّى أَهْلَ مَعْرِفَةٍ ... فلا يُخَبِّرُهُمْ عن ثابتٍ لاقِ

لَتَقْرعِنَ علىَّ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ ... إِذا تَذَكَّرْتِ يَوْماً بَعْضَ أَخْلاَقِى

وذكر في شعره أنه لقي الغول فقتلها، وجعل يصفها:

تَقُولُ سُلَيْمَى لجَاراتِها ... أَرَى ثابتاً يَفَناً حَوْقَلاَ

لها الوَيْلُ ما وَجَدَتْ ثابتاً ... أَلَفَّ اليَدَيْنِ ولا زُمَّلاَ

ولا رَعِشَ الساقِ عِنْدَ الجِراءِ ... إِذا بادَرَ الحَمْلَةُ الهيْضَلاَ

يَفُوتُ الجِيادَ بتَقْرِيبِهِ ... ويَكْسُو هواديَها القَسْطَلاَ

وأَدْهَمَ قد جُبْتُ جِلْبابَهُ ... كما اجْتابَتِ الكاعبُ الخيْعَلا

إِلَى أَنْ حَدَا الصبْحُ أَثْنَاءَهُ ... ومَزَّقَ جِلْبَابَهُ الأَلْيَلاَ

على شَيْمِ نارٍ تَنَوَّرْتُها ... فبِتُّ لها مُدبراً مُقْبِلاَ

فأَصْبَحْتُ والغُولُ لي جارَةٌ ... فيا جارَتَا أَنْتِ ما أَهْوَلاَ

وطَالَبْتُهَا بُضْعَها فالْتَوتْ ... بوَجْهٍ تَهَوَّلَ فاسْتَغْوَلاَ

فقُلْتُ لها يا انْظُرِى كَىْ تَرَىْ ... فولَّتْ فكُنْتُ لنا أَغْوَلاَ

فطارَ بقِحْفِ ابْنَةِ الجِنِّ ذُو ... سَفَاسِقَ قد أَخْلَقَ المِحْمَلاَ

إِذا كَلَّ أَمْهَيْتُهُ بالصَّفَا ... فحَدَّ ولم أُرِهِ صَيْقَلاَ

عَظاءَةَ قَفْرٍ لها حُلَّتا ... نِ من وَرَقِ الطَّلْحِ لم تُغْزَلاَ

فمَنْ سالَ أيْنَ ثوَتْ جارَتِي فإنَّ لها باللِّوَى مَنْزِلاَ
وكُنْتُ إذا ما هَمَمْتُ اعْتَزَمْتُ وأَحْرِ إذا قُلْتُ أنْ أفعلاَ

مزرد والشماخ

هما ابنا ضرار ويقال إنما سمي مزرداً لقوله في زبدة الزق:

فجاءَتْ بها صَفْرَاءَ ذاتَ أَسِرَّةٍ تَكَادُ عليها رَبَّةُ النِّحْي تَكْمَدُ
فقُلْتُ تَزَرَّدْها عُبَيْدُ فإنَّنِي لِدُرْدِ الشُّيُوخِ في السِّنِينَ مُزَرِّدُ

وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّا كأَنَّنَا أَفأْنَا بأَنْمَارٍ ثَعَالِبَ ذي غِسْلِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ لم أَرَ مِثْلَهُمْ أَجَرَّ على الأَدْنى وأَحْرَمَ لِلفَضْلِ

يعني أنمار بن بغيضٍ وهم رهطه، هو أحد من هجا قومه، وهو ممن يهجو الأضياف ويمن عليهم بما قراهم به.

وأمه أم الشماخ من ولد الخرشب، وفاطمة بنت الخرشب هي أم ربيع بن زياد وإخوته العبسيين، الذين يقال لهم الكملة، واسمها معاذة بنت خلفٍ وتكنى أم أوسٍ.

ويقال إن اسم الشماخ معقل بن ضرار وهو من أوصف الشعراء للقوس والحمر، قال يصف القوس:

وذَاقَ فأَعْطَتْهُ منَ اللِّين جانباً كَفَى ولَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ
إذَا أَنْبَضَ الرَّامُونَ عنها تَرَنَّمَ تَتَرَنُّمَ ثَكْلَى أَوْجَعَتْهَا الجَنَائِزُ

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

تَخَامَصُ عن بَرْدِ الوِشَاحِ إذا مَشَتْتَ خَامُصَ حافِى الرَّجْلِ في الأَمْغَزِ الوَجِى

أخذه ذو الرمة فقال يصف إبلاً:

تَشْكُو الوَجَى وتَجَافَى عن سَفَائِفِها تَجَافِيَ البِيضِ عَنْ بَرْدِ الدَّمالِيجِ

وهو أوصف الشعراء للقوس، وكذلك أوس بن حجرٍ في وصف القوس.

والشماخ أوصف الشعراء للحمير، وأرجز الناس على بديهةٍ، نزل في سفرٍ كان فيه فرجز وحدا بالقوم فقال:

لم يَبْقَ إلاَّ مِنْطَقٌ وأَطْرَافْ ورَيْطَتَانِ وقَمِيصٌ هَفْهَافْ

وشُعْبَتَا مَيْسٍ بَرَاها إِسْكافْ يا رُبَّ غَازٍ كارِهٍ لِلإِيجَافْ

أَغْدَرَ في الحَيِّ بَرُودَ الأَصْيافْ مُرْتَجّةَ البُوصِ خَضِيبَ الأَطْرَافْ

ثم ترك هذا الروي وأخذ في روى آخر فقال:

لَمَّا رَأَتْنا واقفِي المَطِيَّاتْ قامَتْ تَبَدَّى لي بأَصْلَتِيَّاْ

غُرٍّ أَضاءَ ظَلْمُها الثَّنِيَّاتْ خَوْدٌ من الظَّعائِنِ الضَّمْرِيَّاتْ

حَلاَّلَةُ الأَوْدِيَةِ الغَوْرِيّاتْ صَفِيُّ أَتْرابٍ لها حَيِيَّاتْ

مِثْلِ الأَشاءَاتِ أَوِ البَرْدِيَّاتْ أَوِ الغَمامات أَوِ الوَدِيَّاتْ

أَوْ كَظِباءِ السِّدَرِ العُبْرِيَّاتْ يَحْضُنَّ بالقَيْظِ على رَكِيَّاتْ

مِنَ الكُلى في خُسُفٍ رَوِيَّاتْ وضَعْنَ أَنْماطاً على زِرْبِيَّاتْ

ثمَّ جَلَسْنَ بِرْكَةَ البُخْتِيَّاتْ مَنْ راكِبٌ يُهْدَى لنا التَّحِيَّاتْ

أَرْوعُ خَرَّاجٌ مِنَ الداوِيَّاتْ جَوَّابُ لَيْلٍ مِنْجَرُ العَشِيَّاتْ

يَبِيتُ بَيْنَ الشُّعَبِ الحارِيَّاتْ يَسْرِى إِذا نام بَنو السَّرِيَّاتْ

ومما يتمثل به من شعره قوله في رجزٍ آخر حدا به:

لَيْسَ بما لَيْسَ به باسُ باسْ ولا يَضُرُّ البَرَّ ما قالَ النَّاسْ

وكان الشماخ جاهلياً إسلامياً، وقال الحطيئة: أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان.

وكان الشماخ خرج يريد المدينة فصحب عرابة بن أوسٍ الأنصاري، فسأله عرابة عما يريد بالمدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي، وكان معه بعيران، فأنزله وأكرمه وأوقر له بعيريه تمراً وبراً فقال فيه:

رَأَيْت عَرابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو إِلى الخَيْراتِ مُنْقَطِعَ القَرِين

إِذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليَمِينِ

وأخوهما جزء من ضرارٍ، وهو القائل في عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عليكَ سَلاَمٌ من أَمِيرٍ وبارَكَتْ يَدُ اللهِ في ذاكَ الأَدِيم المُمَزَّقِ

ربيعة بن مقروم

هو من ضبة، جاهلي إسلامي، وشهد القادسية وجلولاء، وهو من شعراء مضر المعدودين، وكانت عبد القيس أسرته ثم منت عليه بعد دهرٍ، وهو القائل:

ووارِدَةٍ كأَنَّها عُصَبُ القَطَا ... تُثِيرُ عَجَاجاً بالسَّنَابِكِ أَصْهَبَا

وَزَعْتُ بِمِثْلِ السِّيدِ نَهْدٍ مُقَلَّصٍ ... جَهِيزٍ إِذَا عِطفَاهُ ماءً تَحلَّبَا

ومَرْبَأَةٍ أَوْفَيْتُ جُنْحَ أَصِيلَةٍ ... عليها إِذَا أَوْفَى القُطَامُّى مَرْقَبا

ربيئَةَ جَيْشٍ أَو رَبِيئَةَ مِقْنَبٍ ... إِذَا لم يَقْدْ وَغْلٌ منَ القَوْمِ مِقْنَبَا

فلمّا انْجَلَى عَنّى الظَّلامُ رَفعْتُها ... يُشَبِّهُها الرّائى سَراحينَ لُغَّبا

وهو القائل:

نَصِلُ السَّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بخَطْوِنَا ... قُدُمًا ونُلْحِقُها إِذَا لم تَلْحَقِ

أخذه من قيس بن الخطيم، أو أخذه قيسٌ منه، قال قيس:

إِذا قَصُرَتْ أَسْيافُنا كان وَصْلُها ... خُطَانا إِلى أَعْدائِنا فنُضَارِبِ

الحطيئة

هو جرول بن أوسٍ، من بني قطيعة بن عبسٍ، ولقب الحطيئة لقصره وقربه من الأرض، ويكنى أبا مليكة، وكان راوية زهير، وهو جاهليٌّ إسلامٌّ ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأني لم أسمع له بذكر فيمن وفد عليه من وفود العرب، إلا أني وجدته يقول في أول خلافة أبي بكر رضي الله عنه حين ارتدت العرب:

أَطَعْنا رَسُولَ اللهِ إِذْ كان حاضِراً ... فيا لَهْفَتَى ما بالُ دِينِ أَبى بَكْرِ

أَيُورِثُها بكْراً إِذا مات بَعْدَهُ ... فتلْكَ وبَيْتِ اللهِ قاصِمَةُ الظَّهْرِ

وقد يجوز أن يكون أراد بقوله أطعنا رسول الله قومه أو العرب، وكيف ما كان فإنه كان رقيق الإسلام، لئيم الطبع.

ومن المشهور عنه أنه قيل له حين حضرته الوفاة: أوص يا أبا مليكة، فقال: مالي للذكور من ولدي دون الإناث، فقالوا: إن الله لم يأمر بهذا، فقال: لكني آمر به! ثم قال: ويلٌ للشعر من الرواة السوء، وقيل له: أوص للمساكين بشيءٍ فقال: أوصيهم بالمسألة ما عاشوا، فإنها تجارةٌ لن تبور! وقيل له: أعتق عبدك يساراً، فقال اشهدو أنه عبدٌ ما بقي عبسي! وقيل له: فلان اليتيم ما توصي له بشيءٍ؟ فقال أوصي بأن

تأكلوا ماله وتنيكوا أمه! قالوا: فليس إلا هذا؟ قال: احملوني على حمارٍ، فإنه لم يمت عليه كريمٌ، لعلي أنجو! ثم تمثل:

لِكُلِّ جَديدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنى رَأَيْتُ جَديدَ المَوْتِ غَيْرَ لَذيذِ
له خَبْطَةٌ في الخَلْقِ لَيستْ بسُكَّرٍ ولا طَعْمَ راحٍ يُشْتَهى ونَبيذِ

ومات مكانه.

وكان هجا أمه وأباه ونفسه، فقال في أمه:

تَنَحَّىْ فاقْعُدِى منِّى بَعيداً أَراحَ اللهُ منْكِ العالَمينَا
أَلَمْ أُوضِح لَكِ البَغْضاءَ مَنى ولكِنْ لا إِخالُكِ تَعْقلينَا
أَغِرْبالاً إِذَا اسْتُودِعْتِ سراً وكانُوناً على المُتَحَدَّثِينَا
جَزَاكِ اللهُ شَراً مِنْ عَجُوزٍ ولَقَّاكِ العُقُوقِ منَ البَنينَا

حَيَاتُكِ ما عَلِمْتُ حَيَاةُ سَوْءٍ ومَوْتُكِ قد يَسُرُّ الصَّالِحينَا

وقال لأبيه:

لحَاكَ اللهُ ثم لحَاكَ حقّاً أَباً ولحَاكَ من عَمٍّ وخالِ
فنعِمْ الشَّيْخُ لَدَى المَخَازِى وبِئسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى المَعَالِى
جَمَعْتَ اللُّؤْمَ لا حَيَّاكَ رَبِّى وأَبْوابَ السَّفَاهةِ والضَّلاَلِ

وقال لنفسه:

أَبَتْ شَفَتَاىَ اليَوْمَ إلاَّ تَكَلُّماً بِسُوءٍ فما أَدْرِى لِمَنْ أَنا قائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَهُ فقُبِّحَ من وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهُ

وقال عبد الرحمن بن أبي بكرة: رأيت الحطيئة بذات عرق فقلت له: يا أبا مليكة، أي الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حيةٍ، فقال: هذا إذا طمع.

ودخل على عتيبة بن النهاس العجلي في عباءةٍ، فلم يعرفه عتيبة، ولم يسلم عليه، فقال: أعطني فقال له عتيبة: ما أنا في عملٍ فأعطيك من غدده، وما في مالي فضلٌ عن قومي، فانصرف الحطيئة، فقال له رجل من قومه: عرضتنا للشر، هذا الحطيئة! قال: ردوه، فردوه، فقال له عتيبة: إنك لم تسلم تسليم أهل

الإسلام، ولا استأنست استئناس الجار، ولا رحبت ترحيب ابن العم، وكتمتنا نفسك كأنك كنت معتلاًّ! قال: هو ذاك، قال: اجلس فلك عندنا ما تحب، فجلس، ثم سأله، من أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول:

ومَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرضِهِ — يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

يعني زهيراً، قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

مَنْ يَسْأَلِ الناسَ يَحْرِمُوهُ — وسَائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ

يعني عبيداً، قال: ثم من؟ قال: أنا، قال عتيبة لغلامه: اذهب به إلى السوق فلا يشيرن إلى شيءٍ ولا يسومن به إلا اشتريته له، فانطلق به الغلام، فعرض عليه اليمنة والخز وبياض مصر والمروي، فلم يرد ذلك، وأشار إلى الأكيسة والكرابيس الغلاظ والعباء، فاشترى له منها بمائتي درهم، واشترى له قطفاً، وأوقر له راحلةً من تمرٍ وراحلةً من بر، ثم قال له: حسبك، فقال له الغلام: إنه قد أمرني أن أبسط، يدي لك بالنفقة ولا أجعل لك علةً، فقال: لا حاجة لقومي في أن تكون لهذا عليهم يدٌ أعظم من هذه، فانصرف الغلام إلى عتيبة فأخبره بذلك، وقال الحطيئة:

سُئِلْتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعْطِ طائلاً — فَسِيَّانِ لا ذَمٌّ عليكَ ولا حَمْدُ

وأَنْتَ امْرُؤٌ لا الجُودُ منك سَجِيَّةٌ — فتُعْطِي وقد يُعْدِى على النَّائِلِ الوَجْدُ

وأتى الحطيئة مجلس سعيد بن العاص، وهو على المدينة يعشى الناس، فلما فرغ الناس من طعامهم، وخف من عنده، وخف من عنده، نظر فإذا رجلٌ قاعدٌ على البساط قبيح الوجه كبير السن سيء الهيئة، وجاء الشرط ليقيموه، فقال سعيدٌ: دعوه، وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارهم، وهم لا يعرفونه، فقال لهم الحطيئة: ما أصبتم جيد الشعر، قال له سعيد: وعندك من ذلك علمٌ؟ قال: نعم، قال: فمن أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْماً ولكِنْ — فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُهُ الإِعْدَامُ

يعني أبا دؤادٍ قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

أَفْلِجْ بما شِئْتَ فقد يُبْلَغُ بال — ضَّعْفِ وقَدْ يُخْدُعُ الأَرِيبُ

قال: ثم من؟ قال: فحسبك والله بي عند رغبةٍ أو رهبةٍ، إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت عواء الفصيل في إثر القوافي، قال: ومن أنت؟ قال: أنا الحطيئة، فرحب به سعيدٌ، وقال له: قد أسأت في كتمانك إيانا نفسك منذ الليلة، وقد علمت شوقنا إليك وإلى حديثك ومحبتنا لك وأكرمه وأحسن إليه، فقال:

لَعمْرِى لَقَدْ أَضْحَى على الأَمْرِ سائِسٌ — بَصِيرٌ بما ضَرَّ العَدُوَّ أَرِيبُ

سَعِيدٌ فلا يَغْرُوْكَ خِفَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدَ عنه اللَّحْمُ فَهْوَ صَلِيبُ

إِذَا غِبْتَ عَنَّا غاب عَنَّا رَبِيعُنا ونُسْقَى الغَمامَ الغُرَّ حِينَ تَؤُوبُ

فنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إِلى ضَوْءِ نارِهِ إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ والمَكانُ جَدِيبُ

ومر الحطيئة بالنضاح بن أشيم الكلبي ومعه بناته، فقال له النضاح: إن لنا جدةً ولك علينا كرامةً، فمرنا بما تحب نأته، وانهنا عما شئت تكرهه نجتنبه فقال: وريت زبك نادى أنا أغير الناس قلباً، وأشعر الناس لساناً، فانه بنيك أن يسمعوا بناتي الغناء: فإن الغناء رقية الزنا، وكان للنضاج سبعة بنين، فقال له: فقال له: لا تسمع غناء رجل منهم ما كنت عندنا، ونهى بنيه أن يمروا ببابه، فأقام عنده سنةً، فلما أراد أن يرحل قال للنضاح: زوج بعض بنيك بعض بناتي، فقال النضاح لابنه كعب ذلك، فقال كعبٌ: لو عرضها علي بشسع نعلٍ ما أردها! قال: ولم، قال: أكره لسانه، وكان في ولد النضاح الغناء منهم زمام بن خطام بن النضاح، كان أجود الناس غناءً بدوياً، وفيه يقول الصمة القشيري:

دَعَوْتُ زِماماً للهوَى فأَجابنِي وأيُّ فَتًى لِلَّهْوِ بَعْدَ زِمَامِ

وكان الحطيئة جاور الزبرقان بن بدرٍ، فلم يحمد جواره، فتحول عنه إلى بغيضٍ فأكرم جواره، فقال يهجو الزبرقان ويمدح بغيضاً:

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ أَنْ رَأَى رَجْلاً ذَا حاجَة عاشَ في مُسْتَوْعَرٍ شَاسِ

جاراً لِقَوْمٍ أَطالُوا هُونَ مَنْزِلِه وغادَرُوهُ مُقيماً بينَ أَرْمَاسِ

مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلاَبُهُمُ وجَرَّحُوهُ بأَنْيابٍ وأَضْرَاسِ

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا واقْعُدْ فإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنشده آخر الأبيات فقال له عمر: ما أعلمه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً؟ قال: إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فسأله عن ذلك، فقال: لم يهجه ولكن سلح عليه! فحبسه عمر، وقال: يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين، فقال وهو محبوسٌ:

ماذا أَرَدْتَ لأَفْرَاخٍ بذِي مَرَخٍ حُمْرِ الحَوَاصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كاسِبَهُم في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغْفِرْ عليكَ سَلاَمُ اللهِ يا عُمَرُ

فرق له عمر وخلي سبيله، وأخذ عليه ألا يهجو أحداً من المسلمين.

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقامَةٍ ... ولم تُحْتَلَبْ إلاَّ نَهاراً ضَجُورُها

أخذه ابن مقبلٍ فقال:

عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقامَةٍ ... ولم تَرَ ناراً تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ

النجاشي الحارثي

هو قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحرث بن كعب، وكان فاسقاً رقيق الإسلام.

وخرج في شهر رمضان على فرسٍ له بالكوفة يريد الكناسة، فمر بأبي سمالٍ الأسدي فوقف عليه، فقال، هل لك في رؤوس حملانٍ في كرشٍ في تنورٍ من أول الليل إلى آخره، قد أينعت وتهرأت؟ فقال له: ويحك أفي شهر رمضان تقول هذا؟ قال: ما شهر رمضان وشوالٌ إلا واحداً! قال: فما تسقيني عليها؟ قال: شراباً كالورس، يطيب النفس، ويجري في العرق، ويكثر الطرق، ويشد العظام ويسهل للفدم الكلام، فثنى رجله فنزل، فأكلا وشربا، فلما أخذ فيهما الشراب تفاخرا، فعلت أصواتهما، فسمع ذلك جارٌ لهما، فأتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخبره، فبعث في طلبهما، فأما أبو سمالٍ فشق الخص ونفذ إلى جيرانه فهرب، فأخذ النجاشي فأتى به علي بن أبي طالب فقال له: ويحك، ولداننا صيامٌ وأنت مفطرٌ؟ فضربه ثمانين سوطاً وزاده عشرين سوطاً، فقال له: ما هذه العلاوة يا أبا الحسن؟ فقال: هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان، ثم وقفه للناس ليروه في تبانٍ، فهجا أهل الكوفة فقال:

إِذَا سَقَى اللهُ قَوْماً صَوْبَ غادِيَةٍ ... فلا سَقَى اللهُ أَهْلَ الكُوفَةِ المَطَرَا

التَّارِكينَ على طُهْرٍ نِسَاءَهُمُ ... والناكِحِينَ بِشَطَّىْ دِجْلَةَ البَقَرَا

والسارِقينَ إِذَا ما جَنَّ لَيْلُهُمُ ... والطالِبِينَ إِذَا ما أَصْبَحُوا السُّوَرَا

وقال:

ضَرَبُونِى ثُمَّ قالوا قَدَرٌ ... قَدَرَ اللهُ لَهُمْ شَرَّ القَدَرْ

وكان هجا بني العجلان، فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: ما قال فيكم؟ فأنشدوه:

إِذَا اللهُ عادَى أَهْلَ لُؤْمٍ ورِقَّةٍ ... فعادَى بَنِى العَجْلانِ رَهْطَ ابنِ مُقْبِلِ

فقال عمر: إنما دعا، فإن كان مظلوماً استجيب له، وإن كان ظالماً لم يستجب له، قالوا: وقد قال أيضاً:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرُون بذِمَّةٍ ... ولا يَظْلِمُونَ الناسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فقالت عمر: ليت آل الخطاب هكذا! قالوا: وقد قال أيضاً:

ولا يَرِدُونَ الماءِ إلاَّ عَشِيَّةً ... إذَا صَدَرَ الوُرَّادُ عن كُلِّ مَنْهَلِ

فقال عمر: ذلك أقل للكاك! قالوا: وقد قال أيضاً:

تَعَافُ الكِلاَبُ الضارِيَاتُ لُحُومَهُمْ ... وتأْكُلُ مِنْ كَعْبٍ وعَوْفٍ ونَهْشَلِ

فقال عمر: أجن القوم موتاهم فلم يضيعوهم! قالوا: وقد قال:

وما سُمِّىَ العَجْلاَنَ إلا لِقِيلِهِمْ ... خُذِ القَعْبَ واحْلُبِ أَيُّهَا العَبْدُ واعْجَلِ

فقال عمر: خير القوم خادمهم وكلنا عبيد الله ثم بعث إلى حسان والحطيئة، وكان محبوساً عنده، فسألهما، فقال حسان مثل قوله في شعر الحطيئة، فهدد عمر النجاشي وقال له: إن عدت قطعت لسانك.

وهو القائل في معاوية:

ونَجَّى ابنَ حَرْبٍ سابِحٌ ذو عُلاَلَةٍ ... أَجَشُّ هَزِيمٌ والرِّماحُ دَوَانِى

فلما بلغ الشعر معاوية رفع ثندؤتيه وقال: لقد علم الناس أن الخيل لا تجري بمثلى، فكيف قال هذا؟ ومن جيد شعره قوله لمعاوية:

يا أَيُّهَا المَلِكُ المُبْدِى عَدَاوَ ... تَهُرَوّىءْ لِنَفْسِكَ أَىَّ الأَمْرِ

وما شَعَرْتُ بما أَضْمَرْتَ من حَنَقٍ ... حتَّى أَتَتْنِى به الأَخْبَارُ والنُّذُرُ

فإنْ نَفِسْتَ على الأَقْوَامِ مَجْدَهُمُ ... فابْسُطْ يَدَيْكَ فإنَّ الخَيْرَ يُبْتَدَرُ

واعْلَمْ بأَنْ عَلِىَّ الخَيْرِ من نَفَرٍ ... شُمِّ العَرَانينِ لا يَعْلُوهُمُ بَشَرُ

نِعْمَ الفَتَى أَنتَ إلاَّ أَنَّ بَيْنَكُمَاكَمَا ... تَفَاضَلَ ضَوْءُ الشَّمْسِ والقَمَرُ

وما إخالُكَ إلاَّ لَسْتَ مُنْتَهِياً ... حتَّى يَمَسَّكَ من أَظْفَارِهِ ظُفُرُ

إنِي امْرُؤٌ قَلَّ ما أُثْنِى على أَحَدٍ ... حتى أَرى بَعْضَ ما يَأْتِى وما يَذَرُ

لا تَمْدَحَنَّ امْرَأً حتَّى تُجَرِّبَهُ ... ولا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ يَبْلُهُ الخُبُرُ

وهجا قريشاً لعنه الله فقال:

إنَّ قُرَيْشاً والإمامَةَ كالَّذِى ... وَفَى طَرَفَاهُ بعدَ أَنْ كان أَجْدَعَا

وحُقَّ لِمَنْ كانَتْ سَخِينَةُ قَوْمَهُ ... إذا ذُكِرَ الأَقْوَامُ أَنْ يَتَقَنَّعَا

وقال:

سَخِينَةُ حَيٌّ يَعْرِفُ الناسُ لُؤْمَهَا ... قَديماً ولم تُعَرفْ بمَجْدٍ ولا كَرَمْ

فيا ضَيْعَةَ الدُّنْيَا وضَيْعَةَ أَهْلِها ... إذا وَلِيَ المُلْكَ التَّنابِلَةُ القَزَمْ

وعَهْدِي بهم في الناس ناسٌ ومالُهُمْ ... مِنَ الحَظِّ إلاَّ رِعْيَةُ الشَّاءِ والنَّعَمْ

وكان للنجاشي أخٌ يقال له حديج، وله يقول ابن مقبلٍ:

أَبْلغْ حُدَيْجاً بأني قد كرهْتُ له ... بُعْدَ المَقَالَة يَهْدِيها فتَأْتِينا

عامر بن الطفيل

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلابٍ العامري، وهو ابن عم لبيد الشاعر وكان فارس قيسٍ، وكان أعور عقيماً لا يولد له، ولم يعقب، وهو القائل:

لَبِئْسَ الفَتَى إنْ كُنْتَ أَعْوَرَ عاقِراً ... جَبَاناً فما عُذْرِي لَدَى كُلِّ مَحْضَرِ

لَعَمْرِي وما عَمْرِي عليَّ بِهَيْنٍ ... لَقَدْ شانَ حُرَّ الوَجْهِ طَعْنَةُ مُسْهِرِ

وكان له فرس يقال له المزنوق وله يقول:

وقد علِمَ المَزْنُوقُ أَنِّي أَكُرُّهُ ... على جَمْعِهمُ كَرَّ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

إِذَا ازْوَرَّ من وَقْعِ السِّلاَحِ زَجَرْتُهُ ... وقُلْتُ لَهُ ارْبَعْ مُقْبلا غَيْرَ مُدْبِرِ

وأبوه فارس قرزلٍ، قال بعض الشعراء لعامرٍ:

فإِنَّكَ يا عامِ ابنَ فارِسِ قُرْزُلٍ ... عَنِ القَصْدِ إذْ يَمَمْتَ ثَهْلانَ جائِرُ

ومن جيد الشعر قوله:

وما الأَرْضُ إلاَّ قَيْسُ عَيْلاَنَ أَهْلُها ... لَهُمْ ساحَتَاها سَهْلُها وحُزُومُهَا

وقد نال آفاقَ السَّمواتِ مَجْدُنا ... لنا الصَّحْوُ من آفاقِها وغُيُومُهَا

وله:

ونَسْتَلِبُ الأَقْرانَ والجُرْدُ كُلَّحٌ على ... الهَوْلِ يَعْسِفْنَ الوَشِيجَ المُقَوَّمَا

ونَحْنُ صبَحْنَا حَيَّ أَسْمَاءَ غارَةً ... أَبالَ الحَبَالَى غبُّ وَقْعَتِنَا دَمَا

وكان عامر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: تجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني ولي الأمر من بعدك وأسلم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم اكفني عامراً واهد بني عامر". فانصرف وهو يقول: لأملأنها عليك خيلا جرداً، ورجالاً مرداً، ولأربطن بكل نخلةٍ فرساً، فطعن في طريقه، فمات وهو يقول:

غدةٌ كغدة البعير، وموتٌ في بيت سلوليةٍ!! ويكنى أبا علي، وهو الذي نافر علقمة بن علاثة إلى هرم بن قطبة الفزاري، حين أهتر عمه عامر بن مالكٍ ملاعب الأسنة، ولعلقمة يقول الأعشى:

إنْ تَسُدِ الحُوصَ فلم تَعْدُهُمْ وعامرٌ سادَ بنى عامرِ

والحوص، ولد الأحوص بن مالك بن جعفر بن كلاب ويقال لهم الأحوص أيضاً.

ومن جيد شعره قوله:

فإنِّى وإن كُنْتُ ابنَ فارسِ عامرٍ وسَيِّدِها المَشْهُورِ في كُلِّ مَوْكِبِ

فما سَوّدَتْنِى عامِرٌ عن ورَاثَةٍ أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ ولا أَبِ

ولكِنَّنى أَحْمِى حِمَاهَا وأَتَّقِى أَذَهَا وأَرْمِى مَنْ رماها بِمَنْكِبِ

مالك ومتمم ابنا نويرة

هما من ثعلبة بن يربوع.

وكان مالك فارس ذي الخمار، وذو الخمار فرسه، وفيه يقول:

مَتى أَعْلُ يَوماً ذا الخِمَارِ وشِكَّتِى حُسامٌ وصَدْقٌ مارِنٌ وشَلِيلُ

وقتله خالد بن الوليد في الردة وتزوج امرأته وقتل من قومه مقتلةً عظيمةً، ولهذا السبب كان سخط عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد. ولمالك عقبٌ.

ودخل متممٌ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلك! قال: يا أمير المؤمنين، أما والله إني مع ذلك لأركب الجمل الثفال، وأعتقل الرمح الشطون، وألبس الشملة الفلوت، ولقد أسرتني بنو تغلب في الجاهلية، فبلغ ذلك أخي مالكاً، فجاء ليفديني، فلما رآه القوم أعجبهم جماله، وحدثهم فأعجبهم حديثه، فأطلقوني له بغير فداءٍ.

قال أبو محمد: ولما استشهد زيد بن الخطاب يوم مسيلمة ودخل متممٌ على عمر بن الخطاب فقال له: أنشدني بعض ما قلت في أخيك، فأنشده شعره الذي يقول فيه:

وكُنَّا كنَدْمانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي ومالِكاً لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لم نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

فقال له عمر: يا متمم، لو كنت أقول الشعر لسرني أن أقول في زيد ابن الخطاب مثل ما قلت في أخيك، قال متمم: يا أمير المؤمنين، لو قتل أخي قتلة أخيك ما قلت فيه شعراً أبداً، فقال عمر: يا متمم، ما عزاني

أحدٌ في أخي بأحسن مما عزيتني به.

وهذه القصيدة من أحسن ما قال وفيها يقول:

أَبَى الصَّبْرَ آياتٌ أَرَاها وأَنَّني ... أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا

وأَنى متى ما أَدْعُ باسْمِكَ لا تُجِبْ ... وكُنْتَ جَدِيراً أَنْ تُجِيبَ وتَسْمَعَا

فما شارِفٌ عَيْسَاءُ رِيعَتْ فرَجَّعَتْ ... حَنِيناً فأَبْكَى شَجْوُهَا البَرْكَ أَجْمَعَا

ولا وَجْدُ أَظْآرٍ ثَلاَثٍ رَوَائِمٍ ... رَأَيْنَ مَجَرّاً من حُوَارٍ ومَصْرَعَا

يُذَكِّرْنَ ذا البَثِّ القَدِيمِ بِدَائِه ... إِذَا حَنَّتِ الأُولَى سَجَعْنَ لها مَعَا

بأَوْجَدَ مِنِّى يَوْمَ قام لمالِكٍ ... مُنَادٍ فَصِيحٌ بالفِرَاقِ فأَسْمَعَنا

وكان لمتممٍ ابنان: إبراهيم وداوود، وكانا شاعرين خطيبين: ودخل إبراهيم على عبد الملك بن مروان، فقال له: إنك لشنخفٌ، فقال: يا أمير المؤمنين، إني من قومٍ شنخفين، والشنخف: الجسيم من الرجال. قال: وأراك أحمر قرفاً، قال: الحسن أحمر يا أمير المؤمنين.

ومما سبق إليه مالكٌ وأخذه الناس منه قوله:

جَزَيْنَا بَنِى شَيْبَانَ أَمْسِ بقَرْضِهِمْ ... وعُدْنا بمِثْلِ البَدْءِ والعَوْدُ أَحْمَدُ

فقال الناس: العود أحمد، وقال بعض المحدثين:

وأَحْسَنَ فيما كان بَيْنِي وبَيْنَهُ ... فإِنْ عاد بالإِحْسان فالعَوْدُ أحْمَدُ

وكان صرد بن جمرة، الذي شرب مني عبد أبي سواج الضبي، عم مالكٍ ومتممٍ ابني نويرة، وكان صرد يختلف إلى امرأة أبي سواجٍ، فقال لها يوماً: أريد أن تقدي لي سيراً من است أبي سواج! فقالت: أفعل، وعمدت إلى نعجة فذبحتها وقدت من باطن إليتها سيراً ودفعته إليه، فجعله صرد في نعله، وكان يقول إذا رأى أبا سواج:

بِتُّ بِذِي بِلِّيَّانْ ... وفي نَعْلِى شِرَاكانْ

قُدَّا مِنَ اسْتِ إِنْسَانْ

فلما أكثر علم أبو سواج أنه يعرض به، فطرح ثوبه وقال لمن حضر: أنشدكم بالله! هل ترون بأساً؟ قالوا: لا، ثم أمر أبو سواج عبداً له أن يواقع أمةً له كان زوجه إياها، وأن يفرغ من منيه في عس، ففعل، فقال

لامرأته: والله لتسقينه صرد أو لأقتلنك، فبعثت إلى صرد فأقام عندها، فلما استسقى حلبت له على لك المنى فشربه، فمات فتميم تعير بشرب المنى، وقد أكثر الشعراء في ذلك، قال الشاعر:

أَتَحْلِفُ لا تَذُوقُ لنا طَعَاماً ... وتَشْرَبُ مَنْى عَبْدِ أَبى سُوَاجِ
شَرِبْتَ رَثِيَّةً فحَبِلْتَ عنها ... فما لك راحَةٌ دُونَ النِّتَاجِ

ومالكٌ هو القائل:

سَأَهْدِى مِدْحَةً لِبَنِى عَدِيٍّ ... أَخُصُّ بها عَدِىَّ بَنِى جَنَابِ
تُراثَ الأَحْوَصِ الخَيْرِ ابن عَمْرٍو ... ولا أَعْنِى الأَحاوِصَ من كِلاَبِ
أَتَيْنَا حَىَّ خَيْرِ بنى مَعَدٍّ ... هُمُ أَهْلُ المَرَابِعِ والقِبَابِ
شُرَيْحٌ والفَرَافِصَةُ بنُ عَمْرٍو ... وإخْوَتُهُ الأَصَاغِرُ لِلرِّبَابِ

خفاف بن ندبة

هو خفاف بن عمير بن الحرث بن الشريد السلمي، وأمه ندبة سوداء، وإليها ينسب، وهو من أغربة العرب، وهو ابن عم خنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة، هو القائل:

كِلاَنَا يُسَوِّدُهُ قَوْمُهُ ... على ذلِكَ النَّسَبِ المُظْلِمِ

يعني السودان، ويكنى أبا خراشة، وأسلم وبقي إلى زمن عمر، وله يقول عباس بن مرداس السلمي، وكان يهاجيه:

أَبَا خرَاشَةَ إمَّا كُنْتَ ذَا نَفَرٍ ... فإِنَّ قَوْمِى لم يَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

وخفافٌ هو قاتل مالك بن حمار، سيدٌ بني شمخ بن فزارة، وفي ذلك يقولك

إنْ تَكُ خَيْلِى قد أُصِيبَ صَمِيمُهَا ... فعَمْداً على عَيْنِى تَيَمَّمْتُ مَالِكَا
أَقُولُ له والرُّمْحُ يَأْطُرُ مَتْنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفَافاً إِنَّنِى أَنَا ذلِكَا

وشهد خفافٌ مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة ومعه لواء بني سليم، ومما يسأل عنه من شعرٍ قوله:

فلم يَكُ طِبَّهُمْ جُبْناً ولكِنْ ... رَمَيْنَاهُمْ بثالِثَةِ الأَثَافِى

خنساء بنت عمرو

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، وكان دريد بن الصمة خطبها، وذلك أنه رآها تهنأ إبلا لها فهويها، فردته وقالت: أتراني تاركةً بني عمي كأنهم عوالي أشباح ومرتثةً شيخ بني جشم؟ ففي ذلك يقول دريد:

حَيُّوا تُمَاضر وارْبَعُوا صَحْبِى — وقِفُوا فإنَّ وُقُوفَكُمْ حَسْبِى

أَخُنَاسُر فد هامَ الفُؤَادُ بِكُمْ — وأَصابَهُ تبْلٌ منَ الحُبِّ

ما إنْ رَأَيْتُ ولا سَمِعْتُ به — كَالْيَومِ هانِىءَ أَيْنُقٍ جُرْبِ

مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مَحَاسِنُهُ — يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ

فخطبها رواحة بن عبد العزي السلمي، فولدت له عبد الله، وهو أبو شجرة، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر السلمي، فولدت له زيداً ومعاوية وعمراً.

وهي الجاهلية كنت تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني، وكان النابغة تضرب له قبةٌ حمراء من أدمٍ بسوق عكاظٍ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فأنشده الأعشى أبو بصيرٍ، ثم أنشده حسان بن ثابت، ثم الشعراء، ثم جاءت الخنساء السلمية فأنشدته، فقال لها النابغة: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت إنك أشعر الجن والإنس، فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك! فقبض النابغة على يده، ثم قال: يا بن أخي، إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي:

فإِنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هو مُدْرِكي — وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ واسِعُ

ثم قال للخنساء: أنشديه، فأنشدته، فقال: والله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك، فقالت له الخنساء والله ولاذا خصيين.

وكان أخوها صخر بن عمرو شريفاً في بني سليم، وخرج في غزاة فقاتل فيها قتالا شديداً، وأصابه جرح رغيبٌ، فمرض من ذلك فطال مرضه، وعاده قومه، فكانوا إذا سألوا امرأته سلمى عنه قالت: لا هو حي فيرجى، ولا ميتٌ فينسي، وصخرٌ يسمع كلامها، فشق عليها، وإذا قالوا لأمه: كيف صخرٌ اليوم؟ قالت أصبح صالحاً بنعمة الله، فلما أفاق من علته بعض الإفاقة عمد إلى امرأته سلمى فعلقها بعمود الفسطاطٍ حتى ماتت وقال: غيره بل قال: ناولوني سيفي لأنظر كيف قوتي وأراد قتلها، وناولوه فلم يطق السيف، ففي ذلك يقول:

أَهُمُّ بأَمرِ الحَزْمِ......... — ....البيت

وأول الشعر:

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ ما تَمَلُّ عِيَادَتى — ومَلّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعى ومَكانِى

وما كُنْتُ أَخْشَى أَن أَكُونَ جِنَازَةً عليكِ ومَنْ يَغْتَرُّ بالحَدَثَانِ

فأَيُّ امْرِىءٍ ساوَى بأُمٍّ حَلِيلَةً فلا عاشَ إلاَّ في أذىً وهَوَانِ

أَهُمُّ بأَمْرِ الحَزْمِ لو أَسْتَطِيعُهُ وقد حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ والنَّزَوَانِ

لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْبَهْتِ مَنْ كان نائماً وأَسْمَعْتِ مَنْ كانَتْ له أُذُنَانِ

ولَلْمَوْتُ خَيْرٌ من حَيَاةٍ كأَنَّها مَحِلَّةَ يَعْسُوبٍ برَأْسِ سِنَانِ

ثم نكس بعد ذلك من طعنته فمات، فكانت أخته خنساء ترثيه، ولم تزل تبكيه حتى عميت.

ودخلت خنساء على أم المؤمنين عائشة، وعليها صدارٌ لها من شعر فقالت لها عائشة رضي الله عنها: يا خنساء إن هذا لقبيحٌ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبست هذا، قالت: إن له قصةً: قالت: فأخبريني، قالت: زوجني أبي رجلا، وكان سيداً معطاءً، فذهب ماله، فقال لي: إلى من يا خنساء.؟ قلت: إلى أخي صخرٍ، فأتيناه، فقسم ماله شطرين، فأعطانا خيرهما، فجعل زوجي أيضاً يعطي ويحمل، حتى نفد ماله، فقال: إلى من؟ فقلت: إلى أخي صخر، فأتيناه، فقسم ماله شطرين، فأعطانا خيرهما، فقالت امرأته: أما ترضى أن تعطيها النصف حتى تعطيها أفضل النصيبين؟ فأنشأ يقول:

والله لا أَمْنَحُها شِرارَهَا ولو هَلَكْتُ مَزَّقَتْ خِمَارَهَا

وجَعَلَتْ من شَعَرٍ صِدَارَهَا

فذلك الذي دعاني إلى أن لبست هذا حين هلك.

وكانت تقف بالموسم فتسوم هودجها بسومةٍ، وتعاظم العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخرٍ ومعاوية ابني عمرو، وتنشدهم فتبكي الناس.

وكان أبوها يأخذ بيدي ابنيه صخرٍ ومعاوية ويقول: أنا أبو خيري مضر، فتعترف له العرب بذلك، ثم قالت الخنساء بعد ذلك: كنت أبكي لصخرٍ من القتل، فأنا أبكي له اليوم من النار.

ومما سبقت إليه قولها:

أَشَمُّ أَبْلَجُ تَأْتَمُّ الهُدَاةُ به كأَنَّهُ عَلَمٌ في رأسِه نَار

وفيها تقول:

مِثْلَ الرُّدَيْنِيِّ لم تَكْبَرْ شَبِيبَتُهُ كأَنَّه تحتَ طَيِّ الثَّوْبِ إسْوَارُ

لم تَرَهُ جارَةٌ يَمْشِي بساحَتِها لرِيبَةٍ حينَ يُخْلِي بَيْتَه الجارُ

فما عَجُولٌ لَدَى بَوٍّ تُطِيفُ به قد ساعَدَتْها على التَّحْنانِ أَظْآر

أَوْدَى به الدَّهْرُ عنها فَهْىَ مُرْزِمَةٌ لها حَنِينَانِ إِصْغارٌ وإِكْبَارُ
تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حتَّى إذا ذَكَرَتْ فإنما هىَ إِقْبَالٌ وإِدْبارُ
يَوْماً بأَوْجَعَ منى يومَ فارَقَنِى صَخْرٌ وللدَّهْرِ إِحْلاءٌ وإِمْرارُ

المساور بن هند

وكنيته أبو الصمعاء هو المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي وقيس بن زهيرٍ جد المساور هو صاحب الحرب بين عبسٍ وفزارة، وهي حرب داحسٍ والغبراء، وكان المساور يهاجي المرار الفقعسي ويهجو بني أسدٍ، قال الشاعر:

شَقِيَت بَنُو أَسَدِ بِشِعْرِ مُسَاوِرِ إِنَّ الشَّقِيَّ بكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ

وهو القائل للمرار:

ما سَرَّنى أَنَّ أمي من بنى أَسَدٍ وأَنَّ ربىَ يُنْجِينِى منَ النارِ
وأَنَّهم زَوَّجُونى من بَناتِهمُ وأَنَّ لىِ كلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينارِ

فقال له المرار:

لَسْتَ إلى الأُمِّ من عبْسٍ ومن أَسَدٍ وإنما أَنْتَ دِينَارُ بن دِينَارِ
وإنْ تَكُنْ أَنْتَ من عَبْسٍ وأُمِّهِمِ فأُمُّ عَبْسِكُمُ من جارَةِ الجَارِ

وقال له الحجاج: لم تقول الشعر بعد الكبر؟ قال: أسقي به الماء، وأرعى به الكلأ، وتقضي لي به الحاجة، فإن كفيتني ذلك تركته، وعمر طويلا.

وهو القائل:

بَلِيتُ وعِلْمِى في البِلادِ مَكانَهُ وأَفْنى شَبَابى الدَّهْرُ وهْوَ جَدِيدُ
وأَدْرَكَنى يوْمٌ إِذَا قُلْتُ قد مَضَى يَعُودُ لَنا أَو مِثْلُهُ فيَعُودُ
وأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ تَقَادُمُ عَهْدِ القَيْنِ وهْوَ جَدِيدُ
أَلَمْ تَعْلَمُوا يا عَبْسُ لو تَشْكُرُوننى إِذَا الْتَفَّت الذُّوَّادُ كَيْفَ أَذُودُ
أَلَمْ تَعلَمُوا أَنى ضَحُوكٌ إِليكمُ وعِنْدَ شَدِيدَاتِ الأُمُور شَدِيد

وهلك المساور بعمان.

ضابىء بن الحرث البرجي

هو ضابيء بن الحرث بن أرطاة، من بني غالب بن حنظلة، بن البراجم، وكان استعار كلباً من بعض بني جرول بن نهشلٍ، فطال مكثه عنده، فطلبوه فامتنع عليهم، فعرضوا له فأخذوه منه، فغضب ورمى أمهم بالكلب، واسم الكلب قرحان فقال:

تَجَشَّمَ دُونى وَفْدُ قُرْحانَ شُقَّةً	تَظَلُّ بها الوَجْناءُ وهْىَ حَسيرُ
فأَرْدَفْتَهُمْ كلْباً فراحُوا كأَنما	حبَاهُمْ بتاجِ الهُرْمُزَانِ أَميرُ
وقَلَّدْتُهُمْ ما لو رَمَيتُ مُتَالِعاً	به وهو مُغْبَرٌّ لكادَ يَطِيرُ
فيا راكِباً إمَّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ	ثُمَامَةَ عَنِّى والأُمُورُ تَدُورُ
فأُمَّكُمُ لا تَتْرُكُوها وكَلْبَكُمْ	فإنَّ عُقُوقَ الوالِداتِ كبيرُ
فإنَّكَ كَلْبٌ قد ضَرِيتَ بما تَرَى	سَمِيعٌ بما فَوْقَ الفِراشِ خَبِيرُ
إذا عَثَّنَتْ من آخرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً	يَبِيتُ لها فَوْقَ الفِرَاشِ هَرِيرُ

فاستعدوا عليه عثمان بن عفان، فحبسه، وقال: والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حي لأحسبنه نزل فيك القرآن، وما رأيت أحداً رمى قوماً بكلبٍ قبلك، ومثل ها قول زهيرٍ، ورمى قوماً بفحلٍ إبلٍ حبسوه عليه، فقال:

ولَوْلاَ عَسْبُهُ لَرَدَتُمُوُه	وشَرٌّ مَنِيحَةٍ أَيْرٌ مُعَارُ
إذَا طَمَحَتْ نِسَاؤُكُمُ إليه	أَشَظَّ كأَنَّه مَسَدٌ مُغَارُ

وكان أراد أن يفتك بعثمان بن عفان، فقال في الحبس:

هَمَمْتُ ولم أَفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَنِى	تَرَكْتُ على عثمانَ تَبْكِى حَلاَئِلُهْ

ولم يزل في حبس عثمان إلى أن مات.

ومن شعره في الحبس قوله:

ومَنْ يَكُ أَمْسَىَ بالمَدِينَةِ رَحْلُهُ	فإنى وقَيَّاراً بها لَغَرِيبُ
وما عاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْنِى من الفَتَى	رَشَاداً ولا عن رَيْثِهنَّ يَخِيبُ
ورُبَّ أُمُورٍ لا تَضِيرُك ضَيْرَةٌ	ولِلْقَلْبِ من مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ
ولا خَيْرَ فيمَنْ لا يُوَطِّنُ نفْسَهُ	على نائِباتِ الدَّهْرِ حينَ تَنُوب

وفي الشَّك تَفْرِيطٌ وفي الجَزْمِ قُوَّةٌ ويُخْطِىءُ في الحَدْسِ الفَتَى ويُصِيب

ولَسْتَ بِمُسَتَبْقٍ صَدِيقاً ولا أَخاً إِذَا لم تُفِدْهُ الشىءَ وهْوَ قَرِيبُ

ولما قتل عثمان رضي الله عنه جاء عمير بن ضابيء فرفسه برجله، فلما كان زمن الحجاج وعرض أهل الكوفة ليوجههم مدداً للمهلبن عرضه فيهم، وهو شيخٌ كبيرٌ، فقال له: اقبل مني بديلاً، قال: نعم، فقال عنبسة بن سعيد: هذا الذي رفس عثمان وهو مقتولن فرده فقتله، وفي ذلك يقول الشاعر:

تَخَيَّرْ فإمَّا أَنْ تَزُورَ ابنَ ضابِىءٍ عُمَيْراً وإمَّا أَن تَزُورَ

هُما خُطَّتَا خَسْف نَجَاؤُكَ منهما رُكُوبُك حَوْلِياً منَ الثَّلْجِ أَشْهَبَا

وأخو ضابيء معرض بن الحرث: ومما سبق إليه ضابيء فأخذ منه قوله في الثور:

يُساقِطُ عَنْهُ رَوْقُه ضَارِيَاتِها سِقَاطَ حَدِيدِ القَيْنِ أَخْوَلَ أَخْوَلاَ

أخذه الكميت فقال:

يُساقِطُهُنَّ سِقَاطَ الحَدِي دِ يَتْبَعُ أَخْوَلَهُ الأَخْوَلُ

يقال: تساقطت النار أخول أخول، أي قطعاً قطعاً.

مالك بن الريب

هو من مازن تميمٍ، وكان فاتكاً لصا، يصيب الطريق مع شظاظٍ الضبي الذي يضرب به المثل، فيقال ألص من شظاظٍ ومالكٌ الذي يقول:

سَيُغْنِينى المَلِيكُ ونَصْلُ سَيْفِى وكَرَّاتُ الكُمَيْتِ على التَّجَارِ

وحبس بمكة في سرقةٍ، فشفع فيه شماس بن عقبة المازني، فاستنقذه وهو القائل في الحبس:

أَتَلْحَقُ بالرِّيْبِ الرِّفَاقُ ومالِكٌ بمكَّةَ في سِجْنٍ يُعَنِّيه راقِبُهْ

ثم لحق بسعيد بن عثمان بن عفان، فغزا معه خراسان، فلم يزل بها حتى مات.

ولما حضرته الوفاة قال:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هل أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بجَنْبِ الغَضَا أُزْجِى القِلاَصَ النَّواجيا

فلَيْتَ الغَضَا لم يَقْطَعِ الرَّكْبُ عُرْضَه ولَيْتَ الغَضَا مَاشَى الرِّكابَ لَيَالِيَا

أَلَمْ تَرَنِى بعْتُ الضَّلاَلَة بالهُدَى وأَصْبَحْتُ في جَيْش ابنِ عَفَّانَ غازِيَا

لَعَمْرِى لَئِنْ غالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِى لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بابَىْ خُرَاسَانَ نائِيَا

فيَا صَاحِبَى رَحْلِى دَنَا المَوْتُ فاحْفِرَا   برابِيَةٍ إني مُقِيمُ لَيَالِيَا
وخُطَّا بِأَطْرَافِ الأَسِنَّة مَضْجَعِى   ورُدَّا على عَيْنَىَّ فَضْلَ رِدَائِيَا
ولا تَحْسُدَانى بارَكَ اللهُ فيكُمَا   مِنَ الأَرْضِ ذاتَ العَرْضِ أَنْ تُوسِعَالِيَا
تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِى علىَّ فلم أَجِدْ   سِوَى السَّيْفِ والرُّمْحِ الرُّدَيْنِىِّ باكِيَا

وقال يهجو الحجاج:"

فإِنْ تُنْصِفُوا يا آلَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ   إِلَيْكُمْ وإلاَّ فأْذَنُوا ببِعَادِ
فِنَّ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحاً ومَزْحلاً   بِعِيسٍ إلى رِيحِ الفلاةِ صَوَادِ
فماذَا عَسَى الحجَّاجُ يَبْلُغُ جَهْدُهُ   إذا نَحْنُ جاوَزْنَا قَنَاةَ زِيَادِ
فلولا بَنُو مَرْوَانَ كان ابنُ يُوسُفٍ   كما كانَ عَبْداً من عَبِيدِ إيَادِ
زَمَانَ هو العَبْدُ المُقِرُّ بذِلةِ   يُرَاوِحُ صِبْيَانَ القُرَى ويُغَادِى

وليس له عقبٌ.

ومما سبق إليه فأخذ عنه قوله:

العَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا   والحُرُّ يَكْفِيهِ الوَعِيدُ

وقال آخر:

العَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا   والحُرُّ تَكْفِيهِ الإِشارَهْ

وقال ابن مفرغٍ:

العَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا   والحُرُّ تَكْفِيهِ المَلاَمَهْ

وقال بشار:

الحُرُّ يُلْحَى والعَصَا للعَبْدِ   ولَيْسَ للمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

ابن أحمر الباهلي

هو عمرو بن أحمر بن فراص، بن معن بن أعصر، وكان أعور، رماه رجلٌ يقال له مخشي بسهمٍ، فذهبت عينه، فقال:

شَلَّتْ أَنامِلُ مَخْشِىٍّ فلاَ جَبَرَتْ   ولا استَعانَ بِضَاحِى كَفِّهِ أَبَدَا

أَهْوَى لها مِشْقَصاً حَشْراً فَشَبْرَقَها وكُنْتُ أَدْعُو قَذَاها الإِثْمِدَ القَرِدَا

وعمر تسعين سنةً، وسقى بطنه فمات، وفي ذلك يقول:

إلَيْكَ إلَهَ الحَق أَرْفَعُ رَغْبَتِي عِيَاذاً وخَوْفاً أَنْ تُطِيلَ ضَمَانِيَا

فإِنْ كان بُرْءًا فاجْعَلِ البُرْءَ نعْمَةً وإِنْ كان فَيْضاً فاقْضِ ما أَنْتَ قاضيَا

لِقاؤُكَ خيْرٌ من ضَمَانٍ وفِتْنَةٍ وقد عِشْتُ أَيَّاماً وعِشْتُ لَيَالِيَا

أُرَجِّى شَبَاباً مُطْرَهِماً وصِحَّةً وكيف رجاءُ المرءِ ما ليس لاقِيَا

وكيف وقد جَرَّبْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً وضَمَّ فُؤَادى نَوْطَةٌ هِىَ ماهِيَا

وفي كُلِّ عامٍ يَدّعُوَانِ أَطِبَّةً إلىَّ وما يُجْدُونَ إلاّ الهوَاهِيَا

فإِنْ تَحْسِمَا عِرْقاً من الدَّاءِ تَتْرُكَا إلى جَنْبِهِ عِرْقاً من الدّاءِ ساقِيَا

فلا تَحْرِقَا جِلْدِى سَوَاءٌ عَلَيْكما أَداوَيْتُما العَصْرَيْنِ أَم لا تُدَاوِيَا

شَرِبْتُ الشُكاعَى والتَدَدْتُ أَلِدَّةً وأَقْبَلْتُ أَفْواهَ العُرُوقِ المَكَاوِيَا

شَرِبْنَا وداوَيْنا وما كان ضَرَّنَا إذَا اللهُ حَمَّ القَدْرَ أَلاَ تُدَاوِيَا

وقد أتى ابن أحمر في شعره بأربعة ألفاظٍ لا تعرف في كلام العرب سمي النار ماموسة، ولا يعرف ذلك قال:

تَطَايَحَ الطَّلُّ عن أَعْطافِها صُعُداً كما تَطَايَحَ عن مامُوسَةَ الشَّرَرُ

وسمي حوار الناقة بابوساً، ولا يعرف فقال:

حَنَّتْ قَلُوصِى إلى بابُوسِها جَزَعاً فما حَنِينُكِ أَمْ ما أَنْتِ والذِّكَرُ

وفي بيتٍ آخر يذكر فيه البقرة:

وبَنَّسَ عنها فَرْقَدٌ خَصِرُ

أي تأخر، ولا يعرف التبنيس وقال:

وتَقَنَّعَ الحِرْباءُ أُرْنَتَهُ مُتَشَاوِسًا لِوَرِيدِهِ نَقْرُ

قال: الأرنة ما لف على الرأس، ولا يعرف ذلك في غير شعره.

وقالوا: هو أكثر بيتٍ آفات، قال:

تُمشِّى بأَكْنافِ البَلِيخِ نِساؤُنا أَرامِلَ يَسْتَطْعِمْنَ بالكَف والفَمِ

نَقَائِذَ بِرْسامٍ وحُمَّى وحَصْبَةٍ وجُوعٍ وطاعُونٍ ونَقْرٍ ومَغْرَمِ

وقال أبو عمرو بن العلاء: كان ابن أحمر في أفصح بقعةٍ من الأرض أهلاً، يذبل والقعاقع، يعني مولده قبل أن يترل الجزيرة ونواحيها.

وأخذت العلماء عليه قوله في وصف امرأة:

لم تَدْرِ ما نَسْجُ اليَرَنْدَجِ قَبْلَها ... ودِرَاسُ أَعْوصَ دارسٍ مُتَجَدِّدِ

واليرندج جلودٌ أسودٌ، فظن أنه شيءٌ ينسج، ودراس أعوص، أي لم تدارس الناس عويص الكلام، وقوله دارسٍ متجدد، يريد أنه يخفي أحياناً ويتبين أحياناً.

ابن مفزع الحميرى

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، حليفٌ لقريش، يقال إنه كان عبداً للضحاك بن عبد عوفٍ الهلالي فأنعم عليه، ويقال سمي أبوه مفرغاً لأنه كان خاطر على شر سقاء لبنٍ، فشربه حتى أتى عليه، ولما ولي سعيد بن عثمان بن عفان خراسان استصحبه، فلم يصحبه، وصحب عباد بن زياد بن أبي سفيان، فلم يحمده، وكان عبادٌ طويل اللحية عريضها، فركب ذات يومٍ وابن مفرغٍ معه في موكبه، فهبت الريح فنفشت لحيته، فقال ابن مفرغٍ:

أَلاَ لَيْتَ اللُّحَى كانَتْ حَشيشاً ... فَنُعْلِفَها دَوَابَّ المُسْلمِينَا

وقال أيضاً:

سَبَقَ عَبَّادٌ وصلَّتْ لِحْيَتُهْ ... وكان خَرَّازاً تَجُورُ قَرْيَتُهْ

فبلغ ذلك عباداً فجفاه وحقد عليه، فقال ابن مفرغٍ بعد انصرافه عنه:

إنَّ تَرْكِى نَدَى سَعِيدِ بْنِ عُثْما ... نَ فَتَى الجُودِ ناصِرِى وعَدِيدِى

اتِّباعِى أَخا الرَّضاعَةِ واللُّؤْ ... مِ لَنَقْصٌ وفَوْتُ شَأْوٍ بَعِيدِ

لْتُ واللَّيْلُ مُطْبِقٌ بعُرَاهُ ... لَيْتَنِى مُتُّ قَبْلَ تَرْكِ سَعِيدِ

فأخذه عبيد الله بن زيادٍ فحبسه وعذبه، وسقاه التربذ في النبيذ، وحمله على بعيرٍ، وقرن به خترير ةً، فأمشاه بطنه مشياً شديداً، فكان يسيل منه ما يخرج على الخترير فتصىءُ، فكلما صاءت قال ابن مفرغٍ:

ضَجَّتْ سُمَيَّةُ لمَّا مَسَّها القَرَنُ ... لا تَجْزَعي إنَّ شَرِّ الشِيمَةِ الجَزَعُ

وسمية: أم زيادٍ، فطيف به في أزقة البصرة وأسواقها، والناس يصيحون خلفه أين جيست لما يسيل منه، وهو يقول:

آبَسْت نَبيذ اسْت عُصَارات زَبيبَسْت

سُمَيَّه رُوسَفِيدَسْت

فلما ألح عليه ما يخرج منه قيل لابن زياد: إنه لما به، فأمر به، فأنزل، فاغتسل، فلما خرج من الماء قال:

يَغْسِلُ الماءُ ما فعَلْتَ وقَوْلِى راسِخٌ منك في العِظَامِ البَوَالِى

ثم دس إليه غرماءه يقتضونه ويستعدون عليه، ففعلوا ذلك، فأمر ببيع ما وجد له في إعطاء غرمائه، فكان فيما بيع له غلامٌ كان رباه يقال له بردٌ، كان يعدل عنده ولده، وجاريةٌ له يقال لها الأراكة، فقال ابن مفرغٍ:

يا بُرْدُ ما مَسَّنا دَهْرٌ أَضَرَّ بنا من قَبْلِ هذا ولا بِعْنَا له وَلَدَا

أَمَّا الأَرَاكُ فكانَتْ من مَحارِمِنا عَيْشاً لَذيذاً وكانَتْ جَنَّةً رَغَداً

ولولا الدَّعِيُّ ولولا ما تَعَرَّضَ لى مِنَ الحوادِث ما فارَقْتُها أَبَدَا

وقال في قصيدةٍ له، وهي أجود شعره:

وشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَنى من بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هامَهْ

أَو بُومَةً تَدْعُو الصَّدَى بَيْنَ المُشَقَّرِ واليَمَامَهْ

وأول الشعر:

أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ من أُمامَهْ من بَعْدِ أَيَّامٍ بِرامَهْ

ثم إن عبيد الله بن زيادٍ أمر به فحمل إلى سجستان إلى عباد بن زياد، فحبس بها، فكان مما قال في الحبس قوله:

حَيِّ ذَا الزَّوْرَ وانْهَهُ أَن يَعُودَا إنَّ بالباب حارِسِينَ قُعَودَا

مِن أَساوِيرَ لا يَنُونَ قِيَامَا وخَلاخِيلَ تُسْهِرُ المَوْلُودَا

وطَمَاطِيمَ من سَبَابِيجَ غُتْمٍ يُلْبِسُونى مع الصَّبَاحِ قُيُودَا

لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ في غَلَسِ اللَّ يْلِ مُغِيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدَا

يَوْمُ أُعْطَى من المَخافَةَ ضَيْماً والمَنَايَا يَرْصُدْنَنى أَنْ أَحِيدَا

وكان الحسين بن علي رضي الله عنه تمثل بهذين البيتين الآخرين حين بلغته بيعة يزيد بن معاوية، فعلم من حضر أنه سيخرج عليه.

وقال ابن مفرغٍ لمعاوية:

أَلا أَبْلِغْ مُعاوِيَةَ بنَ حَرْبٍ مُغَلْغِلَةً عنِ الرَّجُلِ اليَمَانِى

أَتَغْضَبُ أَن يُقالَ أَبُوك عَفٌّ وتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أبوك زَانِ

وأَشْهَدُ أَنَّ إِلَّكَ من زيادٍ كإِلِّ الفيلِ من ولَدِ الأَتَانِ

وأَشْهَدُ أَنَّها حَمَلَتْ زِيَاداً وصَخْرٌ من سُمَيَّة غَيْرُ دَانِ

وإنما أخذ:

وأَشهد أن إِلَّكَ من زياد

من حسان بن ثابتٍ، قال حسان:

وأَشْهَدُ أَنَّ إِلَّكَ من قُرَيْشٍ كإِلِّ السَّقْبِ من ولَدِ النَّعَامِ

وقال أيضاً:

إِنْ زِيَاداً ونافعاً وأَبا بَكْرَةَ عِنْدِى من أَعْجَبِ العَجَبِ

إِنْ رجالا ثَلاَثَةً خُلِقُوا من رحِمِ أُنْثَى مُخالِفِى النَّسَب

ذا قُرَشِيٌّ كما يَقُولُ وذا مَوْلًى وهذا ابْنُ عَمِّهِ عَرَبُى

فلما طال حبسه بعث رجلاً أنشد على باب معاوية، واليمن أجمع ما كانت بباب معاوية، قوله:

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بنى قَحْطانَ قاطِبَةً عَضَّتْ بأَيْرِ أَبيها سادَةُ اليَمَنِ

أَمْسَى دَعِيٌّ زِيادٍ فَقْعُ قَرْقَرَةٍ يا لَلْعَجَائِبِ يَلْهُو بابْنِ ذي يَزَنِ

فدخل أهل اليمن إلى معاوية فكلموه، فوجه رجلاً على البريد في إطلاقه، فصار إلى سجستان، فبدأ بالحبس فأطلقه، وقرب إليه دابةً من بغال البريد فلما استوى عليها قال:

عَدَسْ ما لِعَبَّادٍ عليك إِمارَةٌ نَجَوْتِ وهذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ

طَلِيقُ الذي نَجَّى منَ الحَبْسِ بَعْدَمَا تَلاَحَمَ في دَرْبٍ عليك مَضِيق

ذَرِى وتَنَاسَىْ ما لَقِيت فإِنَّهُ لِكُلِّ أُنَاسٍ خَبْطَةٌ وحَرِيقُ

قَضَى لَكِ حَمْحَامٌ بِأَرْضِكِ فالْحَقِى بأَهْلِكِ لا يُؤْخَذْ عليك طَرِيقُ

سليك بن سلكة السعدى

هو منسوبٌ إلى أمه سلكة، وكانت سوداء، واسم أبيه عمرو بن يثربي، ويقال عمير، وهو من بني كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وهو أحد أغربة العرب، وهجنائهم وصعاليكم ورجيلائهم، وكان له بأسٌ ونجدةٌ، وكان أدل الناس بالأرض، وأجودهم عدواً على رجليه، وكان لا تعلق به الخيل، وقالت له بنو كنانة حين كبر: إن رأيت أن ترينا بعض ما بقي من إحضارك؟ فقال: اجمعوا لي أربعين شاباً وابغوني درعاً ثقيلةً، فأخذها فلبسها، وخرج الشباب، حتى إذا كان على رأس ميلٍ أقبل يحضر، فلاث العدو لوثاً، واهتبصوا في جنبتيه فلم يصحبوه إلا قليلا، فجاء يحضر منتبذاً حين لا يرونه، وجاءت الدرع تخفق في عنقه كأنها خرقةٌ.

وكان سليكٌ يقول: اللهم إنك تهيىء ما شئت لمن شئت إذا شئت، اللهم إني لو كنت ضعيفاً لكنت عبداً، ولو كنت امرأةً لكنت أمةً، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة، فأصابته خصاصةٌ شديدةٌ، فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرةً من بعض من يمر عليه، فيذهب بإبله، حتى إذا أمسى في ليلةٍ من ليالي الشتاء قرةٍ مقمرةٍ، اشتمل الصماء ونام، فبينا هو كذلك جثم عليه رجلٌ، فقال: استأسر، فرفع سليكٌ رأسه فقال: إن الليل طويلٌ وإنك مقمرٌ! فذهبت مثلا، وجعل الرجل يلهزه ويقول: يا خبيث استأسر، فلم يعبأ به، فلما آذاه ضمه سليكٌ ضمةً ضرط، منها وهو فرقه! فقال سليكٌ: أضرطاً وأنت الأعلى! فذهبت مثلا، ثم قال له: ما شأنك؟ فقال: أنا رجل فقير، خرجت لعلي أصيب شيئاً، قال: انطلق معي، فخرجا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما، فأتوا جوف مراد، وهو باليمن، فإذا فيه نعمٌ كثيرٌ، فقال سليكٌ لهما: كونا مني قريباً حتى آتي الرعاء فأعلم لكما علم الحي أقريبٌ هو أم بعيدٌ، فإن كانوا قريباً رجعت إليكما، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولا أحي به إليكما، فأغيرا على ما يليكما، فانطلق حتى أتى الرعاء، فلم يزل بهم يتسقطهم حتى أخبروه خبر الحي، فإذا هو بعيدٌ، فقال لهم السليك: ألا أغنيكم؟ قالوا: بلى، فرفع عقيرته، يتغنى:

يا صاحبَي أَلاَ لاَ حَيَّ بالوادِى	إلاَّ عَبِيدٌ وآمٍ بَيْنَ أَذْوَادِ
أَتَنْظُرَانِ قَلِيلا رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ	أَمْ تَعْدُوَانِ فإنَّ الرِّيحَ لِلْعَادِى

فلما سمعا ذلك اطردا الإبل فذهبا بها.

قال أبو عبيدة: بلغني أن السليك رأته طلائع جيشٍ لبكر بن وائل جاؤوا ليغيروا على تميمٍ، ولا يعلم بهم، فقالوا: إن علم السليك بنا أنذر قومه، فبعثوا إليه فارسين على جوادين، فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبيٌ، فطارداه سحابة يومهما، ثم قالا: إذا كان الليل أعيا ثم سقط أو قصر عن العدو فنأخذه، فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرةٍ وندرت قوسه فانحطمت، فوجدا قصدةً منها قد ارتزت بالأرض، فقالا:

ما له أخزاه الله! ما أشده! وهما بالرجوع، ثم قالا: لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر، فتبعاه، فإذا أثره متفاجاً قد بال في الأرض وخد، فقالا: قاتله الله ما أشد متنه! فانصرفا عنه، وتم إلى قومه فأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فقال:

يُكَذِّبُنى العَمْرَانِ عَمْرُو بن جُنْدبٍ ... وعَمْرُو بن سَعْدٍ والمُكَذِّبُ أَكْذَبُ

ثَكِلْتُكُما إن لم أَكُنْ قد رَأَيْتُها ... كَرَاديسَ يَهْدِيها إلى الحَيِّ كَوْكَبُ

كَرَاديسَ فيها الحَوْفَزَانُ وحَوْلَهُ ... فَوَارِسُ هَمَّامٍ متَى يَدْعُ يَرْكَبُوا

وجاء الجيش فأغاروا عليهم.

وكان يقال له سليك المقانب، وقد وصفه عمرو بن معدي كرب فقال:

وسَيْرِىَ حتَّى قال في القومِ قائلٌ ... عليكَ أَبا ثَوْرٍ سُلَيْكَ المَقَانِبِ

فَرُعْتُ به كاللَّيْثِ يَلْحَظُ قائماً ... إذَا رِيعَ منه جانبٌ بَعْدَ جانِبِ

له هامَةٌ ما تأْكُلُ البَيْضُ أُمَّها ... وأَشْبَاحُ عادِىٍّ طَوِيلِ الرَّوَاجِبِ

ومر في بعض غزواته ببيت من خثعم، أهله خلوفٌ، فرأى فيهم امرأة بضةً شابةً، فتسنمها ومضى، فأخبرت القوم، فركب أنس ابن مدرك الخثعمي في إثره، فقتله، وطولب بديته، فقال: والله لا أدبه ابن إفال، وقال:

إني وقَتْلِى سُلَيْكاً يومَ أَعْقِلُهُ ... كالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عافَتِ البَقَرُ

غَضِبْتُ للمَرْءِ إذْ نِيكَتْ حَلِيلَتُهُ ... وإِذْ يُشَدُّ على وَجْعَائِها الثَّفَرُ

ابن فسوة

هو عتيبة ويقال عتبة بن مرداس، من بني تميمٍ. وكان ابن فسوة أسره رجلٌ من قومه، فأتاه عتيبة فاشتراه منه فلقب به! فقال في نفسه:

وحَوَّل مَوْلاَنَا علينَا اسْمَ أُمِّهِ ... أَلاَ رُبَّ مَوْلَى ناقِصٌ غَيْرُ زائِدِ

وكان له أخٌ شاعرٌ يقال له أديهم بن مرداسٍ وله عقبٌ بالبادية.

وكان عتيبة أتى عبد الله بن عباسٍ فحجب عنه، فقال:

أَتَيْتُ ابنَ عبَّاس أُرَجِّى نَوَالَهُ ... فلم يَرْجُ مَعْرُوفى ولم يَخْشَ مُنْكَرِى

وقال لَبوَّابِيِهِ لا تُدْخِلُنَّهُ ... وسَدَّ خَصَاصَ البابِ من كُلِّ مَنْظَرِ

وتَسْمَعُ أَصْوَاتَ الخُصُومِ وَرَاءَهُ كصَوْتِ الحَمَامِ في القَلِيبِ المُعَوَّرِ
فَلَوْ كُنْتُ من زَهْرَانَ قَضَّيْتَ حاجَتِى ولكنَّنى مَوْلَى جَمِيلِ بنِ مَعْمَر

وكان ابن عباس تزوج امرأةً بالبصرة من زهران، يقال لها شميلة، وقوله مولى جميل بن معمر، أراد أنه وليه ومن قومه، وكان جميلٌ مضرياً.

فلَيْتَ قَلُوصِى عُرِّيَتْ أَوْ رَحَلْتُهَا إلى حَسَنٍ في داره وابنِ جَعْفَر
إِذَا هىَ هَمَّتْ بالخُرُوجِ يَصدُّها عنِ القَصْدِ مصْرَاعَا مُنِيفٍ مُجَيَّرِ
تُطَالِعُ أَهلَ السُّوقِ والبابُ دونَهَا بمُسْتَفْلِكِ الذَّفْرَى أَسِيلِ المُذَمَّرِ
فباتَتْ على خَوْفٍ كأَنَّ بُغَامَهَا أَجيجُ ابنِ ماءٍ في يَرَاعٍ مُفَجَّرِ

وكانت له خالةٌ تهاجى اللعين المنقري وفيه يقول:

تُذَكِرُنى سِبَالُكَ إِسْكَتَيْهَا وأَنْفُكَ بَظْرَ أُمِّكَ يالعَينُ

وكان عتيبة عضه كلبٌ كلبٌ، فأصابه ما يصيب صاحب الكلب الكلب، فداواه ابن المحل بن قدامة بن الأسود فأباله، مثل الكلاب والنمل فبرأ فقال فيه الشاعر:

ولَوْلاَ دَوَاءُ ابنِ المُحِلِّ وطِبُّهُ هَرَرْتَ إِذَا ما الناسُ هَرَّ كَلِيبُهَا
وأَخْرَجَ بَعْدَ اللهِ أَولادَ زِراعٍ مُوَلَّعَةٌ أَكْتَافُها وجُنُوبُهَا

وكان الأسود جد المحل أتى النجاشي فعلمه هذا الدواء، فهو في ولده إلى اليوم.

عمرو بن معد يكرب الزبيدي

هو من مذحجٍ، ويكنى أبا ثورٍ، وهو ابن خالة الزبرقان بن بدرٍ التميمي، وأخته ريحانة بنت معدي كرب التي يقول فيها:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الداعِى السَّمِيعُ يُؤَرِّقُنِى وأَصحابِى هُجُوعُ

وكانت تحت الصمة بن الحرث، فولدت له دريد بن الصمة وعبد الله، وكان عمروٌ من فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم، ثم ارتد بعد وفاته فيمن ارتد باليمن، ثم هاجر إلى العراق فأسلم، وشهد القادسية، وله بها أثره وبلاؤه، وأوفده سعد بن أبي وقاصٍ بعد فتح القادسية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر بن معدٍ،

فقال: هو لهم كالأب، أعرابي في نمرته، أسدٌ في تامورته، ويقال: في ناموسته نبطيء في حبوته، يقسم بالسوية، ويعدل في القضية، وينفر في السرية، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة، فقال عمر وقد كان كتب إليه سعد يثني على عمروٍ: لشد ما تقارضتما الثناء! وسأله عمر عن الحرب، فقال: مرة المذاق، إذا قلصت عن ساقٍ، من صبر فيها عرف، ومن ضعف عنها تلف، وهي كما قال الشاعر:

الحَرْبُ أَوَّلَ ما تَكُونُ فُتَيَّةٌ ... تَسْعَى بزِينتَها لكُلِّ جَهُولِ

حتَّى إِذَا اسْتَعَرَتْ وشَبَّ ضِرامُها ... عادَتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذاتِ خَلِيلِ

شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَها وتَنَكَّرَتْ ... مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ والتَّقبيلِ

وسأله عن السلاح، فقال: الرمح أخوك، وربما خانك، والنبل منايا تخطيء وتصيب، والترس هو المجن، وعليه تدور الدوائر، والدرع مشغلةٌ للفارس متعبةٌ للراجل، وإنها لحصنٌ حصين، وسأله عن السيف، فقال: ثم قارعتك أمك عن الثكل! قال عمر: بل أمك! قال: الحمي أضرعتني.

وشهد مع النعمان بن مقرن المزني فتح نهاوند، فقتل هنالك مع النعمان وطليحة بن خويلدٍ، فقبورهم هناك بموضعٍ يقال له: الإسفيذهان.

وعمروٌ أحد من يصدق عن نفسه في شعره قال:

ولَقَدْ أَجْمَعُ رِجْلَيَّ بها ... حَذَرَ المَوْتِ وإِني لَفَرُورُ

ولَقَدْ أَعْطِفُهَا كارِهَةً ... حِينَ لِلنَّفْسِ منَ الموتِ هَرِيرُ

كُلَّ ما ذلِكَ مِنى خُلُقٌ ... وبكُلٍّ أَنا في الرَّوْعِ جَدِيرُ

ومن جيد شعره

أَمِنْ رَيْحَانَةَ......... ... .البيت

وفيها يقول:

أَشابَ الرّأْسَ أَيَّامٌ طِوَالٌ ... وهَمٌّ ما تَضَمَّنُهُ الضُّلُوعُ

وسَوْقُ كَتِيبَةٍ دَلَفَتْ لأُخْرَى ... كَأَنَّ زُهَاءَهَا رأْسٌ صَلِيعُ

إِذا لم تَسْتَطِعْ شَيْئاً فدَعْهُ ... وجاوِزْهُ إِلى ما تَسْتَطِيعُ

وصِلْهُ بالزَّمَاعِ فكُلُّ أَمْرٍ ... سَمَا لكَ أَو سَمَوْتَ له وَلُوعُ

وكان له أخٌ يقال له عبد الله، وأختٌ يقال لها كبشة، فقتل عبد الله أخوه، وأراد عمروٌ أخذ الدية، فقالت كبشة شعراً تعير فيه عمراً:

فإنْ أَنْتُمُ لم تَثْأَرُوا بأَخِيكمُ فَمَشُّوا بآذَانِ النَّعَامِ المُصلَّمِ

ودَعْ عَنْكَ عمراً إنَّ عمراً مُسَالِمٌ وهَلْ بَطْنُ عمروِ غَيْرُ شِبْرٍ لِمَطْعَم

وقال عمروٌ:

أعاذِلَ شِكَّتى بَدَنى ورُمْحِى وكُلُّ مُقَلصٍّ سَلِسِ القِيَادِ

أعاذِلَ إنَّمَا أَفْنَى شبَابِى رُكُوبِى في الصَّرِيخ إلى المُنادى

عمرو بن قميئة

هو من قيس بن ثعلبة، من بني سعد بن مالكٍ، رهط طرفة ابن العبد، وهو قديمٌ جاهليٌّ، كان مع حجرٍ أبي امرىء القيس، فلما خرج امرؤ القيس إلى بلاد الروم صحبه، وإياه عني امرؤ القيس بقوله:

بَكَى صاحِبى لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وأَيْقَنَ أَنَّا لا حِقَانِ بِقَيْصَرَا

ومن جيد شعره قصيدته التي أولها:

أَرَى جارَتِى خَفَّتْ وخَفَّ نَصِيحُهَا وَحُبَّ بها لَوْلاَ الهَوَى وطُمُوحُهَا

فبِينى على نَجْمٍ سَنِيحٍ نُحُوسُهُ وأَشْأَمُ طَيْرِ الزاجِرين سَنِيحُهَا

فإنْ تَشْغَبى فالشَّغْبُ مِنْك سَجِيَّةٌ إذَا شِيمَتى لم يُؤْتَ منها سَجِيحُهَا

أُقَارِضُ أَقْوَاماً فأُوفِى بقَرْضِهِمْ وعَفٌّ إذَا أَبْدَى النُّفُوسَ شَحِيحُهَا

وهو ممن أنصف في شعره وصدق قال:

فما أَتْلَفَتْ أَيْدِيهِمُ من نُفُوسِنا وإنْ كَرُمَتْ فإنّنا لا نَنُوحُهَا

أَبْنَا وآبُوا كلُّنا بمَضِيضَةٍ مُهَمَّلَةٌ أجْراحُنا وجُرُوحُهَا

وهو القائل:

رَمَتْنِى بَنَاتُ الدَّهْرِ من حَيْثُ لا أَرَى فكَيْفَ بمَنْ يُرْمَى وليس بِرَامِ

وأَهْلَكَنى تَأْمِيلُ ما لَسْتُ مُدْرِكاً وتَأْمِيلُ عامٍ بَعْدَ ذاكَ وعامِ

إذا ما رآنى الناسُ قالوا ألَم تَكُنْ جَلِيداً حَدِيثَ السِّنِّ غَيْرَ كَهَامِ

فأَفْنَى وما أُفْنِى منَ الدَّهْرِ لَيْلَةً فلم يُغْنِ ما أَفْنَيْتُ سِلْكَ نظَامِ

فلَوْ أَنَّنِى أُرْمَى بنَبْلٍ رَأَيْتُها ولكِنَّنِى أُرْمَى بغَيْرِ سِهَامِ

على الرَّاحتَينِ مَرَّةً وعلى العَصَا أَنُوءُ ثَلاَثاً بَعْدَهُنَّ قِيامِى

كأني وقد جوزْتَ تِسْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بها عَنِّى عذارَ لِجامِى

وفي عبد القيس عمرو بن قميئة الضبعي، وهو شاعر أيضاً.

زهير بن جناب

هو من كلب وهو جاهلي قديم، ولما قدمت الحبشة تريد هدم البيت خرج زهيرٌ فلقي ملكهم، فأكرمه ووجهه إلى ناحية العراق يدعوهم إلى الدخول في طاعته، فلما صار في أرض بكر بن وائل لقيه رجل منهم، فطعنه، طعنةً أشوته، فنجا وخرج هارباً، فقال الذي طعنه:

طَعْنَةً مّا طعنْتُ في غبَسِ اللَّيْـ ـلِ زُهَيْراً وقد تَوَافَى الخُصُومُ

خانَنِى الرُّمْحُ إذْ طَعَنْتُ زُهَيْراً وهو رُمْحٌ مُضَلَّلٌ مَشْؤُومُ

وهو من المعمرين، وهو القائل في عمره:

المَوْتُ خَيْرٌ للفتى فَلْيَهْلِكَنْ وبه بَقِيَّهْ

مِنْ أَن يُرَى الشَّيْخَ الكَبِيـ ـرَ يُقادُ يُهْدَى بالعَشِيَّهْ

مِن كُلَّ ما نالَ الفَتَى قد نِلْتُهُ إلاّ التَّحِيَّهْ

وهو أحد النفر الثلاثة الذين شربوا الخمر صرفاً حتى ماتوا، وهم: زهير بن جناب، وأبو براءٍ عامرٌ ملاعب الأسنة عم لبيد، وعمرو ابن كلثوم التغلبي، فأما زهيرٌ فإنه قال ذات يوم: إن الحي ظاعنٌ فقال عبد الله بن عليم بن جنابٍ ابن أخيه: إن الحي مقيم، فقال زهير: من هذا المخالف لي؟ قالوا: ابن أخيك، قال: فما أحدٌ ينهاه!؟ قالوا: لا قال، أراني قد خولفت فدعا بالخمر فلم يزل يشربها صرفاً حتى قتلته، وأما أبو براءٍ ملاعب الأسنة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان وجه عدةً من أصحابه إلى بني عامر بن صعصعة في خفارته، فسار إليهم عامر بن الطفيل ابن أخيه، فلقيهم ببئر معونة فقتلهم، فدعا أبو براءٍ بني عامرٍ إلى الوثوب بعامرٍ، فلم يجيبوه، فغضب فدعا بالخمر فشربها صرفاً حتى قتلته، وأما عمرو بن كلثومٍ فإنه أغار على بني حنيفة باليمامة، فأسره يزيد بن عمرو الحنفي فشده وثاقاً، ثم قال: ألست القائل:

متى تُعْقَدْ قَرِينَتُنا بحَبْلٍ نَجُذّ الحَبْلَ أَو نقِصِ القَرِينا

أما إني سأقرنك بناقتي هذه، ثم أطردكما جميعاً فأنظر أيكما يجذ فنادى: يال ربيعة؟ أمثلةً؟ فاجتمعت إليه بنو لجيمٍ، فنهوه عن ذلك، فانتهى به إلى حجرٍ، فأنزله قصراً وسقاه، فلم يزل يشرب حتى مات.

ومن جيد شعر زهير بن جناب:

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضُعْفه يَوْماً فتُدْرِكَهُ عَوَاقِبُ ما جَنَى

يَجْزِيكَ أَو يُثْنِى عليكَ وإِنَّ مَنْ	أَثْنَى عليكَ بما فعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها وهي تتمثل به، فكان يقول لها: كيف الشعر الذي كنت تتمثلين به؟ فإذا أنشدته إياه قال: يا عائشة إنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

ومن جيد شعره قوله:

إِنَّ بَنِى مالِكٍ تَلْقَى غَزِيَّهُمُ	في الزادِ فَوْضَى وعند الموتِ إِخْوَانَا

الأضبط بن قريع السعدى

هو من بني عوف بن كعب بن سعد، رهط الزبرقان بن بدرٍ، ورهط ابن أنف الناقة، وكان قومه أساؤوا مجاورته، فانتقل عنهم إلى آخرين، فأساؤوا مجاورته فانتقل منهم إلى آخرين، فأساؤوا مجاورته، فرجع إلى قومه وقال: بكل وادٍ بنو سعد، ويقال أنه قال: أينما أوجه ألق سعداً، وهو قديمٌ.

وكان أغار على بني الحرث بن كعبٍ، فقتل منهم وأسر وجدع وخصي، ثم بني أطماً، وبنت الملوك حول ذلك الأطم مدينة صنعاء، فهي اليوم قصبتها.

وهو القائل:

يا قَوْمِ مَنْ عاذِرِى مِنَ الخُدْعَهْ	والمُسْىُ والصُّبْحُ لا فَلاَحَ مَعَهْ

فَصِلْ حبالَ البَعِيدِ إِنْ وَصَلَ ال	حَبْلَ وأَقْصِ القَرِيبَ إِنْ قَطَعَهْ

واقْنَعْ من العَيْشِ ما أَتاكَ به	مَنْ قَرَّ عيناً بعَيْشِه نفَعَهْ

قد يَجْمَعُ المالَ غيْرُ آكِلِهِ	ويَأْكُلُ المالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

لا تُهِينَ الفَقِيرَ علَّك أَن	تَخْشَعَ يوماً والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ

المستوغر

هو المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد رهط الأضبط وسمي المستوغر لقوله في فرس:

يَنِشُّ الماءُ في الرِّبَلاَتِ منها	نَشِيشَ الرَّضْفِ في اللَّبَنِ الوَغِيرِ

وهو قديمٌ من المعمرين وعاش ثلاثة مائة سنة وعشرين سنة، وقال:

ولَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ وطُولِها	وعَمِرتُ من عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا

مائةً حَدَتْها بَعْدَها مائتَان لي وازْدَدْتُ من بَعْد الشُّهُورِ سِنِينَا

هَلْ ما بَقَى إلاَّ كما قد فاتَنِى يَوْمٌ يَمُرُّ ولَيْلَةٌ تَحْدُونا

حدثني سهل قال: حدثني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، وابن العجاج: أن المستوغر مر مرةً بعكاظٍ يقود ابن ابنه خرفاً، فقال له رجل: يا عبد الله أحسن إليه فطال ما أحسن إليك! قال: أو تدري من هو؟ قال: نعم هو، أبوك أو جدك، قال: هو والله ابن ابني! قال الرجل لم أر كاليوم في الكذب ولا مستوغر بن ربيعة! قال: فأنا المستوغر بن ربيعة، قال: وقال أبو عمرو بن العلاء: عاش المستوغر ثلاث مائة سنة وعشرين سنة.

ابنا خذاق

هما سويدٌ ويزيد ابنا خذاقٍ، من عبد القيس، قال أبو عمرو ابن العلاء: أول شعرٍ قيل في ذم الدنيا قول يزيد بن خذاق.

هل للفتى من بَنَاتِ الدَّهْرِ من واقِى أم هل له من حِمَام المَوْتِ مِن رَاقِى

قد رَجَلُونى وما بالشَّعْرِ من شَعَثٍ وأَلْبَسُونى ثِيَاباً غيْرَ أَخْلاَقِ

ورفَعُونى وقالوا أَيُّما رَجُلٍ وأَدْرَجُونى كأَنِّى طَىُّ مِخْرَاقِ

وأَرْسَلُوا فتْيَةً من خَيْرِهم نَسَباً لِيُسبُدوا في ضَرِيحِ القَبْرِ أَطْباقِى

وقَسَّمُوا المالَ وارْفَضَّتْ عَوَائِدُهُمْ وقال قائِلُهم ماتَ ابنُ خَذَّاقِ

هَوِّنْ عليكَ ولاَ تَوْلَعْ بإِشْفاقِ فإِنَّما مالُنَا للوارِثِ الباقِى

وهما قديمان، كانا في زمن عمرو بن هند، ويزيد القائل:

نُعْمَانُ إِنَّكَ غادِرٌ خُدَعٌ يُخْفِى ضَمِيرُكَ غيرَ ما تُبْدِى

فإِذا بَدَا لَكَ نَحْتُ أَثْلَتِا فعَلَيْكَها إِنْ كُنْتَ ذَا جِدِّ

وهَزَزْتَ سَيْفَك كَىْ تُحارِبنَا فانْظُرْ بِسَيْفِك مَنْ به تُرْدِى

وسويدٌ القائل:

أَبَى القَلْبُ أَنْ يَأْتِى السَّدِيرَ وأَهْلَهُ وإِنْ قيلَ عَيْشٌ بالسَّدِير غَزِيرُ

به البَقُّ والحُمَّى وأُسْدُ خَفِيةٍ وعَمْرُو بن هِنْدٍ يَعْتَدِى ويَجُورُ

وهو القائل أيضاً:

جَزَى اللهُ قابُوسَ بنَ هِنْدٍ بفِعْلِه بِنَا وأَخاه غَدْرَةً وأَثَامَا

بما فَجرَا يَوْمَ العُطَيْفِ وفرَّقَا قَبَائِلَ أَحْلاَفاً وحَياًّ حرَامَا

لَعَلَّ لَبُونَ المُلْكِ تَمْنَعُ دَرَّها ويَبْعَثُ صَرْفُ الدَّهْرِ قَوْماً نِيَامَا

وإلاَّ تُغادِينى المَنِيَّةُ أُغْشِكُمْ على عُدَوَاءِ الدَّهْرِ جَيْشاً لُهَامَا

أبو الطمحان القينى

هو حنظلة بن الشرقي، وكان فاسقاً، وقيل له: ما أدني ذنوبك؟ قال: ليلة الدير، قيل له: وما ليلة الدير؟ قال: نزلت بديرانية؟ فأكلت عندها طفشيلا بلحم خترير، وشربت من خمرها، وزنيت بها، وسرقت كساءها ومضيت! وكانت له ناقةٌ يقال لها المرقال وفيها يقول:

أَلاَ حَنَّتْ المِرْقالُ وائْتَبَّ رَبُّها تَذكَّرُ أَرْمَاماً وأَذْكُرُ مَعْشَرِى

ولو عَلِمَتْ صَرْفَ البُيُوعِ لَسَرَّها بمَكَّةَ أَن تَبْتَاعَ حَمْضاً بإِذْخِرِ

وكان نازلا بمكة على الزبير بن عبد المطلب، وكان يترل عليه الخلعاء، وإنما أراد: أنها لو عرفت لسرها أن تنتقل من بلاد الإذخر إلى بلاد الحمض، وهي البادية.

وفيها يقول:

وإِني لأَرْجو مِلْحَها في بُطُونكُمْ وما بَسَطَتْ من جلْدِ أَشْعَث أَغْبَرِ

والملح: اللبن، وكانوا أخذوا إبله بعد أن كانوا شربوا من لبنها في ضيافته، فقال: أرجو أن يعطفكم ذلك فتردوها.

وهو القائل:

تَكادُ الغَمَامُ الغُرُّ تَرْعَدُ أَنْ رَأى وُجُوهَ بَنى لأْمٍ ويَنْهَلُّ بارِقُهْ

حميد بن ثور الهلالي

هو من بني عامر بن صعصعة، إسلاميٌّ مجيدٌ، ومما يستجاد له قوله:

أَرَى بَصَرِى قد رابَنِى بَعْدَ صِحَّةٍ وحَسْبُكَ داءً أَنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا

ومن حسن التشبيه قوله في فرخ القطاة:

كأَنَّ على أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ إِذَا هو مَدَّ الجيدَ منه لِيَطْعَمَا

ومن خبيث الهجاء قوله في رجلين بعثهما إلى عشيقته:

وقُولاَ إِذَا جاوَزْتُمَا أَرْضَ عامِرٍ وجاوَزْتُمَا الحَيَّيْن نَهْداً وَخَثْعَمَا

نَزِيعَانِ من جَرْمِ بن رَبَّانَ إِنَّهُمْ أَبَوْا أَن يَمِيرُوا في الهَزَاهِزِ محْجَمَا

أمرهما أن ينتسبا إلى جرمٍ، لأن العرب تأمنها لذلها ولا تخاف منها غارةً.

ويستجاد له قوله في وصف ذئبٍ وامرأة:

تَرَى رَبَّةُ البَهْمِ الفِرَارَ عَشِيَّةً إِذَا ما عَدَا في بَهْمِهَا وهْوَ ضائعُ

فقامَتْ تُعَشِّى ساعةً ما تُطيقُها منَ الدَّهْرِ نَامَتْهَا الكِلاَبُ الظَّوالعُ

رَأَتْهُ فشَكَّتْ وهْوَ أَكْحَلُ مائلٌ إلى الأَرض مَثْنِيٌّ إليه الأَكارِعُ

طَوى البَطْنِ إلاْ من مَصِيرٍ يَبُلُّهُ دَمُ الجَوْفِ أَو سُؤْرٌ منَ الحَوْضِ ناقِعُ

تَرَى طرَفَيْهِ يَعْسِلاَنِ كِلاَهُمَا كما اهْتَزَّ عُودُ السَّاسَمِ المُتَتَابِعُ

إِذَا خاف جَوْراً من عَدُوٍّ رَمَتْ بِهِ قُصَايَتُه والجانِبُ المُتَوَاسِعُ

وإنْ باتَ وَحْشاً لَيْلَةً لم يَضِقْ بها ذراعًا ولم يُصْبِحْ لها وهْوَ خاشعُ

إذا احْتَلَّ حِضْنَىْ بَلْدَةٍ طُرَّ منهما لأُخْرَى خَفِيُّ الشَّخْصِ للرِّيح تابعُ

وإنْ حَذِرَتْ أَرضٌ عليه فإِنَّهُ بِغِرَةِ أُخْرَى طَيِّبُ النَّفْسِ قانعُ

يَنَامُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ ويَتَّقى المنايَا بأُخْرَى فَهْوَ يَقْظَانُ هاجع

إِذَا قامَ أَلْقَى بَوْعَهُ قدرَ طُولِه ومَرَّدَ منه صُلْبَهُ وهْوَ بائعُ

وفَكَّكَ لَحْيَيْهِ فلمَّا تَعَادَيَا صَأَى ثم أُقْعَى والبِلادَ بَلاَقِع

إِذَا مَا عَدَا يَوْماً رَأَيْتَ ظِلاَلَةً منَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِى هو صانعُ

ويستحسن له قوله في وصف الوطب:

فما زال يُسقِى المَحْضَ حتَّى كأَنَّهُ أَجِيرُ أُناسٍ أَغْضَبُوهُ مُبَاعِدُ

وعَزَّاهُ حتَّى أَسْنَدَاهُ كأَنَّهُ على القَرْوِ عُلْفوفٌ من التُّرْكِ رَاقِدُ

فلمَّا أَدَى واسْتَرْبَعَتْهُ تَرَنَّمَتْ أَلاَ كُلُّ شيءٍ ما خَلاَ اللهَ بائِدُ

قوله أدى أي خثر، واستربعته حملته تروزه وترنمت أي غنت للسرور به:

فذاقَتْهُ من تَحْتِ اللِّفَافِ فسَرَّها | جَرَاجِرُ منه وهْوَ مَلْآنُ سانِدُ
إذَا مال من نحوِ العَرَاقِى أَمَرَّهُ | إلى نَحْرِها منه عِنَانٌ مُنَاكِدُ
يَميلُ على وَحْشِّهِ فيُميلُهُ | لإنْسِيِّهِ منها عِرَاكٌ مُنَاجِدُ
فلما تَجَلَّى اللَّيْلُ عنها وأَبصَرَتْ | وفي سُدَفٍ اللَّيل الشُّخُوصُ الأَباعِدُ
يُقَالُ لها جِدِّى هَوَيْتِ وبادِرى | غِنَاءَ الحَمَامِ أن تَميعَ المزايِدُ
فَعَضَّتْ تَرَاقِيهِ بصَفْرَاءَ جَعْدَةٍ | فعَنْهَا تُصاديهِ وعَنْهَا تُرَاوِدُ
تَأَوَّبَهَا في لَيْلِ نَحْسٍ وقِرَّةٍ | خَلِيلِى أَبو الخَشْخَاشِ واللَّيْلُ بائدُ
فقال أُحَيِّيكُمْ فقالتْ تُرِيدُنا | على الزُّبْدِ شَعْبٌ بَيْنَنَا مُتَبَاعِدُ
إذا قال مَهْلاً أَسْجِحِى حَمْلَقَتْ له | بزَرْقَاءَ لم تَدْخُلْ عليها المَرَاوِدُ

ومما أخذ عليه قوله:

لَمَّا تَخَايَلَتِ الحُمُولُ حَسِبْتُهَا | دَوْماً بأَيْلَةَ ناعماً مَكْمُومَا

الدوم: شجر المقل، وهو لا يكم، إنما يكم النخل، فأما قول النابغة الجعدي في هذا المعنى:

كأَنَّ تَوَالِيهَا بالضحَى | نَوَاعِمُ جَعْلٍ منَ الأَثْأَبِ

فقد أخذ عليه، وقالوا: الجعل صغار النخل، فكيف جعله من الأثأب؟ ولا أراه إلا صحيحاً على التشبيه، كأنه أراد نواعم أثأب كالجعل وقد تسمى العرب الشيء باسم الشيء إذا كان له مشبهاً، ولعل الأثأب أن تكون تسمى أفناؤه جعلا، كما تسمى أفناء النخل وقصاره جعلا.

ومما سبق إليه قوله في الإبل:

إِذَا القَوْمُ قالوا: وِرْدُهُنَّ ضُحَى غَدٍ | تَوَاهَقْنَ حتَّى وِرْدُهُنَّ طُرُوقُ

وقال آخر:

إذا القومُ قالوا: وِرْدُهُنَّ ضُحَى غَدٍ | تَوَاهَقْنَ حتَّى وِرْدُهُنَّ عِشاءُ
إِذَا استُخْبِرَتْ رُكْبَانُهَا لم يُخَبِّرُوا | عليهنَّ إلاَّ أَنْ يكُونَ نِدَاءُ

المثقب العبدي

هو من نكرة. واسمه محصن بن ثعلبة، وإنما سمي المثقب لقوله:

رِدَدْنَ تَحِيَّةً وكَنَنَّ أُخْرى | وثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ للعُيونِ

وكان أبو عمرو بن العلاء يستجيد هذا القصيدة له، ويقول: لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس ان يتعلموه.

وفيها يقول:

أَفَاطِمُ قبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِينِى ... ومَنْعُكِ ما سَأَلْتُكِ أَنْ تَبِينِى

ولا تَعدِى مَوَاعِدَ كاذِبَاتٍ ... تَمُرُّ بها رِياحُ الصَّيفِ دُونِى

فإني لَوْ تُعَانِدُنِى شِمَالِى ... عِنادَكِ ما وَصَلْتُ بها يَمِينِى

إذاً لَقَطَعْتُها ولَقُلْتُ بِينِى ... كذلكَ أَجْتَوِى مَنْ يَجْتَوِينِى

فإِمَّا أَنْ تكونَ أخي بحَقٍّ ... فأَعْرِفَ منْكَ غَثِّى من سَمِينِى

وإلاَّ فاطَّرِحْنِى واتَّخِذْنِى ... عدُوّاً أَتَّقِيكَ وتَتَّقِينِى

فما أَدْرِى إِذَا يَمَمْتُ أَرضاً ... أُرِيدُ الخَيْرَ أَيهُمَا يَلِينِى

أَأَلْخَيْرُ الذي أَنا أَبْتَغِيه ... أَمِ الشَّرُّ الذي هو يَبْتَغِينِى

وهو قديم جاهلي، كان في زمن عمرو بن هند، وإياه عني بقوله:

إلى عَمْرٍو ومنْ عَمْرو أَتَتْنِى ... أَخِى الفَعَلاتِ والحلْمِ الرَّزِين

وله يقول:

غَلَبْتَ مُلوكَ الناس بالحَزْمِ والنُّهَى ... وأَنْتَ الفَتَى في سُورَةَ المَجْدِ تَرْتَقِى

وأَنْجِبْ به من آل نَصرٍ سَمَيْدَعٍ ... أَغرَّ كَلَونِ الهِنْدُوَانِّى رَوْنَق

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله في الناقة:

كأَنَّ مَوَاقِعَ الثَّفِناتِ منها ... مُعَرَّسُ باكِرَاتِ الوِردْ جُون

يريد القطا، وقال عمر بن أبي ربيعة:

على قَلُوصَيْن من رِكابِهِمُ ... وعَنْتَرِيسَيْنِ فيهما شَجَعُ

كأَنَّما غادَرَتْ كَلاَكِلُها ... والثَّفِنَاتُ الخفافُ إِذْ وَقَعُوا

مَوْقَع عشْرينَ من قطاً زُمَرٍ ... وَقَعَتْ خَمْساً خَمْساً مَعاً شِيَعُ

وقال ابن مقبل:

كأَنَّ مَوْقِعَ وِصَلَيْها إِذَا بَرَكَتْ ... وقد تَطَابَقَ منها الزَّوْرُ بالثَّفِنِ

مَبيتُ خَمْسٍ منَ الكُدْرِىِّ في جَدَد يَفْحصْنَ عَنْهنَّ باللَّبَّاتِ والجُرُنِ

وقال ذو الرمة:

كأَنَّ مُخوَّاها على ثَفِناتِهَا مُعَرَّسُ خَمْسٍ من قطاً مُتَجَاوِرِ
وَقَعْنَ اثْنَتَيْنِ واثْنَتيْنِ وفَرْدَةً حَريداً هىَ الوُسْطَى بصَحْرَاءِ جائرِ

وقال الطرماح:

كأَنَّ مُخَوَّاها على ثَفِنَاتِها مُعَرَّسُ خَمْسٍ وَقَّعَتْ للجناَجنِ
وَقَعْنَ اثْنَتيْنِ واثْنَتيْنِ وفَرْدَةً يُبَادرْنَ تَغْليساً سمَالَ المَدَاهن

الممزق العبدي

هو من نكرة، واسمه شأس بن نهار، وسمي الممزق لقوله:

فإِنْ كُنْتُ مأْكُولاً فكُنْ خيْرَ آكلٍ وإِلاَّ فأدْرِكْني ولمَّا أُمَزَّقِ

وهو جاهلي قديم، وإنما يقول هذا لبعض ملوك الحيرة، قال:

وناجيَةٍ عَدَّيْتُ من عنْد ماجدٍ إلى واجِدٍ من غَيْرِ سُخْطٍ مُفرِّقِ
تُبَلِّغُنى منْ لا يُدَنِّسُ عِرْضَهُ بغَدْرٍ ولا يَزْكُو لَدَيْه تَملُّقِى
تُروحُ وتَغْدُو ما يُحلُّ وَضينُها إِلَيْكَ ابْنَ ماءِ المُزْنِ وابْنَ مُحرِّقِ
أَحقّاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّ ابنَ بَرْتَنَا على غَيْرِ إجْرَامٍ بريقِى مُشْرِقِى
فإِنْ كُنْتُ مأْكُولاً فكُنْ خيْرَ آكلٍ وإِلاَّ فأَدْرِكْنى ولَمَّا أُمزَّقِ
فأَنْتَ عَميدُ الناسِ مَهْمَا تَقُلْ نَقُلْ ومَهْمَا تَضَعْ من باطلٍ لا يُحقَّقِ
أَكَلَّفْتنى أَدْواءَ قَوْمٍ تَرَكْتُهُمْ فإلاَّ تَدَارَكْنى منَ البَحْرِ أَغْرَقِ
فإِنْ يُعْمِنُوا أُشْئِمْ خِلافاً عَلَيْهِمُ وإِنْ يُتْهِمُوا مُسْتَحْقِبى الحَرْبَ أُعْرِقِ

ابن دارة

هو سالم بن دارة، واسم أبيه مسافعٌ، وأمه دارة من بني أسد، وسميت دارة لجمالها، شبهت بدارة القمر، وهو من ولد عبد الله بن غطفان ابن سعد، وكان هجاءً وهو الذي هجا ثابت بن رافع الفزاري فقتله.

وهو القائل:

لا تأمَنَنَّ فَزَارياً خَلَوْتَ به ... على قَلُوصكَ واكْتُبْها بأَسْيَارِ

وكان المتولي لقتله زميل بن عبد منافٍ، وقال:

أَنَا زُمَيْلٌ قاتِلٌ ابْنِ دَارَهْ ... وراحِضُ المَخْزَاةِ عن فَزارهْ

وفي ابن دارة يقول الشاعر، وهو الكميت بن معروف:

فلا تُكْثِرَا فيه الضَّجَاجَ فإنَّه ... مَحَا السَّيْفُ ما قال ابنُ دارةَ أَجْمَعَا

وكان له أخٌ يقال له عبد الرحمن بن دارة، وهو القائل في بعض الأسديين:

يجُوعُ الفَقْعَسُّى ولا يُصلِّى ... ويَسْلَحُ فَوْقَ قارِعَةِ الطَّريقِ

ثم لم يلبث أن مات، فقال الأسدي:

قَتَلَ ابنَ دارَةَ بالجَزِيرَةِ سَبُّنَا ... وزَعَمْتَ أَنَّ سِبَابَنَا لا يَقْتُلُ

وأتى سالم بن دارة عدي بن حاتمٍ فقال له: قد مدحتك، فقال له أمسك عليك حتى أنبئك مالي فتمدحني على حسبه، لي ألف ضائنةٍ وألفا درهمٍ، وثلاثة أعبدٍ، وفرسي هذا حبيسٌ في سبيل الله فقل، فقال:

تَحِنُّ قَلُوصِى في مَعَدٍّ وإنما ... تُلاَقِى الرَّبِيعَ في دِيَارِ بنى ثُعَلْ

وأَبْقَى اللَّيالى من عَدِىً بن حاتِمٍ ... حُسَاماً كلَوْنِ الملْحِ سُلَّ منَ الخلَلْ

أَبُوك جَوَادٌ ما يُشَقُّ غُبارُهُ ... وأَنت جَوَادٌ ما تَعَذَّرُ بالعِلَلْ

فإِنْ تَتَّقُوا شَراًّ فمِثْلَكمُ اتَّقَى ... وإِنْ تَفْعَلُوا خَيْراً فمِثْلُكُمُ فَعَلْ

فقال له: أمسك عليك، لا يبلغ مالي أكثر من هذا! وشاطره ماله.

المنخل اليشكرى

هو المنخل بن عبيد بن عامر، من بني يشكر، وهو قديمٌ جاهلي، وكان يشبب بهندٍ أخت عمرو بن هند ولها يقول:

يا هِنْدُ هَلْ من نائلِ ... يا هِنْدُ للعانِى الأَسِيرِ

وكان المنخل يتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر، وكان للنعمان منها ولدان، كان الناس يقولون إنهما من المنخل، وهو القائل في النابغة حين وصف المتجردة فيه قوله: ما يعرف هذا إلا من جرب، وكان أيضاً

يتهم بامرأةٍ لعمرو بن هند، وكان جميلا.

وهو القائل:

ولَقَدْ دَخَلْتُ على الفتَا ... ةِ الخدْرَ في اليَوْمِ المَطيرِ

الكاعبِ الحَسْنَاءِ ترْ ... فُلُ في الدمَقْس وفي الحَريرِ

فدَفَعْتُها فتَدَافَعَتْ ... مَشْيَ القَطاةِ إلى الغَديرِ

وعَطَفْتُها فتَعطَّفَتْ ... كتَعَطُّفِ الظَّبْي الغَريرِ

فَتَرَتْ وقالَتْ: يا مُنَ ... خَلُّ ما بِجِسْمك من فُتُورِ

ما شَفَّ جِسْمِى غَيْرُ حُ ... بِّكِ فاهْدئى عَنِّى وسيرِى

ولَقَدْ شَرِبْتُ منَ المُدَا ... مَةِ بالصَّغيرِ وبالكَبيرِ

شَرِبْتُ بالخَيْلِ الإنَا ... ثِ وبالمُطَهَّمَةِ الْذكُورِ

إذا سَكِرْتُ فإنَّنى ... رَبُّ الخَوَرْنَق والسَّدير

إذا صَحَوْتُ فإنَّنى ... رَبُّ الشُّوَيْهَة والبَعير

ا هِنْدُ هَلْ من نائلٍ ... يا هِنْدُ للعانى الأَسِير

أُحِبُّها وتُحِبُّنِى ... وَيُحبُّ ناقَتَها بَعيرِى

وقتله عمرو بن هند، وقال قبيل قتله:

طُلَّ وَسْطَ العبادِ قَتْلِى بلا جُرْ ... مٍ وقَومى يُنَتِّجُونَ السِّخَالاَ

ا رَعَيْتُمْ بَطْناً خَصيباً ولا زُرْ ... تُمْ عَدُوّاً ولا رَزَأْتُمْ قِبَالاَ

في أبياتٍ.

بن حبناء

هو المغيرة بن حبناء، من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وكان به برصٌ، وهو القائل:

إنِّى امْرُؤٌ حَنْظَلِيٌّ حينَ تَنْسُبُنِى ... لا ملْعَتِيك ولا أَخْوَالِىَ العَوَقُ

ا تَحْسِبَنَّ بَيَاضاً فِىَّ مَنْقَصَةً ... إنَّ اللَّهَاميمَ في أَقْرابِها بَلَقُ

وكان له أخ يقال له صخرٌ، ويكنى أبا بشرٍ يهاجيه، وله يقول المغيرة:

أبوكَ أَبى وأَنْتَ أَخِى ولكنْ ... تَفَاضَلَتِ الطَّبَائِعُ والظُّروفُ

أُمُكَ حينَ تُنْسَبُ أُمُّ صِدْقٍ ... ولكنَّ ابنْهَا طَبِعٌ سَخِيفُ

وصخرٌ هو القائل لأخيه:

رَأَيْتُكَ لَمَّا نلْتَ مالاً وعَضَّنَا ... زَمَانٌ نَرَى في حَدِّ أَنْيابِه شَغْبَا

جَنَّى عليَّ الذَّنْبَ إِنَّكَ مُذْنِبٌ ... فأَمْسِكْ ولا تَجْعَلْ غنَاكَ لَنَا ذَنْبَا

فأجابه المغيرة فقال:

لَحَى الله أَنّآنا عن الضَّيْفِ بالقِرَى ... وأَقْصَرَنا عَنْ عِرْضِ والِدِهِ ذَنَّا

أَجْدَرَنَا أَنْ يَدْخُلَ البيْتِ بِاسْتِهِ ... إِذَا القُفُّ دَلَّى من مَخَارِمِهِ رَكبَا

وستشهد المغيرة بخراسان يوم نسف.

عبد بني الحسحاس

اسمه سحيم، وكان حبشياً معلطاً قبيحاً وهو القائل في نفسه:

أَتَيْتُ نساءَ الحارِثيينَ غُدْوَةً ... بوَجْهٍ بَرَاهُ اللهُ غَيْرِ جَميلِ

فَشَبَّهْنَني كَلْباً ولَسْتُ بفَوْقَه ... ولا دُونَه أَنْ كانْ غَيْرَ قَليلِ

وكان شاعراً محسناً، وربما أنشد فيقول: أحسنك الله! يريد: أحسنت والله. وكان عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي اشتراه، وكتب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: إني قد اشتريت لك غلاماً حبشياً شاعراً، فكتب إليه عثمان: لا حاجة بنا إليه فاردده، فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشبب بنسائهم، وإذا جاع أن يهجوهم.

ومما أخذ عليه في شعره قوله، وذكر التقاءه وعشيقته:

فما زال بُرْدِى طَيِّباً من ثيابِها ... إلى الحَوْل حتَّى أَنْهَجَ البُرْدُ بَالِيَا

وقال آخرون: هذا على الوهم لفرط العشق، وهو نحو قول الأعرابي حين قيل له: ما بلغ من حبك لها؟ فقال: إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها ريح المسك! ويقول:

تَجمَّعْنَ شَتَّى من ثَلاَثٍ وأَرْبَعٍ ... وواحِدَةٍ حتَّى كَمَلْنَ ثَمَانيَا

وأَقْبَلْنَ من أَقْصىَ الخيامِ يُعُدْنَنى ... أَلاَ إِنَّما بَعْضُ العَوَائِدِ دائيَا

ويقال سمعه عمر بن الخطاب ينشد:

وَلَقَدْ تَحَدَّرَ من كَرِيمَةِ بَعْضِهِمْ عَرَقٌ على جَنْبِ الفِراشِ وطِيبُ

فقال له: إنك مقتولٌ فسقوه الخمر ثم عرضوا عليه نسوةً، فلما مرت به التي كان يتهم بها أهوى إليها فقتلوه.

نصيب

كان نصيبٌ عبداً أسود لرجلٍ من أهل وادي القرى، فكاتب على نفسه، ثم أتى عبد العزيز بن مروان فقال فيه مدحةً، فوصله واشترى ولاءه.

وقال أبو اليقظان: هو عبد بني كعب بن ضمرة بن كنانة، وقال آخرون: كان من بلي من قضاعة، وكانت أمه أمةً سوداء، فوقع بها سيدها فأولدها نصيباً، فوثب عليه عمه بعد موت أبيه فاستعبده، ثم باعه من عبد العزيز بن مروان، وكان يكنى أبا الحجناء، وفيه يقول كثيرٌ:

رَأَيْتُ أَبا الحجْناءِ في الناس جائِزاً ولَوْنُ أَبى الحجْناءِ لوْنُ البَهَائِمِ

تَرَاه على ما لاحَه من سَوَادِه وإنْ كان مَظْلوماً له وَجْهُ ظَالِمِ

ودخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك، وسليمان ولي عهدٍ، ونصيبٌ عنده، فقال سليمان: أنشدنا يا أبا فراسٍ، وأراد أن ينشده بعض ما امتدحه به، فأنشده:

وركْبٍ كأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ منْهُمُ لها سَلَباً من جَذْبِها بالعَصَائبِ

سرَوْا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وهي تَلُفُّهُمْ إلى شُعَبِ الأَكْوارِ ذاتِ الحَقائبِ

إذَا استَوْضَحُوا ناراً يَقُولُونَ: لَيْتَها وقَدْ خَصِرَتْ أَيْديهِمُ نارُ غالبِ

فغضب سليمان، فأقبل على نصيبٍ فقال أنشد مولاك يا نصيب فأنشده:

أَقُولُ لركْبٍ صادرِينَ لَقِيتُهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ ومَوْلاَكَ قاربُ

قِفُوا خَبِّرُونى عن سُلَيْمانَ إنَّنى لمَعْرُوفه من أَهْلِ وَدَّانَ طالبُ

فَعاجُوا فأَثْنَوْا بالَّذى أَنْتَ أَهْلُهُ ولَوْ سَكُتوا أَثْنَتْ عليك الحَقَائبُ

فقال له سليمان: أحسنت، وأمر له بصلة، ولم يصل الفزردق، فخرج الفرزدق وهو يقول:

وخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرمُهُ رِجالاً وشَرُّ الشِّعْرِ ما قال العَبيدُ

وفيه يقول:

إذَا اعْتَاصَ القَرِيضُ عليكَ فامْدَحْ أميرَ المُؤْمنينَ تَجِدْ مَقالاَ

أَتَتْكَ بنا قِلاَصٌ يَعْمَلاتٌ وضَعْنَ مَدائحاً وحَمَلْنَ مالاَ

ودخل الأقيشر على عبد الملك بن مروان وعنده قومٌ، فتذاكروا الشعر، وذكروا قول نصيبٍ:

أَهيمُ بدَعْدٍ ما حييتُ فإِنْ أَمُتْ فيا وَيْحَ دَعْدٍ مَنْ يَهيمُ بها بَعْدِى

فقال الأقيشر: والله لقد أساء قائل هذا الشعر، قال عبد الملك: فكيف كنت تقول لو كنت قائله؟ قال: كنت أقول:

تُحبُّكُمُ نَفْسى حَيَاتى فإِنْ أَمُتْ أُوَكِّلْ بدَعْدٍ مَنْ يَهيمُ بها بَعْدِى

قال عبد الملك: والله لأنت أسوأ قولا منه حين توكل بها! فقال الأقيشر: فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أقول:

تُحبُّكُمُ نَفْسى حَيَاتى فإِنْ أَمُتْ فلا صَلُحَتْ هْندُ لذي خُلَّةٍ بَعْدى

فقال القوم جميعاً: أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم.

ومما يختار له قوله في مولاه:

لعَبْد العَزيزِ على قَوْمِه وغَيْرِهِم منَنٌ غامرَهْ

فبابُكَ أَلْيَنُ أَبْوَابهمْ ودارُكَ مأْهُولةٌ عامِرَهْ

وكَلْبُكَ آنَسُ بالمعْتَفِين منَ الأُم بابْنَتها الزائرَهْ

وكَفُّكَ حينَ تَرَى السائلي ن أَنْدَى منَ اللَّيْلَة الماطِرَه

فمنْكَ العَطاءُ ومنَّا الثَّناءُ بكُلِّ محَبَّرَةٍ سائرَهْ

العديل بن الفرخ

هو العديل بن الفرخ العجلي، ولقبه العباب، وكان العباب كلباً له، وهو من رهط أبي النجم العجلي، وكان هجا الحجاج فطلبه، فهرب منه إلى قيصر ملك الروم، فقال:

ودُونَ يَدِ الحَجَّاجِ منْ أَنْ تَنَالَنى بِسَاطٌ لأَيْدى اليَعْمَلاَتِ عَريضُ

مَهَامِهُ أَشْباهٌ كأَنَّ سَرَابَها مُلاَءُ بأَيْدى الغاسلاتِ رحِيضُ

وكتب الحجاج إلى قيصر: والله لتبعثن به أو لأغزينك خيلا يكون أولها عندك وآخرها عندي، فبعث به إلى الحجاج، فلما دخل عليه قال: أنت القائل:

ودونَ يد الحجاج من أَن تَنالنى

فكيف رأيت أمكن الله منك؟ قال: أنا القائل:

فَلَوْ كُنْتُ في سَلْمَى أَجاً وشعابِها لَكانَ لحَجَّاجٍ علَيَّ دَليلُ
خَليلُ أَميرِ المُؤمْنينَ وسَيْفهُ لكُلِّ إمامٍ مُصْطَفًى وخَليلُ
بَنَى قُبَّةَ الإسلامِ حتَّى كأنَّما هَدَى الناسَ من بَعْدِ الضَّلاَلِ رَسُولُ

فخلي سبله.

وهو القائل:

ما أَوْقَدَ الناسُ من نارٍ لمَكْرُمَةٍ إلاَّ اصْطَلَيْنا وكُنَّا مُوقِدى النَّارِ
وما يَعُدُّونَ من يَوْمٍ سَمِعْتُ به للناسِ أَفْضَلَ من يَوْمٍ بذى قَار
جِئْنا بأَسْلابِهِمْ والخَيْلُ عابِسَةٌ يَوْمَ اسْتَلَبْنا لكِسْرَى كُلَّ إِسْوَارِ

وكان ربما رجز.

وهو القائل:

يا دارَ سَلْمَى أَقْفَرَتْ من ذي قَارْ وهَلْ بإقْفارِ الدِّيَارِ مِنْ عَارْ

وذكر الإبل فقال:

قَوَارِبُ الماءِ سَوَامِى الأبصارْ وهُنَّ يَنْهَضنَ بدَكْدَاكٍ هَارْ
أَوْرَقَ من تُرْبِ العراقِ خَوَّارْ وقَدْ كُسينَ عَرَقاً مثْلَ القَارْ
يَخْرُجُ من تَحْت خلاَلِ الأَوْبَارْ

في أبياتٍ كثيرةٍ.

الراعي

هو حصين بن معاوية، من بني نميرٍ، وكان يقال لأبيه في الجاهلية معاوية الرئيس، وكان سيداً، وإنما قيل له الراعي لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره، وولده وأهل بيته بالبادية سادةٌ أشرافٌ، ويقال هو عبيد بن حصينٍ، ويكنى أبا جندلٍ، وكان أعور، وهجاه جريرٌ لأنه اتهمه بالميل إلى الفرزدق، فلقيه فعاتبه واستكفه، فاعتذر إليه، وجاء ابنه جندلٌ من خلفه، فضرب بالسوط مؤخر بغلته، وقال له إنك لواقفٌ

على كلب بني كليب.

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

كأَن العُيُون المُرْسلاتِ عَشيَّةً شآبيبَ دَمْعٍ لم تَجِدْ مُتَرَدَّدَا

مَزَايِدُ خَرْقاءِ اليَدَيْنِ مُسيفَةً أَخَبَّ بهنَّ المُخْلِفانِ وأَحفدَا

أخذه الطرماح فقال:

كأَن العُيُون المُرْسلاَت عَشيَّةً شآبيبَ دَمْعِ العَبْرَة المُتَحَاتِنِ

مَزَايِدُ خَرْقاءِ اليَدَيْنِ مُسيفَةً يُخِبُّ بها مُسْتَخْلِفٌ غيْرُ آينِ

وقال الراعي يصف الإبل:

نَجَائبُ لا يُلقَحْنَ إلاَّ يَعَارةً عِراضاً ولا يُشْرَيْنَ إلاَّ غوَاليَا

أخذه الطرماح فقال:

أَضْمَرَتْهُ عِشْرِينَ يَوْماً ونِيلَتْ يَوْمَ نيلتْ يَعَارَةً في عِرَاضِ

يعاره: ذاهبة الجسم، ويقال: يعار الناقة الفحل فيضربها معارضةً.

واستحسن له قوله في الاعتذار من ترك الزيارة:

إني وإيَّاك والشَّكْوَى الَّتى قَصرَتْ خَطْوِى ونَأْيَك والوَجْدَ الَّذى أَجِدُ

كالماءِ والظَّالِعِ الصَّدْيَانِ يَرْقُبُهُ هو الشفاءُ له والرِّىُّ لو يَرِدُ

ومما أخذ عليه قوله في المرأة:

تَكْسُو المَفَارِقَ واللَّبَّاتِ ذَا أَرَجٍ من قُصْبِ مُعْتَلِفِ الكَافُورِ دَرَّاجِ

الأرج: الطيب الرائحة، دراج: يذهب ويجيء أراد المسك، فجعله من قصب ظبي المسك، والقصب: المعي، وجعله يعتلف الكافور فيتولد عنه المسك! واستحسن له قوله في النساء:

نُحَدِّثُهُنَّ المُضمَرَاتِ وفَوْقَنَا ظِلاَلُ الخُدُورِ والمَطِّى جوَانِحُ

يناجيننَا بالطَّرْفِ دونَ حَدِيثِنا ويَقْضِينَ حاجاتٍ وهُنَّ نَوَازِحُ

وقال:

طافَ الخَيَالُ بأَصْحَابِى فقلْتُ لهم أَأُمُّ شَذْرَةَ زارتْنَا أَمِ الغُولُ

لا مَرْحَباً بابْنَةَ الأَقْيَانِ إذْ طرَقَتْ كأَنَّ مِحْجَرَها بالقَارِ مَكْحُولُ

سُودٌ مَعَاصِمُهَا جُعْدٌ مَعَاقِصُها ... قَدْ مَسَّها من عَقِيدِ القَارِ تَفْصيلُ

وقال:

وما بَيْضَةٌ باتَ الظَّلِيمُ يحُفُّهَا ... بوَعَسْاءَ أَعْلَى تُربْها قَدْ تَلَبَّدَا

فلمَّا عَلَتْهُ الشَّمْسُ في يَوْمِ طَلْقَةٍ ... وأَشرقَ مُكَّاءُ الضُّحَى فتَغَرَّدَا

أَرَادَ القيامَ فازْبَأَرَّ عِفَاؤُهُ ... وحَرَّكَ أَعْلَى جِيدِهِ فتَأَوَّدَا

وهَزَّ جَناحَيْه فساقَطَ نَفْضُهُ ... فَرَاشَ النَّدَى من مَتْنه فتَبَدَّدَا

فغادَرَ في الأُدْحِيِّ صَفْرَاءَ تَرْكَةً ... هِجَاناً إذَا ما الشَّرْقُ فيها تَوَقَّدَا

بأَلْيَنَ مَسٍّ من سُعَادَ لِلاَمِسٍ ... وأَحْسَنَ منها حينَ تَبْدُو مُجَرَّدَا

أفنون

واسمه صريم بن معشرٍ، هو من بني تغلب وسمي أفنون ببيتٍ قاله. وقال له كاهن في الجاهلية: إنك تموت بثنيةٍ يقال لها إلاهة، وإنه خرج مع ركبٍ فضلوا الطريق في ليلهم، وأصبحوا بمكان فسألوا عنه، فقالوا: هذه إلاهة، فترلوا ولم يترل الأفنون، وخلي ناقته ترعى، فعلقت مشفرها أفعى، فأمالت الناقة رأسها نحو ساقه، فاحتكت بها، فنهشته الأفى، فرمى بنفسه! وقال لرفيقٍ له يقالله معاوية:

لَسْتُ على شيءٍ فرُوحاً مُعاوياً ... ولا المُشْفقاتُ إذْ تَبِعْنَ الحَوَازِيَا

لَعمْرُكَ ما يُدْرِى امْرُءُ كَيْفَ يَتَّقِى ... إذَا هو لم يَجْعَلْ له اللهُ وَاقِيَا

فطَأْ مُعْرِضاً إنَّ الحُتُوفَ كَثِيرَةٌ ... وإنَّك لا تُبْقِى بمالكَ باقِيَا

كَفى حَزَناً أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ غادياً ... وأُتْرَكَ في أَعْلَى إلاَهَةَ ثاوِيَا

ومات من ساعته، فقبره هناك.

وهو القائل:

لَعَمْرُكَ ما عَمْرُو بنُ هنْدٍ إذا دَعَا ... لتَخْدُمَ أُمِّى أُمَّه بمُوَفَّقِ

المخبل

المخبل: المجنون، وبه سمي المخبل الشاعر، قاله أبو عمرو، اسمه ربيعة بن مالكٍ، وهو من بني شماس بن لأي بن أنف الناقة، وهاجر ابنه إلى البصرة، وولده كثيرٌ بالأحساء وهم شعراء.

وكان المخبل هجا الزبرقان بن بدرٍ وذكر أخته خليدة ثم مر بها بعد حينٍ وقد أصابه كسرٌ، وهو لا يعرفها فآوته وجبرت كسره فلما عرفها قال:

لَقَدْ ضلَّ حِلْمِي في خُلَيْدَةَ ضَلَّةً ... سأُعْتِبُ قَوْمِي بَعْدَهَا وأَتُوبُ

وأَشْهَدُ والمُسْتَغْفَرُ اللهُ إنَّنِي ... كَذَبْتُ عليها والهجاءُ كَذُوبُ

وهو القائل:

فإنْ يَكُ غُصْنِي أَصْبَحَ اليَوْمَ ذاوياً ... وغُصْنُكَ من ماءِ الشَّبَابِ رَطِيبُ

فإني حَنَى ظَهْرِي حَوَانٍ تَرَكْتَهُ ... عَرِيشاً فمَشْيِي في الرجال دَبِيبُ

وما لِلعظامِ الراجفاتِ منَ البِلَى ... دواءٌ وما للرُّكْبَتَيْنِ طَبِيبُ

إذَا قال أَصْحَابِي رَبِيعَ أَلاَ تَرَى ... أَرَى الشَّخْصَ كالشَّخْصَيْنِ وهو قَرِيبُ

فلا يُعْجِبنكَ المرْءُ أَنْ كان ذا غِنًى ... ستَتْرُكُهُ الأَيَّامُ وهْوَ حَرِيبُ

وكائِنْ ترَى في الناس من ذي بشاشَةٍ ... ومَنْ شأْنُه الإقْتارُ وهْوَ نَجِيبُ

سويد بن أبي كاهل

هو سويد بن غطيفٍ، من بني يشكر، وكان الحجاج تمثل يوم رستقباذ على المنبر بأبياتٍ من قصيدته، وهي:

رُبَّ مَنْ أَنْضجْتُ غَيْظاً صدْرَهُ ... قد تَمَنَّى لِيَ مَوْتاً لم يُطِعْ

ويَرانِي كالشَّجَا في حَلْقِهِ ... عَسِراً مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ

مُزْبِدٌ يَخطِرُ ما لم يَرَنِي ... فإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوتِي انْقَمَعْ

قد كَفَانِي اللهُ ما في نَفْسِه ... ومتَى ما يَكْفِ شيئاً لم يُضَعْ

لم يَضِرْنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي ... فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ

ويُحيِّيني إذَا لاقَيْتُهُ ... وإِذَا يَخْلُو له لحْمِي رَتَعْ

هَلْ سُوَيْدٌ غَيْرُ لَيْثٍ خادِرٍ ... ثَئِدَتْ أَرضٌ عليه فانْتَجَعْ

كَيْفَ يَرْجُونَ سقَاطِي بَعْدَمَا ... جَلَّلَ الرَّأْسَ بَيَاضٌ وصلَعْ

وفيها يقول:

وأَبيتُ اللَّيْلَ ما أَرْقُدُهُ ... وبعَيْنَّى إِذَا نَجْمٌ طَلَعْ
وإِذَا ما قُلْتُ لَيْلٌ قد مَضَى ... عَطَفَ الأَوَّلُ منه فرَجَعْ
يَسْحَبُ اللَّيْلُ نُجوماً ظُلَّعاً ... فَتَوَاليها بَطِيئات التَّبَعْ
ويُزَجِّيها على إِبْطائها ... مُغْربُ اللَّوْنِ إِذَا اللَّيْلُ انْقَشَعْ

وفيها يقول:

ودَعَتْنى برُقَاها إِنَّها ... تُنْزِلُ الأَعْصَمَ من رَأسِ اليَفَعْ
تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قَوْلاً حَسَنَاً ... لَوْ أَرادُوا غَيْرَهُ لم يُسْتَطَعْ

أبو محجن

هو من ثقيف، وكان مولعاً بالشراب، مشتهراً به، وكان سعد بن أبي وقاص حبسه فيه، فلما كان يوم القادسية وبلغه ما يفعل المشركون بالمسلمين، وهو عند أم ولدٍ لسعد قال:

كفَى حَزَناً أَنْ تُطْعَنَ الخَيْلُ بالقَنَا ... وأُتْرَكَ مَشْدُداً علىَّ وَثَاقيَا
إِذَا قُمْتُ عَنَّانِى الحَديدُ وغُلِّقَتْ ... مَغَالِيُ من دُونى تُصِمُّ المُنَاديَا
وقد كُنْتُ ذَا أَهْلٍ كَثِير وإِخْوَةٍ ... فَقَدْ تَرَكُونى واحداً لاَّ أَخَا ليَا
هَلُمَّ سِلاَحى لا أَبَا لَكَ إِنَّنى ... أَرَى الحَرْبَ لا تَزْدادُ إِلاَّ تَمَاديَا

فقالت له أم ولد سعدٍ: أتجعل لي إن أنا أطلقتك أن ترجع حتى أعيدك في الوثاق؟ قال: نعم، فأطلقته، وركب فرساً لسعد بلقاء، وحمل على المشركين، فجعل سعد يقول: لولا أن أبا محجن في الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسي، وانكشف المشركون وجاء أبو محجن فأعادته في الوثاق، وأتت سعداً فأخبرته، فأرسل إلى أبي محجنٍ فأطلقه، وقال: والله لا حبستك فيها أبداً، قال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبداً.

ودخل ابن أبي محجن على معاوية، فقال له معاوية: أبوك الذي يقول:

إِذَا مُت فادْفِنى إِلى جَنْبِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّى عظامِى بَعْدَ مَوتى عُرُوقُها
ولا تَدْفِنَنّى بالفَلاَةِ فإِنَّنى ... أَخافُ إِذَا ما متُّ أَن لا أَذُوقُها

فقال ابن أبي محجن: لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره، قال: وما ذاك؟ قال: قوله:

لا تَسْأَلِ الناسَ ما مالى وكَثْرَتُهُ ... وسائل القَوْمَ ما حَزْمِى وما خُلُقِى

القَوْمُ أَعْلَمُ أَنى من سَرَاتِهِم ... إِذَا تَطِيشُ يَدْ الرِّعديدَة الفَرِقِ

قَدْ أَرْكَبُ الهوْلَ مَسدُولاً عَسَاكِرُه ... وأَكْتُمُ السَّر فيه ضَرْبَهُ العُنُقِ

وهو القائل:

إنْ يكْنٍ ولَّى الأَميرُ فَقَدْ ... طابَ منْهُ النَّجْلُ والأَثَرُ

فيكُمث مُسْتَيْقظٌ فَهِمٌ ... قُلْقُلاَنٌ حَيَّةٌ ذَكَرُ

أَحْمَدُ الله إِلَيكَ فَما ... وُصلَةٌ إلا ستَنْبَترُ

عمرو بن شأس

هو أبو عرارٍ، وفيه يقول عمروٌ لامرأته:

أَرادتْ عِرَاراً بالهَوَانِ ومَنْ يُرِدْ ... عِرَاراً بُنَّى بالهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ

فإِنْ كُنْتِ منى أَو تُريدينَ صُحْبَتى ... فكُوني له كالسْنِ رُبَّتْ لَهُ الأَدَمْ

وإِلاَّ فَبِينى مثْلَ ما بانَ راكبٌ ... تَيَمَّمَ خمْساً لَيْسَ في سَيْرِه أَمَمْ

وإِنَّ عِرَاراً إِنْ يكُنْ ذا شَكِيمَةٍ ... تُقَاسِينَها منه فما أَمْلكُ الشِّيَمْ

وإِنَّ عِرَاراً إِنْ يكُنْ غيرَ واضحٍ ... فإِنى أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِب العَمَمْ

ووفد على عبد الملك بن مروان وفد أهل الكوفة، فلما دخلوا عليه وكلمهم رأى فيهم رجلا آدم طويلاً، فكلمه فأعجبه بيانه، فلما تولى بمثل عبد الملك بقول عمرو بن شأس:

وإِنَّ عِراراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ واضحٍ........ ......البيت

فالتفت الآدم إلى عبد الملك فضحك، فقال عبد الملك: علي به، فلما جيء به قال: ما أضحكك؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين عرارٌ! فأقعده معه، وقدمه وسامره حتى خرج.

ومما سبق إليه عمرو بن شأس فأخذ منه قوله:

وَأَسْيافُنَا آثَارُهُنَّ كأَنَّها ... مَشَافِرُ قَرْحَى في مَبَارِكها هُدْلُ

أخذه الكميت فقال:

تُشَبِّهُ في الهَامِ آثارَها ... مَشافِرَ قَرْحَى أَكَلْنَ البَرِيرَا

البرير: نبتٌ تأكله الإبل، وهو ثمر الأراك، وقال أبو النجم يصف الجراحة:

تَحْكى الفَصِيلَ الهادِلَ المَقْرُوحَا

الهادل: الذي قد أرخى شفتيه.

ابن الطثرية

هو يزيد بن الطثرية، والطثرية أمه وهي من طثر بن عتر بن وائلٍ، وقتلته بنو حنيفة يوم الفلج، فقالت أخته ترثيه:

أَرَى الأَثْلَ في جَنْبِ العَقيقِ مُجاوِراً ... مُقيماً وقد غالَتْ يَزِيدَ غوَائِلُهْ

فَتًى قُدَّ قَدِّ السَّيْفِ لا مُتَقاذِفٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وأَبَاجِلُه

إِذَا نَزَلَ الأَضيَافُ كان عَذَوَّراً ... على الحَيِّ حتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ

وهو القائل:

وأَبْيَضَ مثْلِ السَّيْفِ خادِمِ رُفْقَةٍ ... أَشَمَّ تَرَى سِرْبَالَهُ قد تَقَدَّدَا

كَرِيمٍ على غِرّاته لو تَسُبُّهُ ... لَفَدَّاك رِسْلاً لا تَرَاهُ مُرَبَّدَا

يُعَجِّلُ للقَوْمِ الشواءَ يَجُرُّه ... بأَقْصَى عَصَاهُ مُنْصَجاً أَو مُرَمَّدَا

حلُوفٌ لَقَدْ أَنْضَجْتُ وهُوَ مُلَهْوَجٌ ... بنِصفَيْنِ لوْ حَرَّكْتَهُ لَتَقَصَّدَا

يُجِيبُ بلَبَّيْه إِذَا ما دَعَوْتَهُ ... ويَحْسبُ ما يُدْعَى له الدَّهْرَ أَرْشَدَا

وقوله أيضاً:

هَبِينى امْرَءًا إِمّا بَرِيئاً ظَلَمْته ... وإِمَّا مُسيئاً تابَ منه وأَعْتَبَا

وكُنْتُ كَذي داءٍ تَبَغَّى لدائِه ... طَبِيباً فلمّا لم يَجِدْه تَطَبَّبَا

وهو القائل:

بِنَفْسِيَ مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنانِه ... على كَبِدِى كانَتْ شِفاءً أَنامِلُهْ

ومَنْ هابَنى في كُلِّ أَمْرٍ وهِبْتُهُ ... فلا هُوَ يُعْطِينى ولا أَنا سائِلُهْ

أبو الغول

هو من بني نهشلٍ واسمه علباء بن جوشن، وهو من بني قطن بن نهشل وكان شاعراً مجيداً، وهو القائل:

وسَوْأَةٍ يُكْثِرِ الشَّيْطانُ إِنْ ذُكِرَتْ ... منها التَعَجُّبَ جاءَتْ منْ سُلَيمانَا

لا تَعْجَبَنَّ لخَيْر زلَّ عن يَدِه   فالكَوْكَبُ النَّحْسُ يَسْقِى الأَرضَ أَحْيَانَا

وهو القائل:

ولا يَجْزُون من خَيْرٍ بِشَرٍّ   ولا يَجْزُونَ مِنْ غلَظٍ بِلِين

هُمُ أَحْمَوْا حِمَى الوَقَبْى بِضَرْبٍ   يُؤلِّفُ بَيْنَ أَشْتَات المَنُونِ

فَنَكَّبَ عَنْهُمُ دَرْءَ الأَعادِى   وداوَوْا بالجُنُونِ مِنَ الجُنُونِ

زياد الأعجم

هو زياد بن سلمى، ويقال زياد بن جابر بن عمرو بن عامرٍ، من عبد القيس، وكان يترل إصطخر، وكانت فيه لكنةٌ، فلذلك قيل له الأعجم وله عقبٌ.

وكان يهاجي قتادة بن مغربٍ اليشكري، ويقال مغرب، وفيه يقول:

يَشْكُرُ لا تْستَطِيعُ الوَفاءَ   وتَعْجِزُ يَشكُرُ أَنْ تَغْدِرَا

وقتادة هو القائل:

بِتُّ بِحُشٍّ في شَرِّ مَنْزِلَةٍ   لا أَنا في لَذَّةٍ ولا فَرَسِى

هذا على الخَسْفِ لا قَضِيمَ له   وأَنا ذَا لا يَسُوغُ لي نَفَسِى

لَلَيْلَةُ البَيْنِ إِذْ هَمَمْتُ بها   أَلَذُّ عِنْدِى من لَيْلَةِ العُرُسِ

وهم الفرزدق بهجاء عبد القيس، فبلغ ذلك زياداً الأعجم، فبعث إليه: لا تعجل حتى أهدي إليك هديةً، فانتظر الفرزدق الهدية، فبعث إليه:

ما تَرَك الهاجُونَ لِى إِنْ هَجَوْتُهُ   مَصَحّاً أَرَاه في أَديمِ الفَرَزْدَقِ

ولا تَرَكُوا عَظْماً يُرَى تَحْتَ لَحْمِه   لِكاسِرِه أَبْقَوْهُ لِلمُتَعَرِّقِ

سَأَكْسِرُ ما أَبْقَوْهُ لِى من عِظامِه   وأَنْكُتُ مُخَّ الساقِ منه وأَنْتَقى

وإِنَّا وما نُهْدِى لنا إِنْ هَجَوْتَنا   لَكَ البَحْرِ مَهْمَا يُلْقَ في البَحْرِ يَغْرَقِ

فلما بلغه الشعر قال: ليس لي إلى هجاء هولاء من سبيلٍ ما عاش هذا العبد! وهو القائل يرثي المغيرة بن المهلب:

إِنَّ السَّماحَةَ والمُرُوءَةَ ضُمِّنَا   قَبْراً بِمَرْوَ على الطَريقِ الواضِحِ

فإذا مَرَرْتَ بقَبْرِهِ فاعْقِرْ به		كُومَ الهجان وكُلَّ طِرْفٍ سابِحِ

وانضَحْ جوَانِبَ قَبْرِهِ بدِمائها		فلقَدْ يَكُونُ أخَا دَمٍ وذَبائِحِ

وقال له قبيصة بن المهلب حين أنشده هذا: أعقرت يا أبا أمامة؟ قال: إني كنت على مقرفٍ.

وتمثل الحجاج عند موت ابنه يوسف ببيتين من هذا الشعر:

اَلآنَ لَمَّا كُنْتَ أَكْمَلَ مَن مَشَى		وافْتَرَّ نابُكَ عن شَبَاةِ القارِحِ

وتَكَامَلَتْ فِيكَ المُرُوءَةُ كُلُّها		وأَعَنْتَ ذلِكَ بالفَعالِ الصالِحِ

وهو القائل في كعب الأشقري من الأزد:

إذا عَذَّبَ اللهُ الرِّجالَ بِشعْرِهم		أَمِنْتُ لكَعْبٍ أَن يُعَذَّبَ بالشِّعْرْ

وهو القائل للأزد:

أَتَتْكَ الأَزْدُ تَعْثُرُ في لِحَاها		تَسَاقَطُ من مَنَاخِرِها الجُوَافُ

ولما قال لبني حبناء من تميمٍ يهجوهم:

عَجِبْتُ لأَبْلَقِ الخُصْيَيْن عَبْدٍ		كأَنَّ عِجَانَهُ الشِّعْرَى العَبُورُ

قيل له: يا أبا أمامة لقد رفعتهم بأعظم ما يقدر عليه؟ فقال: والله لا يحول الحول حتى أرفعهم بأعظم منه، فقال:

لا يَدْلَحُ الدَّهرَ مِنْهُمْ خارِئٌ أَبَداً		إلاَّ حَسِبْتَ على بابِ استِه نَمِرَا

وقال ليزيد بن المهلب:

هَلْ لَكَ في حاجتى حاجةٌ		أَم أَنْتَ لها تارِكٌ طارِحُ

أَمِتْها لكَ الخَيْرُ أَمْ أَحْيِها		كما يفْعَلُ الرَّجلُ الصالِحُ

إذَا قُلْتُ قد أَقْبَلَتْ أَدْبَرَتْ		كمَنْ لَيْسَ غادٍ ولا رائِحُ

وكان ينبغي أن يقول غادياً ولا رائحاً، وهو كثير اللحن في شعره، ولهذا قيل له الأعجم، ولفساد لسانه بفارس.

وكذلك قوله:

أَنْتَ الفَتَى كُلُّ الفتَى		لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ ما تَقُولُ

لا خَيْرَ في كَذِبِ الجَوَا		دِ وحَبَّذا صِدْقُ البَخِيل

يا ابْنَ المُهَلَّب حاجَتى		عَجِّلْ فقَدْ حَضَرَ الرَّحِيلُ

وكذلك قوله:

تُكَلِّفُنى سَوِيقَ الكَرْمِ جَرْمٌ ... وما جَرْمٌ وما ذاكَ السَّوِيقُ

فما شَرِبُوهُ إِذْ كانَتْ حَلاَلاً ... ولا غالَوا به في يَوْمِ سُوقِ

فأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى ... ثَلاَثاً يا ابْنَ جَرْمٍ أَنْ تَذُقُوا

ومن خبث هجائه قوله للأشاقر:

قُبَيِّلَةٌ خَيْرُها شَرُّها ... وأَصْدَقُها الكاذِبُ الآثِمُ

وضَيْفُهُمُ وَسْطَ أَبْياتِهِمْ ... وإِن لم يَكُنْ صائِماً صائِمُ

جميل بن معمر العذري

هو جميل بن عبد الله بن معمرٍ، ويكنى أبا عمرو، وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته بثينة، وهما جميعاً من عذرة، وكانت بثينة تكنى أم عبد الملك، ولها يقول جميل:

يا أُمَّ عَبْدَ المَلِكِ اصْرِمِينِى ... فبَيِّنِى صَرْمَكِ أَو صِلِينِى

وقد يقال إنه جميل بن معمرٍ بن عبد الله.

والجمال في عذرة والعشق كثيرٌ، قيل لأعرابي من العذريين: ما بال قلوبكم كأنها قلوب طيرٍ تنماث كما ينماث الملح في الماء؟ أما تجلدون؟! قال: إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها! وقيل لآخر: ممن أنت؟ فقال: من قومٍ إذا أحبوا ماتوا، فقالت جاريةٌ سمعته: عذري ورب الكعبة.

وعشق جميلٌ بثنية وهو غلامٌ صغير فلما كبر خطبها فرد عنها، فقال الشعر فيها، وكان يأتيها سراً، ومترلها وادي القرى، فجمع له قومها جمعاً ليأخذوه إذا أتاها، فحذرته بثنية، فاستخفى وقال: أأ

ولو أَنَّ أَلْفاً دُونَ بَثْنَةَ كُلُّهُمْ ... غَيَارَى وكُلُّ حارِبٌ مُزْمِعُ قَتْلِى

لَحاوَلْتُها إِمَّا نَهاراً مُجاهِراً ... وإِمَّا سُرَى لَيْلٍ ولو قُطعتْ رِجْلِى

وهجا قومها فاستعدوا عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ عامل معاوية على المدينة، فنذر ليقطعن لسانه، فلحق بجذام، وقال:

أَتَانِىَ عن مَرْوانَ بالغَيْبِ أَنَّه ... مُقِيدٌ دَمِى أَو قاطِعٌ من لِسانِيَا

ففِى العِيسِ مَنْجاةٌ وفي الأَرضِ مَهْرَبٌ ... إِذَا نَحْنُ رَفَّعْنا لَهُنَّ المَثَانِيَا

فأقام هناك إلى أن عزل مروان عن المدينة، وانصرف إلى بلاده، وكان يختلف إليها سراً.

وكان لبثينة أخ يقال له جواسٌ، فشبب بأخت جميل، فغضب جميلٌ وتواعدا لمراجزةٍ، فغلبه جميل، ولما اجتمعوا لذلك قال أهل تيماء: يا جميل قل في نفسك ما شئت فأنت الباسل الجواد الجميل، ولا تقل في أبيك شيئاً فإنه كان لصاً بتيماء في شملة لا تواري استه! وقالوا لجواسٍ: قل وأنت دونه في نفسك، فقل ما شئت في أبيك، فإنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال كثيرٌ: قال لي جميلٌ: خذ لي موعداً من بثينة! قلت له: هل بينك وبينها علامةٌ؟ فقال لي: عهدي بها وهم بوادي الدوم يرحضون ثيابهم، فأتيتهم فأجد أباها قاعداً بالفناء، فسلمت فرد، وحادثته ساعةً حتى استنشدني، فأنشدته:

فقلتُ لها يا عَزَّ أَرسَلَ صاحبي ... على نَأْيِ دارٍ والمُوَكَّلُ مُرْسَلُ

بأَنْ تَجْعَلى بَيْنى وبَيْنَك مَوْعِداً ... وأنْ تَأْمُرِينى بالذى فيه أَفْعَلُ

وآخِرُ عَهْدٍ منك يَوْمَ لَقِيتِنى ... بأَسْفَلِ وادِى الدَّوْمِ والثَّوْبُ يُغْسَلُ

فضربت بثينة جانب الخدر وقالت: اخسأ! فقال لها أبوها: مهيم يا بثينة؟ قالت: كلب يأتينا إذا نوم الناس من وراء هذه الرابية، قال: فأتيت جميلاً فأخبرته أنها واعدته وراء الرابية إذا نوم الناس! قال أبو محمد: هكذا حدثنا دعبل بن علي الشاعر، وأما أبو عبد الله الزبيري فقال: التقى جميلٌ وكثيرٌ، فشكا أحدهما، لصاحبه أنه محصرٌ لا يقدر أن يزور، فقال جميلٌ لكثير: أنا رسولك إلى عزة، فأخبرني بآخر عهدٍ كان لك بها؟ قال كثير: فأن آخر عهدي أني مررت بها وبجواريها يغسلن ثياباً بأسفل وادي الدوم، فأتهم فانشدهم ثلاث ذود سودٍ ثم انظر ما يقال لك! فأتاهم جميلٌ فجعل ينشدهم الذود، فقالت له جاريتها: لقد رأيت ثلاثاً سوداً مررن بالقاع خلفنا، ثم عهدي بهن وإحداهن تحتك بالطلحة ومضى سائرهن، فانصرف جميلٌ حتى أتى كثيراً فأخبره، فلما كان في بعض الليل أتيا الطلحة وأتته عزة وصاحبةٌ لها معها، فتحادثا طويلاً، وجعل كثير يرى عزة تنظر نحو جميلٍ، وكان جميل جميلاً، وكان كثير دميماً، فغضب كثيرٌ وغار، فقال لجميل: انطلق بنا قبل أن نصبح، فانطلقا، وقال:

رَأَيْتُ ابْنَةَ الضَّمْرِىِّ عَزَّةَ أَصْبَحَتكمُ ... حَتَطبِ ما يَلْقَ باللَّيلِ يَحْطِب

وكانَتْ تُمَنِّينَا وتَزْعُمُ أَنَّها ... كَبيْضَ الأَنُوقِ في الصَّفَا المُتَنَصِّب

ثم قال كثيرٌ لجميل: متى عهدك ببثينة؟ قال في أول الصيف وقعة سحابةٍ بأسفل وادي الدوم، فخرجت ومعها جاريةٌ لها تغسل ثوباً، فلما رأتني أنكرتني، فضربت بيدها إلى ثوبٍ في الماء فالتحفت به، وعرفتني

الجارية، فعادت فطرحته في الماء، وتحادثنا حتى غابت الشمس، فسألتها الموعد فقالت: أهلها سائرون و لم ألقها بعد، و لم أجد أحداً آمنه أرسله إليها، فقال كثير: هل لك أن آتي الحي فأقرع ببيتٍ من شعرٍ أو تخلو فأكلمها؟ قال: نعم، فخرج كثير حتى أناخ بهم، فقالوا: يا كثير حدثنا كيف قلت لزوج عزة حين أمرها أن تسبك؟ قال كثير: خرجا يرميان الجمار، فوجداني قد أعصب الناس بي، فطالعني زوجها، فسمعني أنشد:

خَليلِى هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلاَ قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّت

فغار، فقال لعزة، لتغضبنه أو لأطلقنك، فقالت: المنشد يعض بكذا وكذا من أمه، مكرهةً، فقلت:

هَنيئاً مَرِيئاً غَيْرَ داءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ من أَعْرَاضنَا ما اسْتَحَلَّت

فقالت بثينة: أحسنت والله يا كثير، قال كثير وأبياتٌ قلتها لعزة:

أَرْسَلَنِى يا عَزَّ نَحْوَكِ صاحِبى على طُولِ نَأْيٍ من حَبيبٍ ومُرْسَلِ
بأَنْ تَضْرِبى بَيْنِى وبَيْنَك مَوْعداً وأَنْ تُخْبِرِينِى ما الَّذى فيه أَفْعَلُ
بِآيَة ما جِئْنَاك يَوْماً عَشَّيَةً بأَسْقَلِ وادي الدَّوْمِ والثَّوْبُ يُغْسَلُ

فقالت بثينة: يا جارية ابغينا من الدومات حجرة البطحاء حطباً لنذبح لكثير عريضاً من البهم ونشويه له!

قال كثير: أنا أعجل من ذلك، فراح إلى جميلٍ فأخبره أن الموعد الدومات.

قال أبو محمد: أرق عبد الملك بن مروان ذات ليلة، فقال: اطلبوا لي رجلاً يحدثني، فخرجوا إلى المسجد، فوجدوا رجلاً، فأدخلوه، فقال له عبد الملك، من أنت؟ قال: أنا فلانٌ وكنت من أصدق الناس لجميلٍ، قال: فحدثني عنه، قال: خرجت معه مرةً حتى انتهينا إلى خباءٍ لال بثينة، وسمعت به، فأقبلت في نسوةٍ معها، وأقبل جميلٌ، نحوها، فقعدن وقعد، فتحادثوا ساعةً، ثم أخلوهما، فلم يزالا يتشكيان حتى غشينا الصبح، فودع كل واحدٍ منهما صاحبه، ثم وضع جميلٌ رجله في الغرز، فمالت إليه بثينة فقالت: يا جميل ادن مني، فمال إليها برأسه وعنقه، فسارته بشيءٍ فخر مغشياً عليه، ثم مضت فأتيته فلم أزل عند رأسه حتى طلعت الشمس عليه، فقام ينفض رأسه وهو يقول:

فما مُكْفَهِرٌّ في رحًى مُرْجَحِنَّةٍ ولا ما أَسَرَّتْ في معادنها النَّحْلُ
بأَحْلَى منَ القَوْلِ الذي قُلْت بَعْدَمَا تَمَكَّنَ في حَيْزُومِ ناقَتِىَ الرِّجْلُ

فقال له عبد الملك: ويحك! فهل تدري ما سارته به؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين.

وذكر ابن عياشٍ قال: خرجت من تيماء فرأيت عجوزاً على أتانٍ، فقلت: ممن أنت؟ قالت: من عذرة، قلت: هل تروين عن بثينة وجميلٍ شيئاً؟ قالت: نعم والله، إنا لعلي ماءٍ من الجناب، وقد اتقينا الطريق

واعتزلنا، مخافة جيوشٍ تجيء من الشام إلى الحجاز، وقد خرج رجالنا في سفر، وخلفوا عندنا غلماناً أحداثاً، وقد انحدر الغلمان عشيةً إلى صرم لهم قريبٍ منا، ينظرون إليهم ويتحدثون عند جوارٍ منهم، فبقيت أنا وبثينة نسترم غزلاً لنا، إذ انحدر علينا منحدرٌ من هضبةٍ حذاءنا، فسلم ونحن مستوحشون، فرددت السلام، ونظرت فإذا أنا برجل واقفٍ شبهته بجميل، فدنا فأثبته فقلت: أجميلٌ؟ قال: إي والله، فقلت: والله لقد عرضتنا ونفسك شرا! فما جاء بك؟ قال: هذه الغول التي وراءك! وأشار إلى بثينة، وإذا هو لا يتماسك، فقمت إلى قعبٍ فيه أقطٌ مطحونٌ وتمرٌ، وإلى عكةٍ فيها شيءٌ من سمنٍ، فعصرته على الأقط وأدنيته منه، فقلت: أصب من هذا، ففعل، وقمت إلى سقاء لبنٍ، فصببت له في قدح وشننت عليه ماءً بارداً، وناولته فشرب فتراجع، فقلت: لقد جهدت فما أمرك؟ قال: أردت مصر فجئت أودعكم وأسلم عليكم، وأنا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاث، أنتظر أن أجد فرجةً حتى رأيت منحدر فتيانكم العشية، فجئت لأحدث بكم عهداً، فحدثنا ساعةً ثم ودعنا وانطلق، فلم نلبث إلا يسيراً حتى أتانا نعيه من مصر، قال ابن عياش: فظننت قوله:

فمَنْ كان في حُبِّى بُثَيْنَةَ يَمْتَرِى	فبَرْقاءُ ذي ضَالٍ علىَّ شَهيدُ

أنه أراد هذه الهضبة التي أقام فيها أياماً ما أكل وما شرب.

وقال سهل بن سعد الساعدي أو ابنه عباسٌ: لقيني رجلٌ من أصحابي، فقال: هل لك في جميل فإنه ثقيلٌ؟ فدخلنا عليه وهو يكيد بنفسه، وما يخيل لي أن أموت يكرثه، فقال: ما تقول في رجل لم يزن قط، و لم يشرب خمراً قط و لم يقتل نفساً حراماً قط، يشهد أن لا إله إلا الله؟ فقلت: أظنه والله قد نجا، فمن هذا الرجل؟ قال: أنا، قلت: والله ما سلمت وأنت منذ عشرون سنة تنسب ببثينة! قال: إني لفي آخر يومٍ من أيام الدنيا، وأول يومٍ من أيام الآخرة، فلا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم إن كنت وضعت يدي عليها لريبةٍ قط، قال: فأقمنا حتى مات.

وذاكرت بهذا بعض مشايخنا، فقال لي: كيف يكون هذا؟ أليس هو القائل:

فدَنَوْتُ مُخْتَفِياً أُضِرُّ بَبْيتِها	حتَّى ولَجتُ على خَفِيِّ المَوْلَجِ
قالَتْ وعَيْشِ أَخِي ونَقْمَةِ والدى	لأُنَبِّهَنَّ الحَىَّ إنْ لم تَخْرُجِ
فخَرَجْتُ خيفَةَ أَهْلِها فتَبَسَّمَتْ	فَعلَمْتُ أَنَّ يَمينَها لم تَلْجَجِ
فَلَثمْتُ فاها آخذاً بقُرُونها	فعْلَ النَّزيف ببَرْد ماءِ الحَشْرَجِ

وقال جميل حين حضرته الوفاة:

بَكَرَ النَّعِيُّ وما كَنَى بِجَمَيل	وثَوَى بمصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قُفُولِ

وَلَقَدْ أَجُرُّ البُرْدَ في وادي القُرَى نَشْوانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ ونَخِيل

قُومِي بُثَيْنَةُ وانْدُبِي بَعوِيل وابْكِي خَلِيلَك دُونَ كُلِّ خَلِيلِ

وقالت بثينة ولا يحفظ لها شعرٌ غيره:

وإِنَّ سُلُوِّى عن جَمِيلٍ لَساعةٌ مِنَ الدَّهْرِ ما جاءَتْ ولا حانَ حِينُهَا

سَوَاءٌ علينا يا جَمِيلَ بنَ مَعْمَرٍ إذَا مُتَّ بَأْسَاءُ الحَيَاةِ ولِينُها

وجميلٌ ممن رضي بالقليل قال:

أُقَلِّبُ طَرفِى في السَّماءِ لَعَلَّهُ يُوافِقُ طَرفِى طَرْفَها حِينَ تَنْظُرُ

ومثله قول المعلوط في الرضى بالقليل:

أَلَيْس اللَّيْلُ يُلْبسُ أُمَّ عَمْرٍو وإيَّانا فذاكَ بنا تَدَانِى

بَلَى وتَرَى السَّماءَ كما أَراها ويَعْلُوها النَّهارُ كما عَلاَنِى

ونحوه قول بعض الأعراب في الرضى بالقليل:

وما نِلْتُ منها مَحْرَماً غيرَ أَنَّنى إذا هيَ بالَتْ بُلْتُ حَيْثُ تَبُولُ

قالوا: وأفرط في قوله:

ولَوْ أَنَّ جِلْداً غَيْرَ جِلْدِكِ مَسَّنى لَدَى مَضْجَعِى حقّاً إذاً لَشَرِيتُ

ولَو أَنَّ راقِى المَوْتِ يَرْقِى جنَازَتِى بِرِيقِكِ يَوْماً يا بُثَيْنَ حَيِيتُ

ومما يستجاد له قوله:

عَلِقْتُ الهَوَى منها وَلِيداً فلم يزَلْ إلى اليومِ يَنْمِى حُبُّها ويَزِيدُ

وأَفْنَيْتُ عُمْرِى بانْتِظارِى نَوَالَها فبلَّتْ بذاكَ الدَّهْرَ وهْوَ جَدِيدُ

فلا أَنَا مَرْدُودٌ بما جِئْتُ طالباً ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ

فمَنْ كان في حبِّى بُثَيْنَةَ يَمْتَرِى فبَرقاءُ ذي ضَالٍ علىَّ شَهِيدُ

ومما سبق إليه فأخذ منه قوله:

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسِيرُونَ خَلْفَنا وإنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إلى الناسِ وَقَّفُوا

أخذه الفرزدق وأدخله الرواة في شعره.

ومما يستغث من شعره قوله:

فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِى مَعِى ما طَلَبْتُها ولكنْ طِلاَبِيها لِمَا فاتَ منْ عَقْلِى

فإنْ وُجِدَتْ نَعْلٌ بأَرِض مَضَلَّةٍ من الدَّهْرِ يَوْماً فاعْلَمِى أنَّها نَعْلى

ويستجاد له قوله في هذا الشعر:

خَلِيليَّ فيما عشْتُما هَلْ رأَيْتُما قَتِيلاً بَكَى من حُبِّ قاتله قَبْلى

وقال صالح بن حسانٍ لجلسائه: أيكم ينشد بيتاً نصفه مخنث يتفكك بالعقيق، ونصفه أعرابي في شملةٍ بالبادية؟ قالوا: ما نعرفه، قال هو قول جميلٍ:

أَلاَ أَيُّها الرُّكْبُ النِّيامُ أَلاَ هُبُّوا أُسائلْكُمُ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ

فقالوا نعَمْ حتَّى يَرُضّ عظامَهُ ويَتْرُكَهُ حَيْرَانَ ليس له لُبُّ

توبة بن الحمير

هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، خفاجي، وكان شاعراً لصا، وأحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته ليلى الأخيلية، وهي ليلى بنت عبد الله بن الرحالة بن كعب ابن معاوية، ومعاوية هو الأخيل بن عبادة، من بني عقيل بن كعب، وكان يقول الأشعار فيها، وكان لا يراها إلا متبرقعةً، فأتاها يوماً، وقد سفرت، فأنكر ذلك، وعلم أنها لم تسفر إلا لأمرٍ حدث، وكان إخوتها أمروها أن تعلمهم بمجيئه ليقتلوه، فسفرت لتنذره، ويقال: بل زوجوها، فألقت البرقع، ليعلم أنها قد برزت، ففي ذلك يقول:

وكُنْتُ إذَا ما جِئْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ فقَدْ رَابنِى منها الغَدَاةُ سُفُورُهَا

وأول الشعر:

نَأَتْكَ بلَيْلَى دارُها لا تَزُورُهَا وشَطَّتْ نَوَاهَا واسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا

يقولُ رِجَالٌ لا يَضيرُكَ نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ ما شَفَّ النُّفُوسَ يَضيرُهَا

أَظُنُّ بها خَيْراً وأَعْلَمُ أنَّها ستُنْعِمُ يوماً أَو يُفَكُّ أَسيرُهَا

أَرَى اليومَ يأْتي دُونَ لَيْلَى كأَنَّمَا أَتَتْ حججٌ من دُونها وشُهُورهَا

حَمَامَةَ بَطْنِ الواديَيْن تَرَنَّمِى سَقَاك منَ الغُرِّ الغَوَادِى مطيرُهَا

أَبينى لنا لا زالَ ريشُك ناعماً ولا زِلْتِ في خَضْرَاءِ عالٍ بَريرُهَا

فإنْ سَجَعَتْ هاجَتْ لعَيْنِكَ عَبْرةً وإنْ زَفَرَتْ هاجَ الهوَى قَرْقَرِيرُهَا

وهو القائل:

ولو أَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ   عليَّ ودُونِى تُرْبَةٌ وصَفائحُ

لَسَلَمْتُ تَسْليمَ البَشَاشَةِ أَو زَقَا   إِليْها صَدًى من جانب القَبْرِ صائحُ

ولو أَنَّ لَيْلَى في السَّماءِ لأَصْعَدَتْ   بطَرْفِى إلى لَيْلَى العُيُونُ اللَّوَامحُ

وكان توبة رحل إلى الشأم، فمر ببني عذرة، فرأته بثينة، فجعلت تنظر إليه، فشق ذلك على جميلٍ، وذلك قبل أن يظهر على حبه لها، فقال لها جميلٌ: من أنت؟ قال: أنا توبة بن الحمير، قال: فهل لك في الصراع؟ قال: ذلك إليك، فنبذت إليه بثينة ملحفةً مورسةً، فاتزر بها، ثم صارعه فصرعه جميل، ثم قال له: هل لك في النضال؟ قال: نعم، فناضله، فنضله جميلٌ، ثم قال له: هل لك في السباق؟ قال: نعم، فسابقه، فسبقه جميلٌ، فقال له: توبة: يا هذا، إنك إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسة، ولكن اهبط بنا إلى الوادي، فهبطا إلى الوادي، فصرعه توبة وسبقه ونضله.

وكان توبة كثير الغارة على بني الحرث بن كعب وهمدان وكانت بين أرض بني عقيلٍ وأرض مهرة مفازةٌ قذفٌ فكان إذا أراد الغارة عليهم حمل المزاد، وكان من أهدى الناس بالطريق، فخرج ذات يومٍ ومعه أخوه عبيد الله وابن عم له، فنذروا به، فانصرف مخفقاً، فمر بجيرانٍ لبني عوف بن عامر، فأغار عليهم فاطرد إبلهم وقتل رجلاً من بني عوف، وبلغ الخبر بني عوف، فطلبوه فقتلوه، وضربوا رجل أخيه فأعرجوه، واستنقذوا إبل صاحبهم وانصرفوا وتركوا عند عبيد الله سقاءً من ماءٍ، كيلا يقتله العطش، فتحامل حتى أتى بني خفاجة، فلاموه وقالوا: فررت عن أخيك؟ فقال يعتذر:

يَلُومُ على القِتَالِ بنو عُقَيْلِ   وكَيْفَ قتَالُ أَعْرَجَ لا يَقُومُ

ليلى الأخيلية

هي ليلى بنت الأخيل، من عقيل بن كعب، وهي أشعر النساء، لا يقدم عليها غير خنساء، وكانت هاجت النابغة الجعدي، وكان مما هجاها به قوله:

أَلاَ حَيَّيَا لَيْلَى وقُولاَ لها هَلاَ   فقَدْ رَكِبَتْ أَمْراً أَغَرَّ مُحَجَّلاَ

بُرَيْذِينَةٌ بَلّ البَرَاذينُ ثَفْرَها   وقَدْ شَرِبَتْ في أَوَّلِ الصَّيْف أُيَّلاَ

وقَدْ أَكَلَتْ بَقْلاً وَخيماً نَبَاتُه   وقد نَكَحَتْ شَرَّ الأَخَايلِ أَخْيَلاَ

وكيْفَ أُهاجِى شاعراً رُمْحُهُ اسْتُهُ   خَضِيبَ البَنَانِ لا يَزالُ مُكَحَّلاَ

فأجابته وفاقته:

أَنَابغَ لم تَنْبُغْ ولم تَكُ أَوَّلاَ وكُنْتَ وُشَيْلاً بَيْنَ لِصُبَيْنِ مَجْهَلاَ
أَعَيَّرْتَنِى داءً بِأُمِّكَ مِثْلُهُ وأَيُّ جَوَادٍ لا يُقَالُ لَهُ هَلاَ
تُساوِرُ سُوَّاراً إلى المَجْدِ والعُلَى وفي ذِّمتي لَئِنْ فَعَلْتَ لَيَفْعَلاَ

أي ليفعلن وسوارٌ ابن أوفى القشيري وكان زوجها.

ورثت عثمان بن عفان رضي الله عنه فقالت:

أَبَعْدَ عُثْمانَ تَرْجُو الخَيْرَ أُمَّتُهُ وكان آمَنَ مَنْ يَمْشى على ساقِ
خَلِيفَةَ الله أَعْطَاهُمْ وخوَّلَهُمْ ما كان من ذَهَبٍ جُومٍ وأوْرَاقِ
فلا تُكَذِّبْ بوَعْدِ الله واتَّقِه ولا تَوَكَّلْ على شيءٍ بإشْفَاقِ
ولا تَقُولَنْ لشَىءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ قد كَتَبَ اللهُ ما كُلُّ امْرِىءٍ لاَقِ

ودخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت، فقال لها: ما رأى فيك توبة حين هويك؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين ولوك! فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها.

وسألت الحجاج أن يحملها إلى قتيبة بن مسلمٍ بخراسان، فحملها على البريد، فلما انصرفت ماتت بساوة، فقبرت بها.

ومن جيد شعرها قولها في توبة:

أَقْسَمْتُ أَرْثِى بَعْدَ تَوْبَةَ هَالِكاً وأَحْفِلُ منْ دارَتْ عليه الدَّوائرُ
لَعَمْرُكَ ما بالمَوْتِ عارٌ على الفَتَى إذَا لم تُصِبْهُ في الحَيَاة المَعَايِرُ
وما أَحَدٌ حَيًّا وإنْ كان سالماً بأَخْلَدَ ممَّنْ غَيَّبَتْهُ المَقَابرُ
ومنْ كان ممّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جازِعاً فلابُدَّ يوماً أَنْ يُرَى وهْوَ صابرُ
ولَيْسَ لذي عَيْشٍ من المَوْت مَذْهَبٌ وليس على الأَيَّامِ والدَّهْرِ غابرُ
ولا الحَيُّ ممَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ مُعْتِبٌ ولا المَيْتُ إنْ لم يَصْبِرِ الحيُّ نَاشِرُ
وكلُّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إلى بِلًى وكُلُّ آمْرِئٍ يوماً إلى الله صَائرُ
وكلُّ قَرِينَىْ أُلْفَةٍ لتَفَرُّقٍ شَتَاتاً وإنْ ضَنَّا وطالَ التَّعَاشُرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوْبَ هالكاً أَخَا الحَرْبِ إنْ ضاقَتْ عليه المَصَادِرُ
فأَقْسَمْتُ لا أَنْفَكُّ أَبْكِيكَ ما دَعَتْ على فَنَنٍ وَرْقَاءُ أَوْ طَارَ طائرُ

قَتيلَ بنى عَوْفٍ فيالَهْفَتا له فما كُنْتُ إيَّاهُمْ عليه أُحاذرُ
ولكنَّمَا أَخْشَى عليه قَبيلَةً لها بدُرُوب الرُّوم بادٍ وحاضرُ

وقولها:

فإنْ تَكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فإنَّكُمْ فَتًى ما قَتَلْتُمْ آلَ عَوْف بن عامرِ
وإلاَّ تَكُنْ فيكُمْ بَوَاءً فإنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ يَوْماً ورْدَهُ غَيْرَ صَادرِ
فَتًى هو أَحْيَا منْ فَتَاة حَيِيَّةٍ وأَشْجَعُ من لَيْث بخَفَّانَ خادرِ
فَتًى لا تَخَطَّاهُ الرِّفاقُ ولا يَرَى لقدْرٍ عيَالاً دُونَ جارٍ مُجَاورِ
فَتًى كان للمَوْلَى سَنَاءً ورفْعَةً وللطارِقِ السارى قرًى غَيْرَ باسرِ
فَتًى يُنْهِلُ الحاجات ثم يَعُلُّهَا فتُطْلعُهَا عَنْهُ ثَنايَا المَصَادرِ
ولا تَأْخُذُ الكُومُ الجلادُ سلاحَها لتَوْبَةَ في صرِّ الشتاءِ الصَّنابرِ
فنعْمَ الفَتَى إنْ كان تَوْبَةُ فاجرًا وفَوْقَ الفَتَى إنْ كان لَيْسَ بفاجرِ

وقولها أيضاً:

ومُخَرَّقٌ عَنْهُ القَميصُ تَخَالُهُ وَسْطَ البُيُوت منَ الحَيَاء سَقيمَا
حتَّى إذا رُفعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللِّوَاءِ على الخَميسِ زَعيمَا

شبيل بن ورقاء

هو من زيد بن كليب بن يربوعٍ، وكان شاعراً مذكوراً جاهلياً، فأدرك الإسلام وأسلم إسلام سوءٍ، وكان لا يصوم شهر رمضان، فقالت له بنته، ألا تصوم؟ فقال:

تَأْمُرُنى بالصَّوْمِ لا دَرَّ دَرُّها وفى القَبْرِ صَوْمٌ لا أَباكِ طَوِيلُ

وكان له ابنان: خالدٌ وتبالة.

طفيل بن كعب الغنوي

قال أبو محمد: هو طفيل بن كعبٍ الغنوي، وكان من أوصف الناس للخيل، وكان يقال له في الجاهلية المحبر، لحسن شعره، وقال عبد الملك بن مروان: من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيلٍ. وقال

معاوية: دعوا لي طفيلاً وسائر الشعراء لكم وهو جاهلي.

وهو القائل:

إني وإنْ قَلَّ مالى لا يُفَارِقُنى ... مثْلُ النَّعَامَةِ فى أَوْصَالِها طُولُ

أو قارِحٌ في الغُرَابيَّات ذُو نَسَبٍ ... وفى الجِراءِ مِسَحٌّ الشَّدِّ إِجْفيلُ

إِنَّ النسَاءَ كأَشجَارٍ نَبَتْنَ مَعاً ... منها المُرَارُ وبَعْضُ النَّبْت مَأْكُولُ

إِنَّ النَساءَ متى يُنْهَيْنَ عن خُلُقٍ ... فإِنّهُ واجِبٌ لا بُدَّ مَفْعُولُ

لا يَنْصَرِفْنَ لرُشْدٍ إِنْ دُعِينَ له ... وهُنَّ بَعْدُ مُلائِمٌ مَخَاذِيلُ

وهو القائل:

بخَيْلٍ إذا قيلَ: ارْكَبُوا لم يَقُلْ لهم ... عَوَاوِيرُ يَخْشَوْنَ الرَّدَى: أَيْنَ نَرْكَبُ

ولكنْ يُجَابُ المُسْتَغيثُ وخَيْلُهُمْ ... عليها حُمَاةٌ بالمَنيَّةِ تَضْرِبُ

ومما سبق إليه طفيلٌ قوله:

بِحَيٍّ إذا قيلَ: اظْعَنُوا قد أُتيتُمُ ... أَقامُوا فلم تُرْدَدْ عليهِمْ حَمَائِلُ

ثم قال ابن مقبل:

بِحَيٍّ إذا قيلَ: اظْعَنُوا قد أُتيتُمُ ... أَقامُوا على أَظْعَانِهِمْ وتَلَحْلَحُوا

وقال طفيلٌ يذكر الإبل:

عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقَامَةٍ ... ولم تَرَ نَارًا تمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ

وقال الحطيئة:

عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقَامَةٍ ... ولم تُحْتَلَبْ إِلاَّ نَهَارًا ضَجُورُها

يقول: لا تحلب التي تضجر من الحلب في البرد، ولكن إذا طلعت عليها الشمس.

ابن مقبل

هو تميم بن أبي بن مقبلٍ، من بني العجلان، وفي رهطه يقول النجاشي:

إذا اللهُ عادَى أَهْلَ لُؤْمٍ ورِقَّةٍ ... فعادَى بنِى العَجْلانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ

وكان جاهلياً إسلامياً، ورثى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال:

لِيَبْكِ بَنُو عُثْمانَ ما دام جِذْمُهُمْ ... عليه بأَسْيافٍ تُعَرَّى وتُخْشَبُ

نَعَاء لِفَضْلِ الحلْمِ والحَزْمِ والنَّدَى ... ومَأْوَى اليتامى العبر عاموا وأجدبوا

ومَلْجَإ مَهْرُوئينَ يُلْغى به الحَيَا ... إذا جَلَّفَتْ كَحْلٌ هو الأُمُّ والأَبُ

وكان خرج في بعض أسفاره، فمر بمترل عصرٍ العقيلي، وقد جهده العطش، فاستسقى، فخرج إليه ابنتاه بعس فيه لبنٌ، فرأتاه أعور كبيراً، فأبدتا له بعض الجفوة، وذكرتا هرمه وعوره، فغضب وجاز و لم يشرب، وبلغ أباهما الخبر، فتبعه ليرده، فلم يرجع، فقال له: ارجع ولك وأعجبهما إليك، فرجع وقال قصيدته هذه، وهي أجود شعره:

كان الشَّبَابُ لحاجاتٍ وكُنَّ له ... فقَدْ فَرِغْتُ إلى حاجاتِي الأُخَرِ

يا حُرَّ أَمْسَتْ تَلِيَّاتُ الصِّبَا ذَهَبَتْ ... فلَسْتُ منها على عَيْنٍ ولا أَثَرِ

يا حُرَّ أَمْسَى سَوَادُ الرَّأسِ خالَطَهُ ... شَيْبُ الْقَذَالِ اخْتِلَاط الصَّفْوِ بالكَدَرِ

يا حُرَّ أَمْسَيْتُ شَيْخاً قد وَهَى بَصَرِى ... وآلْتَاثَ ما دُونَ يَوْمِ البَعْث من مُعْتَذَرِ

قالتْ سُلَيْمَى ببَطْنِ القاعِ من سُرُجٍلا ... خَيْرَ في المَرْءِ بَعْدَ الشَّيْب والكِبَرِ

واسْتَهْزَأَت تِرْبُهَا مِنِّى فقُلْتُ لها ... ماذا تَعيبَانِ مِنِّى يَا بْنَتَىْ عَصَرِ

لولا الحَياءُ وباقِى الدِّين عِبْتُكُما ... ببَعْض ما فيكما إذْ عِبْتُمَا عَوَرِى

قد كُنْتُ أَهْدِى ولا أُهْدَى فعلَّمَنى ... حُسْنَ المَقَادَةِ أَنى فاتَنى بَصَرِى

قد قُلْتُمَا لِىَ قَولاً لا أبا لَكُما ... فيه حَدِيثٌ على ما كان من قِصَرِ

أخذه من قول امرىء القيس وحديثٌ ما على قصره أي أي حديث هو على قصره، على التعجب منه.

وهو من أوصف العرب لقدحٍ، ولذلك يقال: قدح ابن مقبل.

وهو القائل في نفسه:

إذا مُتُّ عن ذِكْرِ القَوافِى فلَنْ تَرَى ... لها تالياً بَعْدِى أَطَبَّ وأَشْعَرَا

وأَكْثَرَ بيتاً مارِداً ضُرِبَتْ له ... حُزُونُ جِبَالِ الشِّعْرِ حتَّى تَيَسَّرَا

أَغَرَّ غَرِيباً يَمْسَحُ الناسُ وَجْهَهُ ... كما تَمْسَحُ الأَيْدِى الجَوَادَ المُشَهَّرَا

وقال ابن مقبلٍ في الفرس:

يُرْخِى العِذَارَ ولو طالَتْ قَبَائِلُهُ ... عن حَشْرَةٍ مِثْلِ سِنْفِ المَرْخَةِ الصَّفِرِ

وقال آخر:

لها أُذُنٌ حَشْرَةٌ مَشْرَةُ كإِعْلِيطِ مَرْخٍ إِذا ما صَفِرْ

وقال آخر:

حَشْرَةُ الأُذْنِ كإِعْلِيطٍ صَفِرْ

ومما يستحسن له قوله في النساء:

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مالَتْ جَوَانِبُهُ يَنْهَالُ حيناً ويَنْهَاهُ الثَّرَى حينا

يَهْزُزْنَ للمَشْيِ أَوْصَالاً مُنَعَّمَةً هَزَّ الجَنُوبِ ضُحًى عيدَانَ يَبْرِينَا

أَوْ كاهْتِزَازِ رُدَيْنِيٍّ تَدَاوَقَهُ أَيْدِي التِّجَارِ فزادوا مَتْنَهُ لينَا

أمية بن أبى الصلت

هو أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عبد عوف بن عقدة بن غيرة بن قسي، وقسي هو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف.

وقد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله جل وعز، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأن نبيا يبعث قد أظل زمانه، ويؤمل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصته كفر حسداً له.

ولما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره قال: آمن لسانه وكفر قلبه، وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء، ويأتي بألفاظ كثيرةٍ لا تعرفها العرب، يأخذها من الكتب المتقدمة، وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب، منها قوله:

بآيَةِ قام يَنْطِقُ كلُّ شيءٍ وخَانَ أَمانَةَ الدِّيكِ الغُرَابُ

وكانوا يقولون: إن الديك كان نديماً للغراب، فرهنه على الخمر وغدر به ولم يرجع، وتركه عند الخمار، فجعله الخمار حارساً.

ومنها قوله:

غَيْمٌ وظَلْماءُ وفَضْلُ سَحَابَةٍ إِذْ كانَ كَفَّنَ واسْتَرَادَ الهُدْهُدُ

يَبْغِي القَرَارَ لأُمِّهِ ليُجِنَّهَا فبَنَى عليها في قَفَاهُ يَمْهَدُ

فيَزَالُ يَدْلَحُ ما مَشَى بجِنَازَةٍ منها وما اخْتَلَفَ الجَدِيدُ المُسْنَدُ

وكانوا يقولون: إن الهدهد لما ماتت أمه أراد أن يبرها، فجعلها على رأسه يطلب موضعاً، فبقيت في رأسه، فالقترعة التي في رأسه هو قبرها، وإنما أنتنت ريحه لذلك ومنها قوله:

قَمَرٌ وساهُورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

والساهور فيما يذكر أهل الكتاب: غلاف القمر يدخل فيه إذا كسف.

وقوله في الشمس:

لَيْسَتْ بطالِعَةٍ لَهُمْ في رِسْلِها إلاَّ مُعَذَّبَةً وإلاَّ تُجْلَدُ

يقولون: إن الشمس إذا غربت امتنعت من الطلوع، وقالت: لا أطلع على قومٍ يعبدونني من دون الله، حتى تدفع وتجلد فتطلع! ويسمى السماء في شعره صاقورة وحاقورة وبرقع.

ويقول في الله عز وجل:

هو السَّلَطْلِيطُ فوْقَ الأَرْضِ مُقْتَدِرُ

ويقول: وأبدت الثغرورا يريد الثغر وهذه أشياء منكرةٌ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجةً في اللغة.

ولما حضرته الوفاة قال:

كُلُّ عَيْشٍ وإنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا صائِرٌ مَرَّةً إلى أَنْ يَزُولَا

لَيْتَنى كُنْتُ قَبْلَ ما قد بَدَا لي في رُؤُوس الجِبَالِ أَرْعَى الوُعُولَا

وأبوه أبو الصلت الثقفي شاعرٌ، وهو القائل في سيف بن ذي يزن:

لَنْ يَطْلُبَ الوِتْرَ أَمْثَالُ ابنِ ذي يَزَنٍ لَجَّجَ في البَحْرِ للأَعْدَاءِ أَحْوَالَا

أَتَى هِرَقْلَ وقَدْ شالَتْ نَعَامَتُهُ فلم يَجِدْ عِنْدَهُ القَوْلَ الَّذي قَالَا

ثم انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بعد تاسِعَةٍ منَ السِّنِينَ لقَدْ أَبْعَدْتَ إيغَالَا

حتَّى أَتَى بِبَنِى الأَحْرَارِ يَحْمِلُهُمْ إِنَّكَ عَمْرِى لَقَدْ أَسْرَعْتَ قِلْقَالَا

مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وباذَانِ الجُنُودِ له ومِثْلُ وَهْرِزَ يَوْمَ الجَيْشِ إذْ صَالَا

لِله دَرُّهُمُ منْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا ما إنْ تَرَى لَهُمُ في الناسِ أَمْثَالَا

غُلْباً جَحَاجِحَةً بِيضاً مَرَاجِحَةً أُسْدًا تُرَبِّبُ في الغَيْضَاتِ أَشْبَالَا

يَرْمُونَ عَنْ عَتَلٍ كأَنَّهَا غُبُطٌ بزَمْخَرٍ يُعْجِلُ المَرْمِيَّ إعْجَالَا

أَرْسَلْتَ أُسْداً على سُودِ الكلابِ فَقَدْ أَضْحَى شَرِيدُهُمُ في الأَرْضِ فُلَّالَا

فاشْرَبْ هَنيئاً عليكَ التاجُ مُرْتفقاً في رَأسِ غُمْدانَ داراً منك مِحْلَالَا
ثمَّ اطَّلِ المسْكَ إذْ شالَتْ نَعامَتُهُمْ وأَسْبِلِ اليومَ منْ بُرْدَيكَ إسْبَالَا
تلْكَ المكارِمُ لا قَبْعانِ من لَبَنٍ شيبَا بماءٍ فعادَا بَعْدُ أَبْوالَا

وكان لأمية ابن يقال له القاسم، وكان شاعراً وهو القائل:

قَوْمٌ إذا نَزلَ الحَرِيبُ بدارِهِمْ تَرَكُوهُ رَبَّ صَوَاهلٍ وقيَان
فإذا دَعَوْتَهُمُ ليَوْمِ كَرِيهَةٍ سَدُّوا شُعاعَ الشَّمْسِ بالخُرْصانِ
لا يَنْقُرُونَ الأَرضَ عنْدَ سُؤَالِهِمْ لتَطَلُّب العِلَّات بالعِيدَان
بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فترَى لها عنْدَ السُّؤَالِ كأَحْسَنِ الأَلْوَان

خليد عينين

هو من عبد القيس، من ولد عبد الله بن درام بن مالك، وكان يترل أرضاً بالبحرين تعرف بعينين، فنسب إليها، وهو القائل:

أَيُّها المُوقِدَانِ شُبَّا سَنَاهَا إنَّ للضَّيْف طَارِفِى وتِلاَدِى

ومر خليد عينين بوال لزياد على بعض كور فارس، فسأله فلم يعطه، فقال: أنت تدل بالشعر فاذهب فقل ما شئت! فقال: أما إني لا أهجوك، ولكني أقول ما هو أشد عليك من الهجاء فأنشأ يقول:

وكائنْ عنْدَ تَيْمِ من بُدُورٍ إذَا ما حُرِّكَتْ تَدْعُو زِيَادَ
دَعَتْهُ دَعْوَةً شَوْقاً إليه وقد شُدَّتْ حَنَاجِرُها صفَادَا

ونمى الشعر إلى زيادٍ فقال: لبيك يا بدور تيمٍ! وبعث إليه فأخذ منه مائة ألف درهمٍ.

جرير بن عطية

هو جرير بن عطية بن حذيفة ولقب حذيفة الخطفي لقوله:

وعَنَقاً باقِى الرَّسيمِ خَيْطَفَا

وهو من بني كليب بن يربوعٍ وكان عطية أبو جريرٍ مضعوفاً وأم جرير أم قيس بنت معبد، من بني كليب بن يربوع، وكان له أخوان: عمرو بن عطية وأبو الورد بن عطية، وولدت جريراً أمه لسبعة أشهرٍ، وعمر نيفاً وثمانين سنةً، ومات باليمامة، وكان يكنى أبا حزرة، وكان له عشرةٌ من الولد، فيهم ثمانيةٌ ذكور،

منلهل بلال بن جرير، وكان أفضلهم وأشعرهم، ويكنى أبا زافرٍ. ورأى في المنام أنه قطعت له أربع أصابع من أصابعه، فقاتل بني ضبة فقتلوا له أربعة بنين، ولبلال عقبٌ، منهم عمارة بن عقيل بن بلال، وهو القائل في دينارٍ ويحيى ابني عبد الله:

ما زال عصْيانُنا لله يُسْلِمنا حتَّى دُفعْنا إلى يحيى ودينارِ
إلى عُلَيْجَيْنِ لم تُقْطَعْ ثِمارُهما قد طال ما سَجَدَا للشَّمْس والنارِ

وكان بلالٌ نزل برجلٍ يقال له مسعود بن طعمة، من بني بيدعة، فلم يحسن قراه، فقال:

أَمَسْعُودُ أَنْتَ اللَّئِيمُ الأَثيمُ كأَنَّكَ قُنْفُذَةٌ في ضعَهْ

سَمِعْنا له إذْ نَزَلْنا به كَلاَماً كما تَنْطِقُ الضفَّدَعَهْ
فأَيَّ اللَّئيمَيْنِ أَشْبَهْتَهُ أَطُعْمَةَ أَمْ أُمَّكَ الكَوْتَعَهْ
عَدَدْنا عَديّاً وآباءَهُمْ فشَرُّ عَدىٍّ بنو بَيْدَعَهْ
فما أعْطَشَ الضَّيْفَ لَمَّا غَدَا منَ البَيْدَعات وما أَجْوَعَهْ

وقال بلال في قوم من بني فقيمٍ، يقال له بنو ناشرة:

عَدَدْنا فُقَيْماً وآباءَهُمْ فشَرُّ فُقَيْمٍ بَنُو ناشِرَهْ
قصارَ الفعالِ طِوالَ الخُطَى مَنَاتينَ لَيْسَتْ لهم بادرَهْ
يَعُدُّونَ غُرْماً قِرَى ضَيْفِهِمْ فلا عَدُوا صَفْقَةً خاسِرَهْ
إِذَا ضِفْتَهُمْ ثُمَّ سَاءَلْتَهُمْ وَجَدْتَ بِهِمْ عِلَّةً حاضِرَهْ
ولَيْسُوا إِذَا قُلْتَ ماذا هُمُ بأَصْحاب دُنْيَا ولا آخِرَهْ

وقال في حماد المنقري:

نَزَلْنا بحَمَّادٍ فخَلَّى كلاَبَهُ علينا فكدْنا بينَ بَيْتَيْه نُؤْكَلُ
وقد قال قَبْلِي قائلٌ ظَلَّ فيهِم أَذَا اليَوْمُ أَو يَوْمُ القِيَامَة أَطْوَلُ

ومن ولد جرير عكرمة بن جرير، وكان شاعراً، ونوح بن جرير، وكان شاعراً.

وكان جريرٌ من فحول شعراء الإسلام، ويشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: هما بازيان يصيدان ما بين العندليب إلى الكركي.

وكان من أحسن الناس تشبيباً، حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: سمعت الحي يتحدثون أن جريراً

قال: لولا ما شغلني من هذه الكلاب لشببت تشبيباً تحن منه العجوز إلى شبابها كما تحن الناب إلى سقبها.

وكان من أشد الناس هجاءً، وحدثني عبد الرحمن الأصمعي قال: أخبرنا شيخ من أهل البصرة قال: مر راعي الإبل في سفرٍ فسمع إنساناً يتغنى على قعودٍ له بشعر جريرٍ، وهو قوله:

وعاوٍ عوَى من غَيْرِ شيءٍ رَمَيْتُهُ ... بقافِيَةٍ أَنْفاذُها تَقْطُرُ الدَّمَا

خرُوجٍ بأَفْواه الرُّواة كأَنَّها ... قِرَى هُنْدُوانِّي إِذَا هُزَّ صَمَّمَا

فقال: لمن هذا؟ قيل: لجرير فقال الراعي: لعنة الله على من يلومني أن يغلبني مثل هذا! وكان مع حسن تشبيبه عفيفاً، وكان الفرزدق فاسقاً، وكان يقول: ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره، لما ترون.

وأخبرنا عبد الرحمن قال: أخبرنا الأصمعي قال: أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال: كنت قاعداً عند جريرٍ وهو يملى:

ودِّعْ أُمامَةَ حان منْكَ رحِيلُ ... إِنَّ الوَدَاعَ لمَنْ تُحبُّ قَلِيلُ

فمرت به جنازةٌ، فترك الإنشاد وقال: شيبتني هذه الجنائز، قلت: فلأي شيءٍ تشتم الناس؟ قال: يبدؤونني ثم لا أعفو، قال: وكان يقول: أنا لا أبتدي ولكن عندي.

وبلغه عن بعض شعراء بني كليبٍ شيءٌ ساءه، فدعاه إلى مهاجاته، فقال الكليبي: إن نسائي بإمتهن، ولم تدع الشعراء في نسائك مترقعاً.

وكان جرير يقول: النصراني أنعتنا للخمر والحمر وأمدحنا للملوك وأنا مدينة الشعر.

وقال أبو عمرو: سئل الأخطل، أيكم أشعر؟ قال: أنا أمدحهم للملوك وأنعتهم للخمر والحمر، يعني النساء، وأما جرير فأنسبنا وأشبهنا، وأما الفرزدق فأفخرنا.

وقال مروان بن أبي حفصة:

ذَهَبَ الفَرَزْدَقُ بالفخَارِ وإنما ... حُلْوُ القَرِيض ومُرُّهُ لِجَرِيرِ

وكان جرير مقيماً بالمروت من البادية، والفرزدق بالعراق، وهما يتهاجيان، فأرسلت بنو يربوع إلى جرير: إنك مقيم بالمروت ليس عندك أحدٌ يروي عنك والفرزدق بالعراق قد ملأها عليك منذ سبع حججٍ، فانحدر إلى العراق فأقام بالبصرة، ولذلك يقول:

وإِذا شَهِدْتُ لثَغْرِ قَوْمي مَشْهَداً ... آثَرْتُ ذاكَ على بَنِيَّ ومالى

ومدح الحجاج فأكرمه وأدناه، وأوفده إلى عبد الملك بن مروان فاستنشده، فأنشده في الحجاج:

صَبَرْتَ النَّفْسَ يا بْنَ أَبي عَقِيلِ ... مُجاهَدَةً فكَيْفَ تَرَى الثَّوَابَا

إِذَا سَعَرَ الخَلِيفَةُ نارَ حَرْبِ رَأى الحَجَّاجَ أَثْقَبَها شِهابَا

وأنشد مدحته التي يقول فيها:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ

فأمر له بمائة ناقة من نعم كلبٍ، فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، نحن أشياخٌ، وليس في واحد منا فضلٌ عن راحلته، والإبل أباق، قال: فنجعل أثمانها لك رقةً؟ قال: لا، ولكن الدعاء، فأمر له بثمانية أعبدٍ، فقال جرير: والمحلب يا أمير المؤمنين! فنبذ إليه إحداهن بالخيزرانة، وقال: خذها لا نفعتك! ففي ذلك يقول جرير:

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمانِيَةٌ ما في عَطَائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

قال أبو عبيدة: كان الفرزدق بالمربد، فمر به رجل قدم من اليمامة، فقال له: من أين وجهك؟ قال: من اليمامة، قال: فهل علقت من جريرٍ شيئاً؟ فأنشده:

هاجَ الهَوَى بِفُؤَادِكَ المُهْتَاجِ

فقال الفرزدق:

فانْظُرْ بِتُوضِحَ باكِرَ الأَحْدَاجِ

فقال:

هذا هَوًى شَغَفَ الفُؤَادَ مُبَرِّحٌ

فقال الفرزدق:

ونَوًى تَقاذَفُ غَيْرُ ذاتِ خِلاَجِ

فقال:

لَيْتَ الغُرَابَ غَدَاةَ يَنْعَبُ دائِباً

فقال الفرزدق:

كان الغُرَابُ مُقَطَّعَ الأَوْداجِ

فما زال الرجل ينشده صدراً صدراً من قول جرير، وينشده الفرزدق عجزاً عجزاً حتى ظن الرجل أن الفرزدق قالها وأن جريراً سرقها، ثم قال لها: هل ذكر فيها الحجاج؟ قال: نعم، قال: إياه أراد.

ومن خبيث هجائه قوله للفرزدق:

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الفَرَزْدَقِ مُقْرِفاً.... ....الأبيات

ومن جيد شعره قوله:

تَعَالَوْا نُحاكمْكُمْ وفي الحَقَّ مَقْنَعٌ   إلى الغُرِّ من أَهْلِ البِطَاحِ الأَكارِمِ

فإنَّ قُرِيشَ الحَقَّ لم تَتْبَعِ الهَوَى   ولم يَرْهَبُوا في الله لَوْمَةَ لائم

فإنِى لَرَاضٍ عَبْدَ شَمْسٍ وما قَضَتْ   وأَرْضَى بحُكْمِ الصِّيدِ من آلِ هاشمِ

أَذَكِّرُكُمْ بالله مَنْ يُنْهِلُ القَنَا   ويَضْرِبُ كَبْشَ الجَحْفَلِ المُتَرَاكِمِ

وكُنْتُمْ لَنَا الأَتْباعَ في كُلّ مَوْقفٍ   وريشُ الذُّنَابَى تابعٌ للقَوَادِمِ

إِذَا عُدَّت الأَيَّامُ أَخْزَيْتَ دارِماً   وتُخْزِيكَ يا بْنَ القَينْ أَيَّامُ دارِمِ

وما زادني بُعْدُ المَدَى نَقْضَ مِرَّةٍ   ولا رَقَّ عَظْمى للضُّرُوسِ العَواجِمِ

ويستجاد له قوله:

فأَنْتَ أَبى ما لم تَكُنْ لِىَ حاجةُ.....   ......الأبيات

وقوله يرثي امرأته:

لَوْلاَ الحَياءُ لَعادَنى استْعْبارُ......   ....الأبيات

ومما أخذ عليه قوله في بني الفدوكس رهط الأخطل:

هذا ابنُ عَمِّى في دمَشقَ خَليفَةٌ   لَوْ شِئتُ ساقَكُمْ إلىَّ قَطينَا

القطين في هذا الموضع: العبيد والإماء، وقيل له: يا أبا حزرة، ما وجدت في بني تميمٍ فخراً تفخر به عليهم حتى فخرت بالخلافة، لا والله إن صنعت في هجائهم شيئاً.

الفرزدق

هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد ابن سفيان بن مجاشع بن دارمٍ، وكان جده صعصعة بن ناجية عظيم القدر في الجاهلية، واشترى ثلاثين مووودةً إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام، منهن بنتٌ لقيس بن عاصم المنقري، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم.

وأم صعصعة قفيرة بنت سكينٍ، من عبد الله بن دارمٍ، وكانت أمها أمةً وهبها كسرى لزرارة، فرهنها زرارة لهند بنت يثربي ابن عدسٍ فوثب أخو زوجها، واسمه سكين بن حارثة بن زيد بن عبد الله ابن دارم، على الأمة فأحبلها فولدت له قفيرةٌ أم صعصعة، فكن جريرٌ يعيبُ الفرزدق بها، وكان لصعصعة قيونٌ،

منهم جبيرٌ ووقبان وديسم، فلذلك جعل جريرٌ مجاشعاً قيوناً.

وقال جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جبير:

وَجَدْنا جُبَيْراً أَبا غالِبٍ ... بَعِيدَ القرَابَة من مَعْبَدِ

يعني معبد بن زرارة.

وكان يعيبهم بالخزيرة وذلك أن ركباً من مجاشع مروا في الجاهلية وهم عجالٌ على شهاب التغلبي، فسألهم أن يترلوا فقالوا: نحن مستعجلون، فقال: لا تجوزوني حتى تصيبوا القرى، فحمل إليهم خزيرةً، فجعلوا يأكلونها على إبلهم ويعظمون اللقمل، وذلك يسيل على لحاهم.

وأما غالب أبو الفرزدق فكان يكنى أبا الأخطل، وكان سيد بادية تميمٍ، وكان أعور، وأمه ليلى بنت حابسٍ أخت الأقرع بن حابسٍ، واستجير بقبره وهو بكاظمة في حمالةٍ، فاحتملها عنه الفرزدق.

وكان له إخوةٌ، منهم هميم بن غالبٍ، وسمي الفرزدق باسمه وهو القائل:

لَعَمْرُ أَبيكَ فلا تَكْذِبَنْ ... لَقَدْ ذَهَبَ الخَيْرُ إلا قَليلاَ

وقَدْ فُتِّنَ الناسُ في دِينِهِمْ ... وخَلَّى ابْنُ عَفَّانَ شَرّاً طَوِيَلا

وإنما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره، شبه بالفتيتة التي تشربها النساء، وهي الفرزدقة وكنيته أبو فراسٍ.

وكان للفرزدق أخٌ يقال له الأخطل أسن منه، وابنه محمد ابن الأخطل كان توجه مع الفرزدق إلى الشأم، فمات بها، ولا عقب له، ورثاه الفرزدق.

وأخته يقال لها جعثن، وكانت امرأة صدقٍ، ونزل الفرزدق في بني منقرٍ والحي خلوفٌ، فجاءت أفعى إلى جارية من بني منقرٍ يقال لها ظمياء، فدخلت معها في شعارها، فصرخت أمها، وجاء الفرزدق فسكنها، واحتال للأفعى حتى انسابت، والتزم الجارية فانتهرته، فقال:

وأَهْوَنُ عَيْبِ المنْقَرِيَّة أَنَّها ... شَدِيدٌ ببطْنِ الحَنْظَليّ لُصُوقُها

فلما بلغ بني منقرٍ قوله أرسلوا رجلا يقال له عمران بن مرة، وأمروه أن يعرض لجعثن أخت الفرزدق، فلما خرجت وثب فضرب بيده على نحرها، فصاحت، ومضى، فعير الفرزدق بذلك.

ومكث الفرزدق زماناً لا يولد له، فعيرته امرأته النوار بذلك فقال:

قالَتْ أَراهُ واحداً لا أَخَا لَهُ ... يْؤَمِلُهُ في الوارِثين الأَباعُد

لَعَلَّك يوْماً أَنْ تَرَيْنى كأَنَّما ... بَنِّى حَوَالَىَّ الأُسُودُ الحَوَارِدُ

فإنَّ تَميماً قَبْلَ أَن يَلِدَ الحَصَى ... أَقام زَماناً وهُو في الناس واحدُ

فولد له بعد ذلك لبطة وسبطة وخبطة وركضة من النوار، وزمعة وليس لواحد من ولده عقبٌ إلا من النساء.

وأجاد في قوله:

قالت وكيف يميل مثلك للصبى ....البيتين

وكان الفرزدق معنا مفناً، يقول في كل شيءٍ، وسريع الجواب، فمر بقومٍ ولهم، جنازةٌ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مات أبو الخنساء صاحب البغال، فقال:

لِيَبْكِ أَبا الخَنْساءِ بَغْلٌ وبَغْلَةٌ ومِخْلاةُ سَوْءٍ قد أُضيعَ شَعيرهُا

ومِجْرفَةٌ مَطْروحَةٌ ومِحَسَّةٌ ومقْرَعَةٌ صَفْراءُ بالٍ سُيُورُهَا

ومن إفراطه قوله:

وبَوَّأتُ قِدْرِي..... ....البيتين

وكان خلف بن خليفة ظريفاً شاعراً راوية، وكان أقطع له أصابع من جلود فمر بالفرزدق يوماً فقال له: يا أبا فراس من الذي يقول:

هُوَ القَيْنُ وابْنُ القَينِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ لفَطْحِ المَسَاحِى أَو لجَدْلِ الأَدَاهم

قال الفرزدق: يقوله الذي يقول:

هو اللصُّ وابْنُ اللصُّ لا لِصَّ مِثْلُهُ لنَقْبِ جِدارٍ أَو لِطَرِّ الدَّرَاهِمِ

وأتى حفصاً السراج يشتري منه سرجاً، فمرت به امرأةٌ جميلةٌ وفي يده سرجٌ ينظر إليه، فألقي السرج من يده وقال:

مَنَعِ الحَيَاةَ منَ الرِّجال ونَفْعَها حَدَقٌ تُقَلِّبُها النَّساءُ مِراضُ

خَرَجَتْ إِلَيْكَ ولم تَكُنْ خَرَّاجَةً فأُصيبَ صَدْعُ فُؤَادِكَ المنُهْاضُ

وكأَنَّ أَفْئِدَةَ الرِّجالِ إِذا رأَوا حَدَقَ النِّياءِ لنَبْلها الأَغْراضُ

ورآه خالد بن صفوان يوماً وكان يمازحه، فقال: يا أبا فراس ما أنت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن! قال: ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت الفتاة فيه لأبيها: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين.

وجاء عنبسة بن معدان إلى باب بلال، فرأى الفرزدق وقد نعس، فحركه برجله وقال: بلغت النار يا أبا فراس؟ قال: نعم ورأيت أباك ينتظرك!

ومر بيحيى بن الحضين بن المنذر الرقاشي، فقال له: يا أبا فراس هل لك في جدي سمينٍ ونبيذٍ زبيبٍ جيدٍ؟ فقال: وهل يأبى هذا إلا ابن المراغة؟ فانطلق به يحيى وبابن عمٍّ له، فأكلوا ثم دعا بالشراب، فقال الفرزدق: اسقني صرفاً يا غلام، فقال يحيى: أما أنا فلا أشرب صرفاً ولا غيره، فقال الفرزدق:

اسقِنى خَمْساً وخَمْساً ... وثَلاثاً واثْنَتَيْنِ

من عُقَارٍ كدَمِ الجَوْ ... ف يُحِرُّ الكُلْيَتَينِ

واصْرِف الكأْسَ عنِ المَ ... حْرُومِ يحْيى بْنِ حُضَيْن

واسْقِ هذَينِ ثَلاَثي ... نَ يَرُوحَا مَرَحَيْن

وأصابته الدبيلة، فقدم به البصرة، وأتى بطبيبٍ فسقاه قاراً أبيض، فجعل يقول: أتعجلون لي القار في الدنيا؟ ومات وقد قارب المائة، وقيل له في مرضه الذي مات فيه: اذكر الله، فسكت طويلا ثم قال:

إلى مَنْ تَفْزَعُونَ إذا حَثَوْتُمْ ... بأَيْديكُمْ عليَّ منَ التُّرَابِ

ومَنْ هذا يَقُومَ لَكُمْ مَقامى ... إذا ما الرَّيِقُ غَصَّ بذي الشَّرَابِ

فقالت له مولاةٌ له: نفزع إلى الله، فقال: أخرجوا هذه من الوصية، وكان قد أوصى لها بمائة درهم.

قال أبو عمرو بن العلاء: كان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بزهيرٍ.

وأما النوار امرأة الفرزدق فهي ابنة أعين بن ضبيعة المجاشعي، وكان علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وجه أباها إلى البصرة أيام الحكمين، فقتله الخوارج غيلةً، فخطب النوار رجلٌ من قريش، وأهلها بالشأم، فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها، وكان أقرب من هناك إليها، فقال: إن بالشأم من هو أقرب إليك مني، ولا آمن أن يقدم قادمٌ منهم فينكر ذلك علي، فأشهدي أنك قد جعلت أمرك إلي، ففعلت فخرج بالشهور وقال لهم: قد أشهدتكم أنها قد جعلت أمرها إلي، وإني أشهدكم أني قد تزوجتها على مائة ناقةٍ حمراء سوداء الحدق فذئرت من ذلك، واستعدت عليه، وخرجت إلى عبد الله بن الزبير، والحجاز والعراق يومئذٍ إليه، وخرج الفرزدق فأما النوار فنزلت على خولة ابنة منظور بن زبان الفزاري امرأة عبد الله بن الزبير، فرققتها وسألتها الشفاعة لها، وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير، وهو لخولة، ومدحه، فوعده الشفاعة له، فتكلمت خولة في النوار، وتكلم حمزة في الفرزدق، فأنجحت خولة وخاب حمزة، وأمر عبد الله ابن الزبير أن لا يقربها حتى يصيرا إلى البصرة، فيحتكما إلى عامله، فخرج الفرزدق فقال:

أَمَّا بَنُوهُ فلم تُنْجِحْ شفاعتُهم ... وشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظُورِ بنِ زَبَّانَا

لَيْسَ الشَّفِيعُ الذي يأْتيكَ مُؤْتَزِراً ... مِثْلَ الشَّفِيعِ الذي يَأْتيكَ عُرْيَانَا

وماتت النوار بالبصرة مطلقة منه، وصلي عليها الحسن البصري رحمه الله.

قال أبو محمد: ولما هجا الفرزدق بني منقر لسبب ظمياء، وهي عمة اللعين الشاعر المنقري، فقال:

وأَهْوَنُ عَيْبِ المِنْقَرِيَّة أَنَّها   شَدِيدٌ ببَطْنِ الحَنْظَلى لُصُوقُهَا

رَأَتْ مِنْقَراً سُوداً قِصَاراً وأَبْصَرَتْ   فَتًى دارِمِيّاً كالهِلاَلِ يَرُوقُهَا

فما أَنا هِجْتُ المِنْقَرِيَّةَ للصِّبَى   ولكنَّها استَعْصَتْ عليها عُرُوقُهَا

استعدوا عليه زياداً، فهرب إلى المدينة وعليها سعيد بن العاصي، فأمنه وأجاره وأظهر زيادٌ أنة لم يرد به سوءاً، وأنه لو أتاه لحباه وأكرمه، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

دَعَاني زِيادٌ للعَطاءِ ولم أَكُنْ   لأَقْرَبَهُ ما ساقَ ذو حَسَبٍ وَفْرَا

وعنْدَ زِيادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ   رِجالٌ كَثِيرٌ قد يَرَى بهِمِ فَقْرَا

وإني لأَخْشَى أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ   أَدَاهِمَ سُوداً أَو مُحَدْرَجَةً سُمْرَا

وخال الفرزدق هو العلاء بن قرظة الضبي، وكان شاعراً، وكان الفرزدق يقول: إنما أتاني الشعر من قبل خالي، وخالي الذي يقول:

إِذَا ما الدَّهْرُ جَرَّ على أُناسٍ   حَوَادِثَهُ أَناخَ بآخَرِينا

فقُلْ للشامتينَ بنا أَفيقُوا   سَيَلْقَى الشامتُونَ كما لَقِينَا

وله يقول جريرٌ:

كَأَنِ الفَرَزْدَقُ إِذْ يَعُوذ بخاله   مِثْلُ الذَّليل يَعُوذُ تحتَ القَرْمَلِ

والقرمل: شجر ضعيفٌ تقول العرب: ذليلٌ عاذ بقرملة.

ولقي الفرزدق أبا هريرة، وقال له: يا فرزدق أراك صغير القدمين، فإن استطعت أن يكون لهما غداً مقامٌ على الحوض فافعل، وقال الفرزدق: سمعت أبا هريرة يقول على منبر المدينة: الذبيح إسمعيل وأنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك:

ثَلاثٌ واثْنَتانِ فهُنَّ خَمْسٌ   وسادسَةٌ تَمِيلُ إلى شِمَامِي

فبِتنَ جَنَابَتَيَّ مُطَرَّحاتٍ   وبتُّ أَفُضُّ أَغْلاقَ الخِتَامِ

كأَنَّ مَفالِقَ الرُّمانِ فيه   وجَمْرَ غَضًى قَعَدْنَ عليه حَامِ

فقال له سليمان: أخللت بنفسك، أقررت عليها عندي بالزنا، وأنا إمامٌ فلا بد لي من إقامة الحد عليك!
قال: ومن أين أوجبته علي؟ قال: لقول الله عز وجل: "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدةٍ" قال الفرزدق: فإن كتاب الله يدرؤه عني، يقول الله تبارك وتعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون". فأنا قلت ما لم أفعل.

وأتى سليمان بأسرى من الروم، وعنده الفرزدق فقال له: قم فاضرب أعناق هؤلاء، فاستعفاه من ذلك فلم يعفه، ودفع إليه سيفاً كليلاً، فقام الفرزدق فضرب به عنق رجل منهم، فنبا السيف، فضحك سليمان ومن حوله، فقال الفرزدق:

ما يُعْجِبُ الناسَ أَنْ أَضْحَكْتُ خَيْرَهُمُ ... خليفَةَ الله يُسْتَسْقَى به المَطَرُ
لم يَنْبُ سَيْفِيَ من رُعْبٍ ولا دَهَشٍ ... عَنِ الأَسيرِ ولكنْ أُخِّرَ القَدَرُ
ولَنْ يُقَدِّمَ نَفْساً قَبْلَ مِيتَتِها ... جَمْعُ اليَدَيْنِ ولا الصَّمْامَةُ الذَّكرُ

وفي ذلك يقول جريرٌ:

بَسيْفِ أَبى رَغْوَانَ قَيْنِ مُجَاشعٍ ... ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسَيْفِ ابنِ ظَالمِ
ضربْتَ به عنْدَ الإمامِ فأُرْعِشَتْ ... يَدَاكَ وقالوا مُحْدَثٌ غَيْرُ صارمِ

فأجابه الفرزدق:

ولا نَقْتُلُ الأَسْرَى ولكنْ نَفُكُّهُمْ ... إذا أَثْقَلَ الأَعْناقَ حَمْلُ المَغَارِمِ
وهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِّى جاعلَةٌ لَكُمْ ... أَباً عن كُلَيْبٍ أَو أَخاً مثْلَ دارمِ

ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب في الحبس فقال:

أصْبَحَ في قَيْدِكَ السَّماحَةُ والْ ... جُودُ وحَمْلُ الدِّياتِ والإِفْضالُ

فقال له: أتمدحني وأنا على هذه الحال؟ قال: أصبتك رخيصاً فأسلفتك.

ومما سبق إليه فأخذ منه أو سبق إليه فأخذه قوله:

ومُنْتَكِثٍ عَلَلْتُ بالَّسوْط رَأْسَه ... وقد كَفَرَ الخُرُوقَ الخَوَاليَا

يعني بالمنتكث بعيراً انتكث أي هزل، وقال الآخر: في وصف سوط:

ومُنْتَكِثٍ عاللْتُ مُلْتاثَةً به ... وقد حَدَرَ اللَّيْلُ النُّسُورَ العَوالَيا

وأخذ عليه قوله:

وعَضُّ زمانٍ يا ابنَ مَرْوَانَ لم يَدَعْ ... منَ المالِ إلا مُسْحَتاً أَو مُجَلَّفُ

وقد أكثر النحويون في الاحتيال لهذا البيت، و لم يأتوا فيه بشيءٍ يرتضى.

وقوله:

وعنْدِي حُساماَ سَيْفِهِ وحمائلُهُ

أراد حسان سيفه فثنى، ومثله لقيس بن الخطيم يصف الدرع:

كأَنَّ قَتيرَيْها عُيُونُ الجَنَادِبِ

أراد قتيرها، والقتير: مسامير الدرع، ومثله قول جرير:

لمَّا تَّذَكَّرْتُ بالدَّيْرِيْنِ أَرَّقَنى ... صَوْتُ الدَّجاجِ وقَرْعٌ بالنَّوَاقِيسِ

أراد دير الوليد، فثنى، وهو دير مشهور بالشأم.

وعابه الأخطل بقوله:

أَبَنى غُدانَةَ إننى حَرَّرْتُكُمْ ... ووهَبْتُكُمْ لعطِيَّةَ بن جِعَالِ

لَوْلاَ عَطِيَّةُ لاَجْتَدَعْتُ أُنوفَكُمْ ... من بَيْنِ أَلْأَمِ آنفٍ وسِبَالِ

وقال: كيف يهبهم له وهو يهجوهم هذا الهجاء؟ وقال عطية بن جعالٍ حين سمع هذا: ما أسرع ما رجع أخي في عطيته.

ومن جيد الشعر قوله لجرير:

فإِنْ تَكُ كَلْباً من كُلَيبٍ فإننى ... مِنَ الدارِمِيِّينَ الطَّوَالِ الشَّقَاشِقِ

هُمُ الداخِلُونَ البَيْتَ لا تَدْخُلُونَهُ ... على المَلْكِ والحامُونَ عنْدَ الحَقَائقِ

ونَحْنُ إذا عَدَّتْ مَعَدٌّ قَدِيمَها ... مَكانَ النَّواصي من وُجُوه السَّوَابِقِ

وقوله يهجوه:

ولَوْ يُرْمَى بلُؤْمِ بَنى كُلَيبٍ ... .الأبيات

ومات الفرزدق قبل جرير فلما بلغ جريراً موته قال:

هَلَكَ الفَرَزْدَقُ بَعْدَما جَدَّعْتُهُ ... لَيْتَ الفَرَزْدَقَ كان عاشَ قَليلاَ

ثم أطرق طويلاً وبكى، فقيل له: يا أبا حرزة ما أبكاك؟ قال: بكيت لنفسي، إنه والله قل ما كان اثنان مثلنا أو مصطحبان أو زوجان إلا كان أمد ما بينهما قريباً، ثم أنشأ يقول مرثياً له:

فُجِعْنا بحَمَّالِ الدِّيَاتِ ابْنِ غالِبٍ ... وحامِى تَمِيمٍ عِرْضَهَا والبَرَاجِمِ

بكَيْنَاكَ حِدْثَانَ الفِراقِ وإنَّما بكَيْناك إذ نابَتْ أُمُورُ العظائِمِ

فلا حَملَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهِيرةٌ ولا شُدَّ أَنْسَاعُ المَطِيِّ الرَّواسِمِ

الأخطل

هو غياث بن غوثٍ، من بني تغلب، من فدوكسٍ، ويكنى أبا مالك.

وقال مسلمة بن عبد الملك: ثلاثةٌ لا أسأل عنهم، أنا أعلم العرب بهم: الأخطل والفرزدق وجرير، فأما الأخطل فيجيء سابقاً أبداً، وأما الفرزدق فيجيء مرةً سابقاً ومرةً، ثانياً، وأما جريرٌ فيجيء سابقاً مرةً وثانياً مرةً وسكيتاً مرةً.

وكان الأخطل يشبه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبياني.

ودخل على عبد الملك بن مروان فقال: يا أمير المؤمنين قد امتدحتك، فقال: إن كنت تشبهني بالحية والأسد فلا حاجة لي بشعرك! وإن كنت قلت مثل ما قالت أخت بني الشريد، يعني الخنساء، فهات، فقال:

وما بلغَتْ كَعْبُ امْرِىءٍ مُتَطاوِلٍ به المجْدُ إلاَّ حَيْثُ ما نلْتَ أَطولُ

وما بَلَغ المُهْدُونَ في القوْلِ مِدْحَةً ولَوْ أَكْثَرُوا إلاَّ الذي فيكَ أَفْضَلُ

وكان الأخطل يمدح بني أمية، مدح معاوية ويزيد ومن بعدهم من خلفاء بني مروان حتى هلك.

وقال أبو عبيدة: حدثني أبو حية النميري قال: حدثني الفرزدق قال: كنا في ضيافة معاوية ومعنا كعب بن جعيل التغلبي الشاعر، فقال له يزيد بن معاوية: إن عبد الرحمن بن حسانٍ قد فضح عبد الرحمن بن الحكم وغلبه وفضحنا، فاهج الأنصار، فقال له كعبٌ: أرادي أنت إلى الشرك؟ أهجو قوماً نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه! ولكني أدلك على غلامٍ منا نصراني ما يبالي أن يهجوهم، كافرٌ شاعرٌ كأن لسانه لسان ثور! قال: ومن هو؟ قال: الأخطل، فدعاه وأمره بهجائهم، فقال: على أن تمنعني منهم؟ قال: نعم، فقال شعراً فيه:

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بالسَّمَاحَةِ والنَّدَى واللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأَنصارِ

فذَرُوا المَعالِيَ لَسْتُمُ من أَهْلَها وخُذُوا مَساحِيَكُمْ بَنِى النَّجَّارِ

فغضب النعمان بن بشيرٍ، ودخل على معاوية فوضع عمامته بين يديه، وقال: هل ترى لؤماً؟ قال: بل أرى كرماً وحسباً، فما ذلك؟ فأنشده قول الأخطل واستوهبه لسانه، فوهبه له، فبلغ ذلك الأخطل، فعاذ

بيزيد، فمنعه وصار إلى أبيه، فقال: يا أمير المؤمنين، أمهب لسان من رد عنك وغضب لك؟ قال: ومن هجانا؟ قال: عبد الرحمن بن حسانٍ، وأنشده قوله في رملة بنت معاوية:

وهْيَ زَهْراءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَة الغَ ... وَّاصِ مِيزَتْ من جَوْهَر مَكْنُونِ

قال: ما كذب يا بني، فأنشده:

وإذا ما نَسَبْتَها لم تَجِدْها ... في سَنَاءٍ منَ المَكارِمِ دُونِ

قال: قد صدق يا بني، فأنشده:

ثُمَّ خاصَرْتُها إلى القُبَّة الخَضْ ... رَاءِ تَمْشِي في مَرْمَر مَسْنُونِ

فقال: أما في هذا فقد أبطل.

ولما قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب السلمي أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان، والجحاف السلمي عنده، في شعرٍ له:

أَلاَ سَائِلِ الجَحَّافَ هَلْ هو ثائرٌ ... بقَتْلَى أُصيبَتْ من سُلَيْمٍ وعامِرِ

فخرج الجحاف من فوره ذلك مغضباً حتى أغار على البشر، وهو ماءٌ لبني تغلب، وقتل منهم ثلاثةً وعشرين رجلا، وقال:

أَبا مالِكٍ هل لُمْتَنى مُذْ حَضَضْتَنى ... على القَتْلِ أَم هَلْ لامَنى لَكَ لائمُ

متى تَدْعُنى أُخْرَى أُجِبْكَ بمِثْلِها ... وأَنْتَ امْرُؤٌ بالحَق لَيَس بعالِمِ

فخرج الأخطل حتى أتى عبد الملك بن مروان وقد قال:

لَقَدْ أَوْقَعَ الجَحَّافُ بالبِشْرِ وقْعَةً ... إلى الله منها المُشْتَكَى والمُعَوَّلُ

فإلاَّ تُغَيِّرْها قُرَيْشٌ بمُلْكِها ... يَكُنْ عن قُرَيْشٍ مُسْتَمازٌ ومَزْحَلُ

فقال له عبد الملك: إلى أين يا ابن اللخناء؟ قال: إلى النار يا أمير المؤمنين! قال: أما والله لو غيرها قلت لضربت عنقك.

ونزل الأخطل على سعيد بن بيان التغلبي، وكان سعيدٌ رجلا دميماً أعور ذا مالٍ كثيرٍ، وكان سيد بني تغلب بالكوفة، وكانت تحته برة بنت أبي هانٍ التغلبي، وكانت من أجمل النساء، فاحتفل له سعيدٌ وأحسن صلته وأكرمه، فلما أخذت الكأس من الأخطل جعل ينظر إلى وجه برة وجمالها وإلى دمامة زوجها وعوره! فتعجب منها ومن صبرها عليه، فقال له سعيدٌ: يا أبا مالكٍ، أنت رجل تدخل على الخلفاء والملوك وتنظر إلى هيئتهم وتأكل من طعامهم وتشرب من شرابهم: فأين ترى هيئتنا من هيئتهم؟

وهل ترى عيباً تنبهنا عليه؟ فقال له الأخطل: ما لبيتك عيبٌ غيرك! فقال له سعيدٌ: أنا والله أحمق منك يا نصراني حين أدخلتك منزلي، وطرده، فقال:

وكَيْفَ يُدَاوِينى الطَّبيبُ منَ الجوَى ... وبَرَّةُ عِنْدَ الأَعْوَرِ ابن بيَانِ

ويُلْصقُ بَطْناً مُنْتِنَ الرِّيحِ مُجْرِزاً ... إلى بَطْنِ خَوْدٍ دائم الخَفَقانِ

يُنَهْنُهنى الأحراسُ عنها ولَيْتَنى ... قَطَعْتُ إليها اللَّيْلَ بالرَّسَفَانِ

فهَلاَّ زَجَرْتِ الطَّيْرَ إذْ جاءَ خاطباً ... بضَيْقَةَ بَيْنَ النَّجْمِ والدَّبَرَانِ

ومما سبق إليه الأخطل فأخذ منه قوله:

قَوْمٌ تُعَلَّقُ أَشْنَاقُ الدِّيَاتِ به ... إذَا المِؤُونَ أُمِرَّتْ فَوْقَهُ حَمَلاَ

أخذه الكميت فقال:

كأَنَّ الدِّيَاتِ إذا عُلِّقَتْ ... مِؤُوها به الشَّنَقُ الأَسْفَلُ

وأشناق الديات: أصنافها من الحقاق والجذاع وأشباهها.

وقال الأخطل:

أَجَرِيرُ إنَّكَ والذي تَسْمُو له ... كأَسِيفَةٍ فَخَرَتْ بحِدْجِ حَصَانِ

أخذه الطرماح فقال:

كفَخْرِ الإماءِ الرَّائحات عَشِيَّةً ... برَقْمِ حُدُوجِ الحَيِّ لَمَّا استَقَلَّتِ

ومما أخذ عليه قوله في عبد الملك بن مروان:

وقد جَعَلَ الله الخلاَفَةَ مِنْهُمُ ... لأَبْيَضَ لا عارِى الخِوانِ ولا جَدْبِ

وهذا مما لا يجوز أن يمدح به خليفةٌ، ويجوز أن يمدح به غيره، كقول الآخر:

إلَى امْرِىءٍ لا تَخَطَّاه الرِّفَاقُ ولاجَدْبِ ... الخَوانِ إذَا ما اسْتُنْشِىءَ المَرَقُ

وأخذ عليه قوله في رجل من بني أسدٍ أجاره:

نعْمَ المُجيرُ سِمَاكٌ من بنى أَسَدِ ... بالطَّفِّ إذْ قَتَلَتْ جِيرانَها مُضَرُ

قد كُنْتُ أَحسِبُهُ قَيناً وأُنْبَؤُهُ ... فاليَوْمَ طُيِّرَ عن أَثْوابِه الشَّرَرُ

وكان يقال لرهطه القيون، وقال الأخطل: فلما أجارني وأحسن إلي طار الشرر عن أثوابه، أي بطل هذا اللقب. وهذا مدحٌ كالهجاء! وقوله لسويد بن منجوفٍ يهجوه:

وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّبَ السُّوسَ وسْطَه ... لِمَا حَمَّلَتْهُ وائلٌ بمُطِيقِ

فقال سويدٌ: هجوتني بزعمك فمدحتني، لأنك جعلت وائلا حملتني أمرها، وما طعمت في بني تغلب منها!

ومما يستجاد من شعر جريرٍ والفرزدق والأخطل: قول جريرٍ لأبيه أو جده:

فأَنْتَ أَبي ما لم تَكُنْ لِيَ حاجَةٌ ... فإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لا أَبَاليَا

وإِنِي لمَغْرُورٌ أُعَلَّلُ بالمُنَى ... ليَالِيَ أَرْجُو أَنَّ مالَكَ ماليَا

بأَيِّ نِجادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَما ... قَطَعْتَ قُوًى من محْتَملٍ كان باقيَا

بأَيِّ سنانٍ تَطْعُنُ القَوْمَ بعدما ... نَزَعْتَ سَناناً من قَنَاتِكَ ماضيَا

أَلم أَكُ ناراً يَصْطَلِيها عَدُوُّكُمْ ... وحِرزْاً لِمَا أَلْجَأْتُمُ منْ ورَائيَا

وباسِطَ خَيْرٍ فيكُمُ بيَمينه ... وقابِضَ شَرٍّ عَنْكُمُ بشِماليَا

أَلاَ لاَ تَخَافَا نَبْوَتى في مُلمَّةٍ ... وخافا المَنَايا أَنْ تَفُوتَكُما بِيَا

وقوله:

يا أُخْتَ ناجِيَةَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمُ ... قَبْلَ الرَّحيلِ وقَبْلَ لَوْمِ العُذَّلِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكمُ ... يَوْمُ الرَّحيلِ فَعَلْتُ ما لم أَفْعَلِ

أَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ وشْكَ بَيْنٍ عاجِلٍ ... لَقَنعْتُ أَو لَسَأَلْتُ ما لم أَسْأَلِ

وقدم جريرٌ المدينة فأتاه الشعراء وغيرهم، وأتاه أشعب فيهم، فسلموا عليه وحادثوه ساعةً، ثم خرجوا وبقي أشعب، فقال جريرٌ له: أراك قبيح الوجه وأراك لئيم الحسب! ففيم قعودك وقد خرج الناس؟ فقال له أشعب: إنه لم يدخل عليك أحدٌ هو أنفع لك مني! قال: وكيف ذاك؟ قال: لأني آخذ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتي، فقال له جريرٌ: فقل فاندفع أشعب يتغنى:

يا أُختَ ناجِيَةَ السلامُ عليكمُ

فاستخف جريراً الطرب لغنائه بشعره، حتى زحف إليه فاعتنقه، وسأله عن حوائجه، فأخبره فقضاها.

وقوله في الفرزدق:

لَقَدْ ولَدَتْ أُمُّ الفَرَزْدَقِ فاجِراً ... فجاءَت بوزْوَازٍ قَصيرِ القَوَائم

وما كان جارٌ للفَرَزْدقَ مُسْلمٌ ... ليَأْمَنَ قِرْداً لَيْلُهُ غَيْرُ نائم

يُوَصِّلُ حَبْلَيْه إِذا جَنَّ لَيْلُهُ ... ليَرْقَى إلى جاراته بالسَّلالمِ

أَتَيْتَ حُدُودَ الله مُذْ أنتَ يافعٌ ... وشبْتَ فما يَنْهاكَ شَيْبُ اللَّهازِمِ

تَتَبَّعُ في الماخُورِ كلَّ مُرِيبَةٍ ولَسْتَ بأَهْلِ المُحْصَنَاتِ الكَرَائم

هو الرِّجْسُ يا أَهْلَ المَدينةَ فاحْذَرُوا مَدَاخلَ رِجْسٍ بالخَبيثاتِ عالم

لَقَدْ كان إخْراجُ الفَرَزْدَقِ عَنْكُمُ طَهُوراً لما بَيْنَ المُصَلَّى ووَاقمِ

وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه حين بلغه فجور الفرزدق نفاه عن المدينة.

تَدَلَّيْتَ تَزْنى من ثَمَانينَ قامَةً وقَصَّرْتَ عن باعِ العُلَى والمَكارِمِ

أراد قول الفرزدق:

هُمَا دَلَّتانى من ثمانينَ قامَةً كَمَا انْقَضَّ بازٍ أَقْتَمُ الرِّيشِ كاسرُه

فلمّا اسْتَوَتْ رِجْلاىَ في الأَرضِ قالَتَا أَحَيٌّ يُرَجَّى أَمْ قَتيلٌ نُحاذِرُه

فقُلْتُ ارْفَعَا الأَسبابَ لا يَشْعُرُ وابنا وأَقْبَلْتُ في أَعجْازِ لَيْلٍ أُبادِرُهْ

أُبادرُ بَوَّابَيْنِ قد وُكِّلاَ بِنَا وأَحْمَرَ من ساجٍ تَبِصُّ مَسامرُهْ

ومن جيد شعر جرير مرثيته أم حزرة امرأته، وكان جرير يسميها الجوساء، لذهابها في البلاد وأولها:

لَوْلاَ الحيَاءُ لَعادَني استْعبارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَك والحَبيبُ يُزَارُ

ولَّهْت قَلبي إِذْ عَلَتْنى كَبْرَةٌ وذَوُو التَّمائمِ من بَنيك صغارُ

لا يُلْبِثُ الأَحبابَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَليهمُ ونَهارُ

صَلَّى المَلاَئكَةُ الذينَ تُخيِّرُوا والطَّيِّبُونَ عليك والأَبْرَارُ

فلقد أَراكِ كُسيت أَحْسَنَ مَنْظَرَ ومَعَ الجَمَالِ سَكينَةٌ ووَقارُ

كانَتْ إذا هَجرَ الحَبيبُ فرَاشَها خُزِنَ الحَديثُ وعَفَّتِ الأَسْرارُ

وقوله:

كيف العَزاءُ ولم أَجِدْ مُذْ بنْتُمُ قَلْباً يَقَرُّ ولا شَراباً يَنْقَعُ

ولقد صَدَقْتُكِ في الهَوَى وكَذَبتني وخَلَفْتنى بمَواعد لا تَنْفَعُ

حَيُّوا الدَّيارَ وسائلُوا أَطْلالَهَا هَلْ تَرْجعُ الخَبَرَ الدِّيارُ البَلْقَعَ

ولقد حبَسْتُ لَك المَطِيَّ فلم يَكُنْ إلا السَّلامُ ووكْفُ عَيْنٍ تَدْمَعُ

بانَ الشَّبَابُ حَميدَةً أَيَّامُهُ لَوْ أَنَّ ذلكَ يُشْتَرَى أَو يَرْجعُ

رَجَفَ العِظَامُ منَ البِلَى وتَقَادَمَتْ ... سنًى وفِيَّ لمُصْلحٍ مُسْتَمْتَعُ

وفيها يقول:

زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أَن سَيَقْتُلُ مرْبَعاً ... أَبْشِرْ بِطُولِ سَلاَمَةٍ يا مِرْبَعُ

ومما يختار للفرزدق قوله يهجو بني كليبٍ:

ولَوْ تُرْمَى بُلؤمِ بنى كُلَيبٍ ... نُجُومُ اللَّيْلِ ما وَضَحَتْ لسارِى

ولو لَبِسَ النَّهارَ بَنُو كُلَيبٍ ... لدَنَّسَ لُؤْمُهُمْ وَضَحَ النَّهارِ

وما يَغْدُو عَزِيزُ بنى كُلَيْبٍ ... لِيَطْلُبَ حاجَةً إلا بجَارِ

ومن إفراط الفرزدق قوله في العذافر بن زيد:

لَعَمْرُكَ ما الأَرْزَاقُ حينَ اكْتِيالِها ... بأَكْثَرَ من خِوانِ العُذَافِرِ

ولو ضافَهُ الدَّجَّالُ يلْتَمِسُ القِرَى ... وحَلَّ على خَبَّازِهِ بالعُساكِرِ

بعِدَّةِ يا جُوجٍ وما جُوجَ كُلِّهِمْ ... لأَشْبَعَهُمْ يَوْماً غداءُ العُذَافِرِ

وقال بعض أهل الأدب: هذا الطعام اتخذ في قدر القائل:

بَوَّأتُ قدْرِى مَوْضعاً فوَضَعْتُها ... برَابِيَةٍ من بَيْنِ مِيْثٍ وأَجرَعِ

جَعَلْتُ لها هَضْبَ الرِّجامِ وطِخْفَةٌ ... وغَوْلاً أَثافي قدْرِنا لم تُنَزَّعِ

بقدْرٍ كأَنَّ اللَّيْلَ شحْنَةُ قَعْرِها ... تَرَى الفيلَ فيها طافياً لم يُقَطَّعِ

ويختار للفرزدق قوله:

وتَقُولُ كيف يَمِيلُ مثْلُكَ للصِّبَا ... وعليكَ من سِمَةَ الكَبيرِ عِذَارُ

والشَّيبُ يَنْهَضُ في الشَّبَابِ كأَنَّهُ ... لَيْلٌ يَصيحُ بجانِبَيْه نَهارُ

وقوله:

تَبَارِيقُ شَيْبٍ في السَّوَادِ لَوَامِعٌ ... وما خَيْرُ لَيْلٍ ليس فيه نُجُومُ

ويختار للأخطل قوله في سكران:

صَرِيعُ مُدامٍ يَرْفَعُ الشَّرْبُ رَأْسَهُ ... لِيَحْيا وقد ماتَتْ عِظامٌ ومَفْصِلُ

نُهاديهِ أَحْيَاناً وحيناً نَجُرُّهُ ... وما كاد إلا بالحُشاشَةِ يَعْقِلُ

إذا رَفَعُوا صَدْراً تَحَامَلَ صَدْرُهُ ... وآخَرُ ممَّا نال منها مُحَمَّلُ

وقوله في الزقاق:

أَناخُوا فجُرُّو شاصِيَاتِ كأَنَّها رِجالٌ منَ السُّودَانِ لم يَتَسَرْبَلُوا

فقُلْتُ اصْبَحُوني لا أَبَا لأَبِيكُمُ وما وضَعُوا الأَثْقالَ إلا ليَفْعَلُوا

يَدبُّ دَبِيباً في العِظَامِ كأَنَّه دَبِيبُ نِمالٍ في نَقاً يَتَهَيَّلُ

ويختار له قوله أيضاً:

يا قَلَّ خَيْرُ الغَوَاني كَيْفَ رَغْنَ بِهِ فشُرْبُهُ وَشَلٌ فيهِنَّ تَصْرِيدُ

أَعْرَضْنَ من شَمَطٍ بالرأسِ لاحَ به فهُنَّ مِنى إذَا أَبْصَرنَنى حِيدُ

قد كُنَّ يَعْهَدْنَ منِّى مَضْحكاً حَسَناً ومَفْرِقاً حَسَرَتْ عنه العَناقِيدُ

فهُنَّ يَشْدُونَ مِنَّى بَعْضَ مَعْرِفَةٍ هُنَّ بالوَصْلِ لا بُخْلٌ ولا جُودُ

هَلِ الشِّبَابُ الذي قد فات مَرْدُودُ أَمْ هَلْ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودُ

لَنْ يَرْجِعَ الشيبُ شُبَّاناً ولَنْ يَجِدُوا عِدْلَ الشَّبَابِ لَهُمْ ما أَوْرَقَ العُودُ

إنَّ الشبابَ لَمحمودٌ بَشَاشَتُه والشَّيبُ مُنْصَرَفٌ عنه ومَصدودُ

وقوله:

لقد لَبِسْتُ لِهذا الدَّهْرِ أَعْصُرَهُ حَتَّى تَجَلَّلَ رَأسي الشَّيْبُ واشْتَعَلا

فبانَ مِنى شَبَابِي بَعْدَ لَذَّتِهِ كأَنَّما كان ضَيْفاً نازِلاً رَحَلاً

وقوله في بني أمية:

حُشْدٌ على الحَقِّ عَيَّافُو الخنَا أُنُفٌ إذا أَلَمَّتْ بهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا

شُمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَاد لَهُمْ وأَعْظَمُ الناسِ أَحلاماً إذَا قَدَرُوا

ويستجاد للأخطل قوله:

ولقد غَدَوْتُ على التِّجارِ بمِسْمَحٍ هَرَّتْ عَواذِلُهُ هَرِيرَ الأَكْلُبِ

لَذٍّ يُقَبِّلُهُ النَّعِيمُ كأَنَّما مُسِحَتْ تَرَائِبُهُ بماءٍ مُذْهَبِ

لَبَّاسِ أَرْدِيَةَ المُلُوكِ تَرُوقُهُ من كُلِّ مُرْتَقَبٍ عُيُونُ الرَّبْرَبِ

يَنْظُرْنَ من خَلَلِ السُّتُورِ إذا بَدَا نَظَرَ الهجانِ إلى الفَنِيقِ المُصْعَبِ

خَضِلِ الكِيَاسِ إذا تَثَنَّى لم يَكُنْ خُلُفاً مَوَاعِدُهُ كبَرْقٍ خلَّبِ

وإذا تُعُوِّرَتِ الزُّجَاجَةُ لم يَكُنْ عِنْدَ الشُّرُوبِ بعابِسٍ مُتَقَطِّبِ

ومما سبق إليه الأخطل قوله:

وإذا دَعوْنَك عَمَّهُنَّ فإنَّه نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خبَالاَ

وقال القطامي:

وإذا دَعوْنَك عَمَّهُنَّ فلا تُجِبْ فهُنَاكَ لا يَجِدُ الصَّفاءُ مَكاناَ

نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ حقَارَةً وعلى ذَوَاتِ شَبَابِهِنَّ هَوَانَا

وقوله لزفر بن عمروٍ من هوازن:

لَعَمْرُ أَبِيك يا زُفَرُ بنَ عمْروٍ لقد نَجَّاكَ جَدٌّ بَنِى مُعازِ

ورَكْضُكَ غيْرَ مُلْتَفِتٍ إليها كأَنَّك مُمْسِكٌ بجَنَاحِ بازِى

لعمر أبي هَوَازِنَ ما جَزِعْنا ولا هَمَّ الظَّعَائنُ بانْحِيازِ

ظَعائِنُنا غدَاةَ غدَتْ علينا ونِعْمَتْ ساعَةَ السَّيفِ الجُزَارِ

ولاقَى ابنُ الحُبَابِ لَنَا حُمَيَّا كَفَتْه كلَّ راقيةٍ وحازِ

وكان بنا يَحُلُّ ولا يُعَانَى ويَرْعَى كلَّ رَمْلٍ أَو عَزَازِ

فلمّا أَنْ سَمِنْتَ وكُنْتَ عَبْداً نَزَتْ بك يا بْنَ صَمْعاءَ النَّوازِى

عَمَدْتَ إلى رَبِيعَةَ تَعْتَرِيها بمثْلِ القَمْلِ من أَهْلِ الحِجازِ

فنِعْمَ ذوُو الجِنَايَةِ كن قَوْمِي لِقَوْمِكَ لَوْ جَزَى بالخَيْرِ جازِى

البعيث

هو خداش بن بشرٍ، من بني مجاشع، من ولد خالد بن بيبة، وأمه أصبهانيةٌ يقال لها مردة أو وردة، وإنما لقب بالبعيث بقوله:

تَبَعَّثَ منِّى ما تَبَعَّثَ بَعْدَ ما أُمِرَّتْ قُوَايَ واسْتَمَرَّ عَزِيمِى

أراد أنه قال الشعر بعد ما أسن وكبر، ويكنى أبا مالكٍ، وكان البعيث أخطب بني تميمٍ إذا أخذ القناة، وله عقبٌ بالبادية، وكان يهاجى جريراً.

وقال أبو عبيدة: سألت بعض بني كليبٍ فقلت: ما أشد ما هجيتم به؟ قال: قول البعيث:

أَلَسْتَ كُلَيْبِيّاً إذا سِيمَ خُطَّةً أَقَرَّ كإِقْرارِ الحَلِيلَةِ للبَعْلِ

وكلُّ كُلَيْبَىٍّ صَحِيفَةُ وَجْهِهِ أَذَلُّ لأَقْدَامِ الرجالِ منَ النَّعْل

وكلُّ كُلَيبِّى يَسُوقُ أَتَانَهُ له حاجَةٌ من حيْثُ تُثْفَرُ بالحَبْلِ

سَوَاسِيَةٌ سُودُ الوُجُوهِ كأَنَّهم ظَرَابِىُّ غِرْبانٍ بمَجْرُودَة مَحْلِ

وكان للبعيث أولادٌ: منهم مالكٌ وبكرٌ، وخرجا مع أبيهما إلى المدينة، فأرسلهما يرعيان عليه الإبل، فمرض مالكٌ، فأرسل بكراً إلى أبيه ليقدم عليه، فقدم فوجده قد مات، فقال:

أرْسَلَ بَكْراً مالكٌ يَسْتَحِثُّنا يُحاذرُ من رَيبِ المَنُونِ فلم يَئلْ

أَمالكُ مَهْمَا يَقْضِهِ الله تَلْقَهُ وإنْ حانَ رَيْثٌ من رَفِيقِكَ أَو عَجِلْ

اللعين المنقري

هو منازل بن ربيعة من بني منقر، ويكنى أبا أكيدر، وعمته ظمياء التي ذكرها الفرزدق فاستعدت عليه بنو منقرٍ، فهرب من زياد إلى المدينة.

وقيل له: اقض بين الفرزدق وجرير، فقال:

سَأَقْضي بَيْنَ كَلْبِ بني كُلَيبْ وبين القَيْنِ قَيْنِ بني عقَال

فإنَّ الكَلْبَ مَطْعَمُهُ خَبيثٌ وإنَّ القَيْنَ يَعْمَلُ في سَفَالِ

فلا بُقْيَا عليَّ تَرَكْتُماني ولكنْ خِفْتُما صَرَدَ النِّبَال

يقال صرد السهم: إذا نفذ.

وكان اللعين هجاءً للأضياف، وهو القائل في ضيف نزل به:

وأَبغضُ الضَّيْفَ ما بي جُلُّ مَأْكِله إلا تَنَفُّجُهُ حَوْلِى إذا قَعَدَا

ما زال يَنْفُخُ كِتْفَيْهِ وحُبْوَتَه حتى أَقُولُ لَعَلَّ الضَّيْفَ قد ولَدَا

الصلتان العبدي

هو قثم بن خبيئة، من عبد القيس.

واجتمع إليه في الحكم بين الفرزدق وجريرٍ، فقال:

أَنا الصَّلَتَانيُّ الذي قد عَلِمْتُمُ مَتَى ما يُحَكَّمْ فَهْوَ بالحَقِّ صادعُ

أَتَتْنى تَميمٌ حينَ هابَتْ قُضاتُها وإنى لَبالفَصْلِ المُبَيَّنِ قاطِعُ
كما أَنفَذَ الأَعْشَى قَضيَّةَ عامرٍ وما لِتَميمٍ في قَضَائي رَوَاجعُ
ولم يَرْجعِ الأَعْشَى قَضيَّةَ جَعْفَرٍ وليس لحُكْمِى آخرَ الدَّهْرِ راجعُ
سأَقْضى قَضَاءً بَيْنَهُمْ غير جائرٍ فهَلْ أَنْتَ للحُكْمِ المُبَيَّنِ سامعُ
قَضاءَ امْرِىءٍ لا يَتَّقِى الشَّتْمِ منهمُ وليس له في المدْحِ منهمْ مَنافعُ
قضاءَ امرىءٍ لا يرتشي في حُكُومةٍ إِذَا مال بالقاضي الرُّشَا والمَطَامعُ
فإِنْ كُنْتُما حَكَّمْتُماني فأَنْصِتَا ولا تَجْزَعَا ولْيَرْضَ بالحَقِّ قانعُ
فإِنْ تَرْضَيَا أَو تَجْزَعَا لا أُقِلْكُما وللحَقِّ بين الناسِ راضٍ وجازِعُ
فأُقْسمُ لا آلُو عَنِ الحَقِّ بَيْنَهُمْ فإِنْ أَنا لم أَعْدِلْ فقُلْ أَنْتَ ضالعُ
فإِنْ يَكُ بَحْرُ الحَنْظَلَّيين واحداً فما تَسْتَوِى حيتَانُهُ والضَّفادعُ
وما يَسْتَوِى صَدْرُ القَنَاة وزُجُّها وما يَسْتَوِى شُمُّ الذُّرَى والأَكارِعُ
وليس الذُّنَابَى كالقُدَامَى وريشِهِ وما تَسْتَوِى في الكَفِّ منْكَ الأَصابعُ
أَلاَ إِنَّما تَحْظَى كُلَيْبٌ بشعْرِها وبالمَجْدِ تَحْظَى دارِمٌ والأَقارِعُ
ومنهم رؤوسٌ يُهْتَدَى بصُدورِها والاَذْنابُ قِدْماً للرؤوس تَوَابعُ
أَرَى الخَطَفَى بَذَّ الفَرَزْدَقَ شِعْرُهُ ولكنَّ خَيْراً من كُلَيْب مُجاشعُ
فيَا شاعراً لا شاعرَ اليَوْمَ مثْلُهُ جَريرٌ ولكِنْ في كُلَيب تَوَاضُعُ
جَريرٌ أَشَدُّ الشاعرَيْنِ شَكيمَةً ولكنْ عَلَتْهُ الباذخاتُ الفَوَارِعُ
ويَرْفَعُ من شِعْرِ الفَرَزْدَقِ أَنَّهُ له باذخٌ لِذِى الخَسيسَةِ رافعُ
وقَدْ يُحْمَدُ السَّيفُ الدَّدَانُ بجفْنِه وتَلْقاهُ رَثّاً غِمْدُهُ وهُوَ قاطعُ
يُنَاشدُني النَّصْرَ الفَرَزْدَقُ بعدما أَلَحَّتْ عليه من جَرِيرٍ صَوَاقعُ
فقُلْتُ له إِنى ونَصْرَكَ كالذي يُثَبِّتُ أَنْفاً كَشَّمَتْهُ الجَوَادعُ
وقالَتْ كُلَيبٌ قَدْ شَرُفْنا عليكمُ فقُلْتُ لها سُدَّتْ عليكِ لمَطَالعُ

وقال جريرٌ الصلتان:

أَقُولُ ولم أَمْلِكْ سَوَابِقَ عَبْرَةٍ متى كان حُكْمُ الله في كَرَبِ النَّخْلِ

والصلتان هو القائل:

أَشابَ الصَّغيرَ وأَفْنَى الكَبِي ... رَ كَرُّ اللَّيَالِي ومَرُّ العَشِي

إِذَا هَرَّمَتْ لَيْلَةٌ يَوْمَها ... أَتَى بَعْدَ ذلكَ يَوْمٌ فَتِي

نَرُوحُ ونَغْدُو لحاجاتنا ... وحاجَةُ مَنْ عاشَ لا تَنْقَضي

تَمُوتُ مَعَ المَرْءِ حاجاتُهُ ... وتَبْقَى له حاجَةٌ ما بقَي

إذا قُلْتَ يَوْماً لمَنْ قد تَرَى ... أَرُوني السَّرِيَّ أَرَوْكَ الغَنِي

أَلَم تَرَ لقمانَ أَوصَى بَنِيه ... وأَوْصَيْتُ عَمْراً ونعْمَ الوَصِي

بُنَّي بَدَا خَبْءُ نَجْوَى الرجالِ ... فكُنْ عند سرِّكَ خَبْءَ النَّجِي

وسرُّكَ ما كان عنْدَ امْرِىءٍ ... وسرُّ الثَّلاثَة غَيْرُ الخَفِي

فكُنْ كابنِ لَيْلٍ على أَسْوَدَ ... إِذَا ما سَوَادٌ بليلٍ خُشِي

فكلّ سوادٍ وإنْ هبْتَهُ ... من الليل يَخْشَى كما تَخْتَشِي

أَرِدْ مُحْكَمَ الشِّعْرِ إنْ قُلْتَهُ ... فإنَّ الكلامَ كثيرُ الرَّوِي

كما الصَّمْتُ أَدْنَى لبعض اللِّسَا ... نِ وبعضُ التكلُّمِ أَدْنَى لِعِي

كثير

هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة، من خزاعة، وكان رافضياً، وقال لما حضرته الوفاة:

بَرِئْتُ إلى الإله منَ ابْنِ أَرْوَى ... ومنْ دِينِ الخَوَارِجِ أَجْمَعِينَا

ومنْ عُمَرٍ بَرِئْتُ ومنْ عَتِيقٍ ... غَدَاةَ دُعِي أَميرَ المُؤمنينَا

ثم خرجت نفسه كأنها حصاةٌ وقعت في ماءٍ، وكانت وفاته ووفاة عكرمة مولى ابن عباسٍ في يومٍ واحد، ويكنى أبا صخرٍ.

وكان محمقاً، ودخل يوماً على يزيد بن عبد الملك، فقال يا أمير المؤمنين ما يعني الشماخ بقوله:

إِذَا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرِدَيْهِ ... خُدُودُ جَوَازِىءٍ بالرَّمْلِ عِينِ

فقال يزيد: وما يضرني ألا أعرف ما عني هذا الأعرابي الجلف! واستحمقه وأمر بإخراجه.

قال حماد الراوية: قال لي كثير: ألا أخبرك عما دعاني إلى ترك الشعر؟ قلت: تخبرني، قال: شخصت أنا

والأحوص ونصيبٌ إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وكل واحد منا يدل عليه بسابقةٍ له وإخاءٍ، ونحن لا نشك أنه يشركنا في خلافته، فلما رفعت لنا أعلام خناصرة، لقينا مسلمة بن عبد الملك جائياً من عنده، وهو يومئذ فتى العرب، فسلمنا عليه فرد علينا السلام، ثم قال: أما بلغكم أن إمامكم لا يقبل الشعر؟ قلنا: ما وضح لنا خبرٌ حتى انتهينا إليك، ووجمنا وجمةً عرف ذلك فينا، فقال: إن يك ذو دين بني مروان ولي وخشيتم حرمانه فإن ذا دنياها قد بقي، ولكم عندي ما تحبون، وما ألبث حتى أرجع إليكم فأمنحكم ما أنتم أهله فلما قدم كانت رحالنا عنده، فأكرم مترلٍ وأفضل مترول به، فأقمنا عنده أربعة أشهر يطلب لنا الإذن هو وغيره، فلم يؤذن لنا، إلى أن قلت في جمعةٍ من تلك الجمع: لو أني دنوت من عمر فسمعت كلامه فتحفظته كان ذلك رأياً، ففعلت، فكان ما حفظت من قوله يومئذ: لكل سفرٍ زادٌ لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه فترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم، في كلامٍ كثيرٍ، ثم قال: أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي، في يومٍ لا ينفع فيه إلا الحق والصدق، ثم بكى حتى ظننا أنه قاضٍ نحبه، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والعويل، وانصرفت إلى صاحبي فقلت لهما: خذا في شرجٍ من الشعر غير ما كنا نقوله لعمر وآبائه، فإن الرجل أخروى ليس بدنيوي، إلى أن استأذن لنا مسلمة في يوم جمعة، فأذن لنا، بعد ما أذن للعامة، فلما دخلت عليه سلمت، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، طال الثواء، وقلت الفائدة، وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب، فقال: يا كثير، "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل". أفي واحدٍ من هؤلاء أنت؟ فقلت: ابن السبيل منقطعٌ به، وأنا ضاحكٌ، قال: أولست ضيف أبي سعيد؟ قلت: بلى، قال: ما أرى من كان ضيفه منقطعاً به، ثم قلت: يا أمير المؤمنين أتأذن لي في الإنشاد، قال: نعم ولا تقل إلا حقا، فأنشدت:

تَكلَّمتَ بالحقِّ المُبينِ وإنَّما ... تَبَيَّنُ آياتُ الهُدَى بالتكلُّمِ

وأظْهَرْتَ نُورَ الحقِّ فاشتدَّ نُورهُ ... على كل لَبْسٍ بارقِ الحقِّ مُظْلمِ

وعاقبتَ فيما قد تقدَّمتَ قبلهَ ... وأعرضتَ عمّا كان قبلَ التقدُّمِ

ولِيتَ فلم تَشْتُمْ عَليّاً ولم تُخفْ ... بَرِيّاً ولم تَقْبَلْ إشارَةَ مُجْرِمِ

وصَدَّقْتَ بالفعْلِ المقَالَ مع الذي ... أَتَيْتَ فأَمْسَى راضياً كُلُّ مُسْلمِ

أَلاَ إِنَّما يَكْفي الفَتَى بَعْدَ زَيْغهِ ... منَ الأَوَدِ البادي ثِقَافُ المُقَوِّمِ

وقَدْ لَبِسَتْ لُبْسَ الهَلُوك ثيابَها ... تَرَاءَى لَكَ الدُّنيا بكَفٍّ ومعصَمِ
وتُومضُ أَحياناً بعَيْنٍ مَريضَةٍ ... وتَبْسِمُ عن مثْلِ الجُمَان المنُظَّمِ
فأَعْرَضْتَ عنها مُشْمَئزّاً كأَنَّما ... سَقَتْكَ مَدُوفاً من سِمَامٍ وعَلْقَمِ
وقَدْ كُنْتَ من أَجْبالها في مُمَنَّعٍ ... ومن بَحْرِها في مُزْبِدِ المَوْجِ مُفْعَمِ
وما زِلْتَ تَوَّاقاً إلى كُلِّ غايَةٍ ... بَلَغْتَ بها أَعْلَى البِناءِ المُقَدَّمِ
فلمّا أَتاكَ المُلْكُ عَفْواً ولم يكُنْ ... لطالبِ دُنْيا بَعْدَهُ مِن تَكَلُّمِ
تَرَكْتَ الذي يَفْنَى وإِنْ كان مُونقاً ... وآثَرْتَ ما يَبْقَى برَأْيِ مُصَمَّمِ
وأَضْرَرْتَ بالفاني وشَمَّرْتَ لِلَّذي ... أَمامَكَ في يوم منَ الشَّرِّ مُظْلِمِ
سَمَا لكَ هَمٌّ في الفُؤَادِ مُؤَرِّقٌ ... بَلَغْتَ به أَعْلَى المَعَالِي بسُلَّمِ
فما بَيْنَ شَرْقِ الأَرضِ والغَرْبِ كُلِّها ... مُنادٍ يُنادي من فَصيحٍ وأَعْجَمِ
يقولُ أَميرَ المُؤْمنينَ ظَلَمْتني ... بأَخْذٍ لدينارٍ ولا أَخْذِ درْهَمِ
ولا بَسْطِ كَفٍّ لامْرِىءٍ غَيْرِ مُجْرِمٍ ... ولا السَّفْك منه ظالماً ملءِ محْجَمِ
ولو يَسْتَطيعُ المسلمونَ تَقَسَّمُوا ... لك الشَّطْرَ من أَعْمَارِهِمْ غيْرَ نُدَّمِ
فأَرْبِحُ بها من صَفْقَةٍ لمبُايِعٍ ... وأَعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثُمَّ أَعْظِم

فأقبل علي ثم قال: يا كثير، إنك تساءل عما قلت، ثم تقدم الأحوص فاستأذنه في الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلا حقاً، فأنشده:

وما الشِّعْرُ إلاّ خُطْبَةٌ من مُؤَلِّفٍ ... لمَنْطُقِ حَقٍّ أَو لمَنْطقِ باطِلِ
فلا تَقْبَلَنْ إلاَّ الذي وافَقَ الرِّضَا ... ولا تَرْجِعَنَّا كالنِّسَاءِ الأَرامِلِ
رَأَيْنَاكَ لم تَعْدِلْ عَنِ الحَقِّ يَمْنَةً ... ولا يَسْرَةً فعْلَ الظَّلُومِ المُخاتِلِ
ولكنْ أَخَذْتَ القَصْدَ جُهْدَكَ كُلَّهُ ... تَقُدُّ مِثَالَ الصالحينَ الأَوائلِ
فقُلْنا ولم نَكْذِبْ بما قد بَدَا لَنَا ... ومَنْ ذَا يَرُدُّ الحَقَّ من قَوْلِ قائلِ
ومَنْ ذا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مَضَائه ... على فُوقِهِ إذْ عَارَ من نَزْعِ نابِلِ
ولولا الذي قد عَوَّدَتْنا خَلاَئفٌ ... غَطَارِيفُ كانوا كاللُّيُوثِ البَوَاسِلِ
لَمَا وَخَدَتْ شَهْراً برَحْلَى رَسْلَةٌ ... تَقُدُّ مِتَانَ البِيدِ بَيْنَ الرَّوَاحِلِ

ولكنْ رَجَوْنا منكَ مثْلَ الَّذي به　صُرِفْنَا قَديماً من ذَوِيكَ الأَوائلِ
فإنْ لم يكُنْ للشِّعْرِ عنْدَك مَوْضعٌ　وإنْ كان مثْلَ الدرِّ في فَتْلِ فاتلِ
فإنَّ لنا قُرْبى ومَحْضَ مَوَدَّةٍ　وميراثَ آباءٍ مَشَوْا بالمنَاصِلِ
وذَادُوا عَدُوَّ السَّلْمِ عن عُقْرِ دارِهمْ　وأَرْسَوْا عَمُودَ الدِّينِ بعد التَّمَايُلِ
وقبْلَكَ ما أَعْطَى هُنَيْدَةَ جِلَّةً　على الشِّعْرِ كَعْباً من سَدِيسٍ وبازِلِ
رَسُولُ الإِله المُسْتَضَاءُ بنُورِه　عليه سَلاَمٌ بالضحَى والأَصَائلِ
فكُلُّ الذي عَدَّدْتُ يكْفيكَ بَعْضُهُ　وقُلُّكَ خَيْرٌ من بُحُورٍ سَوَائلِ

فقال له عمر: إنك يا أحوص تسأل عما قلت، وتقدم نصيب فاستأذنه في الإنشاد فلم يأذن له، وأمره بالغزو إلى دابق، فخرج وهو محمومٌ، وأمر لي بثلثمائة درهمٍ وللأحوص بمثلها، وأمر لنصيبٍ بمائة وخمسين درهماً.

وكان كثيرٌ أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته عزة، وإليها ينسب وهي من ضمرة. ولقيته امرأةٌ في بعض الطريق، فقالت: أأنت كثير؟ قال: نعم، قالت: والله لقد رأيتك فما أخذتك عيني! قال: وأنا والله لقد رأيتك فأقذيت عيني! قالت: والله لقد سفل الله بك إذ جعلك لا تعرف إلا بامرأة، قال: ما سفل الله بي، ولكن رفع بها ذكرى، واستنار بها أمري، واستحكم بها شعري، وهي كما قلت:

وإني لأَسْمُو بالوِصَالِ إلى التي　يكُونُ شِفاءً ذكْرُها وازْديَارُهَا
إذا أُخْفيَتْ كانَتْ لعَيْنِكَ قُرَّةً　وإنْ بُحْتَ يوماً لم يَعُمَّك عارُها

فقالت: مر في قصيدتك، فمر فيها، فلما بلغ:

وما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى　يَمُجُّ النَّدَى جَثْجَاثُهَا وعَرَارُهَا
بأَطْيَبَ من أَرْدَانَ عَزَّةَ مَوْهِناً　إذا أُوقدَتْ بالمجْمَرِ اللَّدْنِ نارُهَا

قالت: كان امرؤ القيس أحسن نعتاً لصاحبته حيث يقول:

أَلَمْ تَرَيَاني كُلَّمَا جئتُ طارقاً　وَجَدْتُ بها طيباً وإنْ لم تَطَيَّب

وبعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير، فقالت له: يا ابن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة وليست على ما تصف من الحسن والجمال، لو شئت صرفت ذاك إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا أو مثلي، فأنا أشرف وأوصل من عزة، وإنما جربته بذلك فقال:

إِذَا ما أَرادتْ خُلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا		أَبَيْنَا وقُلْنَا الحاجبيَّةُ أَوَّلُ

سنُوليك عُرْفاً إنْ أرَدْتِ وصالَنا		ونَحْنُ لتلْكَ الحاجِبِيَّة أَوْصَلُ

لها مَهَلٌ لا يُسْتَطَاعُ دِرَاكهُ		وسابقَةٌ في الحُبِّ ما تَتَحوَّلُ

فقالت عائشة: والله لقد سميتني لك خلة وما أنا لك بخلةٍ، وعرضت على وصلك، وما أريد ذلك وإن أردت، ألا قلت كما قال جميلٌ:

ويَقُلْنَ إنَّكَ قد رَضيتَ بباطل		منها فهَلْ لك في اعْتِزَال الباطل

ولَبَاطلٌ ممَّنْ أُحِبُّ حَديثهُ		أَشْهَى إلَّي منَ البَغيض الباذل

ولَرُبَّ عارِضَةٍ علينا وَصلْهَا		بالجِدِّ تَخْلِطُهُ بقَوْلِ الهازِلِ

فأَجَبْتُهَا في الحُبِّ بعد تَسَتُّرٍ		حُبِّى بُثَيْنَةَ عن وِصَالك شاغلي

لو كان في قَلْبي كقدْرِ قُلاَمَةٍ		حُبٌّ وَصلْتُك أَو أَتَتْك رَسَائِلي

ودخل كثير على عبد الملك بن مروان، فقال له: نشدتك بحق علي بن أبي طالبٍ هل رأيت قط أحداً أعشق منك؟ قال: يا أمير المؤمنين، لو نشدتني بحقك أخبرتك، فقال: نشدتك بحقي إلا أخبرتني؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا أسير في بعض الفلوات فإذا أنا برجل قد نصب حبالةً، فقلت له: ما أجلسك ههنا؟ قال: أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبالتي هذه لأصيب لهم ولنفسي ما يكفينا ويعصمنا يومنا هذا، قلت: أرأيت إن أقمت معك فأصبت صيداً أتجعل لي منه جزءاً؟ قال: نعم، فبينا نحن كذلك وقعت فيها ظبيةٌ، فخرجنا نبتدر، فبدرني إليها فحلها وأطلقها، فقلت: ما حملك على هذا؟ قال: دخلتني لها رقةٌ لشبهها بليلى! وأنشأ يقول:

أَيَا شبْهَ لَيْلَى لا تُراعِى فإِنَّنى		لَك اليَوْمَ من وَحْشِيَّةٍ لَصَديقُ

أَقُولُ وقَدْ أَطْلَقْتُها من وثاقها		فأَنْت للَيْلَى إنْ شَكَرْتِ عَتيقُ

وقال ابن الكلبي وابن دأبٍ، لما حلها قال:

اِذْهَبى في كِلاَءَة الرَّحْمن		أَنْت مني في ذمَّةٍ وأَمَانِ

لا تَخافِى بأَنْ تُهَاجِى بسَوْءٍ		ما تَغَنَّى الحَمَامُ في الأَغصانِ

تَرهَبيني والجِيدُ منْك للَيْلَى		والحَشَا والبُغامُ والعَيْنانِ

ودخلت عزة على أم البنين فقالت لها أم البنين: أرأيت قول كثيرٍ:

قَضَى كُلُّ ذي دَيْنٍ فوَفَّى غَرِيمَهُ		وعَزَّةُ مَمْطُول مُعَنًّى غَرِيمُهَا

ما كان ذلك الدين؟ قالت: وعدته بقبلة فتحرجت منها، فقالت أم البنين: أنجزيها وعلى إثمها.

قال السائب راوية كثيرٍ: خرجت مع كثيرٍ وهو يريد عبد العزيز بن مروان، فمررنا بالماء الذي عليه عزة، فسلمنا جميعاً على أهل الخباء، فقالت عزة: عليك يا سائب السلام، ثم أقبلت على كثيرٍ، فقالت: ألا تتقي الله، أرأيت قولك:

بآيَةِ ما أَتَيْتُك أُمَّ عَمْرٍو ... فقُمْت بحاجتي والبيتُ خالِي

ويحك خلوت معك في بيتٍ قط! فقال: لم أقله ولكني الذي يقول:

فأُقْسمُ لَوْ أَتَيْتث البَحْرَ يوماً ... لأَشْرَبَ ما سَقَتْني من بُلاَلِ

وأُقْسمُ أَنَّ حُبَّكِ أُمَّ عَمْرٍو ... لَدَى جَنْبِي ومُنْقَطَعِ السُّعالِ

قالت: أما هذا فعسى، قال السائل: فأتينا عبد العزيز بن مروان فانصرفنا ومررنا بهم، فقال كثير: السلام عليك يا عزة، فقالت: عليك السلام يا جمل، فقال كثير:

حَيَّتْكَ عَزَّةُ بَعْدَ الوَصْلِ وانْصرَفَ تْفَحيٍّ وَيْحَكَ مَنْ حَيّاكَ يَا جَمَلُ

لو كُنْتَ حَيَّيْتَها ما زِلْتَ ذَا مقَةٍ ... عِنْدِي وما مَسَّكَ الإِدْلاَجُ والعَمَلُ

لَيْتَ التَّحيَّةَ كانَتْ لي فأَجْعَلَها ... مكانَ يا جَمَلاً حُيِّيت يا رَجُلُ

وخرج كثير إلى مصر وعزة بالمدينة، فاشتاق إليها، فقام إلى بغلةٍ له فأسرجها، وتوجه نحو المدينة لم يعلم به أحدٌ، فبينا هو يسير في التيه بمكانٍ يقال له فيفاء خريم، إذا هو بعيرٍ قد أقبلت من ناحية المدينة، في أوائلها محامل فيها نسوةٌ، وكثير متلثمٌ بعمامةٍ له، وفي النسوة عزة فلما نظرت إليه عرفته وأنكرها، فقالت لقائد قطارها: إذا دنا منك الراكب فاحبس، فلما دنا كثير حبس القائد القطار، فابتدرته عزة فقالت: من الرجل؟ قال: من الناس، قالت: أقسمت قال: كثير، قالت: فأين تريد في هذه المفازة؟ قال: ذكرت عزة وأنا بمصر فلم أصبر أن خرجت نحوها على الحال التي ترين، قالت: فلو أن عزة لقيتك فأمرتك بالبكاء أكنت تبكي؟ قال: نعم، فترعت عزة اللثام عن وجهها وقالت: أنا عزة، فإن كنت صادقاً فافعل ما قلت، فأفحم فقالت للقائد: قد قطارك، فقاده، وبقي كثير مكانه لا يحير ولا ينطق حتى توارت، فلما فقدها سالت دموعه وأنشأ يقول:

وقَضَّيْنَ ما قَضَّيْنَ ثُم تَركْنَني ... بفَيْفَا خُرَيمٍ قائماً أَتَلَدَّدُ

تأَطَّرْنَ حَتَّى قُلْتُ لَسْنَ بَوارِحاً ... وذُبْنَ كما ذابَ السَّديفُ المُسَرْهَدُ

أَقُولُ لماءِ العَيْنِ أَمْعِنْ لَعَلَّهُ ... لِمَا لا يُرى من غائب الوَجْد يشْهَدُ

فلم أَرَ مثْلَ العَيْنِ ضنَّتْ بمائها علىَّ ولا مِثْلِى على الدَّمْعِ يَحْسِدُ
وبَيْنَ التَّراقِى واللَّهاة حَرَارَةٌ مَكان الشَّجَى ما إنْ تَبُوحُ فتَبْرُدُ

وعادت عزة إلى مصر، وخرج كثير يريد مصر، فوافاها والناس ينصرفون عن جنازتها.

ومما يستجاد من شعره قوله:

أَغاضرَ لَوْ شَهِدْتِ غَدَاةَ بِنْتُمْ حُنُوَّ العائدَات على وِسَادِى
أَوِيتِ لوَامقٍ لم تَشْكُميه نَوَافِذُهُ تَلَذَّعُ بالزِّنادِ

وغاضرة: أم ولد بشر بن مروان.

ويتمثل من شعره بقوله:

ومَن يَبْتَدِعْ ما لَيْسَ من سُوسِ نَفْسه يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ على النَّفْس خِيمُها

وقوله:

ومَن لا يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عن صَدِيقِهِ وعَنْ بَعْضِ ما فيه يَمُتْ وهْوَ عاتِبُ
مَن يَتَتَبَّعْ جاهداً كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدَّهْرَ صاحبُ

ويختار من قوله:

وأُجْمِعُ هِجْرَاناً لأَسْمَاءَ إنْ دَنَتْ بها الدَّارُ لاَ مِنْ زَهْدَةٍ في وِصالَها
إنْ شَحَطَتْ يوماً بَكَيْتُ وإنْ دَنَتْ تَذَلَّلْتُ واسْتَكْثَرْتُها باعتِزَالِهَا

وقوله في سياسة النساء:

وكُنْتُ إذا ما جِئْتُ أَجْلَلْنَ مَجْلسِى وأَبْدَيْنَ منِّى هَيْبَةً لا تَجهُّمَا
يُحَاذِرْنَ منِّى غَيْرَةً قد عَلِمْنَهَا قَديماً فما يَضْحكْنَ إلاَّ تَبَسُّمَا

تَرَاهُنَّ إلاَّ أَنْ يُؤَدِّين نَظْرَةً بمُؤْخرِ عَيْنٍ أَو يُقَلِّبْنَ مِعْصَمَا
كَوَاظمَ ما يَنْطِقْنَ إلاَّ مَحُورَةً رَجِيعَةَ قَوْلٍ بَعْدَ أَنْ يَتَفَهَّمَا
وكُنَّ إذا ما قُلْنَ شَيْئاً يَسُرُّهُ أَسَرِّ الرِّضَا في نَفْسِهِ وتَجَرَّمَا

وقوله لعزة: قال أبو علي في النوادر: قرأت هذه القصيدة على أبي بكر بن دريد في شعر كثير، وهي من منتخبات شعر كثير، وأولها:

خَلِيلَّى هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلاَ قَلُوصَيْكُمَا ثمَّ ابْكيَا حَيْثُ حلَّت

وما كُنْتُ أَدْرِى قَبْلَ عَزَّةَ ما البُكَا ... ولا مُوجِعاتِ الحُزْنِ حَتَّى تَوَلَّتِ

وكانَتْ لِقَطْعِ الحَبْلِ بَيْنَى وبَيْنَها ... كَنَاذِرَةٍ نَذْراً وَفَتْ فأَحَلَّت

فَقُلْتُ لها يا عَزَّ كُلُّ مُصيبَةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يَوْماً لها النَّفْسُ ذَلَّت

ولم يَلْقَ إِنْسَانٌ منَ الحُبِّ مَيْعَةً ... تَعُمُّ ولا عَمْياءَ إلاَّ تَجلَّت

كأَني أُنادي صَخْرَةً حينَ أَعْرَضَتْ ... منَ الصُّمِّ لَوْ تَمْشَى بها العِيسُ زَلَّت

صَفُوحاً فما تَلْقَاكَ إلا بَخِيلَةً ... فمَنْ مَلَّ منها ذلكَ الوَصْلَ مَلَّت

أَباحَتْ حِمًى لم يَرْعَهُ النَّاسُ قَبْلَها ... وحلَّتْ تِلاَعاً لم تَكُنْ قَبْلُ حُلَّت

أُرِيدُ الثَّوَاءَ عِنْدَها وأَظُنُّها ... إِذَا ما أَطَلْنا عنْدَهَا المَكْثَ مَلَّت

يُكَلِّفُها الغَيْرَانُ شَتْمى وما بها ... هَوَانى ولكنْ للمَلِيك اسْتَذَلَّت

هَنيئاً مَرِياً غَيْرَ داءٍ مُخامِرٍ ... لعَزَّةَ من أَعْراضنا ما اسْتَحَلَّت

فإِنْ تَكُنِ العُتْبى فأَهْلاً ومَرْحَباً ... وحَقَّتْ لها العُتْبَى لَدَيْنا وقَلَّت

وإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فإِنَّ وَرَاءَنا ... مَنَاوِيحَ لو سارَتْ بها الرِّئْمُ كَلَّت

أَسيئى بنا أَو أَحْسنِى لا مَلُومَةً ... لَدَيْنا ولا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّت

ووالله ما قارَبْتُ إلاَّ تَبَاعَدَتْ ... بصُرْمٍ ولا استَكْثَرْتُ إلاَّ أَقَلَّت

ووالله ثُمَّ الله ما حَلَّ قَبْلَها ... ولا بَعْدَها من خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّت

وما مَرَّ من يَوْمٍ عَلَيَّ كيَوْمها ... وإِنْ كَثُرَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وجَلَّت

فوَا عَجَباً للقَلْبِ كَيْفَ اعْترافُهُ ... وللنَّفْسِ لَمَّا وُطِّنَتْ كَيْفَ ذَلَّت

وإِنِّى وتَهْيَامِى بعَزَّةَ بَعْدَما ... تَخَلَّيْتُ ممّا بَيْنَنَا وتَخلَّت

لكالمُرْتَجِى ظلَّ الغَمَامَة كُلَّما ... تَبوَّأَ منها للمَقيل اضمَحَلت

ومن الإفراط قوله:

ومَشَى إِلىَّ بَعْيبِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ ... جَعَلَ الإلهُ خُدُودَهُنَّ نِعالَهَا

ولَوَ أنَّ عَزَّةَ خاصَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى ... في الحُسْنِ عنْدَ مُوَفَّق لَقَضى لَهَا

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو مريض، وأهله يتمنون أن يضحك، فلما وقف عليه قال له: والله أيها الأمير لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوت ربي أن يصرف ما بك إلي، ولكني أسأل

الله لك أيها الأمير العافية ولي في كنفك النعمة، فضحك وأمر له بمالٍ.

وهو القائل له:

ونَعُودُ سَيِّدَنا وسَيَّدَ غَيْرِنا ... لَيْت التَّشَكِّى كان بالعُوَّاد

لو كان يَقْبَلُ فِدْيَةً لَفَدَيْتُهُ ... بالمُصْطَفَى من طارِفي وتِلاَدى

ولعبد العزيز يقول كثيرٌ:

إِذَا المالُ لم يُوجِبْ عليك عَطَاءَهُ ... صَنيعَةُ تَقْوَى أَو خَليلٌ تُخالقُهْ

مَنَعْتَ وبَعْضُ المَنْعِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ ... فلم يَفْتَلِذْكَ المالَ إلاَّ حقائقُهْ

فبُورِكَ ما أَعْطَى ابن لَيْلَى بنيَّةٍ ... وصامتُ ما أَعْطَى ابن لُيْلَى وناطقُهْ

وكان كثيرٌ يقول بالرجعة وفي ذلك يقول:

أَلاَ إِنَّ الأَيِمَّة من قُرَيْشٍ ... وَلاَةَ الحَقَّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ

عَلِيٌّ والثلاثَةُ من بنيه ... هُمُ الأَسْباطُ لَيْسَ بِهِمْ خفاءُ

فَسِبْطٌ سِبْطُ إِيمانٍ وبرٍّ ... وسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاَءُ

وسِبْطٌ لا يَذُوقُ المَوْتَ حَتَّى ... يَقُودَ الخَيْلَ يَقْدُمُها اللِّواءُ

تَغَيَّبَ لا يُرَى عنهم زماناً ... برَضْوَى عندَه عَسَلٌ وماءُ

كأنه يعني ابن الحنفية، ويذكرون أنه دخل شعب اليمن في أربعين من أصحابه فما رئى لهم أثرٌ.

الأحوص

هو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وعاصم بن ثابت من الأنصار، وهو حمي الدبر.

وكان الأحوص يرمي بالأبنة والزنا، وشكى إلى عمر بن عبد العزيز فنفاه من المدينة إلى قريةٍ من قرى اليمن على ساحل البحر، فدخل إليه عدةٌ من الأنصار فكلموه فيه، وسألوه أن يرده إلى المدينة فقال: لهم عمر: من القائل:

أَدُورُ ولَوْلا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ ... بأَبْيَاتِكُمْ ما دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ

قالوا: الأحوص، قال: فمن الذي يقول:

سَتُبْلَى لكم في مُضْمَرِ القَلْبِ والحَشَا سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

قالوا: الأحوص، قال: فمن الذي يقول:

اللهُ بَيْنِي وبَيْنَ قَيِّمِها يَفِرُّ مني بها وأَتْبَعُ

قالوا: الأحوص قال: لا جرم لا رددته إلى المدينة ما كان لي سلطانا.

وقال الأحوص: يعاتب عمر بن عبد العزيز:

أَلَسْتَ أَبَا حَفْصٍ هُدِيتَ مُخَبِّرِي أفي الله أَنْ أُقْصَى ويُدنَى ابنُ أَسْلَمَا

وكُنَّا ذَوِي قُرْبَى إليك فأَصْبَحَتْ قَرَابَتُنَا ثَدْياً أَجَدَّ مُصَرَّمَا

وكُنْتَ وما أَمَّلْتُ منك كبارِقٍ لَوى قَطْرَهُ من بَعْدِ ما كان غَيَّمَا

وقد كُنْتَ أَرْجَى الناسِ عِنْدِي مَوَدَّةً لَيَالِيَ كان العِلْمُ ظَنّاً مُرَجَّمَا

أَعُدُّكَ حِرْزاً إِنْ خَشِيتُ ظُلامَةً ومالاً ثَرِياً حينَ أَحْمِلُ مَغْرَمَا

تدَارَكْ بعُتْبَى عاتباً ذَا قَرَابَةٍ طَوَى الغَيْظَ لم يَفْتَحْ بسُخْطٍ لكم فَمَا

ويستحسن من شعره قوله:

أَلاَ لا تَلُمْهُ اليَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدَا فقَدْ غُلِبَ المَحْزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا

وما العَيْشُ إلاَّ ما تَلَذُّ وتَشْتَهِي وإنْ لاَمَ فيه ذو الشَّنَآنِ وفَنَّدَا

بَكَيْتُ الصِّبَا جَهْداً فمَنْ شاءَ لامَنِي ومَن شاءَ واسَى في البُكاءِ وأَسْعَدَ

وإني وإنْ عُيِّرْتُ في طَلَبِ الصِّبَا لأَعْلَمُ أَنِي لَسْتُ في الحُبِّ أَوْحَدَا

إذا كُنْتَ عِزْهاةً عن اللَّهْوِ والصِّبَا فكُنْ حَجَراً من يابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَ

وكان يزيد بن عبد الملك صاحب حبابة وسلامة قد ترك لشغله باللهو الظهور للعامة وشهادة الجمعة، فقال له مسلمة أخوه: يا أمير المؤمنين قد تركت الأمور وأضعت المسلمين وقعدت في مترلك مع هاتين الأمتين، فارعوى قليلا وظهر للناس، فقالت حبابه للأحوص: قل شعراً أغني به يا أمير المؤمنين: فقال:

وما العَيْشُ إلا ما تَلَذُّ وتَشْتَهِي ....الأبيات

ثم غنتا يزيد به فضرب بخيزرانته الأرض، وقال: صدقت صدقت، على مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به، وعاد لحالته الأولى، إلى أن ماتت حبابة، ثم مات بعدها بأيامٍ حزناً عليها ووجداً.

ومن هذا الشعر:

وأَشْرَفْتُ في نَشْزٍ منَ الأَرْضِ يافعٍ وقد تَشْعَفُ الأَيفاعُ مَن كان مُقْصَدَا

فقُلْتُ ألاَ يا لَيْتَ أَسْماءَ أَصقبَتْ | وهَلْ قَولُ لَيْتَ جامعٌ ما تَبَدَّدَا

وإني لأَهْواها وأهْوَى لقَاءَها | كما يَشْتَهِى الصادي الشَّرَابَ المُبَرَّدَ
عَلاَقَةَ حُبٍّ لَجٍ في سَنَنِ الصِّبا | فأَبْلى وما يَزْدادُ إلاَّ تَجَدُّدَا

ويختار له قوله:

ما من مُصيبةِ نَكْبَةَ أُمْنى بها | إلاَّ تُشَرِّفُني وتُعْظمُ شاني
إني إِذَا خَفَى اللِّئَامُ وَجَدْتَني | كالشَّمْس لا تَخْفَى بكُلِّ مكان

أرطاة بن سهية

هو من بني مرة بن عوف بن سعد، ويكنى أبا الوليد، ودخل على عبد الملك بن مروان فقال: هل تقول اليوم شعراً؟ فقال: كيف أقول وأنا ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب، وإنما يكون الشعر على هذا؟ وأنا الذي يقول:

رأَيْتُ المَرْءَ تأْكلهُ اللَّيَالي | كأَكْلِ الأرْضِ ساقطَةَ الحَديد
وما تُبْقِى المَنِّيةُ حينَ تَأْتي | على نَفْس ابْنِ آدَمَ من مَزِيد
وأَعْلَمُ أَنَّها ستَكَرُّ حَتَّى | تُوَفِّىَ نَذْرَها بأَبي الوليد

ففزع عبد الملك، وكانت كنيته، فقال: لم أعنك إنما عنيت نفسي، فقال عبد الملك وأنا أيضاً.

وهو القائل:

وما دُونَ ضَيفي من تلادٍ تَحُوزُهُ | لىَ النَّفْسُ إلاَّ أنْ تُصانَ الحَلائِلُ

وهو القائل:

لَقَدْ رأَيْتُكَ عُرْيَاناً ومُؤْتَزِراً | فما دَرَيْتُ أأُنثَى كنْتَ أَمْ ذَكَرَا

ومما سبق إليه وأخذ منه قوله يصف الخيل:

كأَنَّ أَعْيُنَها من طُولِ ما جَشِمَتْ | سَيْرَ الهوَاجرِ زَيْتُ في قَوَاريرِ

قال غيره:

إذِ الرَّكائبُ مَخْسوفٌ نَوَاظِرُها | كما تَضمَّنَتِ الدُّهْنَ القَوَارِيرُ

وفي هذه يقول أرطاة بن سهية:

إذا ونَتْ ذاتُ أَذْيَالٍ تُذِيعُ به قالَتْ لأُخْرَى كَغيْرَى أُغْضِبَتْ دُورِى

كأَنَّ مُخْتَلِفَ الأَرْواحِ بَيْنهما فيها مَلاَعبُ أبْكارٍ مَعَاصيرِ

ذو الرمة

هو غيلان بن عقبة بن بهيش، ويكنى أبا الحرث، وهو من بني صعب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة.

وسئل جريرٌ عن شعره، فقال: أبعار غزلانٍ ونقط عروس! وكان يوماً ينشد في سوق الإبل شعره الذي يقول فيه:

عَذَّبَتْهُنَّ صَيْدَحُ

وصيدح ناقته، فجاء الفرزدق فوقف عليه فقال له: كيف ترى ما تسمع يا أبا فراسٍ؟ قال: ما أحسن ما تقول! فقال فما بالي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قصر بك عن غاياتهم بكاؤك في الدمن وصفتك للأبعار والعطن، وأنشأ يقول:

ودَوِّيَّةٍ لو ذُو الرُّمَيْمِ يَرُومُها بِصَيْدَحَ أَوْدَى ذو الرُّمَيْمِ وصَيْدَحُ

قَطَعْتُ إلى مَعْرُوفها مُنْكَرَاتِها إِذَا خَبَّ آلُ الأَمْعَزِ المُتَوَضِّحُ

وقال عيسى بن عمر: قال لي ذو الرمة: ارفع هذا الطرف، فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه، أي: اكتم علي: فإنه عندنا عيبٌ؟ قال: وقدمت من سفرٍ فأتاني ذو الرمة فعرضت له بأن أعطيه شيئاً، فقال لي: أنا وأنت واحدٌ، نأخذ ولا نعطي.

ولما حضرته الوفاة بالبادية قال: أنا ابن نصف الهرم، أي أنا ابن أربعين، وقال:

يا قابِضَ الرُّوحِ من نَفْسي إِذَا احْتُضرَتْ وغافرَ الذَّنْب زَحْزِحْنِى عَنِ النارِ

وإنما سمي ذا الرمة بقوله في الوتد:

لم يَبْقَ منها أَبَدَ الأَبِيدِ غَيْرُ ثَلاَثٍ ماثلاتٍ سُودِ

وغَيْرُ مَرْضُوخِ القَفَا مَوْتُودِ أَشْعَثَ باقِى رُمَّة التَّقْليد

وكان ذو الرمة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته مية بنت فلان بن طلبة بن قيس بن عاصم بن سنانٍ.

قال أبو سوار الغنوي: رأيت مية وإذا معها بنون لها صغارٌ، فقلت: صفها لي، فقال: مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف عليها وشمٌ جمال، فقالت: ما تلقيت بأحدٍ من بني هؤلاء إلا في الإبل، قلت: أفكانت تنشدك شيئاً مما قال فيها ذو الرمة؟ قال: نعم، كانت تسح سحاً ما رأى أبوك مثله.

ومكثت مية زماناً لا ترى ذا الرمة وتسمع شعره، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنةً يوم تراه، فلما رأته رأت رجلا دميماً أسود، وكانت من أجمل النساء، فقالت: واسوأتاه! وابؤساه! فقال ذو الرمة:

على وَجْه مَيٍّ مَسْحَةَ من مَلاَحَةٍ ... وتَحْتَ الثِّيَاب الشَّيْنُ لَوْ كان باديَا

ألم تَرَ أَنَّ الماءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ ... وإنْ كان لَوْنُ الماءِ أَبَيْضَ صافيَا

فيا ضَيْعَةَ الشِّعْرِ الَّذي لَجَّ فانْقَضَى ... بِمَيَّ ولم أَمْلِكُ ضَلاَلَ فُؤَاديَا

وكان يشبب أيضاً بخرقاء، وهي من بني البكاء بن عامر بن صعصة، وكان سبب تشبيبه بها أنه مر في سفر ببعض البوادي، فإذا خرقاء خارجةٌ من خباءٍ لها، فنظر إليها، فوقعت في قلبه، فخرق إداوته ودنا منها يستطعم كلامها، فقال: إني رجلٌ على ظهر سفرٍ وقد تخرقت إدواتي فأصلحيها لي، فقالت: والله إني ما أحسن العمل، وإني لخرقاء، والخرقاء: التي لا تعمل بيدها شيئاً، لكرامتها على أهلها، فشبب بها وسماها خرقاء.

وقال المفضل الضبي: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت، فقال لي يوماً: هل لك إلى أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة؟ فقلت: إن فعلت فقد بررتني، فتوجهنا جميعاً نريدها، فعدل بي عن الطريق بقدر ميلٍ، ثم أتينا أبيات شعر، فاستفتح بيتاً ففتح له وخرجت علينا امرأةٌ طويلةٌ حسانةٌ بها فوةٌ، فسلمت وجلست، فتحادثنا ساعةً ثم قالت لي: هل حججت قط؟ قلت: غير مرةٍ، قالت: فما منعك من زيارتي؟ أما علمت أني منسكٌ من مناسك الحج؟ قلت: وكيف ذاك؟ قالت: أما سمعت قول عمك ذي الرمة:

تَمَامُ الحَجِّ أَنْ تَقِفَ المطايَا ... على خَرْقاءَ واضِعَةَ اللِّثَام

وكان لذي الرمة إخوةٌ، هشامٌ وأوفى ومسعودٌ، فمات أوفى. ثم مات بعده ذو الرمة، فقال مسعودٌ:

تَعَزَّيْتُ عن أَوْفَى بَغْيلاَنَ بَعْدَهُ ... عَزَاءً وجَفْنُ العَيْنِ ريَّانُ مُتْرَعُ

ولم تُنْسِنِى أَوْفَى المُصيباتُ بَعْدَهُ ... ولكنَّ نَكءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أَوْجَعُ

هشامٌ الذي يقول:

حَتَّى إذا أَمْعَرُوا صَفْقَيْ مَبَاءَتهمْ ... وجَرَّدَ الخُطْبُ أَثْبَاجَ الجَراثيمِ

وأَبَّ ذُو المَحْضَرِ البادي إبابَتَهُ ... وقَوَّضَتْ نيَّةٌ أَطْنَابَ تَخْييمِ

أَلْوَى الجِمَالُ هَرَاميلُ العِفَاءِ بها ... وبالمَنَاكب رَيْعٌ غَيْرُ مَجْلُومِ

تَصْطَكُّ أَعْناقُها والبَقُّ تَقْدَعُها ... حتَّى أَنَاخُوا فزَمُّوا كُلَّ مَزْمُومِ

من كُلِّ أَكْلَفَ أَوْ أَجْأَي تَنِطُّ له ... أَنْسَاعُ تابُوت جَوْفٍ غَيْر مَهْضُومِ

عَرَكْرَكٍ مُهْجِرِ الضُّؤْبانِ أَوَّمَهُ رَوْضُ القِذَافِ رَبيعاً أَيَّ تأْوِيمِ

الضؤبان: وسطه، والمهجر: الواسع، يقال ناقةٌ ذات سنامٍ مهجرٍ إذا كان مشرفاً.

ما مَسَّ مُذْ لُهِنَ البُهْمَى تَبَقَّلَهَا قَيْنَيْهِ في مَرْتَعٍ أَرْمَاثُ تَرْمِيم

حتَّى رَمى أُمَّهات القُرْد خابطُهَا بالناصَلاتِ أَنابيشاً بِتَسْهِيم

واسْتَنَّ فَوْقَ الحَذَاري القُلْقُلاَنُ كما شَكْلُ الشُّنُوفِ يُحَاكَى بالهيَانِيمِ

الحذاري: جمع حذرية، وهي الأرض الصلبة، والقلقلان: النبت

بعدَ المَصيف إلى خَبْرَاء مَعْقُلَةٍ حتَّى يَمُوتَ سَمَالُ الصَيَّف بالعُوم

منَ الفَرَاش المُقَضَّى عاش في رَنَقٍ رَخْفٍ السَّحاياتِ وَلَّي غَيْرَ مَطْعُوم

السحايات: بقية الماء، واحدها سحايةٌ.

كَأَنَّ أَجْسادَها الأَظْفارُ جامدَةً في قِنَّفِ الصَّقِرِ الآنى الشَّراذِيم

القنف: طين القاع إذا تشقق، والصقر: الذي قد صقرته الشمس: والآني: الذي قد بلغ إناه.

قال أبو محمد: و لم أذكر هذا الشعر لأنه عندي مختارٌ.

ولكن ذكرته لأني لم أسمع لهشامٍ بشعرٍ غيره.

قال ابن أبي فروة: قلت لذي الرمة في قوله:

إذا انْجَابَت الظَّلْمَاءُ أَضْحَتْ رُؤُوسُها عليهنَّ من جَهْدِ الكَرَى وهْيَ ظُلَّعُ

ما علمت أحداً من الناس أظلع الرؤوس غيرك؟ قال: أجل.

وكان ذو الرمة كثير الأخذ من غيره، ومما أخذه من غيره قوله في الحرباء:

يَظَلُّ بها الحِرْباءُ للشَّمْس ماثِلاً لَدَى الجِذْلِ إلاَّ أَنَّهُ لا يُكَبِّرُ

إذَا حَوَّل الظِّلَّ العَشِّي رَأَيْتَهُ حَنِيفاً وفِي قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ

وقال ظالم بن البراء الفقيمي:

ويَوْمٍ من الجَوْزاءِ أَمَّا سُكُونُه فَضِحٌّ وأَمَّا ريحُهُ فسَمومُ

إذا جَعَلَ الحِرْباءُ والشَّمْسُ تَلْتَظِي على الجِذْلِ من حَرَّ النَّهارِ يَقُومُ

يَكُونُ حَنيفاً بالعَشيِّ وبالضُّحَى يُصَلِّي لنَصْرانيَّةٍ ويَصُومُ

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن رؤبة قال: دخل على ذو الرمة فسمع قولي:

يَطْرَحْنَ بالدَّوِّيَّةِ الأَمْلاسْ لكُلِّ ذئب قَفْرَةٍ ولاَّسْ

مَوْتَى العظامِ حَيَّةَ الأَنْفَاسْ | أَجِنَّةً في قُمُصِ الأغْراسْ

فخرج من عندي فبلغني بعد ذلك أنه يقول:

يَطْرحْنَ بالدَّوِّيَّة الأَغْفالْ | كُلَّ جَنينٍ لَثِقِ السِّرْبالُ

حَيٍّ الشَّهيقِ مَيِّتِ الأَوْصالْ | فَرَّجَ عَنْهُ حَلَقُ الأَقْفَالْ

منَ السُّرَى وجِرْيَةِ الحِبَال | ونَغَصَانِ الرَّحْلِ من مُعَالْ

قال الأصمعي: فإذا رؤبة يرى أن ذا الرمة يسرق منه.

وقال أيضاً في قول ذي الرمة:

يَطْفُو إذَا ما تَلَقَّتْهُ الجَراثيمُ

أخذه من قول العجاج:

إذَا تَلَقَّتْهُ الجَراثيمُ طَفَا

قال: وأخذ قوله:

إِذَا اسْتَهَلَّتْ عليه عَيْنَةٌ أَرِجَتْ | مَرَابِضُ العينِ حتَّى يَارَجَ الخَشَبُ

من معنى قول العجاج:

مَثْوَاهُ عَطَّارينَ بالعُطُورِ

وأخذ قوله:

كأَنَّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

من معنى امرىء القيس:

كبِكْرِ مُقَاناة البَيَاض بخُضْرَةٍ | غَذَاها نَميرُ الماءِ غَيْرَ مُحَلَّلِ

وكذلك كان يرويه: وأخذ من كعب بن زهير في صفة الآثار ما قد ذكرته في أخبار زهير.

وقال ذو الرمة، وهو من حسن شعره.

وأَرْمِي إلى الأَرْضِ الَّتي من وَرَائكُمْ | لتَرْجِعَنِي يَوْماً عليكَ الرَّوَاجِعُ

وقال آخر في معناه:

وأَذْهَبُ في الأَرْضِ الَّتي من وَرَائكُمْ | لأُعْذَرَ في إتْيانِكُمْ حينَ أَرْجِعُ

وسمع أعرابي ذا الرمة وهو ينشد:

تُصْغِي إِذَا شَدَّها بالكُورِ جانحَةً | حَتَّى إِذَا ما اسْتَوَى في غَرزِها تَثِبُ

فقال الأعرابي صرع والله الرجل! ألا قلت كما قال عمك الراعي:

وواضعَةٍ خدَّها للزّما ... مِ فالخَدُّ منها له أَصْعَرُ

ولا تُعْجِلُ المَرْءَ قَبْل البُرُو ... كِ وهْيَ بركبتَها أَبْصَرُ

وهِيَ إِذا قام في غَرْزِها ... كَمِثْلِ السَّفينَة أَو أَوْقَرُ

وأخذ عليه قوله يصف الكلاب:

حَتَّى إِذا دَوَّمَتْ في الأَرضِ راجَعَهُ ... كِبْرٌ ولو شاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الهَرَبُ

قالوا: والتدويم إنما هو في الجو، يقال: دوم الطائر في السماء: إذا حلق واستدار في طيرانه ودوي في الأرض: أي ذهب.

وقولوا: ذو الرمة أحسن الناس تشبيهاً، وإنما وضعه عندهم أنه كان لا يجيد المدح ولا الهجاء، ولما أنشد بلال بن أبي بردة قوله:

رَأَيْتُ الناسَ يَنْتَجِعُونَ غيثاً ... فقُلْتُ لِصَيْدَحَ انتَجِعِى بِلالاَ

قال بلالٌ: يا غلامٌ أعطه حبل قت لصيدح.

قالوا: وغلط في قوله في النساء:

وما الفَقْرُ أَزْرَى عنْدَهُنَّ بوَصْلنا ... ولكِنْ جرَتْ أَخْلاَقُهُنَّ على البُخْلِ

قالوا: والجيد قول علقمة:

يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ ... وشَرْخُ الشَّبَابِ عنْدَهُنَّ عَجِيبُ

وقول امرىء القيس:

أَراهُنَّ لا يُحْبِبْنَ مَنْ قَلَّ مالُهُ ... ولا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فيه وقَوَّسَا

وأشد هجائه قوله:

وأَمْثَلُ أَخْلاَقِ امْرِىءِ القَيْسِ أَنَّها ... صِلاَبٌ على طُولِ الهَوَانِ جُلُودُها

وما انتُظِرَتْ غُيَّابُها لعَظيمَةٍ ... ولا استُعْمِرَتْ في جُلِّ أَمْرٍ شُهُودُها

إِذَا مَرَئيَّاتٌ حَلَلْنَ ببَلْدَةٍ ... منَ الأَرْضِ لم يَصلُحْ طَهُوراً صَعيدُها

ويستحسن له قوله في الظبية وولدها:

إِذَا استَوْدَعَتْه صِفْصَفاً أَو صَرِيمَةً ... تَنَحَّتْ ونَصَّتْ جيدَها للمناظرِ

حِذَاراً على وَسْنَانَ يَصرَعُهُ الكَرَى ... بكُلِّ مَقِيلٍ من ضعافٍ فَوَاترِ

وتَهْجُرهُ إلاَّ اختلاَساً بطَرْفِها ... وكَمْ من مُحبٍّ رَهْبَةَ العَيْنِ هاجِرِ

ومما صحف فيه من شعره قوله:

بَراهُنَّ تَفْويزى إذا الآلُ أَرْقَلَتْ ... به الشمسُ إِزْرَ الحَزْوَرَاتِ الفَوالكِ

رواه أبو عمرو أرقلت وقال الأصمعي: إنما هو أرفلت ومعناه أسبغت وغطت، يريد أسبغت إزر الحزوارت من الآل.

نهار بن توسعة

هو نهار بن توسعة بن أبي عتبان، من بكر بن وائلٍ، من بني حنتم وكان أشعر بكر بن وائل بخراسان، وهو القائل:

أبي الإسْلامُ لا أَبَ لِي سِوَاهُ ... إِذَا هَتَفُوا ببَكْرٍ أَو تَميمِ

دَعِّي القَوْمِ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ ... فيُلْحِقُهُ بذي النَّسَبَ الصَّمِيمِ

وما كَرَمٌ ولو شَرُفَتْ جُدُوْدٌ ... ولكنَّ التَّقِيَّ هو الكَرِيمُ

وكان هجا قتيبة بن مسلمٍ فقال:

أَقُتَيْبَ قد قُلْنا غَدَاةَ لَقِيتَنا ... بَدلٌ لَعَمْرُكَ من يَزِيدٍ أَعْوَرُ

وقال أيضاً:

كانَتْ خُرَاسانُ أَرْضاً إِذ يَزِيدُ بها ... وكُلُّ بابٍ منَ الخَيْرَاتِ مفتُوحُ

فَبُدِّلَتْ بَعْدَهُ قِرداً نُطِيفُ به ... كَأَنَّما وَجْهُهُ بالخَلِّ مَنْضُوحُ

فبلغ ذلك وغيره من هجائه قتيبة، فطلبه فهرب، وأتى أم قتيبة فأخذ منها كتاباً إليه في الرضى عنه وترك مؤاخذته بما كان منه، فرضي عنه، فقال له نهارٌ: إن نفسي لا تسكن ولا تطيب حتى تأمر لي بشيءٍ، فإني أعلم أنك إذا اتخذت عندي معروفاً لم تكدره، فأعطاه، فقال:

ما كان فيمَنْ كان في الناسِ قَبْلَنَا ... ولا هو فيمَنْ بَعْدَنَا كابْنِ مُسْلمِ

أَشَدَّ على الكُفَّارِ قَتْلاً بسَيْفِه ... وأَكْثَرَ فينا مَقْسِماً بَعْدَ مَقْسِمِ

فقال له قتيبة: ألست القائل:

أَلاَ ذَهَبَ الغَزْوُ المُقَرِّبُ للغِنَى ... وماتَ النَّدَى والغَزْوُ بَعْدَ المُهَلَّبِ

فقال له: إن الذي أنت فيه ليس بالغزو ولكنه الحشر.

وأمر له قتيبة بصلةٍ فأبطأت عنه، ولقيه فقال:

ولقَدْ عَلِمْتُ وأَنْتَ تَعْلَمُهُ أَنَّ العَطاءَ يشينُهُ الحَبْسُ

فقال: عجلوا له الجائزة.

ابن قيس الرقيات

هو عبيد الله بن قيس، أحد بني عامر بن لؤي، وإنما سمي الرقيات لأنه كان يشبب بثلاث نسوة يقال لهم جميعاً رقية.

وهو القائل في مصعب بن الزبير:

إنَّما مُصْعَبٌ شهابٌ منَ اللّ ه تَجَلَّتْ عن وَجْهِه الظَّلْماءَ

مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فيه جَبَرُوتٌ يُخْشَى ولا كِبْرَياءُ

يَتَّقِي اللهَ في الأُمُورِ وقَدْ أَفْ لَحَ مَنْ كان هَمَّهُ الاتِّقاءُ

كَيْفَ نَوْمِي على الفِرَاشِ ولَمَّا تَشْمَلِ الشَّأْمَ غارَةٌ شَعْواءُ

ولما قتل مصعبٌ وصار الأمر إلى عبد الملك بن مروان أتى عبيد الله بن قيس عبد الله بن جعفرٍ يستشفع به إليه، فقال له عبد الله ابن جعفر: إذا دخلت معي على عبد الملك فكل أكلاً يستبشعه عبد الملك ابن مروان! ففعل، فقال له: من هذا يا ابن جعفرٍ؟ قال: هذا أكذب الناس إن قتل! ومن هو! قال: الذي يقول:

ما نَقَمُوا من بني أُمَيَّةَ إِ لاَّ أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

وأَنَّهُمْ مَعْدِنُ المُلُوكِ فلا تَصْلُحُ إلاَّ عليهِمُ العَرَبُ

فقال عبد الملك: قد عفونا عنه ولا يأخذ مع المسلمين عطاءً، فكان عبد الله بن جعفر إذا خرج عطاؤه أعطاه.

وكان يمدحه بعد ذلك، وهو القائل فيه:

تَقَدَّتْ بيَ الشَّهْباءُ نَحْوَ ابنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عليها لَيْلُها ونَهَارُهَا

وواللهِ لولا أَنْ تَزُورَ ابنَ جَعْفَرْ لكان قَليلاً في دِمَشْقَ قَرَارُهَا

أَتَيْنَاكَ نُثْنِي بالذي أَنْتَ أَهْلُهُ عليكَ كما أَثْنَى على الرَّوْضِ جارُهَا

وأنشد عبد الملك:

إِنَّ الحَوَادثَ بالمَدينَة قَدْ أَوْجَعْنَني وقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهْ

وجَبَبْنَنى جَبَّ السَّنام ولم يَتْرُكْنَ رِيشاً في مَناكِبِيَهْ

فقال له: أحسنت لولا أنك خنثت في قوافيه! فقال: ما عدوت كتاب الله "ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه" وإنما أخذ قوله وقرعن مروتيه من قول أبي ذؤيب:

حتَّى كأَنِّي للحَوَادثِ مَرْوَةٌ بِصفَا المُشَرَّقِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ

أيمن بن خريم

هو أيمن بن خريم بن فاتك، من بني أسد، وكان أبوه قد صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث، وكان به برصٌ، وكان أثيراً عند عبد العزيز بن مروان، فعتب عليه أيمن يوماً فقال له: أنت طرفٌ ملولة! فقال له: أنا ملولةٌ وأنا أؤاكلك؟ فلحق ببشر بن مروان فأكرمه واختصه، ولم يكن يواكله، فدخل عليه يوماً وبين يديه لبنٌ قد وضع فقال له: إني حدثت البارحة نفسي بالصوم، فلما أصبحوا أتوني بهذا وهم لا يعلمون، ولا أرى أحدا أحق به منك، فدونكه! وهو القائل:

إِنَّ للفتْنَة مَيْطاً بَيِّناً فرُوَيْدَ المَيْطَ منها تَعْتَدِلْ

فإِذَا كان عَطاءٌ فأْتِهِمْ وإذَا كان قِتَالٌ فاعْتَزِلْ

إِنَّما يَسْعَرُها جُهَّالُها حَطَبَ النَّارِ فدَعْها تَشْتَعِلْ

وقال عبد الملك بن مروان لأيمن بن خريم: إن أباك كانت له صحبةٌ ولعمك، فخذ هذا المال وانطلق فقاتل ابن الزبير، فأبى وقال:

ولَسْتُ بقاتلٍ رَجْلاً يُصلِّي على سُلْطانِ آخَرَ من قُرَيْشِ

له سُلْطانُهُ وعليَّ وِزْرِى مَعاذَ الله من سفَهٍ وطَيْشِ

أَأَقْتُلُ مُسْلِماً وأَعيشُ حَيّاً فليس بنافعٍ ما عشْتُ عَيْشي

وكان غزا مع يحيى بن الحكم فأصاب يحيى جاريةٌ برصاء، فأهداها له، فغضب وقال:

تَرَكْتُ بني مَرْوانَ تَنْدَى أَكُفُّهُمْ وصاحَبْتُ يَحْيَى ضَلَّةً من ضَلاَلِيَا

خَليلاً إِذَا ما جِئْتُهُ أَو لَقيتُهُ يَهُمُّ بشَتْمِى أَو يُريدُ قِتَالِيَا

فإِنَّكَ لو أَشْبَهْتَ مَرْوانَ لم تَقُلْ لقَوْمِى هُجْراً إِذْ أَتَوْكَ ولا لِيَا

وقال القائل:

لَقيتُ منَ الغانِيَاتِ العُجابَا ... لَوَ ادْرَكَ منِّى العَذَارَى الشَّبابَا

ولكنَّ جَمْعَ العَذَارَى الحسانِ ... عَناءٌ شَديدٌ إِذَا المَرْءُ شاباَ

يُرَضْنَ بكُلِّ عَصاَ رائضٍ ... ويُصبْحِنَ كُلَّ غَدَاةٍ صعابَا

عَلامَ يُكَحِّلْنَ نُجْلَ العُيُونِ ... ويُحْدِثْنَ بَعْدَ الخِضاَب الخِضابَا

ويُبْرِقْنَ إِلاَّ لما تَعْلَمُونَ ... فلا تَحْرِمُوا الغانيَاتِ الضرِاَبَا

إِذَا لم يُخَالَطْنَ كلَّ الخلاَ ... ط أَصبَحْنَ مُخْرَنْطمَاتٍ غِضاَبَا

يُميتُ العتَابَ خِلاَط النِّسَاءِ ... ويُحْيِى اجْتنابُ الخِلاطَ العتابَا

وقال له عبد الملك بن مروان حين أنشده هذه الأبيات: ما عرف النساء أحدٌ معرفتك؟

مسكين الدارمي

هو ربيعة بن عامر بن أنيفٍ، من بني دارم، ومسكينٌ لقبٌ، وقال:

وسُمِّيتُ مِسْكيناً وكانَتْ لَجَاجَةً ... وإني لَمِسْكينٌ إلى الله راغبُ

وهو القائل في معاوية:

إِلَيْكَ أَميرَ المُؤْمنينَ رَحلْتُها ... تُثيرُ القَطَا لَيْلاً وهُنَّ هُجُودُ

على الطائرِ المَيْمُونِ والجَدُّ صاعدٌ ... لكُلِّ أُناسٍ طائرٌ وجُدُودُ

إِذَا المِنْبَرُ الغَرْبُّى خَلَّى مكانهَ ... فإِنَّ أَميرَ المُؤْمنينَ يَزيدُ

وهو القائل:

وإِذَا الفاحشُ لاقَى فاحشاً ... فهُنَاكُمْ وافقَ الشَّنُّ الطَّبَقْ

إِنَّما الفُحْشُ ومَنْ يَعْتادُهُ ... كَغُرَاب السَّوْءِ ما شاءِ نَعَقْ

أَو حِمارِ السَّوْءِ إِنْ أَشْبَعْتَهُ ... رَمَحَ الناسَ وإِنْ جاعَ نَهَقْ

أَو غُلامِ السَّوْءِ إِن جَوَّعْتَه ... سَرَقَ الجارَ وإِنْ يُشْبَعْ فَسَقْ

أَو كَغَيْرَى رَفَعَتْ من ذَيْلِها ... ثُمَّ أَرْخَتْه ضِرَاراً فامَّزَقْ

أَيها السائِلُ عن مَّنْ قد مَضَى ... هَلْ جديدٌ مِثْلُ مَلْبُوس خَلَقْ

ولا عقب لمسكينٍ.

وهو القائل:

ناري ونارُ الجارِ واحِدَةٌ وإلَيْه قَبْلِى تُنْزَلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جاراً لي أُجاوِرُهُ ألاَّ يَكُونَ لبابِه سِتْرُ

أَعْمَى إِذَا ما جارَتِى بَرَزَتْ حتَّى يُغَيِّبَ جارَتِى الخِدْرُ

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

عمر بن أبي ربيعة

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، من بني مخزوم. ويكنى أبا الخطاب. وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ابن عم أبيه. وأم عمر بن الخطاب حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ابنة عم أبيه. وكان أبوه عبد الله يلقب بحيراً.

وأخوه الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة يلقب القباع، في ولايته بالبصرة، فلقب به، وفيه يقول الفرزدق:

أَحارثُ دارِي مَرَّتَيْنِ هَدَمْتَها وأَنْتَ ابنُ أُخْتٍ لا تُخافُ غَوَائلُهْ

وله أخٌ آخر يقال له عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة، كان أحول، وتزوج أم كلثومٍ بنت أبي بكر بعد موت طلحة، فولدت له وللحارث عقب، ولا عقب لعمر. وكانت أمه نصرانية، وهي أم إخوته.

وكان عمر فاسقاً، يتعرض للنساء الحواج، في الطواف وغيره من مشاعر الحج، ويشبب بهن، فسيره عمر بن عبد العزيز إلى الدهلك، ثم ختم له بالشهاده. قال عبد الله بن عمر فاز عمر بن أبي ربيعة بالدنيا والآخرة. غزا في البحر فأحرقوا سفينته، فاحترق.

وكان يشبب بسكينه، وفيها يقول كذباً عليها

قالَتْ سُكَيْنَةُ والدُّمُوعُ ذَوَارِفٌ منْها على الخَدَّيْنِ والجِلْباب

لَيْتَ المُغيرِيَّ الذي لم نَجْزِه فيما أَطالَ تَصَيُّدي وطلاَ بي

كانَتْ تَرُدُّ لنا المُنَى أَيَّامَهُ إذْ لا يُلامُ على هَوًى وتَصابي

خُبِّرْتُ ما قالَتْ فبِتُّ كأَنَّما يُرْمى الحَشَا بنَوَافذ النُّشَّاب

أَسُكَيْنَ ما ماءُ الفُرَان وطِيبُهُ مِنَّا على ظَمَأٍ وحُبِّ شَرَاب

بأَلَذَّ منْكِ وإِنْ نأَيْتِ وقَلَّما تَرْعَى النِّساءُ أَمانَةَ الغُيَّاب

وشبب بابنة لعبد الملك بن مروان وهي حاجة، ولها يقول:

افعَلِي بالأَسِيرِ إِحْدَى ثَلاثٍ وافْهَميهِنَّ ثمَّ رُدِّي جَوَابي

اُقْتُليه قَتْلاً سَرِيحاً مُرِيحاً لا تَكوني عليه سَوْطَ عَذَاب

أَو أَقِيدي فإِنّما النَّفْسُ بالنَّفـ س قَضـاءً مُفَصَّلاً في الكتَاب

أَو صليه وَصْلاً يَقَرُّ عليه إِنْ شَرَّ الوِصـالِ وَصْلُ الكِذَابِ

في أبيات كثيرة، فأعطت الذي أتاها بالشعر لكل بيتٍ عشرة دنانير! والتقى عمر بن أبي ربيعة وجميل، فتناشدا، فأنشده عمر بن أبي ربيعة:

ولَمّا تَوَافَيْنا عَلِمْتُ الذي بها كمثْلِ الذي بي حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ

فقالَتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتْرِ إِنَّما مَعِي، فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذي رِقْبَةٍ، أَهْلِي

فقُلْتُ لها ما بي لَهُمْ من تَرَقُّبٍ ولكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

يقول لا يصلح أن يحمله إلا أنا ولا يصلح أن يحمله غيري، ومثله في الكلام هذا الأمر لا يحمله حامل مثلي. فأستخذى جميل وصاح هذا والله ما أرادته الشعراء فأخطأته وتعللت بوصف الديار! ويستحسن له قوله في المساعدة:

وخِلٍّ كُنْتُ عَيْنَ النُّصْحِ منه إذا نَظَرَتْ ومُسْتَمِعاً سَمِيعَا

أَطافَ بِغَيَّةٍ فنَهَيْتُ عنها وقُلْتُ له أَرَى أَمْراً شَنِيعَا

أَرَدْتُ رَشَادَهُ جُهْدِي فلمَّا أَبَى وعَصَى أَتَيْنَاها جَمِيعا

ويستحسن له قوله في نحول البدن:

رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا إِذا الشَّمْسُ عارَضَتْ فيَضْحَى وأَمَّا بالعَشيّ فيَخْصَرُ

قَليلاً على ظَهْرِ المَطِيَّةِ شَخْصُهُ خَلاَ ما نَبَى عنه الرّداءُ المُحَبَّرُ

وأحسن منه قول المجنون في نحول البدن:

أَلا إِنَّما غادَرْتِ يا أُمَّ مالكٍ صَدىً أَيْنَما تَذْهَبْ به الرّيحُ يَذْهَب

وممن أفرط في هذا المعنى رجل من الأعراب، قال:

ولَوْ أَنَّ ما أَبْقَيْتِ مِنّي مُعَلَّقٌ بعُودِ ثُمَامٍ ما تَأَوَّدَ عُودُها

ونحوه قول عبيد بن أيوب العنبري وذكر ناقته:

حَمَلْتُ عليها ما لَوَ أَنَّ حَمَامَةً تُحَمَّلُهُ طارَتْ به في الجَفَاجِف

رُحَيْلاً وأَقْطاعاً وأَعْظُمَ وامِقٍ بَرَى جِسْمَهُ طُولُ السُّرَى والمخَاوِفِ

ويستحسن لعمر قوله

إنَّ لي عنْدَ كلِّ نَفْحَةِ رَيْحا نٍ منَ الجُلِّ أو منَ الياسَمِينا

الْتفاتاً ورَوْعَةً لَكِ أرْجُو   أَنْ تَكُونِي حَلَلْتِ فيما يَلِينَا

وحج عبد الملك بن مروان فلقيه عمر بن أبي ربيعة بالمدينة، فقال له عبد الملك يافاسق! قال بئست تحية ابن العم على على طول الشحط! قال يا فاسق، أما أن قريشاً لتعلم أنك أطولها صبوةً وأبطؤها توبةً ألست القائل:

ولَوْلا أن تُعَنِّفَنيْ قُرَيْشٌ   مَقَالَ الناصحِ الأَدْنَى الشَّفيق

لَقُلْتُ إذا الْتَقَيْنا قَبِّليني   ولَوْ كُنَّا على ظَهْرِ الطَّرِيقِ

وكان أخوه الحارث خيراً عفيفاً، فعاتبه يوماً من الأيام، قال عمر وكنت يومئذ على ميعاد من الثريا، قال فرحت إلى المسجد مع المغرب، وجاءت الثريا" للميعاد"، فتجد الحرث مستلقياً على فراشه، فألقت بنفسها عليه وهي لا تشك أني هو! فوثب وقال من أنت؟ فقيل له الثريا،فقال ما أرى عمر انتفع بعظتنا! قال وجئت للميعاد ولا أعلم بما كان،فأقبل عليَّ وقال ويلك،كدنا والله نفتن بعدك، لا والله إن شعرت إلاَّ و"الثريا" صاحبتك واقعة عليَّ، فقلت لا تمسك النار بعدها أبداً!!فقال عليك لعنة الله وعليها.

فلما تزوج سهيل بن عبد الرحمن بن عوفٍ الثريّا قال عمر:

أَيُّها المُنْكِحُ الثُّريّا سُهَيْلاً   عَمْرَكَ اللهَ كَيْفَ يَجْتَمعانِ

هيَ شأْميَّةٌ إذَا ما استَقَلَّتْ   وسُهَيْلٌ إِذَا استَقَلَّ يَمانِ

الأقيشر

هو المغيرة بن الأسود بن وهب،أحد بنى أسد بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر. وكان يغضب إذا قيل الأقيشر،فمر ذات يوم بقومٍ من بنى عبسٍ،فقال له بعضهم يا أقيشر،فنظر إليه ساعةً وهو مغضب،ثم قال:

أَتَدْعُوني الأُقَيْشِرَ ذلكَ اسْمى   وأَدْعُوكَ ابْنَ مُطْفِئَةِ السِّرَاجِ

تُنَاجِي خِدْنَهَا بالَّليْلِ سرًّا   ورَبُّ الناسِ يَعْلَمُ ما تُناجِي

فسمى الرجل "ابن مطفئة السراج" وولده ينسبون إلى ذلك " إلى اليوم".

ومر بمطر بن ناحية اليربوعي حين غلب على الكوفة أيام الضحاك ابن قيس الشاري، ومطرٌ على المنبر يخطب"الناس" فقال:

أَبَنِي تَميم ما لمنْبَرِ مُلْكِكُمْ   لا يَسْتَقِرُّ قُعُودُهُ يَتَمَرْمَرُ

إنَّ المَنَابِرَ أَنْكَرَتْ أَسْتَاهَكُمْ   فادْعُوا خُزَيْمَةَ يَسْتَقِرَّ المنبَرُ

خَلَعُوا أَميرَ المُؤْمنينَ وبايَعُوا مطَراً، لَعَمْرُكَ بَيْعَةً لا تَظْهرُ

واسْتَخْلَفُوا مَطَراً فكان كَقَائلٍ بَدَلٌ لَعَمْرُكَ من يَزِيدٍ أَعْوَرُ

فبلغ ذلك، جرير بن الخطفي، فأتى بني أسدٍ فقال أما والله لولا الرحم ما اجترأ خليعكم على، فاستكفوه، فأخذوا الأقيشر فضربوه، فانصرف عنهم جرير، ودس إلى الأقيشر رجلاً، فقال له إني جئت لأهجو قومك وتهجو قومي، قال وممن أنت؟ قال من بني تميم، فقال الأقيشر:

لا أَسَداً أَسُبُّ ولا تَميماً وكَيْفَ يَحلُّ سَبُّ الأَكْرَمينَا

ولَكنَّ التَّقارُضَ حَلَّ بَيْني وبَيْنَكَ يا بْنَ مُضرِطَةِ العَجِينَا

فسمي ذلك الرجل"ابن مضرطة العجين"! وكان الأقيشر صاحب شراب، فأخذوه الأعوان بالكوفه، وقالوا شارب خمر؟ فقال لست شارب خمرٍ، ولكني أكلت سفرجلاً! وأنشأ يقول:

يَقُولُونَ لي إنْكَهْ شَرِبْتَ مُدَامَةً فقَلْتُ لهم لا، بَلْ أَكَلْتُ سَفَرْجَلا

وهو القائل:

أَفْنَى تِلادِي وما جَمَّعْتُ من نَشَبٍ قَرْعُ القَوَاقيزِ أَفْوَاهُ الأَباريقِ

كَأَنَّهُنَّ، وأَيْدي القَوْمِ مُعْمَلَةٌ إذا تَلأْلأْنَ في أَيْدي الغَرَانيقِ

بَنَاتُ ماءٍ مَعاً بيضٌ جَنَاجِنُهَا حُمْرٌ مَناقيرُها صُفْرُ الحَمَاليقِ

هيَ اللَّذَاذَةُ ما لم تَأْتِ مَنْقَصَةً أَو تَرْمِ فيها بسَهْمٍ سَاقِطِ الفُوقِ

وهو القائل:

وصَهْبَاءَ جُرْجَانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حَنيفٌ ولم تَنْغَرْ بها ساعَةً قِدْرُ

أَتاني بها يَحْيَى، وقد نِمْتُ نَوْمَةً وقد غارَت الشِّعْرى وقد خَفَقَ النَّسْرُ

فقُلْتُ اغْتَبِقْهَا أَو لَغيْرِي فأَهْدِها فما أَنا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيْبَكَ والخَمْرُ

إذَا المَرْءُ وفَّى الأَربعينَ ولم يَكُنْ له دُونَ ما يَأْتي حَيَاءٌ ولا سِتْرُ

فدَعْهُ ولا تَنْفَسْ عليه الذي أَتَى وإنْ جَرَّ أَرْسانَ الحَيَاة له الدَّهْرُ

وكان له جار صالح يقال له يحيى، فقال له يا فاسق وأنا جئتك بها، فقال يرحمك الله ما أكثر يحي في الناس.

المجنون

هو قيس بن معاذ، ويقال قيس بن الملوح. أحد بني جعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويقال بل هو من بني عقيل ابن كعب بن ربيعة.

ولقبه المجنون لذهاب عقله بشدة عشقه.

وكان الأصمعي يقول لم يكن مجنوناً، ولكن كان فيه لوثة كلوثة أبي حية.

وهو من أشعر الناس، على أنهم قد نحلوه شعراً كثيراً رقيقاً يشبه شعره، كقول أبي صخر الهذلي:

أَما والَّذي أَبْكَى وأَضْحَكَ والَّذي ... أَماتَ وأَحْيَا والَّذي أَمْرُهُ الأَمْرُ

لقَدْ تَرَكَتْني أَحْسُدُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى ... أَليفَيْنِ منها لا يَرُوعُهُما النَّفرُ

فيا هجر لَيْلى قد بَلَغْتَ بيَ المَدَى ... وزِدْتَ على ما لم يَكُنْ بَلَغَ الهَجْرُ

ويا حُبَّها زِدْني جوًى كُلَّ لَيْلَةٍ ... ويا سَلْوَةَ الأَيَّامِ مَوْعِدُك الحَشْرُ

وَصَلْتُك حتَّى قُلْت لا يَعْرُ القلى ... وزُرْتُك حتَّى قُلْت لَيْسَ له صَبْرُ

إِذا ذُكرَتْ يَرْتَاحُ قَلْبي لذكْرِها ... كما انْتَفَضَ العصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

عَجِبْتُ لَسْعيِ الدَّهْرِ بَيْني وبَيْنَها ... فلَمَّا انْقَضَى ما بَيْنَنا سَكَنَ الدَّهْرُ

وكقول أبي بكر ابن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة:

بيْنَما نَحْنُ من بَلاَكثَ بالقاعِ ... سِراعاً والعيسُ تَهْوِى هُوِيَّا

خَطَرَتْ خَطْرَةٌ على القَلْب من ذِك ... راك وَهْناً فما استَطَعْتُ مُضيَّا

قُلْتُ لَبَّيْكِ، إِذ دَعَاني لَكِ الشَّوْقُ ... وللحادِيَيْن كُرَّا المَطيَّا

وكان المجنون وليلى - صاحبته- يرعيان البهم وهما صبيان، فعلقها علاقة الصبا، وفي ذلك يقول:

تَعَلَّقْتُ لَيْلى وهْيَ غِرٌّ صَغيرَةٌ ... ولم يَبْدُ للأَتْرابِ من ثَدْيِها حَجْمُ

صَبِيَّانِ نَرْعَى البَهْمَ يا لَيْتَ أَنَّنا ... إِلى اليَوْمِ لم نَكْبَرْ ولم يَكْبَرِ البَهْمُ

ثم نشأ وكان يجلس معها ويتحدث في ناس من قومه، وكان جميلاً ظريفاً راوية للأشعار حلو الحديث، فكانت تعرض عنه وتقبل على غيره بالحديث، حتى شق ذلك عليه، وعرفته منه، فأقبلت عليه فقالت:

كلانا مُظْهِرٌ للناس بُغْضاً ... وكُلٌّ عند صاحبِه مَكينُ

ثم تمادى به الأمر، حتى ذهب عقله، وهام مع الوحش، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرقه، ولا يعقل شيئاً إلا أن تذكر له ليلى، فإذا ذكرت ثاب وتحدث عنها لا يسقط حرفاً.

فسعى عليهم نوفل بن مساحق، فنزل مجمعاً من تلك المجامع، فرآه عرياناً يلعب بالتراب، فكساه ثوباً، فقال له قائل؛ وهل تدري من هذا أصلحك الله؟ قال لا، قال هذا المجنون"قيس بن الملوح"، ما يلبس الثياب ولا يريدها، فدعا به فكلمه، فجعل يجيبه عن غير ما يكلمه به، فقالوا له إن أردت أن يكلمك كلاماً صحيحاً فاذكر له ليلى وسله عن حبه لها، ففعل، فأقبل عليه المجنون يحدثه بحديثها وينشده شعره فيها، فقال له نوفلٌ الحب صيرك إلى ما أرى؟ قال نعم، وسينتهي بي إلى أشد مما ترى، قال أتحب أن أزوجكها ؟ قال نعم، وهل إلى ذلك من سبيل! قال انطلق معي حتى أقدم بك عليها فأخطبها لك وأرغب لك في المهر، قال أفتراك فاعلاً ؟ قال نعم، قال أنظر ما تقول! قال على أن أفعل بك ذلك، فارتحل معه، ودعا له بثياب فلبسها المجنون، وراح معه كأصح أصحابه، يحدثه وينشده، فبلغ ذلك قومها فتلقوه بالسلاح، وقالوا له والله يا بن مساحق، لا يدخل المجنون منزلنا أبداً أو نموت، وقد هدر السلطان دمه، فأقبل بهم وأدبر، فأبوا، فلما رأى ذلك قال للمجنون انصرف، قال المجنون والله ما وفيت بالعهد، قال انصرافك أيسر على من سفك الدماء، فانصرف.

وفي ذلك يقول:

يا صاحِبَيَّ أَلمَّا بي بمنْزِلَةٍ	قد مَرَّ حينٌ عليها أَيمَّا حينِ
في كُلِّ مَنْزِلَةٍ ديوَانُ مَعْرِفَةٍ	لم يُبْقِ باقِيَةً ذِكْرُ الدَّوَاوِين
إِنِي أَرَى رَجَعات الحُبِّ تقْتُلُني	وكان في بَدْئها ما كان يَكْفِيني
أَلْقَى منَ اليَأْس تارات فتَقْتُلُني	وللرَّجاءِ بَشَاشات فتُحْيِيني

وفي رجوع عقله عند ذكرها يقول:

يا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى تُخُلِّسَ عَقْلُهُ	فأَصبَحَ مَذْهُوباً به كُلَّ مَذْهَب
خَليعاً منَ الإِخْوانِ إِلاَّ مُعَذِّراً	يُضاحكُني مَنْ كان يَهْوَى تَجنُّبِي
إِذا ذُكِرَتْ لَيْلى عَقَلْتُ وراجَعَتْ	رَوَائعُ عَقْلي مِنْ هَوىً متَشعِّب
وقالوا صَحيحٌ ما به طَيْفُ جِنَّةٍ	ولا لَمَمٌ إلا افتراءُ التَّكَذب

وخرج رجل من بني مرة إلى ناحية الشأم والحجاز، مما يلي تيماء والسراء بأرض نجد، في بغيةٍ له، فإذا هو بخيمة قد رفعت له-عظيمة- وقد أصابه المطر، فعدل إليها، فتنحنح،فإذا امرأة قد كلمته فقالت انزل، قال فنزلت، وراحت إبلهم وغنمهم، فإذا أمر عظيم كثرةً ورعاةً، فقالت سلوا هذا الرجل من أين أقبل؟ فقلت من ناحية تهامة ونجد، فقالت يا عبد الله، أي بلاد نجدٍ وطئت؟ فقلت كلها، قالت: بمن نزلت هناك؟ فقلت ببني عامر، فتنفست الصعداء، ثم قالت: بأي بني عامر؟ فقلت ببني الحريش، فاستعبرت، ثم قالت

هل سمعت بذكر فتىً منهم يقال له قيسٌ يلقب بالمجنون؟ فقلت إي والله، نزلت بأبيه وأتيته ونظرت إليه، قالت فما حاله؟ قلت يهيم في تلك الفيافي ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم، إلا أن تذكر له ليلى فيبكي وينشد أشعاراً يقولها فيها، قال فرفعت الستر بيني وبينها، فإذا شقة قمرٍ لم تر عيني مثلها قطٌّ، فبكت وانتحبت، حتى ظننت- والله - أن قلبها قد انصدع، فقلت أيتها المرأة، أما تتقين الله؟ فوالله ما قلت بأساً! فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب، ثم قالت:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي والخُطُوبُ كَثِيرةٌ … متى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فراجعُ

بِنَفْسِيَ مَنْ لا يَسْتَقِلُّ برَحْلِه … ومَنْ هُوَ إنْ لم يَحْفَظِ اللهُ ضائعُ

ثم بكت حتى غشى عليها، فلما أفاقت قلت ومن أنت يا أمة الله؟ قالت أنا ليلى المشؤومة عليه غير المؤاسية له! فما رأيت مثل حزنها عليه وجزعها، ولا مثل وجدها.

وكان أبو المجنون ورهطه أتوا أبا ليلى وأهلها، وسألوهم بالرحم، وعطفوا عليهم، وأخبروهم بما ابتلى به، فأبى أبو ليلى، وحلف ألا يزوجها إياه أبداً، فقال الناس لأبي المجنون لو خرجت به إلى مكة فعاذ بالبيت ودعا الله رجوعاً أن ينساها أو يعافيه الله مما ابتلى به، فحج، فبينما هو يمشي بمنىً وأبوه معه قد أخذ بيده يريد الجمار، نادى منادٍ من تلك الخيام يا ليلى! فخر مغشياً عليه، واجتمع عليه الناس وضجوا، ونضحوا عليه من الماء، يبكى عند رأسه، ثم أفاق وهو مصفر لونه متغيرٌ حاله، فأنشأ يقول:

وداعٍ دَعَا إذا نحنُ بالخَيْفِ من منىً … فهَيَّجَ أَحْزَانَ الفُؤَادِ وما يَدْرِي

دَعَا باسْمِ لَيْلى غَيْرِها فكأَنَّما … أَطارَ بلَيْلى طائراً كان في صَدْرِي

حكى الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال خرج منا فتىً حتى إذا كان ببئر ميمون، إذا جماعة على جبل من تلك الجبال،وإذا بينهم فتىً قد تعلقوا به، مديد القامة طوال أبيض، جعد الشعر أعين، أحسن من رأيت من الرجال، وإذا هو مصفر مهزولٌ شاحب اللون، قال فسألت عنه؟ فقالوا هذا قيس الذي يقال له المجنون، خرج به أبوه الملوح حين ابتلى بما ابتلى به إلى الحرم مستجيراً بالبيت، لعل الله أن يفرج عنه، ومن رأيه أن يستجير بقبر النبي "صلى الله عليه وسلم"، فقلت ما يصنع هاهنا وما لكم تمسكونه؟ قالوا لما يصنع بنفسه،فإنه يصنع بها صنيعاً يرحمه منه عدوه، ويقول أخرجوني أتنسم صبا نجدٍ، فنخرجه إلى ها هنا، فيستقبل بلاد نجد عسى أن تهب له الصبا، ونكره أن نخلي سبيله فيرمي بنفسه من الجبل، فلو شئت دنوت منه فأعلمته أنك قدمت من نجدٍ فيسألك عنها وعن بلاده فتخبره؛ فقلت أفعل، فقالوا يا أبا المهدي! هذا

رجل قدم من بلاد نجد،فتنفس تنفساً ظننت أن كبده قد انصدعت، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ، وأنا أصف ذلك له وهو يبكي أحر بكاءٍ وأوجعه للقلب، ثم قال:

أَلا ليْتَ شِعْري عن عُوَارِضتَيْ قَنىً   لِطُولِ اللَّيالي هَلْ تَغيَّرَتَا بَعْدي

ومن عُلَويَّاتِ الرِّياحِ إذا جَرَتْ   بريحِ الخُزَامى هَلْ تَهُبُّ على نَجْدِ

وعن أُقْحُوَانِ الرَّمْلِ ما هُوَ فاعلٌ   إذا هُوَ أَسْرَى لَيْلَةً بثَرىً جَعْدِ

وهَلْ تَنْفُضَنَّ الرِّيحُ أَفْنَانَ لِمَّتِي لي   لاحِقِ الرِّجْلَيْنِ مُنْدَلِق الوَخْدِ

وهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمةٍ   تُطَالِعُ من وَهْدٍ خَصِيبٍ إلى وَهْدِ

وفي وجهه هذا يقول:

دَعَا المُحْرِمُونَ اللهَ يَسْتَغْفِرُونَهُ   بمكَّةَ لَيْلاً أَنْ تُمَحَّى ذُنُوبُها

ونادَيتُ يا رَبَّاهُ أَوَّلُ سالَتي   لنَفْسِي لَلَيْلى، ثمَّ أَنتَ حَسِيبُها

فإِنْ أُعْطَ لَيْلَى في حَيَاتِي لا يَتُبْ   إلى اللهِ عَبْدٌ تَوْبَةً لا أَتُوبُها

وخرج شيخ من بني مرة إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون، قال فدللت على خيمةٍ فأتيتها، فإذا أبوه شيخ كبير وإخوة له رجالٌ، وإذا نعم ظاهرةٌ وخيرٌ كثير، فسألتهم عن المجنون؟ فاستعبروا جميعاً وبكوا، قال الشيخ والله لهو كان آثر هؤلاء عندي، وإنه عشق امرأةً من قومه، والله ما كانت تطمع في مثله، فلما أن فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجه إياها بعد ظهور الخبر، فزوجها من رجلٍ آخر، فجن ابني وجداً عليها وصبابة بها، فحبسناه وقيدناه فكان يعض لسانه وشفتيه، حتى خشينا أن يقطعهما، فلما رأينا ذلك خلينا سبيله، فهو في هذه الفيافي مع الوحش، يذهب في كل يومٍ بطعامه فيوضع له حيث يراه، فإذا تنحوا عنه، جاء فأكل، وإذا أخلقت ثيابه أتوه بثياب فيلقونها حيث يراها، ويتنحون عنه، فإذا رآها أتاها فألقى ما عليه ثم لبسها.

قال فسألتهم أن يدلوني عليه لآتيه؟ فدلوني على فتىً من الحي، وقالوا لو يزل صديقه، وليس يأنس بأحدٍ إلا به، فهو يأخذ أشعاره فيأتينا بها، فأتيته فسألته أن يدلني على ما أحتال به للدنو منه، فقال إن كنت تريد شعره فكل شعرٍ قاله إلى أمسٍ فهو عندي، وأنا أذهب غداً، فإذا كان قال شيئاً أتيتك به، قال فقلت له لا، بل تدلني عليه فآتيه، فقال إن نفر منك تخوفت أن ينفر مني فيذهب شعره!

قال فأبيت إلا أن يدلني عليه، فقال نعم، اطلبه في هذه الصحارى، فإذا رأيته فادن منه مستأنساً، ولا تظهر النفارمنه، فإنه يتهددك ويتوعدك، وبالحرى أن يرميك بشيءٍ إن كان بيده، واجلس كأنك لا تنظر إليه، والحظه ببصرك، فإذا رأيته قد سكن أو عبس بيده فأنشده شعراً إن كنت تروي لقيسٍ بن ذريح شيئاً، فإنه

يعجب به.

قال فخرجت أدور يومي، فما رأيته إلا بعد العصر جالساً على قوز من رمل، قد خط بإصبعه فيه خطوطاً، فدنوت منه غير منقبضٍ منه، فنفر والله مني كما تنفر الوحش إذا نظرت إلى الإنس، وإلى جانبه أحجار ململمة، فتناول واحداً منها، فأقبلت حتى جلست إليه، ومكث ساعةً وكأنه الشيء النافر المتهيئ للقيام، فلما طال جلوسي سكن وأقبل يعبث بأصابعه، فنظرت إليه، فقلت أحسن والله قيس بن ذريحٍ حيث يقول:

وإنِّي لمُفْنٍ دَمْعَ عَيْنَيَّ بالبُكَا ... حِذارَ الَّذي لَمَّا يَكُنْ وهْوَ كائنُ

وقالوا غَداً أَو بَعْدَ ذاكَ بلَيْلَةٍ ... فِراقُ حَبيب لم يَبِنْ وهْوَ بائنُ

وما كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي ... بكَفَّيَّ إلاَّ أَنَّ مَنْ حانَ حائنُ

فبكى طويلاً، ثم قال أنا والله أشعر منه حيث أقول:

وأَدْنَيْتِني حتَّى إذا ما سَبَيْتِني ... بقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأَباطِحِ

تَجافَيْتِ عَنِّي حِينَ لا لِيَ حِيلَةٌ ... وخَلَّيْتِ ما خَلَّيْتِ بَيْنَ الجَوانحِ

ثم عنت له ظباءٌ فوثب في طلبها، فانصرفت، ثم عدت من الغد فلم أصبه، فرجعت فأخبرتهم، فوجهوا الذي كان يذهب بطعامه فأخبرهم أنه على حاله لم يأكل منه شيئاً، ثم عدت اليوم الثالث فلم أصبه، ونظرت إلى طعامه فإذا هو على حاله، ثم غدوت بعد ذلك وغدا إخوته وأهل بيته، فطلبناه يومنا وليلتنا، فما أصبناه، فلما أصبحنا أشرفنا على وادٍ كثير الحجارة، فإذا هو ميتٌ بينها، فاحتملوه ودفنوه.

وللمجنون عقبٌ بنجدٍ. ولم يقل أحد من الشعراء في معنى قوله وأدنيتني حتى إذا ما سبيتني. شيئاً هو أحسن منه.

ونحوه قول ابن الأحنف:

أَشْكُو الَّذِينَ أَذَاقُوني مَحَبَّتَهُمْ ... حتَّى إذا أَيْقَظُوني بالهَوَى رَقَدُوا

ومن جيد شعره، ويقال إنه منحول:

إنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ ملَّها ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوىً لَّها

فإذا وجَدتَ لها وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ ... شَفَعَ الضَّميرُ إلى الفُؤادِ فسلَّها

بَيْضاءُ باكَرَها النَّعيمُ فصاغَها ... بلَبَاقَةٍ فأَدَقَّها وأَجَلَّها

إنِّي لأَكْتُمُ في الحَشَا من حُبِّها ... وَجْداً لَوَ أصْبَحَ فَوْقَهَا لأَظَلَّها

وَيَبِيتُ تَحْتَ جَوانِحي حُبٌّ لها لو كان تَحْتَ فِراشِها لأَقَلَّها

ضَنَّتْ بنائِلِها فقُلْت لِصاحِبي ما كان أَكْثَرَها لَنَا وأَقَلَّها

ومن شعره الجيد قوله:

وخَبَّرْتُماني أَنَّ تَيْمَاءَ مَنْزِلٌ لِلَيْلى إذا ما الصَّيْفُ أَلْقَى المَرَاسيَا

فهذِي شُهُورُ الصَّيْفِ أَمْسَت قد انْقَضَت فما للنَّوَى تَرْمِي بلَيْلَى المَرَامِيَا

ولَوْ كان واشٍ باليَمَامَةِ دارُهُ وداري بأَعْلى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا

إذا ما جَلَسْنا مَجْلِساً نَسْتَلِذُّه تَوَاصَوْا بنا حَتَّى أَمَلَّ مَكَانيَا

وماذا لَهُمْ، لا أَكْثَرَ الله حَظَّهُمْ، منَ الحَظِّ في تَصْرِيم لَيْلى حِبَالِيَا

وفيها يقول:

وإنِّي لأَسْتَغْشِي وما بِيَ نَعْسَةٌ لَعَلَّ خيَالاً منْك يَلْقَى خيَالِيَا

وأَخْرُجُ من بَيْنِ الجُلُوسِ لَعَلَّني أُحَدِّثُ عَنْكِ النَّفْسَ في السِّرِّ خَالِيَا

هذا مثل قول ذي الرمة:

أُحِبُّ المَكانَ القَفْرَ من أَجْلِ أَنَّني به أَتَغَنَّى باسْمِها غَيْرَ مُعْجَم

ومما نحل:

يا حبَّذا عَمَلُ الشَّيْطانِ من عَمَلٍ إنْ كان من عَمَلِ الشَّيْطانِ حُبِّيها

العرجي

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان. وكان يترل بموضعٍ قبل الطائف يقال له العرج فنسب إليه.

وهو أشعر بني أمية، وكان يهجو إبراهيم بن هشام المخزومي، فأخذه فحبسه. وهو القائل في السجن:

كأَنِّيَ لم أَكُنْ فيهمْ وَسِيطاً ولم تَكُ نِسْبَتِي في آلِ عَمْرِو

أَضاعُوني وأَيَّ فَتىً أَضاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

ومر رجلان من قريش بعرج الطائف وبه العرجي، فاستتر منهما، وأمر غلمانه فأقروهما بشيء من لبنٍ وأقراصٍ، وألقوا لبعيرهما حمضاً، فلم يلبثا إلا يسيراً حتى أتى ابن لوذان مولى معاوية وغيره على حمير، فلما علم بهم العرجي ظهر ودعا لهم بالقسب والجلجلان، فقال أحد القرشيين:

سَرَتْ ما سَرَتْ من ليلها ثم عَرَّجَتْ ... على رَجُلٍ بالعَرْجِ ألأَمَ من كَلْبِ

جَلَسْنا طَوِيلاً ثم جاءَ بصرَبْةٍ ... على قُرْص دُخْنٍ مِثْلَ كِرْكِرَةَ السَّقْبِ

فأَمّا بَعِيرانا فبالحَمْضِ غُذِّيَا ... وأُوثِرَ أَعْيارُ ابنِ لَوْذانَ بالقَضْبِ

جَعَلْتَ خِيَارَ الناسِ دُونَ شِرَارِهِمْ ... وآثَرْتَهُمْ بالجُلْجُلانِ وبالقَسْبِ

ومما يستجاد له قوله:

سَمَّيْتَني خَلَقاً لخُلَّةٍ قَدُمَتْ ... ولا جَدِيدَ إذا لم يُلْبَسِ الخَلَقُ

يا أَيَّها المُتَحَلِّي غَيرَ شيمَته ... ومن سَجِيَّته الإكثارُ والمَلَقُ

ارْجِعْ إلى خُلْقِكَ المَعْروفِ دَيْدَنُهُ ... إنَّ التَّخلَقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ

وهو القائل:

هَلْ في ادِّكارِ الحَبِيبِ من حَرَجِ ... أَمْ هَلْ لِهَمِّ الفُؤَادِ من فَرَجِ

أَمْ كيْفَ أَنْسى مَسِيرَنا حُرُماً ... يَوْمَ حَلَلْنا بالنَّخْلِ من أَمَجِ

يَوْمَ يَقُولُ الرَّسُولُ قد أَذِنَتْ ... فأْتِ على غَيرِ رِقْبَةٍ فَلِجِ

أَقْبَلْتُ أَهْوِي إلى رِحالِهِمُ ... أُهْدَى إِلَيْها بريحِها الأَرِجِ

ويقال هو لجعفر بن الزبير.

موسى شهوات

هو موسى، وكان يلقب شهواتٍ، لأن عبد الله بن جعفر كان يتشهى عليه الأشياء فيشتريها له موسى ويتربح عليه، وهو مولى بني سهم، وأصله من أذربيجان.

وذكر أبو اليقظان عن جويرية قال ليس بالمدينة شاعرٌ من الموالي إلا وأصله من أذربيجان، ثم عد إسماعيل بن يسار، وأخوه موسى شهوات، وأبا العباس.

وكان فيه تخنيث. وهوى أمةً من إماء المدينة، فأتى سعيد ابن خالد بن عمرو بن عثمان، فشكا إليه حبها

وسأله شراءها له، فاعتل عليه، فأتى سعيد بن خالد بن أسيد، فشكا إليه، فأمر له بثمنها، وزاده مائة دينار لجهارها وكسوتها، فقال فيه شعراً:

سَعِيدَ النَّدَى أَعْنِي سعيدَ بن خالِدِ أَخَا العُرْفِ لا أَعْنِي ابنَ بِنْتِ سَعِيدِ

ولَكِنَّنِي أَعْنِي ابنَ عائِشَةَ الَّذِي كِلا أَبوَيْهِ خالِدُ بنُ أَسِيدِ

عَقِيدَ النَّدَى ما عاشَ يَرْضَى به النَّدَى فإنْ ماتَ لم يَرْضَ النَّدَى بعَقِيدِ

وأم خالد هذا عائشة بنت خلف الخزاعية، أخت طلحة الطلحات لأمه.

وهو القائل:

لَيْسَ فيما بَدَا لنا مِنْكَ عَيْبٌ عابَهُ الناسُ غَيْرَ أَنَّكَ فاني

أَنْتَ نِعْمَ المَتَاعُ لو كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لا بَقَاءَ لِلإِنْسَانِ

عروة بن أذينة

هو من بني ليث. وكان شريفاً ثبتاً يحمل عنه الحديث، ووفد على هشام بن عبد الملك فقال له ألست القائل:

لَقَدْ عَلِمتُ فما الإِسْرَافُ في طَمَعِي أَنَّ الَّذِي هو رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي

أَسْعَى له فيُعَنِّينِي تَطَلُّبُهُ ولو قَعَدْتُ أَتَانِي لا يُعنِّينِي؟

قال نعم، قال فما أقدمك علينا؟! قال سأنظر في أمري! وخرج من فوره ذلك فانصرف، فأخبر بذلك هشام، فأتبعه جائزته.

وهو القائل:

قالَتْ وأَبْثَثْتُهَا وَجْدِى فبُحْتُ به قد كُنْتَ عِنْدِي تُحبُّ السَّتْرَ فاسْتَتِر

أَلسْتَ تَبْصِرُ مَنْ حَوْلي؟ فقُلْتُ لها غَطَّى هَوَاكِ وما أَلْقَى على بَصَرِى

ووقفت عليه امرأة فقالت أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح، وأنت تقول:

إذا وَجَدْتُ أُوَارَ الحُبِّ في كَبِدِى عَمَدْتُ نَحْوَ سِقاءِ القَوْمِ أَبتَرِدُ

هذا بَرَدْتُ بِبَرْدِ الماءِ ظاهِرَهُ فمَنْ لنَارٍ على الأَحْشَاءِ تَتَّقِدُ؟

لا والله، ما قال هذا رجل صالح قط.

وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال كان عروة بن أذينة ثقة ثبتاً، يروي عنه مالك بن أنس الفقيه.

قال قلوص وعروة هو القائل:

يا دِيَارَ الحَيِّ بالأَجَمَهْ لم تُبَيِّنْ دارُها كَلِمَهْ

الشعر له وهو وضع لحنه.

الكميت

هو الكميت بن زيد، من بني أسد، ويكنى المستهل، وكان معلماً.

وحدثنا سهل عن الأصمعي عن خلف الأحمر قال رأيت الكميت بالكوفة في مسجدٍ يعلم الصبيان. وكان أصم أصلخ لا يسمع شيئاً.

وكان بينه وبين الطرماح من المودة والمخالطة ما لم يكن بين اثنين، على تباعد ما بينهما في الدين والرأي، لأن الكميت كان رافضياً، وكان الطرماح خارجياً صفرياً، وكان الكميت عدنانياً عصبياً، وكان الطرماح قحطانياً عصبياً، وكان الطرماح متعصباً لأهل الكوفة، وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام.

وكان الكميت شديد التكلف في الشعر، كثير السرقة، قال امرؤ القيس بن عابس الكندي، وكانت له صحبة:

قفْ بالدِّيارِ وُقُوفَ حابِسْ وتَأَىَّ إنَّكَ غَيْرُ آيِسْ

ماذا عليكَ منَ الوُقُو فِ بهامِدِ الطَّلَلَيْنِ دارِسْ

لَعِبَتْ بِهِنَّ العاصِفَا تُ الرائحاتُ مِنَ الرَّوَامِسْ

أخذه الكميت كله غير القافية فقال:

قِفْ بالدِّيارِ وُقُوفَ زائِرْ وتأَىَّ إنَّكَ غَيْرُ صاغِرْ

ماذا عليك من الوُقُو فِ بهامِدِ الطَّلَلَيْنِ داثِرْ

دَرَجَتْ عَلَيْهِ الغاديا تُ الرائحاتُ مِنَ الأَعاصِرْ

وكذلك سائر الأبيات بعد هذا، إلا القليل، أخذه غير القافية.

وقد قدمت في أخبار الشعراء ما أخذه من أشعارهم.

ووقف الكميت على الفرزدق وهو ينشد، والكميت يومئذٍ صبي، فقال له الفرزدق يا غلام! أيسرك أني أبوك! فقال الكميت.

أما أبي فلا أريد به بدلاً، ولكن يسرني أن تكون أمي، فحصر الفرزدق يومئذٍ، وقال ما مر بي مثلها قط.
ويستجاد قوله في ذكر النبي "صلى الله عليه وسلم":

يَقُولُونَ لم يُورَثْ ولولا تُرَاثُهُ لَقَدْ شَرِكَتْ فيه بَكِيلٌ وأَرْحَبُ
ولاَنْتَشَلَتْ عُضْوَيْنِ منها يُحَابِرٌ وكان لعَبْدِ القَيسِ عُضْوٌ مُؤرَّبُ
فَإِنْ هي لم تَصلُحْ لِحَيٍّ سِوَاهُمُ إِذَنْ فذَوُو القُرْبَى أَحَقُّ وأَقْرَبُ
فيالَكَ أَمْراً قد أُشِتَّتْ وُجُوهُهُ وداراً تَرَى أَسْبَابَها تَتَقَضَّبُ
تَبَدَّلَتِ الأَشْرَارَ بَعْدَ خِيَارِها وجُدَّ بها من أُمَّةٍ وَهْيَ تَلْعَبُ

وقد قايس في هذا الشعر وذهب مذهباً لو لم يكن النبي"صلى الله عليه وسلم" جعل الأيمة من قريش.
وقال يصف هشام بن عبد الملك:

مُصِيبٌ على الأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ لما قال فيها مُخْطِئٌ حِينَ يَنْزِلُ

ومن جيد شعره قوله:

أَلاَ لاَ أَرَى الأَيَّامَ يُقْضَى عَجِيبُها لِطُولٍ، ولا الأَحْدَاثَ تَفْنَى خُطُوبُهَا
ولا عِبَرُ الأَيَّامِ يَعْرِفُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ مِنَ الأَقْوَامِ إِلاَّ لَبِيبُهَا
ولم أَرَ قَوْلَ المَرْءِ إِلاَّ كَنَبْلِه له وبه مَحْرومُها ومُصِيبُها
وما غُيِّبَ الأَقْوامُ عن مِثْلِ خُطَّةٍ تَغَيَّبَ عَنْها يَوْمَ قِيلَتْ أَرِيبُها
وأَجْهَلُ جَهْلِ القَوْمِ ما في عَدُوِّهِمْ وَأَرْدَأُ أَحْلاَمِ الرِّجَالِ غَرِيبُها
وما غُبِنَ الأَقْوَامُ مِثْلَ عُقُولِهِمْ ولا مِثْلَها كَسْباً أَفَادَ كَسُوبُها

وهَلْ يَعْدُوَنْ بَيْنَ الحَبِيبِ فِراقَهُ؟ نَعَم، داءُ نَفْسٍ أَن يَبِينَ حَبِيبُها
ولكِنَّ صَبْراً عن أَخٍ عَنْكَ صابِرٍ عَزَاءً إِذا ما النَّفْسُ حَنَّ طَرُوبُها
رَأَيْتُ عِذَابَ الماءِ إِن حِيلَ دُونَها كَفَاكَ لِمَا لا بُدَّ منه شَرُوبُها
وإِن لَمْ يَكُنْ إِلاَّ الأَسِنَّةَ مَرْكَبٌ فلا رَأَيَ للمضْطَرِّ إِلاَّ رُكُوبُها

وابنه المستهل هو القائل لبني العباس:

إِذا نَحْنُ خِفْنَا في زمان عَدُوِّكُمْ وخِفْنَاكُمُ إِنَّ البَلاَءَ لَرَاكِدُ

الطرماح

هو الطرماح بن حكيم، من طيءٍ، ويكنى أبا نفر. وكان جده قيس بن جحدر أسره ملك من ملوك جفنة، فدخل عليه حاتم طيءٍ، فاستوهبه وقال:

فَكَكْتَ عَديًّا كلَّها من إسارها ... فأَفْضِلْ وشَفِّعنى بقَيْسِ بن جَحْدَرِ

أَبُوهُ أَبِى والأُمُّ من أُمَّهاتِنا ... فأَنْعِمْ فدَتْكَ اليَوْمَ نَفْسِي ومَعْشَرِي

فأطلقه.

ووفد قيس بن جحدر على رسول الله "صلى الله عليه وسلم"وأسلم.

والطرماح هو ابن حكيم ابن نفر بن قيس بن جحدر.وكان الطرماخ خطيباً.

قال محمد بن سهل راوية الكميت أنشدت الكميت قول الطرماح:

إذا قُبِضَتْ نَفْسُ الطِّرِمَّاح أَخْلَقَتْ ... عُرَى المَجْدِ واسْتَرخَى عِنَانُ القَصَائِدِ

فقال الكميت أي والله وعنان الخطابة والرواية.

وكان نشأ بالسواد.

وقال رؤبة كان الكميت والطرماح يسألانني عن الغريب ثم أجده بعد ذلك في أشعارها.

وهو القائل:

وما أنا بالراضي بما غَيْرُهُ الرِّضَى ... ولا المُظْهِرِ الشَّكْوَى ببعْضِ الأَماكِنِ

وقال يهجو بني تميم:

ولا أَعْرِفُ النُّعْمَى عَلَيَّ ولم تَكُنْ ... وأَعْرِفُ فَضْلَ المَنْطِقِ المُتَغَابِن

أَفَخْراً تَميماً إذْ فُتَيَّةُ خَبَّت ... ولُؤْماً إذا ما المَشْرَفِيَّةُ سُلَّت

ولَوْ خَرَجَ الدَّجَّالُ يَنْشُدُ دِينَهُ ... لَوافَتْ تَميمٌ حَوْلَهُ وَاحْزَأَلَّت

فرَاشَ ضَلاَلٍ بالعراقِ ونَبْوَةٍ ... إذا مات مَيْتٌ من قُرَيْشٍ أَهَلَّت

فَخَرْتَ بيَوْمِ العَقرِ شَرْقيَّ بابلٍ ... وقد جَبُنَتْ فيه تَميمٌ وفُلَّت

فَخَرْتَ بيَوْمٍ لم يَكُنْ لَكَ فَخْرُهُ ... وقد نهلتْ منْكَ الرِّماحُ وعلَّت

كفَخْرِ الإماءِ الرائحَاتِ عَشِيَّةً ... برَقْمِ حُدُوجِ الحَيِّ لَمَّا استَقَلَّت

تَميمٌ بطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى منَ القَطَا ... ولو سَلَكَتْ سُبْلَ المَكَارِمِ ضلَّت

ولَوْ أَنَّ بُرْغُوثاً على ظَهْرِ قَمْلَةٍ ... يَكُرُّ على صفَّيْ تَميم لَوَلَّت

ولَوْ أَنَّ حُرْقُوصاً يُزَقَّقُ مَسْكَهُ ... إذن نَهِلَتْ منه تَميمٌ وعلَّت

ولَوْ جَمَعَتْ يَوماً تَميمٌ جُمُوعَها ... على ذَرَّةٍ مَعْقُولَةٍ لاستَقَلَّتِ

ولَوْ أنَّ أُمَّ العَنْكَبُوت بَنَتْ لها ... مَظَلَّتَها يومْ النَّدَى لأكَنَّتِ

وهذا من الإفراط.

وقال أيضاً:

لا عَزَّ نَصْرُ امْرِئٍ أَمْسَى له فَرَسٌ ... على تَميمٍ يُرِيدُ النَّصْر منْ أَحَدِ

لَوْ حانَ وِرْدُ تَميمٍ ثم قيلَ لها ... حَوْضُ الرَّسُولِ عليْه الأَزْدُ. لم تَرِد

أَوْ أَنْزَلَ اللهُ وَحْياً أَنْ يُعَذِّبَها ... إنْ لم تَعُدْ لقتَالِ الأَزْدِ لم تَعُدِ

وكُلُّ لُؤْمٍ أَبانَ الدَّهْرُ أَثْلَتَهُ ... ولُؤْمُ ضَبَّةَ لم يَنْقُصْ ولم يَبِدِ

لَوْ كان يَخْفَى على الرَّحْمَن خافيَةٌ ... من خَلْقِهِ خَفِيتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدِ

قَوْمٌ أَقَامَ بدارِ الذُّلِّ أَوَّلُهُمْ ... كما أَقامَتْ عَلَيْه جِذْمَةُ الوَتِدِ

فاسْأَلْ قُفَيْرَةَ بالمَرُّوت هَلْ شَهِدَتْ ... عَسْبَ الحُطَيْئَةِ بَيْنَ الكِسْرِ والنَّضَدِ

أَمْ كان في غالبٍ شِعْرٌ فَيُشْبِهَهُ ... شِعْرُ ابْنِه فيَنَالَ الشِّعْرَ من صَدَدِ

جاءَتْ به نُطْفَةً من شرِّ ماءٍ صَرىً ... سِيقَتْ إلى شَرِّ وادٍ شُقَّ في جَدَدِ

لا تَأْمَنَنَّ تَميميًّا على جَسَدٍ ... قد مات، ما لم تُزايلْ أَعْظُمُ الجَسَدِ

وقال أيضاً:

لَقَدْ زادني حُبًّا لنَفْسيَ أَنَّني ... بَغيضُ إلى كُلِّ امْرِئٍ غَيْر طائلِ

إذا ما رآني قَطَّعَ الطَّرْفَ دُونَهُ ... ودُونيَ فعْلَ العارف المُتَجَاهِلِ

مَلأْتُ عليه الأَرضَ حتى كأنَّها ... من الضِّيقِ في عَيْنَيْه كفَّةُ حابلِ

وإني شَقيٌّ باللِّئَامِ ولا ترَى ... شقيًّا بِهِمْ إلاَّ كَريمَ الشَّمائلِ

وقال:

فيا ربِّ لا تَجْعَلْ وَفَاتيَ إنْ دَنَتْ ... على شَرْجَعٍ يُعْلَى بدُكْنِ المَطَارِفِ

ولكنْ أَحِنْ يَوْمي شَهيداً وعُصْبَةً ... يُصَابُونَ في فَجٍّ منَ الأَرض خائفِ

عَصَائِبُ من شَتَّى يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ... هُدَى الله نَزَّالُونَ عِنْد المَوَاقفِ

إذا فارقُوا دُنْيَاهُمُ فارَقُوا الأَذَى ... وصارُوا إلى مَوْعُودِ ما في المَصَاحِفِ

فأُقْتَلَ قَعْصاً ثُمَّ يُرْمى بأَعْظُمي　　كضِغْث الخَلاَبَيْنَ الرِّيَاحِ العَواصف

ويُصبْحَ لَحْمِي بَطْنَ طَيْرٍ مَقِيلُهُ　　دُوَيْنَ السَّمَاءِ في نُسُورٍ عَوَائفِ

وكان يرى رأى الخوارج.

وقال:

لَقَدْ شَقِيتُ شَقَاءً لا انْقطَاعَ له　　إِنْ لم أَفُزْ فَوْزَةً تُنْجِي منَ النَّارِ

والنارُ لم يَنْجُ من رَوْعاتِها أَحَدٌ　　إلاَّ المُنِيبُ بقلْبِ المُخْلِص الشَّارِي

أَو الَّذي سَبَقَتْ من قبْلِ مَوْلِدِه　　له السَّعَادَةُ منْ خَلاَّقِهَا البارِي

وكان الأصمعي يستجيد قوله في صفة الظليم:

مُجْتابُ شَمْلَةِ بُرْجُدٍ لِسَرَاتِه　　قَدَراً، وَأَسْلَمَ ما سِوَاهُ البُرْجُدُ

ويستجيد قوله في صفة الثور:

يَبْدُو وتُضمِرُهُ البِلادُ كأَنَّه　　سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

العجاج الراجز

هو عبد الله بن رؤبة، من بني مالك بن سعد بن زيد مناة ابن تميم. وكان يكنى أبا الشعثاء، والشعثاء ابنته، وكان لقى أبا هريرة وسمع منه أحاديث.

قال العجاج قال لي أبو هريرة ممن أنت؟ قلت من أهل العراق، قال يوشك أن تأتيك بقعان الشام فيأخذوا صدقتك، فإذا أتوك فتلقهم بها، فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخل عنهم وعنها، وإياك وأن تسبهم، فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك، وإن صبرت جاءت في ميزانك يوم القيامة.

وقال سليمان بن عبد الملك للعجاج إنك لا تحسن الهجاء، فقال إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن تظلم، وأحساباً تمنعنا من أن نظلم، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم؟ وإنما سمى العجاج بقوله:

حتى يعج عندها من عجعجا

قال وقلت هذه الأجوزة في ليلة واحدة، وانثالت علي انثيالاً.

وسمعه رجل من بني الحرماز ينشد:

كأَنَّ تَحْتِي كُنْدُراً كُنَادِرا　　تَرَى بِلِيتَيْ عُنْقِه مَزَارِرَا

منَ الكِدَام جالباً وجادِرَا

فقال تركته فرداً بلا أتن، هلا قلت:

في عانَةٍ يَقْسِرُها المَقَاسِرَا بصُلْبِ رَهْبَى تَجْمَعُ الضرَّائِرَا
حَوْلاً وأُخْرى تَحْمِلُ النَّعائِرَا؟

ومما أخذ عليه قوله:

كأَنَّ عَيْنَيْهِ منَ الغُؤور قَلْتانِ في لَحْدِ صَفاً مَنْقُور
أَذاك أو حَوْجَلَتَا قارُورِ صَيَّرَتْنَا بالنَّضْحِ والتصبْيرِ
صَلاصِلَ الزَّيتِ إِلى الشُّطُورِ

الحوجلتان القارورتان، وجعل الزجاج ينضح ويرشح.

وولد العجاج رؤبة والقطامى.

رؤبة بن العجاج

حدثني الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس قال أتيت رؤبة ومعي ابن نوح. وكنا نفلس ابنة عبد الله، أي نعطيه الفلوس فيخرجه إلينا! فقال ابن نوح أصبحت كما قلت:

كالكُرَّزِ المَرْبوط بَيْنَ الأَوْتادْ ساقَطَ عَنْهُ الرّيشَ قبْلُ الإبْرَادْ

فقال ما زلت لك ماقتاً. قال يونس فقلت بل أصبحت كما قال ابن أبي سلمى:

فأَبْقَيْنَ منه وأَبْقَى الطرا دُ بَطْناً خَمِيصاً وصُلْباً سَمِينَا

فقال سل عما شئت.

قال وقال ابن سلام عن يونس، قال لي رؤبة حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل وأزوقها لك! أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك.

حدثني سهل بن محمد قال حدثني أبو عبيدة قال دخلت على رؤبة وهو يمل جرذاناً في النار! فقلت له أتأكلها؟! قال نعم، إنها خيرٌ من دجاجكم، إنها تأكل البر والتمر.

وحدثني عن الأصمعي عن عقبة بن رؤبة عن أبيه قال بينا أنا أصلح برذعةً لي وأنا أقول:

حَتَّى احْتَضَرْنا بَعْدَ سَيْرٍ حَدْسِ
إمامَ رَغْسٍ في نِصابٍ رَغْسِ خَلِيفَةً ساسَ بغَيْرِ تَعْسِ

بَيْنَ ابْنِ مَرْوانَ قَرِيعِ الإِنَسِ

وبِنْتِ عَبَّاسَ قَرِيعِ عَبْسِ		أَنْجَبَ عِرْسٍ جُبِلاَ وعِرْسِ!

فذهب بها كلها، لا والله ما له منها إلا أربعة أبيات.

وأنشد رؤبة سلم بن قتيبة قوله في وصف قوائم الفرس

يَهْوِينَ شَتَّى ويَقَعْنَ وَقْقَا

فقال له سلم أخطأت في هذا يا أبا الجحاف، جعلته مقيداً، فقال له رؤبة أدنني من ذنب البعير.

قال الأصمعي أخذ رؤبة من أبيه:

والسَّدُّ ما دام شِدَاداً أَرْدُمُهْ

حَدِيدُهُ وقِطْرُهُ ورَضَمُهْ		وعاد بَعْدَ النَّحْتِ جَوْناً حَنْتَمُهْ

وقال أبو العجاج:

بَلِيتِ والمِسْمارُ جَوْنٌ حَنْتَمُ		تَمْضِي الدَّوَاهِي حَوْلَهُ ويَسْلَمُ

والمسمار جبل.

قال قوله:

وبَلَدٍ يَغْتَالُ خَطْوَ المُخْتَطِي

سرقه من أبيه، قال أبوه:

وبَلَدٍ يَغْتَالُ خَطْوَ الخاطِي

قال وأخذ رؤبة قوله:

علَّى أَنْمارٌ من اغْتِباطِي		كالحَيَّةِ المُجْتَابِ بالأَرْقاطِ

أي جلود أنمار، من أوس بن حجر.

قال و لم يحسن رؤبة تلخيصه، قال أوس:

يَرَى الناسُ منَّا جِلْدٌ أَسْوَدَ سَالِخٍ		وفَرْوَةَ ضِرْغَامٍ مِنَ الأُسْدِ ضَيْغَمِ

قال وأخطأ رؤبة في قوله:

كُنْتُمُ كمَنْ أَدْخَلَ في حُجْرٍ يَدَا		فأَخْطَأَ الأَفْعَى ولاقَى الأَسْوَدَا

جعل الأفعى دون الأسود، وهي فوقه في المضرة.

قال وأخطأ في قوله يصف الظليم:

وكُلُّ زَجَّاجٍ سُخَامُ الخَمْل   تَبْرِي له في زَعِلاتٍ خُطْلِ

فجعل للظليم عدة إناثٍ كما يكون للحمار، وليس للظليم إلا أنثى واحدة.

قال وأخطأ في قوله في وصف الخمر:

وشَفَّها اللَّوْحُ بِمَأْزُولٍ ضيَقْ

ففتح الياء والصواب ضَيْق أو ضَيِّق

قال وكذلك قوله:

صَوَادِقَ العَقْبِ مَهَاذِيبَ الوَلَقْ

ففتح اللام، وإنما هو الوَلْق وهو سير سريع، يقال ولقَ يلِقُ ولْقاً. وقال آخر:

جاءَتْ به عَنْسٌ منَ الشَّأمِ تَلِقْ

وقال رؤبة أيضاً:

تَهْوِي إذا هُنَّ وَلَقْنَ وَلْقَا

قال وقال يصف الرامي:

لا يَلْتَوِي من عاطِسٍ ولا نَغَقْ

إنما هو النغيق والنغاق، وجاء بشيءٍ بينهما.

وقال في وصف القوس:

نَبْعِيَّةٌ ساوَرَها بَيْنَ النِّيقْ

قال والنِّيَق جمع نيقة، ولا يقال نِيَقَة، إنما هو النيق، وهو رأس الجبل.

قال وقوله:

إذا دنا مِنْهُنَّ أَنْقاضُ النُّقَقْ

يعني الضفاضع، وكان ينبغي أن يكون نقُق جمع نقوق.

قال وأخطأ في قوله:

أَقْفَرَتِ الوَعْساءُ والعَثَاعِثُ   مِنْ بَعْدِهِمْ والبُرَقُ البرَارِثُ

قال إنما هي البراث جمع برْثٍ، وهي الأرض اللينة. والبرقةُ موضع حجارة سودٍ وبيضٍ، ومنه يقال جبل أبرق.

وقال في قوله:

أَرْجُوكَ إذْ أَغْبَطَ دَيْنٌ وَالِثُ فما تَنِى يَرْغَثُ منك الراغِثُ

لم يحسن في البيتين جميعاً، لأنه ضعف أمر الدين بقوله والثُ لأن الوالث الشيء الضعيف غير المحكم، يقال ولث لي ولْثاً من عهدٍ إذا أعطاك عهداً غير محكم، والولْث اليسير من المطر، ولأنه جعل ما ينال منه رغثاً، وهو المصُّ.

وقال في قوله:

لَيْتَ المُنَى والدَّهْرَ جَرْيُ السُّمَّهِ

لم يحسن، إنما يقال ذهب في السُّمَّهى، أي في الباطل.

وقال في قوله:

أَو فِضَّةٌ أَو ذَهَبٌ كِبْرِيتُ

سمع بالكبريت الأحمر فظن أنه ذهب.

ومما يستقبح من تشبيهه قوله للمرأة:

يُكْسَيْنَ من لِين الشَّبَابِ نِيمَا

والنيمُ الفَرْوُ.

وقال في قوله:

كأَنَّ فَوْقَ الناصِعِ المُبَطَّنِ من حَبَراتِ العَيْش ذِي التَّدَهْقُنِ

باناً جَرى في الرازِقِيِّ البَهْمَنِي

والناصع الخالص، يريد خلده، أراد بالبان الدهن، قال والرازقي البهمن لم يقل فيه شيئاً، وأخشى أن يكون كفراً! وقال عبد الله بن سالم لرؤبة مت يا أبا الجحاف إذا شئت! قال وكيف؟ قال رأيت اليوم ابنك عقبة ينشد شعراً له أعجبني، قال رؤبة نعم، ولكن ليس لشعره قران، يريد أنه ليس يشبه بعضه بعضاً.

أبو نخيلة الراجز

اسمه يعمر. وإنما كن أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة. وهو من بني حمان بن كعب بن سعد. وهو القائل:

أَنا ابنُ سَعْدٍ وتَوَسَّطْتُ العَجَمْ فأَنا فيما شِئْتُ من خالٍ وعَمّْ

وكان يهاجي العجاج، فلما تنافرا في شعرهما حضرهما الصبيان، فذهب إنسان يطردهم، فقال العجاج دعهم فإنهم يغلِّبون ويبلغون.

وإياه عنى رؤبة بقوله:

فقُلْ لذاكَ الشاعِرِ الخَيَّاطِ

يريد أنه دعيٌّ يخيط إلى قومٍ ليس منهم، يقال " خاط بنا خيطة " أي مر بنا. ولأبي نخيلة عقب بالبصرة.

ويؤخذ على أبي نخيلة قوله في وصف امرأةٍ:

بَرِّيَّةٌ لم تأْكُل المُرَقَّقَا ولم تَذُقْ منَ البُقُولِ الفُسْتُقَا

ظن أن الفستق بقل!

وهو القائل:

وإِنَّ بقَوْمٍ سَوَّدُوكَ لَفاقَةً إِلى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بسَيِّدِ

أبو النجم الراجز

هو الفضل بن قدامة من عجل. وكان يترل بسواد الكوفة في موضعٍ يقال له الفرك، أقطعه إياه هشام بن عبد الملك.

وراجز العجاج فخرج العجاج على ناقةٍ له كوماء، وعليه ثياب حسان، وخرج أبو النجم على جملٍ مهنوءٍ، وعليه عباءةٌ، فأنشد العجاج:

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإِلَهُ فجَبَرْ

ثم أنشد أبو النجم:

تَذَكَّرَ القَلْبُ وجَهْلاً ما ذَكَرْ

حتى إذا بلغ إلى قوله:

إِنِّي وكُلُّ شَاعِرٍ منَ البَشَرْ شَيْطَانُهُ أُنْثَى وشَيْطَاني ذَكَرْ

فما رَآني شاعِرٌ إِلاَّ اسْتَتَرْ فِعْلَ نُجُومِ اللَّيلِ عايَنَّ القَمَرْ

عَشِّى تَميمُ واصْغُرِي فِيمَنْ صَغُرْ وجاوِرِي الذُّلَّ وأَعطِي مَن عَشَرْ

وأَمِّرِي الأُنْثَى عَلَيْكِ والذَّكَرْ فإِنَّما يَشْرَبُ مَنْ ذَلَ السُّؤَرْ

وارْضَىْ بِإِحْلابَةِ وَطْبٍ قَدْ حَزَرْ

فلما فرغ من إنشاده حمل جمله على ناقة العجاج يريدها! فضحك الناس وانصرفوا وهم ينشدون قوله:

شَيْطَانُهُ أُنْثَى وشَيْطَاني ذَكَرْ !

وأنشد أبو النجم هشام بن عبد الملك أرجوزته التي أولها:

الحَمْدُ للهِ الوَهُوبِ المُجْزِلِ

وهي أجود أرجوزةٍ للعرب، وهشام يصفق بيديه من استحسانه لها، فلما بلغ قوله في الشمس:

حَتَّى إذا الشَّمْسُ جَلاَها المُجْتَلى ... بَيْنَ سِمَاطَيْ شفَقٍ مُرَعْبَلِ

صَغْوَاءَ قد كادَتْ ولَمَّا تَفْعَلِ ... فَهِيَ على الأُفْق كَعَيْنِ الأَحْوَلِ

أمر هشامٌ بوجءِ رقبته وإخراجه، وكان هشام أحول.

وكان أبو النجم وصافاً للفرس، وأخذ عليه في صفته قوله:

يَسْبَحُ أُخْراه ويَطْفُو أَوَّلُهْ

قال الأصمعي إذا كان ذلك كذلك فحمار الكساح أسرع منه! لأن اضطراب مآخيره قبيح. قال وما أحسن في قوله "ويطفو أوله".

حدثني عبد الرحمن عن عمه عن أبيه قال رأيت فرس أبي النجم الذي كان يصفه، فقومته بخمسين درهماً! وقال:

تَعُدُّ عاناتِ اللَّوَى من مالِها

وأخذه أبو نواس فقال

تَعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أَقْوَاتِها

وأخذ قوله:

كَطَلْعَةِ الأَشمَطِ من جِلْبَابِهِ

يعنى من كسائه، من قول الأخر

كَطَلْعَةِ الأَشمَطِ من بُرْدٍ سَمَلْ

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال كان هشام بن عبد الملك مسبقاً لا يكاد يسبق، فسبق ذات يومٍ على فرس له أنثى، وصلى على ابنها، ففرح، وقال علي بالشعراء، قال أبو النجم فدعينا، فقيل لنا قولوا في هذه

الفرس السابقة وفي ابنها، فقال أصحاب القصيد أنظرنا حتى نقول، وقلت في مقامى ذلك هل لك في رجلٍ ينقدك إذا استنسئوك؟ قال هاته، فقلت من ساعتي:

أَشاعَ للغرَّاءِ فينا ذِكْرَها ... قَوَائِمٌ عُوجٌ أَطَعْنَ أَمْرَها

وما نَسِينَا بالطَّرِيقِ مُهْرَها ... حِينَ نَقِيسُ قَدْرَهُ وقَدْرَها

وصَبْرَه إِذْ أَوْعَثَا وصَبْرَها ... والماءُ يَعْلُو نَحْرَهُ ونَحْرَها

مَلْبُونَةً شَدَّ المَلِيكُ أَسْرَها ... أَسْفَلَها وبَطْنَها وظَهْرَها

قد كادَ هاديها يَكُونُ شَطْرَها ... لا تَأْخُذُ الحَلْبَةُ إِلاَّ سُؤْرَها

قال وقال له عبد الملك بن بشير بن مروان انعت لي فهودي هذه. فقال:

جاءَ مُطِيعٌ بمُطاوِعاتِ ... عُلِّمنَ أَو قَدْ كُنَّ عالِماتِ

فَهْيَ ضَوَارٍ من مُضَرَّيَاتِ ... تُرِيكَ آماقاً مُخَطَّطاتِ

سُوداً على الأَشْدَاقِ سَائِلاَتِ ... تَلْوِى بأَذْنابٍ مُوقَّفاتِ

حَتى إذا كُنَّ على المَجْراتِ ... حَيْثُ تَظُنُّ الوَحْشَ آخِذاتِ

قال أَلَسْتُنَّ بنازِلاتِ ... فسَكَرَ الطُّرْقَ بمُطْرِقاتِ

ثُمَّ حَدَوْنَ الوَحْش مُقْبِلاتِ ... فواثَبَتْهُنَّ مُشَمِّراتِ

فَلَوْ تَرَى التُّيُوسَ مُضْجَعاتِ ... عَلِمْتَ أَنْ لَيْسَ بسالِماتِ

أَقُولُ إِذْ جِئْنَ مُذَبَّحَاتِ ... على الأُكافَيْنِ مُعَدَّلاتِ

ما أَقْرَبَ المَوْتَ منَ الحَيَاة

وهو القائل:

قد زَعَمَتْ أُمُّ الخِيَارِ أَنِّي ... شِبْتُ وحَنَّى ظَهْرِيَ المُحَنِّي

وأَعْرَضَتْ فِعْلَ الشَّمُوسِ عَنِّي ... فَقُلْتُ ما داؤُكِ إِلاَّ سِنِّي

لَنْ تَجْمَعِي وِدِّي وأَنْ تَضِنِّي

وهو القائل:

كأَنَّ ظلاَّمَةَ أُخْتَ شَيْبَانْ ... يَتِيمَةٌ ووالِدَاها حيَّانْ

العُنْقُ منها عُطُلٌ والأُذْنانْ ... ولَيْسَ في الرِّجْلَيْنِ إلاَّ خَيْطانْ

وقُصَّةٌ قد شَيَّطَتْها النِّيرَانْ تِلْكَ الَّتي يَضْحَكُ منها الشَّيْطان

وهو القائل:

سُبِّي الحَمَاةَ وابْهَتِي عَلَيْها فإنْ أَبَتْ فازْدَلِفي إلَيْها

ثُمَّ اقْرَعِي بالوَدِّ مِرْفَقَيْها ورُكْبَتَيْها واقْرَعِي كَعْبَيْها

وأَعْلِقي كَفَّيْكِ في صُدْغَيْها

وقال:

أَوْصَيْتُ من بَرَّةَ قَلْباً حُرَّا بالكَلْبِ خَيْراً والحَمَاةِ شَرَّا

لا تَسأَمِي خَنْقاً لها وجَرَّا والحَيُّ عُمِّيهِمْ بشَرٍّ طُرَّا

ومما أخذ عليه قوله في البعير:

أَخْنَسُ في مِثْلِ الكِظامِ مَخْطِمُهْ

والأخنس القصير المشافر، وهذا عيب، وإنما توصف المشافر بالسبوطة. والكظام القنى التي يجري فيها الماء.

قالوا و لم يحسن في وصف ورود الإبل:

جاءَتْ تَسامَى في الرَّعِيلِ الأَولِ والظلُّ عن أَخْفافِها لم يَفْضُلِ

ذكر أنها وردت في المهاجرة، والعادة في هذا أن توصف بالورود غلساً والماء بارد، كقول الأخر:

فوَرَدَتْ قَبْلَ الصَّبَاح الفاتِقِ

وكقول لبيد:

إنَّ منْ وِرْدِى تَغْلِيسَ النَّهَلْ

وكقول الآخر:

فوَرَدْنَ قَبْلَ تَبَيُّنِ الأَلْوَانِ

وقوله في وصف راعي الإبل

صُلْبُ العَصَا جافٍ عَنِ التَّغَزُّلِ

قال الأصمعيُّ لا يوصف راعي الإبل بصلابة العصا، والجيد قول الراعي:

ضَعِيفُ العَصَا بادِي العُرُوقِ تَرَى لَهُ عليها إذا ما أَمْحَلَ الناسُ إصْبَعَا

ومن غلط أبي النجم قوله في فرس:

كأَنَّها مِيجَنَةُ القَصّارِ

والميجنة لصاحب الأدم، والميجنة التي يدق الأدم عليها، وهو الحجر أو غيره.

دكين الراجز

هو دكين بن رجاء، من بني فقيم قال دكين امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو وإلى المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقةً كرائم صعاب، فكرهت أن أرمي بها الفجاج فتنتشر علي، و لم تطب نفسي ببيعها، فقدمت علينا رفقة من مضر، فسألتهم الصحبة، فقالوا إن خرجت في ليلتك، فقلت إني لم أودع الأمير، ولا بد من وداعه، قالوا إنه لا يحتجب عن طارق ليل، فأتيته فاستأذنت عليه، فأذن لي، فدخلت وعنده شيخان لا أعرفهما، فودعته، فقال لي يا دكين، إنَّ لي نفساً تواقةً، فإن أنا صرت إلى أكثر مما أنا فيه فبعينٍ ما أرينك، فقلت أشهد لي عليك بذلك، فقال أشهد لله به، قلت ومن خلقه؟ قال هذين الشيخين، فأقبلت على أحدهما فقلت من أنت أعرفك؟ قال سالم بن عبد الله، قلت لقد استسمنت الشاهد، وقلت للآخر من أنت؟ قال أبو يحي مولى الأمير، فخرجت بهن إلى بلدي، فرمى الله في أذناهِنّ بالبركة حتى اعتقدت منهن الإبل والغلمان، فإني لبصحراء فلج إذا ناعٍ ينعى سليمان بن عبد الملك، قلت فمن القائم بعده؟ قال عمر بن عبد العزيز، فتوجهت نحوه، فلقيني جرير بالطريق جائياً من عنده، فقلت يا أبا حزرة، من أين؟ فقال من عند من يعطي الفقراء ويمنع الشعراء،ولكن عول عليه في مال ابن السبيل، فانطلقت فإذا هو في عرصة داره قد أحاط الناس به، فلم يمكني الرجل إليه فناديت:

يا عُمَرَ الخَيْرَاتِ والمَكَارِمْ وعُمَرَ الدَّسَائعِ العَظَائِمْ
إنِّي أمْرُؤٌ من قطَنِ بنِ دارِمْ أَطْلُبُ دَيْني من أَخٍ مُكارِمْ
إذْ نَنْتَجِي واللهُ غَيْرُ نائِمْ في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ولَيْلٍ عاتِمْ
عِنْدَ أَبي يَحْيى وعِنْدَ سالِمْ

فقام أبو يحي فقال يا أمير المؤمنين، لهذا البدوي عندي شهادة عليك، قال أعرفها، ادن مني يا دكين، أنا كما ذكرت لك. إن نفسي لم تنل أمراً إلا تاقت إلى ما هو فوقه، وقد نلت غاية الدنيا، فنفسي تتوق إلى الآخرة، والله ما رزأت من أموال الناس شيئاً فأعطيك منه، وما عندي إلا ألفا درهم، أعطيك أحدهما، فأمر لي بألفٍ، فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظم بركةٌ منه.

ودكين هو القائل:

إذا المَرْءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَديهِ جَميلُ
وإنْ هو لم يُضْرِعْ عن اللُّؤْمِ نَفْسَهُ فلَيْسَ إِلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سبيلُ

الأغلب الراجز

هو الأغلب بن جشم، من سعد بن عجل، وهو القائل في قومه:

إِنْ سَرّكَ العِزُّ فجَحْجِحْ بجُشَمْ

أي ايت بجحجاح منهم. ويقال بل هذا القول في جشم بن الجزرج.

وعاش تسعين سنة. وكان الأغلب جاهلياً إسلامياً، وقتل بنهاوند.

وهو أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله، وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة، إذا خاصم أو شاتم أو فاخر. وقد ذكره العجاج فقال:

إِنِّي أَنَا الأَغْلَب أَضْحَى قد نُشِرْ

أبو دهبل الجمحي

هو وهب بن زمعة، من بني جمح. وكان شاعراً محسناً، وأكثر أشعاره في عبد الله بن عبد الرحمن الأزرق وإلى اليمين، وفيه يقول:

تَحْمِلُه الناقَةُ الأَدْماءُ معْتَجِراً ... بالبُرْدِ كالبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ

وكيْفَ أَنساكَ! لا أَيْدِيكَ واحِدَةٌ ... عِنْدِي، ولا بالَّذِي أَوْلَيْتَ من قِدَمِ

ولما عزله عبد الله بن الزبير عن اليمن قال أبو دهبل في شعرٍ له:

ما زِلْتَ في دَفَعاتِ الخَيْرِ تَفْعَلُها ... لَمَّا اعْتَرَى الناسَ لأْواءٌ ومَجْهودُ

حَتَّى الَّذِي بَيْنَ عُسْفَانٍ إلى عَدَنٍ ... َحْبٌ لِمَنْ يَطْلُب المَعْروفَ أُخْدُودُ

وكانت لأبي دهبل ناقة لم يكن في زمانها أسير منها ولا أحسن وفيها يقول:

خرَجْتُ بها من بَطْنِ مَكَّةَ بعد ما ... أَصاتَ المُنادِي بالصَّلاةِ وأَعْتَمَا

فما نام من راعٍ ولا ارْتَدَّ سامِرٌ ... منَ اللَّيْلِ حَتَّى جاوَزَتْ بي يَلَمْلَمَا

وما ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ ... بعُلْيَبَ نَخْلاً مُشْرِفاً ومُخَيَّمَا

وكان يشبب بامرأة من قومه يقال لها عمرة، وكان لها عاشقاً، وفيها يقول:

تَطَاوَلَ هذا اللَّيْلُ ما يَتَبَلَّجُ ... وأَعيَتْ غَواشِي الهَمِّ ما تَتَفَرَّجُ

وبِتُّ مَبِيتاً ما أَنَام كأَنَّما ... خِلالَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَتَوَهَّجُ

فَطَوْراً أُمَنَّي النَّفْسَ من عَمْرةَ المُنَى وطَوْراً إذا ما لَجَّ بي الحزْنُ أَنْشِجُ

وقد قطَع الواشُونَ ما كان بَيْنَنا ونَحْن إلى أَن يُوصَل الحَبْلُ أَحْوَج

رَأَوْا عَوْرَةً فاستَقْبَلُوها بأَلْبِهِمْ فَرَاحوا على مالا نُحِبُّ وأَدْلَجُوا

وكانوا أُناساً كُنْتُ آمَنُ غَيْبَهم فلم يَنْهَهمْ حِلْمٌ ولم يَتَحَرَّجوا

فلَيْتَ كوَانيناً مِنَ أهلي وأَهْلِها بأَجْمَعِهمْ في بَحْرِ دِجْلَةَ لَجَّجُوا

فَهُمْ مَنَعُونا ما نُحِبُّ، وأَوْقَدُوا عَلَيْنا، وشَبُّوا نارَ صُرْمٍ تَأَجَّجُ

ولَوْ تَركُونا، لا هَدَى الله أَمْرَهُمْ ولم يُلْحِمُوا قَوْلاً مِنَ الشَّرّ يُنْسَجُ

لأَوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ تَفْرِيقَ بَيْنِنا ولا يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ والدَّهْرُ أَعْوَجُ

عَسَتْ كُرْبَةٌ أَمْسَيت فيها مُقِيمَةٌ يَكُونُ لنا منها رَخاءٌ ومَخْرَجُ

فيُكْبَتَ أَعْدَاءٌ ويَجْذَلَ آلِفٌ له كَبِدٌ من لَوْعَةِ الحُبِّ تَلْعَجُ

وإنّي لَمَحْزُونٌ عَشيَّةَ جِئْتُها وكُنْتُ إذا ما زُرْتُها لا أُعَرِّجُ

فلمّا الْتَقَيْنا لَجْلَجَتْ في حَدِيثِها ومن آيَةِ الصُّرْمِ الحَدِيثُ المُلَجْلَجُ

ابن الرقاع

هو عدي ابن الرقاع من عامة حيٍ من قضاعة، وكان يترل الشام. وكانت له بنت تقول الشعر، وأتاه ناس من الشعراء ليماتنوه، وكان غائباً عن مترله، فسمعت بنته، وهي صغيرة لم تدرك، ذرواً من وعيدهم، فخرجت إليهم وهي تقول:

تَجَمَّعْتُمُ من كُلِّ أَوْبٍ وبَلْدَةٍ علَى واحدٍ، لا زِلْتُمُ قِرْنَ واحدِ !!

فانصرفوا عنه ولم يهاجوه.

وكان شاعراً محسناً. وهو أحسن من وصف ظبيةً وصفاً، فقال:

كالظَّبْيَةِ البكْرِ الفَرِياة تَرْتَعي من أَرْضِها قَفَرَاتِها وعِهَادَها

خَضَبَتْ لها عُقَدُ البرَاقِ جَبِينَها من عَرْكِها علَجَانَها وعرَادَها

كالزَّيْنِ في وَجْه العَروسِ تَبَدَّلَتْ بَعْدَ الحَيَاءِ فلاعَبَتْ أَرْآدَها

تُزْجِي أَغَنَّ كأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَها

وفيه يقول يذكر شعره وعلمه:

وقَصيدَةٍ قد بتُّ أَجْمَعُ بَيْنَها حَتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَها وسِنَادَها
نَظَرَ المُثَقِّفِ في كُعُوبِ قَنَاتِه حَتَّى يُقِيمَ ثِقافُه مُنْآدَها
أَوَ ما تَرَى شَيْباً تَفَشَّغَ لِمَّتِي حَتَّى عَلَا وَضَحٌ يَلُوحُ سَوَادَها
فلَقَدْ تَبيتُ يَدُ الفَتَاةِ وِسَادَةً لِيَ جاعِلاً إِحْدَى يَدَيَّ وِسَادَهَا
ولَقدْ أَصَبْتُ منَ المَعِيشَةِ لَذَّةً ولقِيتُ مِنْ شَظَفِ الخُطُوبِ شِدَادَها
وعَمِرْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عالِماً عَنْ حَرْفِ واحِدَةٍ لِكَيْ أَزْدَادَها
صلَّى المَلِيكُ على امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ وأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وزادَها

ومنه أخذ الكتاب"وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك".

وهو القائل:

لَوْلا الحَيَاءُ وأَنَّ رَأسِيَ قد عَثَا فيه المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القاسمِ
وكأَنَّها وَسْطَ النَّسَاءِ أَعارَها عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ من جَآذِرِ جاسِمِ

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فرَنَّقَتْ في عَيْنِه سِنَةٌ وليس بنائمِ
يَصْطَادُ يَقْظانَ الرِّجالِ حَدِيثُها وتَطِيرُ بَهْجَتُها برُوحِ الحَالِمِ

وهو القائل:

لَوْ ثَوَى لا يَرِيمُها أَلْفَ حَوْلٍ لم يَطُلْ عِنْدَها عَلَيْهِ الثَّوَاءُ
أَهْوَاهَا يَشُفُّهُ أَمْ أُعِيرَتْ مَنْظَراً فَوْقَ ما أُعِيرَ النِّسَاءُ؟

وقال في عمر بن الوليد

وإِذَا نَظَرْتُ إِلى أَمِيرِيَ زَادَنِي ضَنّاً به نَظَرِي إِلى الأُمَرَاءِ
تَسْمُو العُيُونُ إِلَيْه حِينَ يَرَوْنَهُ كَالبَدْرِ فَرَّجَ بُهْمَةَ الظَّلْمَاءِ
والأَصْلُ يَنْبُتُ فَرْعُهُ مُتَأَثِّلاً والكَفُّ لَيْسَ بَنانُها بسوَاءِ
بَلْ ما رَأَيْتُ جِبالَ أَرْضٍ تَسْتَوِي فيما غَشِيتُ ولا نُجُومَ سَمَاءِ
والقَوْمُ أَشْباهٌ وبين حُلُومِهِمْ بَوْنٌ، كذاك تَفَاضُلُ الأَشْياءِ
والبَرْقُ منه وابِلٌ مُتَتَابِعٌ جَوْدٌ، وآخَرُ ما يَبِضَّ بماءِ

والمَرْءُ يُورِثُ مَجْدَهُ أَبْنائَه ... ويَمُوتُ آخَرُ وَهْوَ في الأَحْياءِ

وقال في آخر الرحلتين:

هَلْ أَنْتَ مُنْصَرِفٌ فتَنْظُرَ ما تَرَى ... أَبْقَى الحَوادِثُ من رُسُوم المَنْزِلِ

دارٌ بإِحْدَى الرِّحْلَتَيْنِ كأَنَّما ... قَدْ عُفِّيَتْ حِجَجاً ولمَّا تُحْلَلِ

وكذاك يَعْلُو الدَّهْرُ كُلَّ مَحَلَّةٍ ... حَتَّى تَصِيرَ كأَنَّها لم تُنْزَلِ

لا يَوْمَ إِلَّا سَوْفَ يُورِثُهُ غَدٌ ... والعامُ تارِكُهُ لآخَرَ مُقْبِلِ

ومما أخذه عديٌّ بن الرقاع أو أخذ منه قوله في فرس:

عن لِسانٍ كجُثَّةِ الوَرَلِ الاَحْ ... مَرِ مَجَّ النَّدَى عليه العَرَارُ

وقال بعض بني كلاب يصف فرساً:

كأَنَّ لِسانَهُ وَرَلٌ عَلَيْهِ ... بدار مضبَّةٍ مَجَّ العَرَارُ

عروة بن حزام

هو من عذرة، وهو أحد العشاق الذين قتلهم العشق.

وصاحبته عفراء بنت مالك العذرية.

وكان عروة يتيماً في حجر عمه، حتى بلغ، فعلق عفراء علاقة الصبي، وكانا نشآ معاً، فسأل عمه أن يزوجه إياها، فكان يسوفه، إلى أن خرج في عيرٍ لأهله إلى الشام، وخطب عفراء ابن عمٍ لها من البلقاء، فتزوجها، فحملها إلى بلده، وأقبل عروة في عيره راجعاً، حتى إذا كان بتبوك، نظر إلى رفقة مقبلة من ناحية المدينة فيها امرأةٌ على جملٍ أحمر، فقال لأصحابه والله لكأنها شمائل عفراء، فقالوا ويحك! ما تترك ذكر عفراء على حالٍ من الحال!! فلم يرع إلاَّ بمعرفتها، فبئس قائماً لا يحير جواباً، حتى نفذ القوم فذلك قوله:

وإِنِّي لَتعْرونِي لِذِكْرَاكِ رَوْعَةٌ ... لَهَا بَيْنَ جِلْدِي والعِظام دَبِيبُ

وما هو إلاَّ أَن أَراها فُجاءةً ... فأُبْهَتُ حَتَّى ما أَكادُ أُجِيبُ

وأُصْرَفُ عن رَأْيِي الَّذِي كُنْتُ أَرْتَئِي ... وأَنْسَى الَّذِي أَعْدَدْتُ حِينَ تَغِيبُ

ويُظْهِرُ قَلْبِي عُذْرَها ويُعِينُها ... عَلَّي، فما لي في الفُؤَادِ نَصِيبُ

وقد عَلِمَتْ نَفْسِي مَكانَ شِفَائِها ... قرِيباً، وهَلْ مالا يُنَالُ قَرِيبُ؟

لَئِنْ كان بَرْدُ الماءِ أَبْيَضَ صافِياً إلى حَبِيباً، إنَّها لَحَبِيبُ

ثم انصرف إلى أهله باكياً محزوناً، فأخذه الهلاس، حتى لم يبق منه شيء، وقال قوم هو مسحور، وقال قوم به جنةٌ، وقالوا باليمامة طبيب يقال له سالم، له تابع من الجن، وهو أطب الناس، فساروا إليه من أرض بني عذرة حتى جاؤوه، فجعل يسقيه وينشر عنه، فقال يا هناه! هل عندك من الحب رقيةٌ؟ قال لا والله، فانصرفوا، فمروا بطبيبٍ بحجرٍ، فعالجه وصنع به مثل ذلك، فقال عروة إنه والله ما دوائي إلا شخصٌ بالبلقاء، فانصرفوا به، وفي ذلك يقول:

جَعَلْتُ لعَرَّافِ اليَمامَةِ حُكْمَهُ وعَرَّافِ حَجْرٍ إن هُما شَفَيَانِي

فما تَرَكَا من رُقْيَّةٍ يَعْلَمَانِها ولا سَلْوَةٍ إلاَّ بها سَقَيَانِي

فقالا شَفَاك اللهُ، واللهِ ما لَنَا بما حُمِّلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَان

وفيها يقول:

أَلا يا غُرَابَيْ دِمْنَةِ الدارِ خَبِّرَا أَبِالَبَيْنِ من عَفْرَاءَ تَنْتَحِبَان؟

فإنْ كان حقًّا ما تقُولانِ فانْهَضَا بلَحْمِي إلي وَكْرَيْكُمَا فكُلاَنِي

وعراف اليمامة هو رياح أبو كلحبة مولى بني الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم، واسم الأعرج الحرث.

ولعراف اليمامة عقب باليمامة كثير.

وقال عروة أيضاً:

فقُلْتُ لعَرَّافِ اليمَامَةِ دَاوِنِي فإنَّك إن داوَيْتَني لطبيبُ

فما بِيَ من سقْمٍ ولا طَيْفُ جِنَّةٍ ولكِنَّ عَبْدَ الأَعْرَجِيِّ كَذُوبُ

فرد إلى أهله، فمرضوه دهراً، فقال لهن يوماً أعلمتن أني لو نظرت إلى عفراء يوماً ذهب وجعي؟ فخرجوا به حتى نزلوا البلقاء مستخفين، فكان لا يزال يلم بعفراء وينظر إليها، وكانت عند رجلٍ كثير المال، فبينا عروة يوماً بسوق البلقاء لقيه رجل يعرفه من بني عذرة، فسأله متى قدم؟ فأخبره، فقال لقد عهدتك مريضاً وأراك قد صححت، ثم سار إلى زوجها، فقال متى قدم عليكم هذا الكلب الذي قد فضحكم في الناس؟ فقال زوج عفراء أي كلبٍ؟ قال عروة، قال أوقد قدم؟ قال نعم، قال أنت أولى بأن تكون كلباً منه! ما علمت بمقدمه، ولو كنت علمت لضممته إلى مترلي فلما أصبح غدا يستدل عليهم حتى جاءهم، فقال لهم قدمتم ولم تروا أن تعلموني فيكون مترلكم عندي، ثم حلف لا يكون نزولهم إلا عليه، قالوا نعم،

نتحول إليك الليلة أو غداً، فلما ولّى قال عروة لأهله قد كان من الأمر ما ترون، فالحقن بقومكن، فإنه لا بأس علي، فقربوا ظهرهم وارتحلوا، فنكس، فلم يزل مدنفاً حتى نزل بوادي القرى.

حدثني ابن مرزوقٍ عن ابن الكلبي عن أبي السائب المخزومي عن هشام بن عروة عن أبيه عن النعمان بن بشير قال بعثني عثمان أو معاوية مصدقاً لبني عذرة، فصدقتهم. ثم أقبلت راجعاً، فإذا أنا ببيتٍ حريدٍ ليس قربه أحدٌ، وإذا رجل بفنائه مستلقٍ على قفاه، لم يبق منه إلا جلد وعظم، فلما سمع وجسى ترنم بصوتٍ حزينٍ:

جعلتُ لعرَّاف اليَمَامَةِ حُكْمَه

الأبيات كلها، قال وإذا أمثال التماثيل حوله، أخواته وأمه وخالته، فقلت له أنت عروة؟ قال نعم، قلت صاحب عفراء؟ قال نعم، ثم استوى قاعداً، وقال وأنا الذي أقول:

وعَيْنانِ ما أَوْفَيتُ نَشْزاً فَتَنْظُرا ... بمَأْقَيْهِمَا إلاَّ هما تَكفَانِ

كأَنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجَناحِها ... عَلى كَبدِي من شِدَّة الخَفَقَانِ

ثم التفت إلى أخواته فقال:

مَنْ كان من أَخَوَاتي باكِياً أَبَداً ... فاليَوْمَ إنِّي أَراني اليوْمَ مقْبُوضاَ

يسْمِعْنَنِيه فإنِّي غَيْرُ سامِعِه ... إذا عَلَوْتُ رِقابَ القوْمِ مَعْروضَا

سمعه بعض المحدثين فأخذه فقال:

مَنْ كان يَبْكي لِمَا بِي ... مِنْ طُولِ وَجْدٍ أَسِيسِ

فالآنَ قَبْلَ وَفاتِي ... لا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسِ

ثم رجع الحديث، قال فبرزن والله يضربن وجوههن ويشققن جيوبهن، ثم لم أبرح حتى مات، فهيأت من أمره وصليت عليه ودفنته.

هذا معنى الحديث.

ولما بلغ عفراء موته قالت لزوجها يا هناه، قد كان من أمر هذا الرجل ما قد علمت، وما كان والله إلا على الحسن الجميل، وقد بلغني أنه قد مات في أرض غربةٍ، فإن رأيت أن تأذن لي فأخرج في نسوةٍ من قومي فنندبه ونبكي عليه؟ فأذن لها فخرجت وهي تقول:

أَلا أَيُّهَا الرّكْب المُخبُّونَ وَيْحَكُمْ ... بحَقٍّ نَعَيْتُمْ عُرْوَةَ بنَ حِزَامِ؟

فلا نَفَعَ الفِتْيَانَ بَعْدَكَ لَذَّةٌ ... ولا رجَعُوا من غَيْبَةٍ بسَلامِ

وقُلْ لِلْحَبَالى لا يرجِّينَ غائِبًا   ولا فَرِحَتْ من بَعْدِهِ بغُلامِ

فما زالت تردد هذه الأبيات حتى ماتت. فبلغ الخبر معاوية، فقال لو علمت بحال هذين الشريفين لجمعت بينهما.

قالوا وكان عروة حين أخرجت عفراء يلصق بطنه بحياض النعم يريد بردها، فيقال له مهلاً لا تقتل نفسك؟، ألا تتقي الله !! فيقول:

بِيَ اليَأْسُ أَو داءُ الهُيَامِ شَرِبْتُه   فإِيَّاكَ عَنِّي لا يَكُنْ بِكَ ما بِيَا

قيس بن ذريح

هو من بني كنانة، من بني ليث. وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته لبنى، وفيها يقول:

لَعَمْرُ الَّذي يُمْسي وأَنْتِ ضَجِيعُه   منَ النَّاسِ ما اخْتِيرَتْ عَلَيْهِ المَضاجِعُ

وفيها يقول أيضاً:

وكُنَّا جَمِيعاً قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ الهَوَى   بأَحْسَنِ حالَيْ غِبْطَةٍ وسرورِ

فما برِحَ الواشُون حتَّى بَدَتْ لنا   بُطُون الهَوَى مَقْلُوبَةً لظُهُورِ

وكانت لبنى تحته، فطلقها، تتبعتها نفسه، واشتد وجده بها، وجعل يلم بمنزلها سراً من قومه، فزوجها أبوها رجلاً من غطفان. وعاود قيس زيارته إياها وشخص أبوها إلى معاوية، فأخبره بتعرضه لها، فكتب له معاوية بهدر دمه إن عاد، ففي ذلك يقول:

فإِنْ يَحْجُبوها أَو يَحُلْ دونَ وَصْلِها   مقالةُ واشٍ أَو وعِيدُ أَميرِ

فلَنْ يَمْنَعُوا عَيْنَيَّ من دائمِ البُكَا   ولَنْ يُذْهِبوا ما قد أَجَنَّ ضَمِيرِي

إِلى الله أَشْكُو ما أُكِنُّ منَ الهَوَى   ومن حُرَقٍ تَعْتَادُني وزَفِير

لقَدْ كُنْتِ حَسْبَ النَّفْسِ لو دام وَصْلُنا   ولكِنَّمَا الدُّنْيا مَتَاعُ غُرورِ

وكانت لبنى نذرت ألا تقدر على غرابٍ إلا قتلته، وذلك لطيرة قيسٍ منهن، ولقوله:

أَلا يا غُرابَ البَيْنِ ويْحَكَ نَبِّني   بعِلْمِكَ في لُبْنَى، وأَنْتَ خَبيرُ

فإِنْ أَنْتَ لم تُخْبِرْ بشَيءٍ علِمْتَه   فلا طِرْتَ إلاَّ والجَناحُ كَسِيرُ

ودُرْتَ بأَعْدَاءٍ حَبِيبُكَ فيهمُ   كما قد تُراني بالحَبيبِ أَدورُ

وفي تطليقه لها يقول:

فواكَبِدي وعاوَدَني رُدَاعِي — وكان فِرَاق لُبْنَى كالجُدَاعِ
تُكَنِّفَنِي الوُشَاةُ فأَزْعَجوني — فيالَلَّناسِ لِلْوَاشي المُطاعِ
فأَصْبَحْتُ الغَدَاةَ أَلُوم نَفْسِي — على شَيْءٍ ولَيسَ بِمسْتَطاعِ
كمَغْبونٍ يعَضُّ على يَدَيْهِ — تَبيَّنَ غَبْنَه بَعْدَ البِيَاعِ

ثابت قطنة

هو من شعراء خراسان وفرساهم، ذهبت عينه، وكان يحشوها بقطنةٍ فسمى "ثابت قطنة" وقال فيه قائل:

لا يَعْرِفُ الناس منه غَيْرَ قُطْنَتِه — وما سِواهُ من الأَنْسابِ مَجْهُولُ

وكان يزيد بن المهلب استعمله على بعض كور خراسان،

فإِنْ لا أَكُنْ فيكم خَطِيباً فإِنَّني — بسَيْفِي إِذا جَدَّ الوَغَى لَخَطِيب

فقالوا لو كنت قلت هذا البيت على المنبر كنت أخطب الناس.

وقال فيه قائل يهجوه:

أَبا العَلاَءِ لَقَدْ لُقِّيتَ مُعْضِلَةً — يَوْمَ العَروبةِ من كَرْبٍ وتَخْنيقِ
أَمَّا القُرَانُ فلم تَخْلَقْ لِمُحْكَمِه — ولم تُسَدَّدْ منَ الدُّنْيا لتَوْفِيقِ
لَمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ الناسِ هِبْتَهُمُ — فكِدْتَ تَشْرَقُ لَمَّا قُمْتَ بالرِّيقِ
تَلْوِى اللِّسانَ وقد رمْتَ الكَلاَمَ به — كما هَوَى زَلِقٌ من شاهِقِ النِّيقِ

ويستجاد لثابتٍ قوله في يزيد بن المهلب:

كُلُّ القَبَائِل بايَعُوكَ على الَّذِي — تَدْعو إِلَيْه، وتابَعُوك وسَارُوا
حَتَّى إِذا اخْتَلَفَ القَنَا وجَعَلْتَهُمْ — نَصْبَ الأَسِنَّةِ، أَسْلَمُوكَ وطارُوا
إِنْ يَقْتُلوكَ فإِنَّ قَتْلَكَ لم يَكُنْ — عاراً علَيْكَ، وبَعْضُ قَتْلٍ عارُ

عمرو بن الأهتم

هوعمر بن سنان بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر، من بني تميم. وسمي أبوه سنان الأهتم لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوسٍ فهتم فمه.

وكانت أم سنان سبيةً من الحيرة، يقال إنها سبيت وهي حامل. قال قيس بن عاصم لسنانٍ:

نَحْنُ سَبَينا أُمَّكُمْ مُقْرِباً   يَوْمَ صَبَحْنا الحيرَتَيْنِ المَنُونْ
جاءَتْ بكم غُفْرَةُ من أَرْضِها   حيريَّةٌ لَيْسَتْ كما تَزْعُمُونْ
لَوْلاَ دِفَاعِي كُنْتُمُ أَعْبُداً   مَنْزِلُها الحِيرَةُ فالسّيْلَحُونْ

وغفرة هي أم سنانٍ.

وقال الفرزدق لآل الأهتم:

ما الهُتْمُ إلاَّ أَعْبُدٌ جاحِظُو الخُصَى   بَنُو أَمَةَ كانَتْ لقَيْسِ بن عاصِمِ

وأخو عمرو بن الأهتم عبد الله بن الأهتم، جد خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم الخطيب. وآل الأهتم خطباء.

وكان له ابن يقال له نعيم بن عمرو، من أجمل الناس، وفيه تأنيث، وله يقول عبد الرحمن بن حسان:

قُلْ لِلَّذِي كاد لَوْلا خَطُّ لِحْيَتِه   يَكُونُ أُنْثَى عَلَيْها الدُّرُّ والمَسَكُ
هَلْ أَنْتَ إلاَّ فَتَاةُ الحَيِّ إنْ أَمِنُوا   يَوْماً، وأَنْتَ إذا ما حارَبُوا دُعَكُ

أي ضعيف هزأة.

وكانت لعمرو ابنة يقال لها أم حبيب، تزوجها الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقدر أن تكون في جمال أخيها، فوجدها قبيحة، فطلقها.

وكان عمرو شريفاً شاعراً، ويقال كان شعره حللاً منشرةً. وهو القائل:

ذَرِيني فإنَّ البُخْلَ يا أُمَّ هَيْثَمِ   لصالِحِ أَخْلاَقِ الرِّجالِ سَرُوقُ
لَعَمْرُكِ ما ضاقَتْ بلادٌ بأَهْلِها   ولكنَّ أَخْلاقَ الرِّجال تَضيقُ

سويد بن كراع

هو من عكل، جاهلي إسلامي. وكان هجا قومه، فاستعدوا عليه عثمان بن عفان "رضي الله عنه فأوعده، وأخذ عليه ألا يعود.

وهو القائل:

أَبِيتُ بأَبَواب القَوافي كأَنَّما   أُصادِي بها سِرْباً منَ الوَحْشِ نُزَّعَا

أُكالِئُها حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَ ما ... يَكُونُ سُحَيْراً أَو بُعَيْدُ فأَهْجَعَا

عَوَاصِي إلاَّ ما جَعَلْتُ وراءَها ... عَصَا مِرْبَدٍ تَغْشَى نُحوراً وأَذْرُعا

أَهَبْتُ بُغرّ الآبِدات فراجَعَتْ ... طَرِيقاً أَمَلَّتْهُ القَصَائِدُ مَهْيَعا

بَعِيدَة شَأْوٍ لا يَكادُ يَرُدُّها ... لها طالِبٌ حَتَّى يَكِلَّ ويَظْلَعا

إذا خِفْتُ أَنْ تُرْوَى عَلَيَّ رَدَدْتُها ... وَراءَ التَّرَاقِى خَشْيَةً أَنْ تَطَلَّعا

وجشَّمَني خَوْفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّها ... فثَقَّفْتُها حَوْلاً جَرِيداً ومَرْبَعا

وقد كان في نَفْسِي عليها زِيادَةٌ ... فلم أَرَ إلاَّ أَنْ أُطِيعَ وأَسْمَعا

أوس بن غلفاء التميمي

هو من بني الهجيم بن عمرو بن تميم. وهو جاهلي.

وكان يزيد بن الصعق قال في تميم شعراً فيه:

أَلا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بني تَمِيمٍ ... بآيَةِ ما يُحِبُّونَ الطَّعاما

فرد عليه شعراً فيه:

فإِنَّك من هِجَاءِ بَنِى تَمِيمٍ ... كَمُزْدَادِ الغَرامِ إلى الغَرَامِ

وهو القائل:

أَلا قالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غَوْلٍ ... تُقَطَّعُ يا ابْنَ غَلْفاءَ الحِبالُ

ذَرِينِى إنَّما خَطْإِى وصَوْبِي ... عَلَيَّ، وإِنَّ ما أَنْفَقْتُ مالُ

يريد إن ما أنفقت مال والمال يستخلف، ولم أتلف عرضاً. وبعض أصحاب الإعراب يرى أنه أراد إنما أنفقت مالي، فرفع، ويحتج لذلك بما ليس فيه حجة.

نهشل بن حرى النهشلي

هو نهشل بن حري بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم وكان اسم جده ضمرة شقة، ودخل على النعمان بن المنذر، فقال له من أنت؟ فقال أنا شقة بن ضمرة، فقال النعمان تسمع بالمعيدي لا أن تراه! فقال أبيت اللعن، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا نطق نطق ببيان، وإذا قاتل قاتل بجنانٍ، فقال له أنت ضمرة بن ضمرة، يريد أنت كأبيك.

وهو القائل:

ويَوْمٍ كأَنَّ المُصْطَلِينَ بحَرِّهِ وإنْ لم تَكُنْ نارٌ، قِيَامٌ على الجَمْرِ

صَبَرْنا له حَتَّى يَبُوخَ، وإنَّما تُفَرَّجُ أيَّامُ الكَرِيهَةِ بالصَّبْرِ

وهو القائل:

إنَّا بَنى نَهْشَلٍ لا نَدَّعى لأَبٍ عنه، ولا هو بالأَبْناءِ يَشْرِينَا

إن تُبْتَدَرْ غايةٌ يَوْماً لمَكْرُمَةٍ تَلْقَ السَّوابقَ منَّا والمُصَلِّينا

بيضٌ مَفَارِقنا، تَغْلِى مَرَاجِلُنا، نَأْسُو بأَمْوالنا آثارَ أَيْدِينا

إنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائلَهُمْ قِيلُ الكُماة ألا أَيْنَ المُحَامُونا!

لو كان في الأَلْفِ منَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ عاطِفٌ؟ خَالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنُونا

ولَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَداً إلاَّ افْتَلَيْنَا غُلاماً سَيِّداً فينا

الأعور الشني

هو بشر بن منقذ من عبد القيس. وكان شاعراً محسناً. وله ابنان شاعران أيضاً، يقال لهما جهم وجهيم. وكان المنذر بن الجارود العبدي والي إصطخر لعلي بن أبي طالب"رضي الله عنه"، فاقتطع منها أربع مائة ألف درهم، فحسبه علي، حتى ضمنها عنه صعصعة بن صوخان، فخلى عنه، فقال الأعور الشنى:

أَلاَّ سَأَلْتَ بنى الجارُودِ أيُّ فَتىً عِنْدَ الشَّفَاعَةِ والبابِ ابنُ صُوحانَا؟

هَلْ كان إلاَّ كأُمٍّ أَرْضَعَتْ وَلَدَاً عُقَّتْ، فلم تُجْزَ بالإحْسَانِ إحْسَانا

لا تَأْمَنَنَّ امْرَءاً خان امْرَءاً أَبَداً إنَّ منَ الناسِ ذا وَجْهَيْنِ خوَّانا

ويستجاد له قوله:

لَقَدْ عَلِمَتْ عُمَيْرَةُ أَنَّ جارى إذا ضَنَّ المُثَمِّرُ، من عِيَالي

وأَنِّي لا أَضِنُّ عَلَى ابنِ عَمِّي بنَصْرِي في الخُطُوبِ ولا نَوالي

ولَسْتُ بِقَائِلٍ قَوْلاً لأُحْظَى بأَمْرٍ لا يُصَدِّقُه فَعالِي

وما التَّقْصِيرُ، قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ، وأَخلاقُ الدَّنِيَّة من خِلالِي

وأَكْرَمُ ما تَكُونُ عَلَيَّ نَفْسِي إذا ما قَلَّ في اللَّزْبَاتِ مالِي

فتَحْسُنُ نُصْرَتِي وأَصُونُ عِرضِي وتَجْمُلُ عِنْدَ أَهْلِ الرَّأيِ حالِي

وإنْ نِلْتُ الغِنَى لم أَغْلُ فيه ولم أَخْصُصْ بجَفْوَتِي المَوالِي

ولم أَقْطَع أخاً لأَخٍ طَريفٍ ولم يَذْمُمْ لِطُرْفَتِه وِصالي

وقَدْ أَصْبَحْتُ لا أَحْتَاجُ فيما بَلَوْتُ منَ الأُمورِ إِلى سُؤَالِ

وذلِكَ أَنَّني أَدَّبْتُ نَفْسي وما حَلْتُ الرِّجالَ ذَوي المِحَالَ

إِذا ما المَرءُ قَصَّرَ ثُمَّ مَرَّتْ عَلَيه الأَرْبَعُونَ منَ الرِّجالِ

فلم يَلْحَقْ بصالِحِمْ فدَعْهُ فلَيْسَ بلاحِقٍ أُخْرَى اللَّيَالي

وليس بزائلٍ ما عاش يوماً من الدنيا يُحَطّ إِلى سِفَالِ

وذلك في الرجال إِذَا اعْتَرَتْهُمْ مُلِمّاتُ الحوادث كالخَبَالِ

وكان يكنى أبا منقذٍ، ويهاجى بني عصرٍ، ولهم يقول:

وإِنْ تَنْظُرُوا شَزْراً إِليَّ فإِنَّني أَنَا الأَعْوَرُ الشَّنِّي قَيْدُ الأَوَابدِ

حريث بن محفض

هو من بني تميم من خزاعي بن مازن، رهط. أبي عمرو بن العلاء.

وتمثل الحجاج بأبيات من شعره على منبره، مثلاً لأهل الشام في طاعتهم وبأسهم، وهي قوله:

أَلَمْ تَرَ قَوْمي إِنْ دُعُوا لمُلَمَّة أَجابُوا، وإِنْ أَغْضَبْ عَلى القَوْمِ يَغْضَبُوا

بَني الحَرْبِ لم تَقْعُدْ بِهِمْ أُمَّهاتُهُمْ وآباؤُهُمْ آباءُ صِدْقٍ فأَنْجَبُوا

فإِنْ يَكُ طَعْنٌ بالرُّدَيْنِيِّ يَطْعُنُوا وإِنْ يَكُ ضربٌ بالمَنَاصِلِ يَضْرِبُوا

سحيم بن الأعرف

هو من بني الهجيم بن عمرو بن تميم.

وفيه وفي قبيلته يقول جرير:

وبَنُو الهُجَيْمِ قَبيلَةٌ مَلْعُونَةٌ حُصٌّ اللِحَى مُتَشَابِهُو الأَلْوانِ

لَوْ يَسْمَعُونَ بأَكْلَةٍ أَو شَرْبَةٍ بعُمَانَ، أَصبَحَ جَمْعُهُمْ بعُمَانِ

مُتَوَرِّكِينَ بَنَاتِهِمْ، وبَنِيهِمُ يَتَنَاغَقُونَ تَنَاغُقَ الغِرْبانِ

وسحيم القائل في حسان بن سعد عامل الحجاج على البحرين:

إِلى حَسَّانَ من أَطْرافِ نَجْدٍ رَحَلْنَا العيسَ تَنْفُخُ في بُرَاها
نَهُدُّ قَرَابَةً ونَعُدُّ صِهْراً ويَسْعَدُ بالقَرَابَةِ مَنْ رَعَاها
فما جِئْنَاك من عُدْمٍ ولكِنْ يَهَشُّ إِلى الإِمَارَةِ مَنْ رَجَاها
وأَيَّا مّا أَتَيْتَ فإِنَّ نَفْسِي تَعُدُّ صَلاحَ نَفْسِكَ من غِنَاها

سحيم بن وثيل

وفي الشعراء سحيم بن وثيل وهو القائل:

أنا ابنُ جَلاَ وطَلاَّعُ الثنايا متَى أَضَعِ العمامةَ تعرفوني

فرعان بن الأعرف

وفي بني تميم فرعان من بني مرة بن عبيد، رهط.
الأحنف بن قيس ؛ وكان شاعراً لصاً، يغير على إبل الناس، فأخذ لرجل جملاً، فجاء الرجل فأخذ بشعره فجذبه فبرك، فقال القوم كبرت والله يا فرغان! قال لا والله، ولكنه جذبني جذبة محق.
وهو القائل:

يَقُولُ رِجالٌ إِنَّ فُرْعانَ فاجِرٌ وَلله أَعْطَاني بَنِيَّ وماليا
فأَرْبَعَةً مِثْلَ الصُّقُورِ، وَأَرْبَعاً مَرَاضِيعَ، قد وَفَّيْنَ شُعْثاً ثَمانيا
إِذا اصْطَنَعُوا لا يَخْبَؤون لغائِبٍ طَعَاماً، ولا يَرْعَوْنَ مَنْ كان نائيا

خداش بن زهير

هو خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة؛ وهو من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية.
وكان أبو عمرو بن العلاء يقول خداش بن زهير أشعر في عظم الشعر، يعني نفس الشعر، من لبيد، إنما كان لبيد صاحب صفات.
وكان خداش يهجو عبد الله بن جدعان التيمي، ولم يكن رآه، فلما رآه ندم على هجائه.
فمما هجاه به قوله:

وأُنْبِئْتُ ذا الضَّرْعِ ابْنَ جُدْعانَ سَبَّني وإِنِّي بِذي الضَّرْعِ ابنِ جُدْعانَ عالِمُ
أَغرَّكَ أَنْ كانَتْ لِبَطْنِكَ عُكْنَةٌ وَأَنَّكَ مَكْفِيٌّ بِمَكَّةَ طاعِمُ

وتَرْضَى بأَنْ يُهْدَى لَكَ العقْلُ مُصلْحاً وتَحْنَقُ أَنْ تُجْنَى علَيْكَ العَظائِمُ

أَبَى لَكُمُ أَنَّ النُّفُوسَ أَذِلَّةٌ وأَنَّ القِرَى عن واجبِ الضَّيْفِ عاتِمُ

وأَنَّ الحُلُومَ لا حُلُومَ، وأَنْتُمُ منَ الجَهْلِ طَيْرٌ تَحْتَها الماءُ دائِمُ

ولَوْلا رِجالٌ من علِيٍّ أَعِزَّةٌ سرَقْتُمْ ثِيابَ البَيْتِ والبَيْتُ قائِمُ

قال أبو محمد يقال لبني كنانة - بنو علي -.

وكان جد خداشٍ عمرو بن عامر يقال له - فارس الضحياء -، والضحياء فرسه. وفيه يقول

أَبى فارِسُ الضَّحْياءِ عمرُو بن عامِرٍ أَبَى الذَّمَّ وأَخْتارَ الوَفاءَ على الغَدْرْ

وكان لخداش فرس يقال له درهم وفيها يقول:

أَقُولُ لعَبْدِ اللهِ في السِّرَّ بيْنَنا لَكَ الوَيْلُ عَجِّلْ لي اللِّجامَ ودِرْهَمَا

ومما يتمثل به من شعره قوله:

ولَنْ أَكُونَ كمَنْ أَلْقَى رِحالَتَهُ علَى الحِمارِ وخَلَّى صَهْوَةَ الفَرَسِ

وقوله:

فإِنْ يَكُ أَوسٌ حَيَّةً مُسْتَميتَةً فَذَرْني وأَوْساً، إِنَّ رُقْيَتَهُ مَعِي

حصين بن الحمام

هو من بني مرة، جاهلي، ويعد من أوفياء العرب.

وقال أبو عبيدة اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة المسيب بن علسٍ، والمتلمس، وحصين بن الحمام المري، وهو القائل

نُفَلِّقُ هاماً من رجال أَعِزَّةٍ علَيْنَا، وهُمْ كانوا أَعَقَّ وأَظْلَمَا

نُحَارِبُهُمْ نَسْتَوْدِعُ البيضَ هامَهُمْ ويَسْتَوْدِعُونَا السَّمْهَرِيَّ المُقَوَّما

فلَسْنا علَى الأَعْقابِ تَدْمى كلُومُنا ولكِنْ على أَقْدامِنا تُقْطِرُ الدَّما

وفيها يقول:

فلُوذُوا بأَدْبارِ البُيُوتِ فإِنَّما يَلُوذُ الذَّليلُ بالعَزِيزِ ليُعْصَمَا

كعب وعميرة ابنا جعيل

هما من بني تغلب ابنة وائل.

ولكعب يقول الشاعر:

سُمِّيتَ كَعْباً بشَرِّ العِظامِ ... وكان أَبُوك يُسَمَّى الجُعَلْ

وكان مَحَلُّكَ من وائِلٍ ... مَكَانَ القُرَادِ مِنِ اسْتِ الجَمَلْ

وقال له يزيد بن معاوية إن عبد الرحمن بن حسان قد فضحنا، فاهج الأنصار! فقال له كعب أرادي أنت إلى الشرك! أأهجو قوماً نصروا رسول الله" صلى الله عليه وسلم" وآووه؟ ولكني دالك على غلامٍ منا نصراني كافرٍ شاعرٍ.فدله على الأخطل.

وأخوه عميرة بن جعيل أحد من هجا قومه فقال:

كَسَا اللهُ حَيَّيْ تَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ ... منَ اللُّؤْمِ أَظْفَاراً بَطِيئا نُصُولُها

فما بِهِمُ أَلاَّ تَكُونَ طَرُوقَةً ... كُرَاماً، ولكِنْ غيَّرَتْها فُحُولُها

ثم ندم فقال:

نَدِمْتُ على شَتْمِ العَشِيرةِ بَعْدَ ما ... مَضَتْ واستَتَبَّتْ للرُّواةِ مَذاهِبُهْ

فأَصْبَحْتُ لا أَسْتَطِيعُ دَفْعاً لِمَا مَضَى ... كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ في الضَّرْعِ حالِبُهْ

عبد الله بن همام السلولي

هو من بني مرة بن صعصعة، أخي عامر بن صعصعة، من قيس عيلان. وبنو مرة يعرفون ببني سلولٍ، لأنها أمهم، وهي بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة. وهم رهط أبي مريم السلولي، وكانت له صحبة.

وعبد الله بن همام القائل في عريفهم:

ولَمَّا خَشِيتُ أَظافيرَهُمْ ... نَجَوْتُ وأَرْهَنْتُهُمْ مالِكَا

عَرِيفاً مُقِيماً بِدارِ الهَوا ... نِ، أَهْوِنْ عَليَّ به هالِكَا

وهو القائل في الفلافس:

أَقِلِّي عَليَّ اللَّوْمَ يا ابْنَةَ مالِكٍ ... وذُمِّي زَماناً سادَ فيه الفُلافِسُ

وساعٍ مَعَ السُّلْطَانِ لَيْسَ بناصِحٍ ... ومُحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وهو حارسُ

وكان الفلافس هذا على شرط الكوفة، من قبل الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، -أخي عمربن أبي ربيعة-، وخرج الفلافس مع ابن الأشعث، فقتله الحجاج.

وعبد الله هو القائل ليزيد بن معاوية يعزيه عن أبيه:

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقدْ فارَقْتَ ذَا مِقَةٍ وأَشْكُرْ حُباءَ الَّذي بالمُلْكِ حاباكَا

لا رُزْءَ أَعْظَمُ في الأَقْوامِ نَعْلَمُهُ كَمَا رُزِئْتَ، ولَ عُقْبَى كعُقْبَاكَا

أَصْبَحْتَ راعِي أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمُ فأَنْتَ تَرْعاهُمُ واللهُ يَرْعاكا

وفي مُعَاوِيَةَ الباقِي لَنَا خَلَفٌ إذا نُعِيتَ، ولا نَسْمَعْ بمَنْعَاكا

يعني معاوية بن يزيد، وهو أبو ليلى.

شعراء هذيل

أبو ذؤيب الهذلي

هو خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي. وكان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي. وخرج مع عبد الله بن الزبير في مغزىً نحو المغرب، فمات، فدلاه عبد الله بن الزبير في حفرته.

وفي عبد الله بن الزبير يقول في تلك الغزاة:

وصاحِبِ صِدْقٍ كَسِيدِ الضَّرَّا ءِ يَنْهَضُ في الغَزْوِ نَهْضاً نجيحَا

وَشِيكِ الفُضُول بَطِيِّ القُفُو لِ، إلاَّ مُشَاحاً به أَو مُشِيحا

وكان أبو ذؤيب يهوي امرأةً من قومه، وكان رسوله إليها رجلاً من قومه يقال له خالد بن زهير، فخانه فيها، فقال أبو ذؤيب:

تُرِيدين كَيْمَا تَجْمَعِيني وخالِداً وهَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ، وَيْحَكِ، في غِمْدِ

أَخَالِدُ ما راعَيْتَ مِنِّي قَرَابَةً فتَحْفَظَنِي بالغَيْبِ أَو بَعْضِ ما تُبْدِي

وكان أبو ذؤيب خان فيها ابن عم له يقال له مالك بن عويمر فقال خالد مجيباً لأبي ذؤيب:

فَلا تَجْزَعاً مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَها وأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

وكُنْتَ إِماماً للعَشِيرَةِ، تَنْتَهِي إِلَيْكَ إِذا ضَاقَتْ بأَمْرٍ صُدُورُها

أَلَمْ تَتَنَقَّذْها مِنِ ابنِ عُوَيْمَرٍ وأَنْتَ صَفِيُّ نَفْسِهِ ووَزِيرُها

وقال الأصمعي في قوله في وصف الفرس:

قَصَرَ الصَّبُوحَ لها فشُرِّجَ لَحْمُها بالنِّيِّ فَهْيَ تَثُوخُ فيها الإِصْبَعُ

"شرج لحمها" صار شريجين، شحماً ولحماً. و"تثوخ"

تغيب، مثل تسوخ.

وهذا من أخبث ما نعتت به الخيل، والصواب أن توصف بصلابة اللحم.

ويستجاد له قوله لخالد بن زهير هذا:

ما حُمِّلَ البُخْتِيُّ عامَ غيارِهِ　　عَلَيْهِ الوُسُوقُ بُرُّها وشَعِيرُهَا

أَتَى قَرْيَةً كانت كَثيراً طَعَامُها　　كَرَفْغِ التُّرَابِ كُلُّ شَيْئٍ يَمِيرُها

قال الأصمعي يقال للأرض إذا كانت كثيرة التراب "هذه رفع من الأرض".

فقيلَ تَحَمَّلْ فَوْقَ طَوْقِكَ، إِنَّها　　مُطَبَّعَةٌ مَنْ يَأْتِها لا يَضِيرُها

بأَكْثَرَ ممَّا كُنْتُ حَمَّلْتُ خالداً　　وشَرُّ أَماناتِ الرِّجال غُرُورُهَا

ولَوْ أَنَّني حَمَّلْتُهُ البُزْلَ، لم تَقُمْ　　به البُزْلُ حَتَّى تَتْلَئِبَّ صُدُورُها

خَلِيلِي الَّذِي دَلَّى لِغَيٍّ خَلِيلَتي　　جِهاراً، وكُلاًّ قد أَضارَ غُرُورُها

فشَأْنَكَهَا إِنِّي أَمِينٌ وإِنَّني　　إذا ما تَحالَى مِثْلُها لا أَطُورُها

فإِنَّ حَرَاماً أَنْ أَخُونَ أَمانَةً　　وآمَنَ نَفْساً ليسَ عندي ضَمِيرُها

أُحاذِرُ يَوْماً أَنْ تَبِينَ قَرِينَتِي　　ويُسْلِمَها إِخْوانُها ونَصِيرُها

وما أَنْفُسُ الفِتْيَانِ إِلاَّ قَرَائِنٌ　　تَبِينُ وتَبْقَى هامُها وقُبُورُها

فَنَفْسَكَ فاحْفَظْهَا ولا تُفْشِ للْعِدَى　　منَ السِّرِّ ما يُطْوَى عليه ضَمِيرُها

وما يَحْفَظُ المَكْتُومَ من سِرِّ أَهْلِهِ　　إذا عُقَدُ الأَسْرَارِ ضاعَ كَبِيرُها

مِنَ القَوْمِ إلاَّ ذُو عَفَافٍ يُعِينُهُ　　عَلى ذاكَ منه صِدقُ نَفْسٍ وخيرُها

رَعَى خالِدٌ سِرِّي لَيَالِيَ نَفْسُهُ　　تَوَالى على قَصْدِ السَّبِيلِ أُمُورُها

فَلَمَّا تَرَاماه الشَّبَابُ وغَيُّه　　وفي النَّفْسِ منه غَدْرَةٌ وفُجُورها

لَوَى رَأسَهُ عَنِّي ومال بوَدِّه　　أَغَانِيجُ خَوْدٍ كان قِدْماً يَزُورُها

تَعَلَّقَهُ منها دَلالٌ ومُقْلَةٌ　　تَظَلُّ لأَصْحَابِ الشَّقاءِ تُدِيرُها

وقوله يذكر حفرته:

مُطَأْطَأَةٌ لم يُنْبِطُوها وإِنَّها　　لَيَرْضَى بها فُرّاطُها أُمَّ واحِدِ

قَضَوْا ما قَضَوا من رمِّها ثم أَقْبَلُوا　　إِليَّ بِطَاءَ المَشْيِ غُبْرَ السَّوَاعِدِ

فكُنْتُ ذَنُوبَ البِئْرِ لَمَّا تَبَسَّلَتْ وسُرْبِلْتُ أَكْفَانِي ووُسِّدْتُ ساعِدِي

أَعَاذِلُ لا إِهْلاكُ مالِيَ ضَرَّنِي ولا وارِثي، إِنْ ثُمِّرَ المالُ، حامِدِي

وكان لأبي ذؤيب ابن يقال له مازن بن خويلد، ويكنى أبا شهاب، وهو أحد شعراء هذيل، وأخذ على أبي ذؤيب قوله في صفة الدرة:

فجاءَ بها ما شِئْتَ من لَطَمِيَّةٍ يدُومُ الفُرَاتُ فَوْقَها ويَموج

وقالوا الدرة لا تكون في الماء الفرات، إنما تكون في الماء الملح.

ويروى "تدوم البحار" وفي هذه الرواية نفى الغلط عنه. وتدوم أي تسكن في الماء الدائم.

وعيب أيضاً بقوله في الخمر:

فما بَرِحَتْ في الناسِ حتَّى تَبَيَّنَتْ ثَقِيفاً بزِيزاءِ الأَشاءِ قيامُها

يقول فما برحت في الناس لا تفارقهم مخافة أن يغار عليها حتى أتوا بها ثقيفاً فأمنت. قال الأصمعي ما تصنع ثقيف بالخمر؟ ومن ذا يجلبها من الشام إليهم وعندهم العنب؟!

المتنخل

ومن شعراء هذيل المتنحل. وهو مالك بن عمرو بن عثم ابن سويد بن حنش بن خناعة، من لحيان.

قال الأصمعي ما قيلت قصيدة على الزاي أجود من قصيدة الشماخ في صفة القوس، ولو طالت قصيدة المتنحل كانت أجود، وهي التي يقول فيها:

يا لَيْتَ شِعْرِي، وهَمُّ المَرْءِ يُنْصِبُهُ والمَرْءُ لَيْسَ له في العَيْشِ تَحْرِيزُ

هَلْ أَجْزِيَنَّكُمَا يَوْماً بقَرْضِكما والقَرْضُ بالقَرْضِ مَجْزِيٌّ ومَجْلُوزُ

أي مربوط.

قال و لم تقل كلمة على الطاء أجود من قصيدته التي يقول فيها:

وماءٍ قد وَرَدْتُ، أُمَيْمَ، طامٍ على أَرْجَائِهِ زَجَلُ الغَطَاط

كأَنَّ مَزَاحِفَ الحَيَّاتِ فيه قُبَيْلَ الصُبْحِ آثارُ السِّيَاطِ

ويستجاد له قوله في أخيه عويمر، يرثيه:

لَعَمْرُكَ ما إِنْ أَبو مالِكٍ بوَانٍ ولا بضَعِيفٍ قُوَاهُ

ولا بأَلَدَّ لَهُ نازِعٌ يُغَارِي أَخاهُ إِذا ما نَهَاهُ

ولَكنَّهُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ كعالِيَةَ الرُّمْحِ عَرْدٌ نَسَاْهُ

أي شديد الرجل في العدو.

إذا سُدْتَه سُدْتَ مِطْوَاعَةً ومَهْمَا وَكَلْتَ إِلَيْهِ كَفَاهُ

ألا مَنْ يُنَادِي أَبا مالِكٍ أَفي أَمْرِنا هُوَ أَمْ في سِوَاهُ

أَبو مالِكٍ قاصِرٌ فَقْرَهُ على نَفْسِهِ ومُشِيعٌ غِنَاهُ

ويستجاد له في أثيلة، يرثيه:

لَقَدْ عَجِبْتُ وما بالدَّهْرِ من عجَبٍ أَنَّى قُتِلْتَ وأَنْتَ الحازِمُ البَطَلُ

وَيْ لامّهِ رَجُلاً تَأْبَى به غَبَناً إذا تَجَرَّدَ لا خالٌ ولا بخِلُ

السالِكُ الثُّغْرَةَ اليَقْظَانَ كالِئُها مَشْيَ الهَلُوك عَلَيْها الخَيْعَلُ الفُضُلُ

لَيْسَ بِعَلٍّ كَبِيرٍ لا شَبَابَ له لكِنْ أُثَيْلَةُ صافي الوَجْهِ مُقْتَبَلُ

يُجِيبُ بَعْدَ الكَرى لَبَّيْكَ، داعِيَهُ مِجْذَامَةٌ لِهَوَاهُ قُلْقُلٌ وَقُلُ

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ بِكُلِّ إِنْيٍ حَذَاةَ اللَّيْلِ يَنْتَعِلُ

أبو خراش وإخوته

ومن شعراء هذيل أبو خراش واسمه خويلد بن مرة، أحد بني قرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل. ونهشته حية فمات في زمن عمر بن الخطاب "رضي الله عنه".

وكان له أخ يقال له عروة، فمات، فقال يرثيه ويحمد الله على سلامة ابنه خراش:

حَمِدْتُ إلهي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا خِراشٌ، وبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْض

فوالله لا أَنْسَى قَتِيلاً رُزِيتُهُ بِجانِبِ قَوْسي ما مَشَيْتُ على الأَرْضِ

بَلَى، إنَّها تَعفُو الكُلُومُ، وَإِنَّما نُوَكَّلُ بالأَدْنَى وإِنْ جَلَّ ما يَمْضِي

وكان لأبي خراش أخ يقال له عروة بن مرة، من شعراء هذيل المعدودين وهو الذي رثاه.

وهو القائل:

لَسْتُ لمُرَّةَ إِنْ لم أُوفِ مَرْقَبَةً يَبْدُو لِيَ الحَرْثُ منها والمَقاضِيبُ

وأخوه أبو جندب بن مرة أيضاً، أحد شعراء هذيل المعدودين.

وهو القائل:

فلا تَحْسَبَنْ جارِي لَدَى ظِلِّ مَرْخَةٍ | ولا تَحْسِبَنْهُ فَقْعَ قَاعٍ بِقَرْقَرِ

خويلد بن مطحل الهذلي

هو أحد بني سهم بن معاوية، وكان سيد هزيل في زمانه.
وابنه من بعده معقل بن خويلد، وكان شاعراً معدوداً في شعراء هذيل، ووفد إلى أرض الحبشة، فكلم ملكهم في من عنده من أسرى العرب، فأطلقهم له.
وهو القائل:

لَعَمْرُكَ لَلْيَأْسُ غَيْرُ المُرِي | ثِ خَيْرٌ مِنَ الطَّمَعِ الكاذِبِ
ولَلرَّيْثُ تَحْفِزُهُ بالنَّجا | حِ خَيْرٌ مِنَ الأَمَلِ الخائِبِ
يَرَى الحاضِرُ الشاهِدُ المُطْمَئِنُّ | مِنَ الأَمْرِ ما لا يَرَى الغائِبِ

مالك بن الحرث الهذلي

وأخوه أسامة وهم مالك بن الحرث الهذلي، وأخوه أسامة بن الحرث. شاعران مجيدان جميعاً.
ومالك الذي يقول:

فَلَسْتُ بِمُقْصِرٍ ما ساف مالِي | ولَوْ عَرَضَتْ لِلَبَّتِيَ الرِّماحُ
فلُومُوا ما بَدَا لَكُمُ فإنِّي | سأُعْتِبُكُمْ إذا انْفَسَحَ المُرَاحُ
ومَنْ يُقْلِلْ حَلُوبَتَهُ ويَنْكُلْ | عَنِ الأَعْدَاءِ يَغْبُقْهُ القَراحُ
رَأَيْتُ مَعَاشِراً يُثْنَى عَلَيْهِمْ | إذا شَبِعُوا وأَوْجُهُهُمْ قِبَاحُ
يظل المصرمون لهم سجوداً | ولم لم يسق عندهم ضياح

أمية بن أبي عائذ

وهو من شعراء هذيل.
وهو القائل:

يَمُرُّ كجَنْدَلَة المَنْجَنِي | قِ يُرْمى بها السُّورُ يَوْمَ القِتَالِ

صخر الغي

وهو القائل:

إنِّي بدَهْماءَ قَلَّ ما أَجِدُ عاوَدَني من حِبابها زُؤُدُ

أبو العيال

وهو القائل يرثي عبد بن زهرة رجلاً من قومه:

له في كُلِّ مَا رَفَعَ الْ فَتَى من صالِحٍ سَبَبُ

رَزِيئَةُ قَوْمِهِ لم يَأْ خُذُوا ثَمَناً ولم يَهَبُوا

أبو كبير الهذلي

هو عامر بن الحليس، وهو جاهلي.

وله أربع قصائد، أولها كلها شيءٌ واحد، ولا نعرف أحداً من الشعراء فعل ذلك! إحداهن:

أَزُهَيْرَ هَلْ عن شَيْبَةٍ من مَعْدِلِ أَم لا سَبِيلَ إِلى الشَّبَابِ الأَوَّلِ

والثانية:

أَزُهَيْرَ هَلْ عن شَيْبَةٍ من مَقْصِرِ أَم لا سَبِيلَ إِلى الشَّبَابِ المُدْبِرِ

والثالثة:

أَزُهَيْرَ هَلْ عن شَيْبَةٍ من مَصْرِفِ أَم لا خُلُودَ لباذِلٍ مُتَكَلِّفِ

والرابعة:

أَزُهَيْرَ هَلْ عن شَيْبَةٍ من مَعْكِمِ أَم لا خُلُودَ لباذِلٍ مُتَكَرِّمِ

ومما يستجاد له قوله:

ولَقَدْ سَرَيْتُ عَلى الظَّلامِ بِمَغْشَمٍ جَلْدٍ منَ الفِتْيَانِ غَيْرِ مُهَبَّلِ

مِمَّنْ حَمَلْنَ به وهُنَّ عَوَاقِد حُبُكَ النِّطَاقِ، فعاش غَيْرَ مُثَقَّلِ

حَمَلَتْ به في لَيْلَةٍ مَزْؤُودَةً كَرْهاً، وعَقْدُ نِطاقِها لم يُحْلَلِ

فأَتَتْ به حُوش الجَنَانِ مُبَطَّناً سُهُداً إِذا ما نام لَيْلُ الهَوْجَلِ

ومُبَرَّأً من كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ورَضَاعِ مُغْيِلَةٍ وداءٍ مُعْضِلِ

فإِذا نَظَرْتَ إِلى أَسِرَّةِ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبَرْقِ العارضِ المُتَهَلِّلِ

وإذا قَذَفْتَ له الحَصاةَ رَأَيْتَه يَنْزُو لوَقْعَتِهَا طُمُورَ الأَخْيَلِ

وإذا رَمَيْتَ به الفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِى مَخَارِمَها هُوِيَّ الأَجْدَلِ

وإذا يَهُبُّ منَ المَنَامِ رَأَيْتَهُ كرُتُوب كَعْبِ الساقِ لَيْسَ بزُمَّلِ

ما إنْ يَمَسُّ الأَرْضَ إلاَّ مَنْكِبٌ منه، وحَرْفُ الساقِ طَيَّ المِحْمَلِ

صَعْبُ الكَرِيهة لا يُنَال جَنَابُه مَاضِي العَزِيمة كالحُسَامِ المِقْصَلِ

يُعْطِي الصِّحابَ إذا تَكُونُ كَرِيهَةٌ وإذا هُمُ نَزَلُوا فمَأْوَى العُيَّلِ

فإذا وذلِكَ لَيْسَ إلاَّ ذِكْرُهُ وإذا مَضَى شيءٌ كأَنْ لَمْ يُفْعَلِ

وقوم من الرواة ينحلون الشعر تأبط شراً، ويذكرون أنه كان يتبع امرأة من فهم، وكان لها ابن من هذيل، وكان يدخل عليها رحلاً، فلما قارب الغلام الحلم قال لها من هذا الرجل الداخل عليك؟ قالت صاحبٌ كان لأبيك! قال والله لئن رأيته عندك لأقتلنك، فلما رجع إليها تأبط شراً أخبرته الخبر، وقالت إن هذا الغلام مفرق بيني وبينك، فاقتله! قال سأفعل ذلك، فمر به وهو يلعب مع الصبيان، فقال له هلم أهب لك نبلاً، فمضى معه، فتذمم من قتله، ووهب له نبلاً، فلما رجع تأبط شراً أخبرها، فقالت إنه والله شيطان من الشياطين، والله ما رأيته قط مستثقلاً نوماً، ولا ممتلئاً ضحكاً، ولا هم بشيءٍ منذ كان صغيراً إلا فعله، ولقد حملته فما رأيت عليه دماحتي وضعته، ولقد وقع عليَّ أبوه وإني لمتوسده سرجاً في ليلة هربٍ، وإن نطاقي لمشدود، وإن على أبيه لدرعاً ؛ فاقتله، فأنت والله أحب إليَّ منه، فقال لها سأغزوا به فأقتله، فمر، فقال له هل لك في الغزو؟ قال نعم، فخرج معه غازياً، فلم يجد له غرةً، حتى مر في بعض الليالي بنارٍ لابنى قترة الفزاريين، وكانا في نجعةٍ فلما رأى تأبط النار عرف أهلها، فأكب على رجله وصاح همشت همشت! النار! النار! فخرج الغلام يهوي نحو النار، فصادف عندها الرجلين، فواثباه، فقتلهما جميعاً، ثم أخذ جذوةً من النار، واطرد إبل القوم وأقبل نحوه، فلما رأى تأبط النار تهوي نحوه ظن أن الغلام قد قتل، وأن القوم اتبعوا أثره، فمضى، يسعى، قال فما نشبت أن أدركني ومعه جذوةٌ من النار، وهو يطرد إبل القوم، فقال ويلك! قد أتعبتني منذ الليلة، ثم رمى بالرأسين! فقلت ما هذا؟ قال كلبان هارانى على النار فقتلتهما! قال قلت إني والله ظننت أنك قد قتلت، قال بل قتلت الرجلين عاديت بينهما، فقلت له الهرب الآن، فالطلب والله في أثره، ثم أخذت به على غير الطريق، فما سرنا إلا قليلاً حتى قال أخطأت والله الطريق، وما تستقيم الريح فيه، ثم نظر، فما لبث أن استقبل الطريق، وما كان والله سلكها قط، قال وسرنا إلى الصباح، فقلت له انزل، فقد أمنت، فأنخنا الإبل، ثم انتبذ فنام في طرفها، ونمت في طرفها الآخر، ورمقته،

حتى إذا أدى إلى نفسه وانحط طرفاه نوماً، قمت رويداً، فإذا هو قد استوى قائماً! فقال شأنك؟ فقلت سمعت حساً في الإبل، فطاف معي بينهما. فقال والله ما أرى شياً فنم، فنمت، فنام، وقلت عجلت قبل أن يستثقل، فأمهلته حتى إذا تملأ نوماً قمت رويداً، فإذا هو قد استوى قائماً! وقال ما شأنك؟ قلت سمعت حساً، فطفت وطاف معي، ثم قال أتخاف شيئاً؟ قلت لا، قال فنم ولا تعد، فإني قد ارتبت منك! فأمهلته، حتى إذا استثقل قذفت بحصاةٍ إلى رأسه، فوثب، وتناومت فأقبل نحوي فركضني برجله، وقال أنائمٌ أنت ؟ قلت نعم، قال أسمعت ما سمعت؟ قلت وما الذي سمعت؟ قال إني سمعت عند رأسي مثل بركة الجزور! قلت فذلك الذي أحذر، فطاف بالإبل فطفت معه فلم نر شيئاً، فأقبل علي مغضباً تتوقد عيناه، فقال لي قد علمت ما تصنع منذ الليلة، والله لئن عدت ليموتن أحدنا، ثم أم مضجعه، قال فوالله لبت أكلؤه مخافة أن يوقظه شيء فيقتلني، وتأملته مضطجعاً، فإذا هو على حرفٍ، ما إن يمس الأرض إلا منكبه وحرف ساقه، وسائره ناشز منه، فلما استيقظ قال ألا ننحر جزوراً فنأكل؟ قلت بلى، فنحرنا جزوراً، فاشتوى، ثم حلب ناقةً فشرب، ثم خرج يريد المذهب وأبعد وراث علي جداً قال فاتبعت أثره، فأجده مضطجعاً على مذهبه، وإذا يده داخلةٌ في جحرٍ، وإذا رجله منتفخةٌ، فأنتزع يده من الجحر، فإذا هو قابض على رأس أسود وقد قتله، وإذا هما ميتان جميعاً، ففي ذلك يقول أبو كبير، ويقال تأبط شراً:

ولقد سريت على الظلام البيت

عروة بن الورد

هو من بني عبسٍ، وكان يلقب عروة الصعاليك، لقوله:

لَحَى اللهُ صُعْلُوكاً إذا جَنَّ لَيْلُهُ	مُصَافي المُشَاشِ آلفاً كُلَّ مَجْزَرِ
يَعُدُّ الغِنَى من دَهْرِه كُلَّ لَيْلَةٍ	أَصَابَ قِرَاها من صَدِيقٍ مُيَسَّرِ
يَنامُ عشاءً ثُمَّ يُصبِحُ قاعِداً	يَحُتُّ الحَصَى عن جَنْبِه المُتَعَفِّرِ
وللهِ صُعْلُوكٌ صَفِيحَةَ وَجْهِهِ	كَضَوْءِ شِهَابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ
مُطِلٌّ عَلى أَعْدَائِه يزْجُرُونَهُ	بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ المَنِيخِ المُشَهَّر

وقال عبد الملك بن مروان ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني إلاعروة بن الورد، لقوله:

إِنِّي امْرُؤٌ عافى إنائِيَ شِرْكَةٌ	وأَنْتَ امْرُؤٌ عافى إنائِكَ وَاحِدُ
أُقسِّمُ جِسْمِي في جُسُومٍ كَثِيرةٍ	وأَحْسُو قَرَاحَ الماءِ، والماءُ بارِدُ

أَتَهْزأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَى ... بجسْمي مَسَّ الحَقِّ، والحَقُّ جاهِدُ

وكان جاهلياً، وهو القائل:

لَعَمْرِي لَئنْ عَشَّرْتُ من خِيفَةِ الرَّدَى ... نُهَاقَ الحَمِيرِ إنَّنِي لجَزُوعُ

وكان أصاب في بعض غاراته امرأة من كنانة، فاتخذها لنفسه فأولدها،وحج بها، ولقيه قومها، وقالوا فادنا بصاحبتنا، فإنا نكره أن تكون سبيةً عندك، قال شريطةٍ، قالوا وما هي؟ قال على أن نخيرها بعد الفداء، فإن اختارت أهلها أقامت فيهم، وإن اختارتني خرجت بها، وكان يرى أنها لا تختار عليه، فأجابوه إلى ذلك، وفادوا بها، فلما خيروها اختارت قومها، ثم قالت أما إني لا أعلم امرأةً ألقت ستراً على خير منك أغفل عيناً وأقل فحشاً وأحمى لحقيقته، ولقد أقمت معك وما يوم يمضي إلا والموت أحب إلي من الحياة فيه، وذلك أني كنت أسمع المرأة من قومك تقول قالت أمة عروة كذى، وقالت أمة عروة كذى ؛ والله لا نظرت في وجه غطفانية، فارجع راشداً، وأحسن إلى ولدك.

فذلك قوله:

ولَوْ كاليَوْمِ كان عَلَّي أَمْرِي ... ومَنْ لك بالتَّدَبُّرِ في الأُمُورِ

إِذن لَمَلَكْتُ عِصْمَةَ أُمِّ عَمْرٍو ... عَلى ما كان من حَسَكِ الصُّدُورِ

فيا لَلنَّاسِ كَيْفَ أَطَعْتُ نَفسي ... على شيءٍ ويَكْرَهُهُ ضَمِيري

طريح الثقفي

هو طريح بن إسمعيل، وكان شاعراً وله عقب بالطائف.

وهو القائل في الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان:

أَنْتَ ابْنُ مُسْلَنْطِحِ البطاحِ ولَمْ ... تُعْطَفْ عَلَيْكَ الحُنِيُّ والوُلُجُ

لَوْ قُلْتَ لِلسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ، والْ ... مَوْجُ عَلَيْهِ كالهَضْبِ يَعْتَلِجُ

لارْتَدَّ أَوْ سَاخ أَوْ لكان له ... في سائِرِ الأَرْضِ عَنْكَ مُنْعَرَجُ

طوبَى لِفَرْعَيْكَ من هُنَا وهُنَا ... طُوبَى لأَعْرَاقِكَ الَّتِي تَشِجُ

وعتب عليه الوليد في شيء فجفاه فقال:

ياَ بْنَ الخَلائِفِ ما لي بَعْدَ تَقْرِبَةٍ ... إِلَيْكَ أُجْفَى، وفي حالَيْكَ لي عَجَبُ

أَيْنَ الذِّمَامَةُ والحَقُّ الَّذي نَزَلَتْ ... بحَفْظِهِ وبتَعْظِيمٍ له الكُتُبُ

هَلاَّ تَحَسَّبْتَ عَنْ عُذْرِي وبَغْيِهِمُ حَتَّى يَبِينَ عَلى مَنْ يَرْجِعُ الكَذِبُ

ما كان يَشْقَى بهذا منك مُرْتَغِبٌ خالٌ، ولا الجارُ، ذُو القُرْبَى ولا الجُنُبُ

إنْ يَعْلَمُوا الخَيْرَ يُخفُوهُ، وإنْ عَلِمُوا شرّاً أُذِيعَ، وإنْ لم يَعْلَمُوا كَذَبُوا

وثقيف أخوال الوليد.

عمر بن لحاء الراجز

هو من تيم بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر.

من بطن يقال لهم - بنو أيسر-. وذكرهم جرير فقال:

أَظُنُّ الخَيْلَ تَذْعَرُ سَرْحَ تَيْمٍ وتُعْجِلَ زُبْدَ أَيْسَرَ أَنْ يُذَابَا

وأخذه من قول لقيط بن زرارة حيث قال فيهم:

إذا دَهَنُوا رماحَهُمُ بزُبْدٍ فإنَّ رِماحَ تَيْمٍ لا تَضِيرُ

ومات عمر بن لجأ بالأهواز، وكان يهاجي جريراً.

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن المنتجع بن نبهان قال سمعت الأشهب بن جميل يقول أنا أول من ألقى الهجاء بين جرير وابن لجأ، أنشدت جريراً قول ابن لجأ:

تَصْطَكُّ أَلْحِيها عَلى دِلائِها تَلاَطُمَ الأزْدِ على عَطَائِها

حتى بلغت قوله:

تجُرُّ بالأَهْوَنِ من أَدْنائِها جَرَّ العَجُوزِ الثِّنْيَ من خِفائِها

فقال جرير ألا قال:

جر الفتاة طرفي ردائها؟

فرجعت إلى عمر بن لجأ فأخبرته بما قال جرير، فقال والله ما أردت إلا ضعفة العجوز! ووقع الشر بينهما.

وفي غير هذه الرواية أن ابن لجأ قال له عند المهاجر عبد الله الكلابي والي اليمامة فقد قلت أنت أعجب من هذا، وهو قولك:

وأَوْثَقُ عِنْدَ المُرْدَفاتِ عَشِيَّةً لِحَاقاً إذا ما جَرَّدَ السَّيْفَ لامِعُ

والله لئن كن لم يلحق إلا عشياً ما لحقن حتى نكحن وأحبلن! فوقع الشر بينهما، فلما بلغ التيم أتوا عمر فقالوا عرضتنا لجرير، وسألوه الكف، فقال أكف بعد ذكره برزة؟! وبرزة أمه، وذلك في قول جرير:

أَنْتَ ابْنُ بَرْزَةَ مَنْسُوبٌ إِلى لجأٍ ... عِنْدَ العُصَارَةِ والعِيدانُ تُعْتَصَرُ

-يقال فلان عصارة فلان، أي ولده، وهو سبٌ-.

أبو الهندي

هو عبد الله المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي، من بني زيد بن يربوع.وكان مغرماً بالشراب، ومات بسجستان.

وهو القائل بصف الأباريق:

سيُغْنِي أَبا الهِنْدِي عَنْ وطْبِ سَالِمٍ ... أَباريقُ لم يَعْلَقْ بها وَضَرُ الزُّبْدِ

مُفَدَّمَةً قَزّاً كَأَنَّ رِقابَها ... رِقابُ بَنَاتِ الماءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ

وسالم الذي ذكره هو مولى قديد بن منيع المنقري.

ثم ترك الخمر وقال:

تَرَكْتُ الخُمُورَ لأَرْبابِها ... وأَقْبَلْتُ أَشْرَبُ ماءً قراحَا

وقَدْ كُنْتُ حِيناً بها مُغْرَماً ... كحُبِّ الغُلامِ الفَتَاةَ الرَّدَاحَا

فلم يَبْقَ في الصَّدْرِ من حُبِّها ... سِوَى أَنْ إذا ذُكِرَتْ قُلْتُ آحَا

وما كان تَرْكِي لَها أَنَّني ... يَخافُ نَدِيمِي عَلَيَّ افْتِضَاحَا

ولكِنَّ قَوْلِي له مَرْحَباً ... وأَهْلاً مَعَ السَّهْلِ وانْعِمْ صَبَاحَا

وهو القائل:

إِذا ما أَلَحَّ البَرْدُ فاجْعَلْ دِثارَهُ ... إِذا الْتَحَفَ الأَقْوامُ، دُكْنَ المطَارِفِ

ثَلاثَةَ أَرْطَالٍ نَبِيذاً مُعَسَّلاً ... تَكُنْ آمناً منه لَهُ غَيْرَ خائِفِ

فإِنَّ الْتِحَافَ المَرْءِ في جوْفِ بَطْنِهِ ... أَشَدُّ وأَدْفا مِنْ جِيادِ المَلاحِفِ

الكذاب الحرمازي

هو عبد الله بن الأعور. وقيل له الكذاب لكذبه.

وحدثني سهل عن الأصمعي قال قال رؤبة بن العجاج جاء الكذاب الحرمازي، وهو عبد الله بن الأعور،

إلى العجاج يطلب حاجةً، فقال له أشعرت أني مررت بمثل ذنب اليربوع يتبعصص، أي يتلوى، فقلت ما هذا؟ قيل هذا فضل رجز العجاج على رجزك! فأخذت كفا من تراب فسكرته، ثم إذا آخر أعظم منه فسكرته برحب ذراع، ثم إذا آخر أعظم منهما، فعالجته حتى سكرته، ثم إذا ميثاء جلواخ تقذف بالزبد، فما زلت حتى سكرتها،ثم التفت فإذا خضارة طامياً، فرميت بنفسي فيه، فأنا أذهب إلى ساعتي هذه! فقال له العجاج ما حاجتك؟ قال كذا وكذا، فقضاها له. وهو القائل:

لَسْتُ بكذَّابٍ ولا أَثَّامِ ولا بجَثَّامٍ ولا مِصرْاَمِ

ولا أُحِبُّ خُلَّةَ اللِّئامِ

وكان يهجو قومه، فقال:

إِنَّ بَنى الحِرْماز قَوْمٌ فِيهِمْ عَجْزٌ إِيكالٌ على أَخِيهِمْ

فابْعَثْ عَلَيْهِمْ شاعراً يُخْزِيهِمْ يَعْلَمُ مِنْهُمُ مِثْلَ عِلْمِي فِيهِمْ

ومن جيد رجزه قوله في حكم بن المنذر بن الجارود:

يا حَكَمَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجارودْ سُرَادِقُ المَجْدِ عَلَيْكَ مَمْدودْ

نَبَتَّ في الجُودِ وفي بَيْتِ الجُودْ والعُودُ قد يَنْبُتُ في أَصلْ العُودْ

مرة بن محكان السعدي

هو من سعد بن زيد مناة بن تميم، من بطن يقال لهم بنو ربيع. وفيهم يقول الفرزدق:

تُرَجِّي رُبَيْعٌ أَنْ تَجِئَ صِغارُها بخَيْرٍ وقد أَعْيَتْ رُبَيْعاً كِبارُها

وكان مرة سيد بني ربيع، وقتله صاحب شرط. مصعب بن الزبير، ولا عقب له.

وهو القائل في الأضياف، وكان يقال له أبو الأضياف:

وقُلْتُ لَمَّا غَدَوْا أُوصِي قَعِيدَتَنَا غَدِّى بَنِيكِ فلَنْ تَلْقَيْهِمُ حِقَبَا

أُدْعَى أَباهُمْ ولم أُقْرَفْ بأمِّهِم وقَدْ هَجَعْتُ ولم أَعْرِفْ لَهُمْ نَسبَا

أَنا ابْنُ مَحْكانَ أَخْوالي بنو مَطَرٍ أُنْمَى إِلَيْهِمْ وكانوا مَعْشَراً نُجُبَا

أوس بن مغراء

هو من بني ربيعة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد. وكان يهاجي النابغة الجعدي.

وهو القائل في بني صفوان الذين كانت فيهم الإفاضة من عرفة، وهم صفوان بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد:

ولا يَرِيمُونَ لنا في التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُمْ ... حتَّى يُقَال أَفِيضُوا آلَ صَفْوَانَا

مَجْداً بَنَاه لنا قِدْماً أَوَائلُنا ... وأَوْرَثُوهُ طوالَ الدَّهْرِ أُخْرَانَا

أبو الزحف الراجز

هو ابن عطاء بن الخطفي، ابن عم جرير الشاعر.

وعمر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس.

وهو القائل:

إِلَيْكَ أَشْكُو وجَعاً بِرُكْبَتي ... وهَدَجَاناً لم يَكُنْ من مِشْيَتي

كهَدَجَان الرَّأْلِ خَلْفَ الهَيْقَتِ ... مُزَوْزِياً لمَّا رَآها زَوْزَتِ

وقال الآخر، ولا أعرف اسمه:

إِلَيْكَ أَشْكُو وَجَعَاً بمِرْفَقِي

وهَدَجَاناً لم يَكُنْ من خُلُقِي ... كَهَدَجَانِ الرَّأْل حوْلَ النِّقْنِق

وأخذ هذا من أبي الزحف. استدللت على ذلك بأن أبا الزحف ذكر وجعاً بركبته، وذلك مما يعتري الشيوخ، كما قال الآخر:

وللكَبير رَثَيَاتٌ أَرْبَعُ ... الرُّكْبَتَان والنَّسَا والأَخْدَعُ

ولما أراد هذا أن يتبعه اضطرته القافية إلى ذكر المرفق، وذلك مما لا يتشكاه من شكا علل الكبر.

السرداق الذهلي

كان السرداق هذا مولعاً بالشراب، فعاتبته ابنته على شرب الخمر، فقال لها يا بنية، لا صبر لي عنها، وقد صارت غذاءً! قالت له ففي نبيذ التمر لك عوض، فأمرها فاتخذت له نبيذ تمر، فشرب منه أياماَ، فلم يوافقه، فعاد إلى الخمر، وقال:

عُرُوقُ الصَّدْرِ تَعْلَمُ أَنَّ هذَا ... له طُرُقٌ سِوَى طُرُقِ النَّبِيذِ

وقال في ابنته:

تَقُولُ ابنَتي لا تَشْرَبِ الخَمْرَ والْتَمسْ شَرَاباً سِوَاهُ، والشَّرَابُ كَثِيرُ
فقُلْتُ ومَنْ لي بالشَّرابِ الذي إذَا شَرِبْتُ عَرَاني في العِظامِ فُتُورُ
أَأَشْرَبُ تَمْراً يَنْفُخُ البَطْنَ مُنْتِناً وأَتْرُكُها كالمِسْكِ حِينَ تَفُورُ
لها أَرَجٌ في البَيْتِ ما لم يَشُجَّها السُّقَاةُ يَكادُ المَرْءُ منه يَطِيرُ
فذلكَ أَمْرٌ لَسْتُ عنه بمُقْصِرٍ وإنْ دار صَرْفُ الدَّهْرِ حَيْثُ يَدُورُ

ومر بمجلسٍ من مجالس الأزد، وقد شرب، فاختلفت رجلاه! فقال شاب منهم إنها لمشية سكران، فأقبل عليه السرداق وقال:

مَعاذَ إلهي لَسْتُ سَكْرانَ يا فَتَى وما اخْتَلَفَتْ رِجْلايَ إلا منَ الكِبَرْ
ومَنْ يَكُ رَهْناً لِلَّيَالي ومَرِّها تَدَعْهُ كَلِيلَ القَلْبِ والسَّمْعِ والبَصَرْ

هدبة بن خشرم العذرى

هو هدبة بن خرشم بن كرز، من عذرة.

وكان هدبة صاحب زيادة بن زيد العذري، وهما مقبلان من الشام في نفر من قومهما، فكانوا يتعاقبون السوق بالإبل، فترل زيادة يسوق بأصحابه، فرجز فقال:

عُوجِي عَلَيْنا وارْبَعي يا فاطِمَا ما دُونَ أَنْ يُرَى البَعِيرُ قائمَا
أَلا تَرَيْنَ الدَّمْعَ مِني ساجِمَا حِذارَ دارٍ مِنْكِ أَنْ تُلائمَا

وكان لهدبة أخت يقال لها فاطمة، فظن أنه شبب بها، فترل هدبة فساق بالقوم، ورجز بأخت زيادة، وكان يقال لها أم القاسم، فقال:

مَتَى تَظُنُّ القُلُصَ الرَّوَاسِمَا يَبْلُغْنَ أُمَّ قاسِمٍ وقَاسِمَا
خَوْداً كأَنَّ البَوصَ والمَآكِمَا منها نَقاً مُخَالِطٌ صَرَائمَا
واللهِ لا يَشْفِي الفُؤَادَ الهَائمَا تَمْسَاحُكَ اللَّبَّاتِ والمَعَاصِمَا
ولا اللِّمَامُ دُونَ أَنْ تُلازِمَا ولا اللِّزَامُ دُونَ أَنْ تُفَاقِمَا

وتَعْلُقَ القَوَائمُ القَوائمَا

فتشاتما، فلما وصلا إلى ديارهما جمع زيادة رهطاً من أهل بيته، فبيت هدبة، فضربه على ساعده، وشج أباه خشرما، وقال زيادة في ذلك:

شَجَجْنا خَشْرَماً في الرَّأسِ عَشْراً　　وَوَقَّفْنا هُدَيْبَةَ إذْ هَجَانا

وقفنا من التوقيف في اليدين والرجلين، وهو سواد وبياض يكون فيهما.

تَرَكْنا بالعُوَيْنِدِ من حُسَيْنٍ　　نِسَاءً يَلْتَقِطْنَ به الجُمَانا

فقال هدبة:

فإِنَّ الدَّهْرَ مُؤْتَنِفٌ جَدِيدٌ　　وشَرُّ الخَيْلِ أَقْصَرُها عِنَانَا

وشرُّ الناس كلُّ فَتىً إذا ما　　مَرَتْهُ الحَرْبُ بَعْدَ العَصْب لانَا

فلم يزل هدبة يطلب غرة من زيادة، حتى أصابها، فبيته فقتله، وتنحى مخافة السلطان، وعلى المدينة، فلما بلغ ذلك هدبة أقبل حتى أمكن من نفسه، وتخلص عمه وأهله، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن يزيد، أخو زيادة، إلى معاوية، وأورد كتابه، على سعيد بن العاص بأن يقيد منه إذا قامت البينة عليه، فسأله سعيد البينة فأقامها فمشت عذرة إلى عبد الرحمن، وسألوه قبول الدية، فامتنع من ذلك، وقال:

أَنَخْتُمْ علَيْنَا كَلْكَلَ الحَرْبِ مَرَّةً　　فَنَحْنُ مُنِيخُوها عَلَيْكُمْ بكَلْكَلِ

فلا يَدْعُنِي قَوْمِي لزَيْدِ بن مالِكٍ　　لَئِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَو أُعَجَّلِ

وسأله سعيد أن يقبل الدية منه، وقال أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء، ولا ذات داءٍ، والله لو نقيت لي مجلسك هذا ثم ملأته ذهباً ما رضيت به من هذا، وقال:

تَعَزَّى عن زيادَةَ كُلُّ مَوْلَى　　خَلِيٍّ لا تَأَوَّبُهُ الهُمُومُ

وكَيْفَ تَجَلُّدُ الأَدْنَيْنَ عنه　　ولم يُقْتَلْ به الثَّأْرُ المُنيمُ

ولَوْ كُنْتَ المُصَابَ وكان حَيّاً　　لَشَمَّرَ لا أَلَفٌ ولا سَؤُومُ

ولا هَيَّابَةٌ باللَّيْلِ نِكْسٌ　　ولا وَرَعٌ إذا يُلْقَي جَثُومُ

فدفعه سعيد إليه موثقاً في الحديد، فقال هدبة:

إن تَقْتُلُوني في الحَدِيدِ فإنَّني　　قَتَلْتُ أَخاكُمْ مُطْلَقاً غَيْرَ مُوثَق

فقال عبد الرحمن بن زيد لا والله لا قتلته إلا مطلقاً، فأطلق، فقتله وكان هدبة قال لهم تفقدوني إذا ضربت عنقي، فإني سأقبض يدي وأبسطها، فتفقدوه فرأوه قد فعل ذلك.

ويقال إن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت اعترضه وهو يرفل إلى الموت، فقال ما هذا يا هدب؟ قال لا آتي الموت إلا شدا! قال أنشدني، قال على هذا من الحال؟! قال نعم، فأنشده:

ولا أَتَمَنَّى الشَّرَّ والشَّرُّ تارِكِي ... ولكِنْ مَتَى أُحْمَلْ على الشَّرِّ أَرْكَبِ

ولَسْت بمِفْرَاحٍ إذا الدَّهْرُ سرَّني ... ولا جازِعٍ من صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ

وحَرَّبَني مَوْلايَ حَتَّى غَشيتُهُ ... مَتى ما يُحَرِّبْكَ ابنُ عَمِّك تَحْرَبِ

أخذه من تأبط شراً:

ولَسْتُ بمِفْراحٍ إذا الدَّهْرُ سَرَّني ... ولا جازِعٍ من صَرْفِهِ المُتَحَوِّلِ

وهدبة هو القائل:

فلا تَنْكَحِي إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنا ... أَغَمَّ القَفَا والوَجْهِ لَيْسَ بأَنْزَعَا

ضَرُوباً بلَحْيَيْه على عَظْمِ زَوْرِهِ ... إذا القَوْمُ هَشُّوا للفَعالِ تَقَنَّعَا

وزيادة هو القائل:

ولا تَيأَسنَّ الدَّهْرَ من حُبِّ كاشِحٍ ... ولا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ صُرْمَ حَبيبِ

ولَيْسَ بَعِيداً كُلُّ آتٍ فواقِعٌ ... ولا ما مَضَى من مُفْرِحٍ بقَرِيب

وكُلُّ الذي يَأْتي فأَنْتَ نَسيبُهُ ... ولَسْتَ لَشيْءٍ قد مَضَى بنَسيبِ

لَعَمْرِيَ ما شَتْمِي لكم إنْ شَتَمْتُكُمْ ... بسِرٍّ ولا مَشْيِي لَكُمْ بدَبِيبِ

ولا وَدُّكُمْ عِنْدِي بعِلْقٍ مَضَنَّةٍ ... ولا قَذْعُكُمْ عِنْدِي بجِدٍّ مَهيبِ

إذا ما تَقَسَّمْتُمْ تُراثَ أَبيكُمُ ... فلا تَقْرَبُوني قد شَفَهْتُ نَصِيبِي

سعد بن ناشب

هو من بني العنبر. وكان أبوه ناشب أعور. وكان من شياطين العرب. وله يوم الوقيط، وهو يوم كان في الإسلام بين تميم وبكر بن وائل. له ذكر.

وكان سعد أيضاً من مردة العرب. وفيه يقول الشاعر،أو في كعب بن ناشب:

وكَيفَ يُفِيقُ الدَّهْرَ سَعْدُ بن ناشِبٍ ... وشَيْطانُهُ عِنْدَ الأَهِلَّةِ يُصرَعُ

وسعد هو القائل:

سأَغْسلُ عَنِّي العَارَ بالسَّيف جالباً عَليَّ قَضَاءُ اللهِ ما كان جالبَا

ويَصْغُرُ في عَيْني تِلادِي إذا انْثَنَتْ يَميني بإدْراك الَّذي كُنْتُ طالبا

فيالَ رِزَامٍ رَشِّحُوا بي مُقَدَّماً إلى المَوْتِ خَوَّاضاً إليه الكَتَائبا

إذا هَمَّ لم تُرْدَعْ عَزيمَةُ هَمِّهِ ولَمْ يَأْتِ ما يَأْتِي منَ الأَمْرِ هائبا

أَخا غَمَرَاتٍ لا يُريدُ عَلى الَّتي يَهُمُّ بها من مُفظِعِ الأَمْرِ صاحبا

إذا هَمَّ أَلْقَى بيْنَ عَيْنَيْه عَزْمَهُ ونَكَّبَ عن ذكْرِ العَواقبَ جانبا

ولم يَسْتَشِرْ في رَأْيِهِ غيْرَ نَفْسهِ ولم يَرْضَ إلا قائمَ السَّيْفِ صاحبا

المرار العدوي

هو المرار بن منقذ. من صدى بن مالك بن منقذ. من صدى بن مالك بن حنظلة. وأم صدى من جل بن عدي.فيقال له ولولده بنو العدوية. وقال لهم عوف بن القعقاع يا بني العدوية، أنتم أوسع بني مالك أجوافاً، وأقلهم أشراقاً! والمرارهو القائل:

يا حَبَّذَا حين تُمْسِي الرِّيحُ باردَةً وادي أُشَيٍّ وفتْيانٌ بِهِ هُضُمُ

مُخَدَّمُونَ كِرَامٌ في مَجَالِسِهِم وفي الرِّحَالِ إذا لاقَيْتَهُمْ خَدَمُ

وما أُصاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فأَذْكُرُهُمْ إلا يَزِيدُهُمُ حُبّاً إليَّ هُمُ

وهو القائل في الخيل قصيدته التي أولها:

هَلْ عَرَفْتَ الدارَ أَمْ أَنْكَرْتَها بَيْنَ تِبْرَاكٍ فَشَّيْ عَبْقُرّْ

وكان ممن تعرض لجرير، فقال له جرير:

فإن كُنْتُمُ كَلْبَى فعنْدِي شِفاؤُكُمْ وللجنِّ إنْ كان اعْتَرَاكَ جُنُون

وما أَنْتَ يا مَرَّارُ يا زَبَدَ اسْتِها بأَوَّلِ مَنْ يَشْقَى بنا ويَحِينُ

وكان الأصمعي يخطئه في قوله في صفة نخلٍ:

كأَنَّ فُروعَها في كُلِّ ريحٍ عَذَارَى بالذَّوائب يَنْتَصِينا

ضربْنَ العِرْقَ في يَنْبُوعِ عَيْنٍ طَلَبْنَ مَعِينَةً حَتَّى رَوِينا

بنَاتُ الدَّهْرِ لا يَخْشَينَ مَحْلاً إذا لم تَبْقَ سائِمَةٌ بَقِينا

وقال لم يكن له علم بالنخل! وإذا تباعد النخل كان أجود له وأصلح لثمره، ومما كانت العرب تقوله عن الأشياء قالت نخلة لأخرى:

أَبْعِدي ظِلِّي من ظِلِّك أَحْمِلْ حَمْلي وحَمْلَكِ

المرار بن سعيد الفقعسي

هو من بني أسد، وكان يهاجي المساور بن هند.

وكان قصيراً مفرط القصر ضئيلاً وفي ذلك يقول:

ومُنْتَظِري صَمْتاً، فقال رأَيْتُهُ نَحيفاً، فقد أَجْزِي عَنِ الرَّجُلِ الصَّتْمِ

رَأَت رجُلاً قَصْداً، دَعَائمُ بَيْتِه طِوَالٌ، وما طُولُ الأَباعِرِ بالجِسْمِ

وهو القائل:

وقد لَعِبْتُ مَعَ الفِتْيَانِ ما لَعِبُوا وقَدْ أَجُدُّ وقَدْ أَغْنَى وأَفْتَقِرُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ من جِدِّي ومن لِعبِي كُلُّ امْرِىءٍ بامْرِىءٍ لا بُدَّ مُؤتَزِرُ

وإنَّما لِيَ يَوْمٌ لَسْتُ سابِقَه حتَّى يَجِيءَ وإنْ أَوْدَى بِيَ العُمُرُ

لا يَسْأَلِ الناسُ عن سِنِّي وقد قَدِعَتْ لي الأَرْبَعُونَ وطال الوِرْدُ والصَّدَرُ

وهو القائل:

ولَيْسَ الغَوَانِي للجَفَاءِ ولا الذي له عن تَقَاضِي دَيْنِهِنَّ هُمُومُ

ولكِنَّما يَسْتَنْجِزُ الوَأْيَ تَابعٌ مُنَاهُن، حَلاَّفٌ لَهُنَّ أَثِيمُ

وما جُعِلَتْ أَلْبَابُهُنَّ لِذِي الغِنَى فَيَيْأَسَ من أَلْبَابِهِنَّ عَدِيمُ

وهذا مثل قول ذي الرمة:

وما الفَقْرُ أَزْرَى عِنْدَهُنَّ بوَصْلِنا ولكِنْ جَرَتْ أَخْلاقُهُنَّ على البُخْلِ

وهو القائل يرثي أخاه بدراً:

وما لِلقُفُولِ بَعْدَ بَدْرٍ بَشَاشَةٌ ولا الحَيِّ تأْتِيهمْ ولا أَوْبَةِ السَّفْرِ

تُذَكِّرُني بَدْراً زَعَازِعُ حَجْرَةٍ إذا عَصَفَتْ إحْدَى عَشِيَّتِها الغُبْرِ

وأَضْيَافُنا إنْ نَبَّهُونا ذَكَرْتُهُ فكَيْفَ إِذن أَنْساهُ غابِرَةَ الدَّهْرِ

فتىً كان يَقْرى الشَّحْمَ في لَيْلَةِ الصَّبَا عَلى حينِ لا يُعْطِي الدَّثُورُ ولا يَقْري
إذا سَلَّمَ السَّاري تَهَلَّلَ وَجْهُهُ عَلى كلِّ حالٍ من يَسَارٍ ومن عُسْرِ
إذا شَوَّلْنا لم نَسْعَ فيها بمِرْفَدٍ قَرَى الضَّيْفَ منها بالمُهَنَّدِذي الأَثْرِ
وما كُنْتُ بَكَّاءٍ ولكنْ يَهيجُني عَلى كِّرْهِ طيبُ الخَلائق والذِّكْرِ
أَعَيْنَيَّ إني شاكرٌ ما فَعَلْتُمَا وحُقَّ لِمَا أَبْلَيْتُماني بالشُّكْرِ
سَأَلْتُكُمَا أَنْ تُسْعِدَاني فجُدْتُمَا عَوَانَيْنِ بالتَّسْجامِ باقِيَتَي قَطْرِ
فلمَّا شَفَاني اليَأْسُ عنه بسَلْوَةٍ وأَعْذَرْتُما، لا بَلْ أَجَلُّ من العُذْرِ
نَهَيْتُكُمَا أَنْ تُشْمِتَا بي فكنْتُمَا صَبُورَيْنِ بَعْدَ اليَأْسِ طاوِيَتَيْ غُبْرِ

أبو وجزة السعدي

هو يزيد بن عبيد، من بني سعد بن بكر بن هوازن، أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان شاعراً مجيداً، راوية للحديث، وهو روى عن أبيه الحديث في استسقاء عمر بن الخطاب قال خرج عمر يستسقي، فلم يزد على الاستغفار، فقلدتنا السماء قلداً كل خمس عشرة ليلةً. حتى رأيت الأرنبة يأكلها صغار الإبل من من وراء حقاق العرفط.

وقد ذكرت الحديث وتفسيره في كتاب المؤلف في غريب الحديث وتوفي أبو وجزة بالمدينة وهو أحد من شبب بعجوزٍ، قال في قصيدةٍ يمدح فيها ولد الزبير بن العوام:

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُوَكَّلُ بالصِّبَى فِيمَ ابْنُ سَبْعِينَ المُعَمَّرُ من دَدِ
حَتَّى مَ أَنْتَ مُوَكَّلٌ بقَدِيمَةٍ أَمْسَتْ تُجَدِّدُ كاليَمَاني الجَيِّدِ
شَبَّ الجَلالُ جَمَالَها ورَسَا بها عَقْلٌ وفاضِلَةٌ وشِيمَةُ سَيِّدِ
ضَنَّتْ بنائِلِها عَلَيْكَ وأَنْتُمَا إلْفانِ في طَرَفِ الشَّبَابِ الأَغْيَدِ
أَفَلاَنَ تَرْجُو أَنْ تُثِيبَكَ نائِلاً أَيْهاتَ نائِلُها مكانَ الفَرْقَدِ

الشمردل

هو الشمردل بن شريك، يربوعيٌّ، وكان يقال له ابن الخريطة، وذلك أنه جعل وهو صبي في خريطة.

وهو القائل:

إذا جرَى المِسْكُ يَوْماً في مَفَارِقِهِمْ — راحُوا كأَنَّهُمُ مَرْضَى من الكَرَمِ

يُشَبَّهُونَ مُلُوكاً من تَجِلَّتِهِمْ — وطُولِ أَنْضِيَةِ الأَعْنَاقِ والقِمَمِ

وهو نحو قول ليلى الأخيلية:

ومُخَرِّقٍ عنه القَمِيصُ تَخَالُهُ — وسْطَ البُيُوتِ من الحَيَاءِ سَقِيمَا

حَتَّى إذا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ — تَحْتَ اللواءِ على الخَمِيسِ زَعِيمَا

القتال الكلابي

هو من بني أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وكان شديد حمرة اللون، وذلك قوله:

وَرِثْنَا أَبانا حُمْرَةَ اللَّوْنِ عامراً — ولا لَوْنَ أَدْنَى للهِجانِ من الحُمْرِ

وهو القائل:

يا لَيْتَنِي والمُنَى لَيْسَتْ بنافِعَةٍ — لمالِكٍ أو لنَصْرٍ أو لسَيَّارِ

طِوَالِ أَنْضِيَةِ الأَعْناقِ لم يَجِدُوا — رِيحَ النِّساءِ إذا راحَتْ بأَزْفارِ

لم يَرْضَعُوا الدَّهْرَ إلاّ ثَدْىَ واحِدَةٍ — لواضِحِ الوَجْهِ يَحْمِي باحَةَ الدَّارِ

وقال:

أَيُرْسِلُ مَرْوَانُ الأَمِيرُ رسالَةً — لآتِيَه، إنِّي إذن لمُضَلِّلُ

وفي باحَةِ العَنْقاءِ أو في عَمَايَةٍ — أَوِ الأُدَمَى من رَهْبَةِ المَوْتِ مَوْئِلُ

ولِي صاحِبٌ في الغارِ هَدَّكَ صاحِباً — هُوَ الجَوْنُ إلاَّ أَنَّهُ لا يُعَلَّلُ

إذا ما الْتَقَيْنا كان جُلُّ حَدِيثِنا — صُمَاتٌ وطَرْفٌ كالمَعابِلِ أَطْحَلُ

تَضَمَّنَتِ الأَرْوَى لَنَا بطَعَامِنا — كِلاَنا لهُ منها نَصِيبٌ ومَأْكَلُ

يذكر أنه رافق نمراً في مغارةٍ.

القلاخ بن جناب

هو من بني حزن بن منقر بن عبيد بن الحرث. وكان شريفاً.

وأبوه حناب، وأمه بنت خرشة بن عمرو الضبيّ.

وهو القائل:

أَنا القُلاَخُ بن جنابِ ابن جَلا ... أَبُو خَناثِيرَ أَقُودُ الجَمَلا

ذو الإصبع العدواني

هو حرثان، من عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان. وكان جاهلياً وسمى ذا الإصبع لأن حيةٌ نهشته في إصبعه فقطعها.

وهو القائل:

لِيَ ابنُ عَمٍّ على ما كانَ من خُلُقٍ ... مُخالِفٌ لِيَ أَقْلِيهِ ويَقْلِيني

أَزْرَى بِنا أَنَّنا شالَتْ نَعامَتُنا ... فخالَني دُونَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُوني

إِنَّكَ إلاَّ تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتي ... أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الهامَةُ اسْقُوني

إِني لَعَمْرِيَ ما بَيْتي بذِي غَلَقٍ ... على الصَّدِيقِ ولا خَيْري بمَمْنُونِ

ولا لِساني على الأَدْنَى بمُنْبَسِطٍ ... بالفاحِشات، ولا فَتْكِي بمَأْمُونِ

عَنِّي إِلَيْكَ فما أُمِّي براعِيَةٍ ... تَرْعَى المَخاضَ ولا رأْيِي بمَغْبُونِ

لا يُخْرِجُ الكَرْهُ مني غَيْرَ مَأْبِيَةٍ ... ولا أَلِينُ لِمَنْ لا يَبْتَغِي لِينِي

وهو القائل:

عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَدْوَا ... نَ كانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ

عَلا بَعْضُهُمْ بَعْضاً ... فلَمْ يُرْعُوا على بَعْضِ

ومِنْهُمْ كانتِ السادا ... تُ والمُوفُونَ بالقَرْضِ

ومِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي ... فلا يُنْقَضُ ما يَقْضِي

إِذا ما وَلَدُوا أَشْبَوا ... بسِرِّ الحَسَبِ المَحْضِ

لقيط بن زرارة

هو لقيط بن زرارة بن عدس، من تميم، ويكنى أبا دختنوس وأبا نهشل.

وكان أشرف بني زرارة وقال له أبوه لقد طارت بك الخيلاء حتى كأنك نكحت بنت قيس بن مسعود الشيباني، أو أفأت مائةً من عصافير كسرى! فتزوج بنت قيس بن مسعود وأعطاه كسرى مائة من عصافيره، وهي إبل كانت له.

وكان على الناس يوم جبلة، وقتل يومئذٍ.

وأخوه حاجبٌ بن زرارة صاحب القوس التي يقال لها قوس حاجب.

وكانت له بنت يقال لها دختنوس، لم يكن له غيرها، وفيها يقول:

يا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكِ دَخْتَنُوسُ ... إذا أَتَاها الخَبَرُ المَرْمُوسُ

أَتَخْمِشُ الخَدَّيْنِ أَمْ تَميسُ ... لا بَلْ تَميسُ، إنَّها عَرُوسُ

ودختنوس- بنت لقيط - هي القائلة في زوجها عمير بن معبد بن زرارة:

أَعَيْني أَلا فابْكِي عُمَيْرَ بن مَعْبَدِ ... وكانَ ضَرُوباً باليَدَيْنِ وباليَدِ

وكان لقيط شاعراً محسناً. وهو القائل يوم جبلة:

إنَّ الشِّوَاءَ والنَّشيلَ والرُّغُفْ ... والقَيْنَةَ الحَسْناءَ والكَأْسَ الأُنُف

للضَّارِبينَ الخَيْلَ والخَيْلُ قُطُفْ

الكأس الأنف التي لم يشرب بها من قبل ذلك.

ومن جيد شعره قوله:

وإنِّي منَ القَوْمِ الَّذينَ عَرَفْتَهُمْ ... إذا ماتَ منهم سَيِّدٌ قام صاحِبُهْ

نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غار كَوْكَبٌ ... بدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهْ

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ ووُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ

وبعض الرواة ينحل هذا الشعر أبا الطمحان القيني، وليس كذلك، إنما هو لقيطٍ.

البردخت

هو من بني ضبة.

وجاء إلى جرير فقال له هاجني! فقال له جرير ومن أنت؟ قال أنا البردخت! قال وما البردخت؟ قال الفارغ بالفارسية!! فقال له جرير: ما كنت لأشغل نفسي بفراغك! والبردخت القائل:

إِذا كانَ الزَّمانُ زَمانَ عَكٍّ وتَيْمٍ فالسَّلامُ على الزَّمانِ
زَمَانٌ صارَ فيهِ العِزُّ ذُلاًّ وصارَ الزُّجُّ قُدَّامَ السِّنانِ

وهو القائل:

لَقَدْ كانَ في عَيْنَيْكَ يا حَفْصُ شاغِلٌ وأنف كثَيْلِ العَوْدِ عمَّا تَتَبَّعُ
تَتَبَّعُ لَحْنًا من كلامٍ مُرَقَّشٍ وخَلْقُكَ مَبْنِيٌّ على اللَّحْنِ أَجْمَعُ
فَعَيْنُكَ إِقْوَاءٌ، وأَنْفُكَ مُكْفأٌ، ووَجْهُكَ إيطاءٌ، فأَنْتَ المُرَقَّعُ

خلف بن خليفة

كان خلف أقطع اليد، وله أصابع من جلود.

وفيه يقول الفرزدق:

هو اللِّصُّ وابنُ اللِّصِّ لا لِصَّ مِثْلُهُ لِنَقْبِ جِدَارٍ أَو لِطَرِّ الدَّرَاهِمِ

وقد ذكرت الخبز في أخبار الفرزدق.

وكان خلف شاعراً مطبوعاً ظريفاً.

ودخل على يزيد بن عمروبن هبيرة في يوم مهرجان، وقد أهديت له هدايا، وهو أمير العراق، فقال:

كأَنَّا شَمَامِيُس في بيعَةٍ تُقَسِّسُ في بَعْضِ عِيداتِها
وقد حَضَرَتْ رُسُلُ المِهْرَجَانِ وصفُّوا كَرِيمَ هدَاياتِها
عَلَوْتُ بِرَأْسِي فَوْقَ الرُّؤُوس فأَشْخَصْتُهُ فَوْقَ هَاماتِها
لأُكْسِبَ صَاحِبَتِي صَحْفَةً تَغيظُ بها بَعْضَ جاراتِها
لا تَبْخَلَنَّ بدُنْيَا وهْيَ مُقْبِلَةٌ فلَيْسَ يَنْقُصُها التَّبْذِيرُ والسَّرَفُ
وإنْ تَوَلَّتْ فأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بها فالحَمْدُ منها إذا ما أَدْبَرَتْ خَلَفُ

وسأل خلف أبان بن الوليد أن يهب له جاريةً، فوعده، وأبطأت عليه، فكتب إليه:

أَرَى حاجَتِي عِنْدَ الأَمِيرِ كَأَنَّها تَهُمُّ زَمَاناً عِنْدَهُ بِمُقَامِ
وأَحْصَرُ من إِذْ كارِهِ إِنْ لَقِيتُهُ وصِدْقُ الحَيَاءِ مُلْجَمٌ بلِجَامِ
أَرَاها إذا كان النَّهَارُ نَسِيئَةً وباللَّيْلِ تُقْضَى عِنْدَ كُلِّ مَنامِ
فيارَبِّ أَخْرِجْها فإِنَّكَ مُخْرِجٌ مِنَ المَيْتِ حَيًّا مُفْصِحاً بِكَلاَمِ

فتَعْلَمَ ما شُكْرِى إذا ما قَبَضْتُهَا　　　وكَيفَ صَلاتِى عِنْدَهَا وصِيامِى

وَإِنْ حَاجَتِى مِنْ بَعْدِ هذَا تأَخَّرَتْ　　　خَشِيتُ لِمَا بِى أَنْ أَزُورَ غُلامِى

فضحك أبان، وبعث إليه بجارية.

العجلاني

هو عبد الله بن عجلان.

وحدثني عبد الرحمن عن الأصمعي أنه قال هو نهدي جاهلي.

وهو من عشاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقاً. وقد ذكره بعض الشعراء فقال:

إِنْ مُتُّ مِنَ الحُبِّ　　　فَقَدْ مَاتَ ابْنُ عَجْلاَنْ

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين قال قال عبد الله بن عجلان، صاحب هند التي عشقها:

أَلاَ إِنَّ هِنْداً أَصبَحَتْ مِنْكَ مَحْرَمَا　　　وأَصبَحْتَ مِنْ أَدْنَى حُمُوَّتِها حَمَا

فأَصبَحَتْ كالمَقمُورِ جَفْنَ سِلاحِهِ　　　يُقَلِّبُ بالكَفَّيْنِ قَوْساً وأَسْهُمَا

قال ومد بها صوته، ثم خر فمات.

وهذا الشعر يدل على أن هنداً كانت تحته فطلقها ثم تتبعتها نفسه.

جران العود

إنما سمي جران العود لقوله لامرأتيه:

خُذَا حَذَراً يا حَنَّتَيَّ فإِنَّنِى　　　رَأَيْتُ جِرَانَ العَوْدِ قد كاد يَصلُحُ

يريد سوطاً قده من صدر جملٍ مسنٍّ،خوفها به.

وكان جران العود والرحال خدنين، فتزوج كل واحد منهما امرأتين، فلقيا منهما مكروهاً، فقال جران العود:

أَلاَ لاَ تَغُرَّنَ امْرَءاً نَوْفَلِيَّةٌ　　　على الرَّأسِ بَعْدِي أَو تَرَائِبُ وُضَّحُ

ولا فاحِمٌ يُسقَى الدِّهانَ كَأَنَّهُ　　　أَسَاوِدُ يَزْهَاهَا لِعَيْنَيْكَ أَبْطَحُ

وأَذْنَابُ خَيْلٍ عُلِّقَتْ في عَقِيصَةٍ　　　تَرَى قُرْطَهَا من تَحْتِها يَتَطَوَّحُ

ثم قال يصفها:

جرَتْ يوْمَ جئْنَا بالرِّكاب نَزُفُّهَا ... عُقَابٌ وشحَّاجٌ منَ الطَّيْرِ متيَح

فأَمَّا العُقَابُ فَهْيَ منها عُقُوبَةٌ ... وأَمَّا الغُرَابُ فالغَرِيبُ المُطَرَّح

هُمَا الغُولُ والسِّعْلاةُ حَلْقِيَ منْهُمَا ... مُكَدَّحُ ما بَيْنَ التَّرَاقِى مُجَرَّحُ

لَقَدْ عَاجَلَتْنى بالنصَاءِ، وبَيْتُهَا ... جَدِيدٌ، ومن أَثْوَابِها المِسْكُ يَنْفَحُ

خُذَا نِصْفَ مالِى واتْرُكا لِىَ نِصْفَهُ ... وبينَا بذَمٍّ فالتَّعَزُّبُ أَرْوَحُ

وقال الرحال:

فلا بارَكَ الرَّحْمنُ في عَوْدِ أَهْلِها ... عَشيَّةَ زَفُّوهَا ولا فيكِ منْ بِكْرِ

ولا فُرُشٍ ظُوهِرْنَ من كُلِّ جانِبٍ ... كَأَنِّىَ أُكْوَى فَوْقَهُنَّ منَ الجَمْرِ

ولا الزَّعْفَرَانِ حينَ مَسَّحْنَهَا به ... ولا الحَلْيِ منها حينَ نيطَ إلى النَّحْرِ

وجَهَّزْنَهَا قَبْلَ الْمُحَاقِ بلَيْلَةٍ ... فكان مُحَاقاً كُلَّهُ ذلكَ الشَّهر

وما غرَّنِى إلاَّ خِضَابٌ بكَفِّهَا ... وكُحْلٌ بعيْنَيْهَا وأَثْوَابُهَا الصُّفْرُ

وسالفَةٌ كالسَّيْفِ زَايَلَ غمْدُهُ ... وعَيْنٌ كَعيْنِ الرِّئْمِ في البَلَدِ القَفْرِ

أَلاَ لَيْتَهُمْ زَفُّوا إِلَّى مكانَهَا ... شَدِيدَ القُصيْرَى ذا عُرَامٍ منَ النُّمْرِ

ويا لَيْتَ أَنَّ الذِّئْبَ جُلِّلَ درْعَهَا ... وإِنْ كان ذا نابٍ حَدِيدٍ وذا ظُفُرِ

لَقَدْ أَصبْحَ الرَّحَّالُ عَنْهُنَّ صادفاً ... إلى يَوْمِ يَلْقَى اللهَ في آخرِ العُمْرِ

عَلَيْكُمْ بربَّاتِ النِّمَارِ فإِنَّنى ... رَأَيْتُ صَمِيمَ المَوْتِ في النُّقُبِ الصُّفْرِ

وجران العود أحد من وصف القوادة في شعره، قال وذكر النساء:

يُبَلِّغُهُنَّ الحاجَ كُلُّ مُكاتَبٍ ... طَويل العَصَا أَو مُقْعَدٍ يَتَزَحَّفُ

ومَكمُونَةٍ رَمْدَاءَ لا يَحْذَرُونَهَا ... مُكاتَبَةٍ تَرْمِى الكِلاَبَ وتَخْذِفُ

رَأَتْ وَرَقاً بيضاً فشدَّتْ حَزِيمَهَا ... لها فهْىَ أَمْضَى من سُلَيْكٍ وأَلْطَفُ

وذكر نحو هذا الفرزدق فقال:

يُبَلِّغُهُنَّ وَحْىَ القَوْلِ منِّى ... ويُدْخِلُ رَأسَهُ تَحْتَ القِرَامِ

أُسَيِّدُ ذو خُرَيِّطَةٍ بَهِيمٌ ... من المُتَلَقّطِيى قَرَدَ القُمَامِ

ومما كذب فيه جران العود، فأخذ عليه، قوله، وذكر اجتماعه مع نساء يألفهن:

فأَصْبَحَ في حَيْثُ التَقَيْنَا غنيمَةٌ سِوَارٌ وخَلْخَالٌ ومِرْطٌ ومِطْرَفُ

ومُنْقَطِعاتٌ من عُقُودٍ تَرَكْنَهَا كجَمْرِ الغَضَافِى بَعْضٍ ما تَتَخَطْرَفُ

ومما يستحسن من شعره قوله:

بَانَ الأَنيسُ فما للقلْبِ مَعْقُولُ ولا على الجيرَة الغادينَ تَعْوِيلُ

يَوْمَ ارْتَحلْتُ برَحْلِى قَبْلَ بَرْذَعَتِى والقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ بالبَيْنِ مَشْغُولٌ

ثم اغْتَرَزْتُ على نِضْوى لأَرْفَعَهُ إثْرَ الحُمُولِ الغَوَادِى وهْوَ مَعْقُولُ

ومما يتمثل به من شعره قوله:

فلا تَأْمَنُوا مَكْرَ النِّسَاءِ وأَمْسِكُوا عُرَى المالِ عن أَبْنَائِهِنَّ الأَصاغِرِ

فإِنَّكَ لم يُنْذِرْكَ أَمْراً تَخَافُهُ إذا كُنْتَ منه جاهلاً، مِثْلُ خابِرِ

القطامي

هو عمير بن شييم، من بني تغلب. وكان حسن التشبيب رقيقه.

وهو القائل:

وفي الخُدُورِ غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لنا حَتَّى تَصَيَّدْنَنا من كُلِّ مُصْطَادِ

يَقْتُلْنَنَا بحَدِيثٍ لَيسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ ولا مَكْنُونُهُ بادِ

فَهُنَّ يَنْبِذْنَ منْ قَوْلٍ يُصِبْنَ به مَوَاقِعَ الماءِ من ذِى الغُلَّةِ الصادى

وكان يمدح زفر بن الحرث الكلابي، وأسماء بن خارجة الفزاري، وكان زفر أسره في الحرب التي كانت بين قيس عيلان وتغلب، فأرادت قيس قتله، فحال زفر بينهم وبينه، ثم من عليه، ووهب له مائة ناقة ورده إلى قومه، فقال

أَأَكْفُرُ بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنِّى وبَعْدَ عَطائِكَ المائَةَ الرِّتَاعا

فلَوْ بِيَدَىْ سِوَاكَ غَدَاةَ زَلَّتْ بِىَ القَدَمَانِ لم أَرْجُ اطِّلاعا

إِذَنْ لَهَلَكْتُ لَوْ كانَتْ صِغَارٌ من الأَخْلاقِ تُبْتَدَعُ ابْتِدَاعا

ويتمثل من هذه القصيدة بقوله:

ومَعْصِيَةُ الشَّفيق علَيْكَ مِمَّا ... يَزيدُكَ مَرَّةً منه استِمَاعَا

وخَيْرُ الأَمْرِ ما استَقْبَلْتَ منه ... ولَيْسَ بأَنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعا

وقال أيضاً:

مَنْ مُبْلِغٌ زُفَرَ القَيْسيَّ مِدْحَتَهُ ... عنِ القُطَامِيِّ قَوْلاً غيْرَ إِفْنَادِ

إِنِى وإِنْ كانَ قَوْمِى لَيْس بَيْنَهُمُ ... وبَيْنَ قومِكَ إلا ضَرْبَةُ الهادِى

مُثْنٍ علَيْكَ بمَا أَوْلَيْتَ من حَسَنٍ ... وقَدْ تَعَرَّضَ مِنِّى مَقْتَلٌ بادٍ

فإِنْ قَدَرْتُ على يَوْمٍ جَزَيْتُ بهِ ... واللهُ يَجْعَلُ أَقْوَاماً بِمِرْصَادِ

وفيها يقول:

ما للعَذَارَىَ وَدَّعْنَ الحَيَاةَ كَمَا ... وَدَّعْنَنِى واتَّخَذْنَ الشَّيْبَ ميعَادِى

أَبْصَارُهُنَّ إلى الشُّبَّانِ مائِلَةٌ ... وقَدْ أَرَاهُنَّ عَنِّى غَيْرَ صُدَّادِ

إِذْ باطِلِى لم تَقَشَّعْ جاهِلِيَّتُهُ ... عنِّى ولم يَتْرُكِ الخُلاَّنُ تَقْوَادِى

كَنِيَّةِ الحَيِّ مِنْ ذِى القَيْظَةِ احتَمَلُوا ... مُسْتَحْقِبِينَ فُؤَاداً ما له فادِ

بانُوا وكانت حَيَاتِى في اجْتِمَاعِهِمُ ... وفي تَفَرُّقِهِمْ قَتْلِى وإِقْصَادِى

ومن خبيث الهجاء قوله:

وإِنِّى وإِنْ كانَ المُسافِرُ نازِلاً ... وإِنْ كان ذا حَقٍّ على الناس واجِبِ

ولا بُدَّ أَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ ما رَأَى ... مُخَبِّرُ أَهْلٍ أَو مُخَبِّرُ صاحِبِ

لَمُخْبِرُكَ الأَنْباءَ عَنْ أُمِّ مَنْزِلٍ ... تَضَيَّفْتُها بَيْنَ العُذَيْبِ فراسِبِ

تَقَنَّعْتُ في طَلٍّ وريحٍ تَلُفُّنِى ... وفي طِرْ مِسَاءٍ غَيْرِ ذاتِ كَوَاكِبِ

إِلى حَيْزَبُونٍ تُوقِدُ النارَ بَعْدَ ما ... تَلَفَّعَتِ الظَّلْماءُ من كُلِّ جانِبِ

تَصَلَّى بها بَرْدَ العِشاءِ ولم تَكُنْ ... تَخَالُ وَمِيضَ النارِ يَبْدُو لراكِبِ

فما راعَها إلا بُغامُ مَطِيَّتِى ... تُرِيحُ بِمَحْسُورٍ منَ الصَّوْتِ لاغِبِ

فجُنَّتْ جُنُوناً من دِلاثٍ مُنَاخَةٍ ... ومِنْ رَجُلٍ عارِى الأَشاجِعِ شاحِبِ

سَرَى في حَلِيكِ اللَّيْلِ حَتَّى كأَنَّما ... يُخَزِّمُ بالأَطْرافِ شَوْكُ العَقَارِبِ

تَقُولُ وقد قَرَّبْتُ كُورِى وناقَتِى ... إِلَيْكَ فلا تَذْعَرْ علَىَّ رَكَائِبِى

فسلَّمْتُ، والتَّسْليمُ لَيْسَ يَسُرُّها ولكنَّهُ حَقٌّ على كُلِّ جانِبِ

فَرَدَّتْ كَلاماً كارِهاً ثُمَّ أَعْرَضَتْ كما انحازَتِ الأَفْعَى مَخافَةَ ضارِبِ

فلما تَنازَعْنا الحَديثَ سَأَلْتُها مَنِ الحَيُّ؟ قالَتْ مَعْشَرٌ من مُحارِبِ

مِنَ المُشْتَرِينَ القِدَّ ممَّا تَرَاهُمُ جِيَاعاً، وريفُ الناسِ لَيْسَ بناضِبِ

فلمَّا بدا حِرْمانُها الضَّيْفَ لم يَكُنْ عليَّ مُنَاخُ السَّوْءِ ضَرْبَةَ لازِبِ

وقُمْتُ إلى مَهْرِيَّةٍ قد تَعَوَّدَتْ يَدَاها ورِجْرِها خَبِيبَ المواكِبِ

أَلا إنَّما نيرانُ قَيْسٍ إذا شَتَوْا لِطارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نارِ الحُباحِبِ

وما يتمثل به من شعره:

والناسُ مَنْ يَلْقَ خَيْراً قائِلُونَ له ما يَشْتَهِي، ولأُمِّ المُخْطِىءِ الهَبَلُ

قَدْ يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حاجَتِهِ وقد يَكُونُ مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وقوله:

كذاك وما رَأَيْتُ الناسَ إلاَّ إلى ما جَرَّ غاوِيهِمْ سِرَاعا

تَرَاهُمْ يَغْمِزُونَ مَن استَرَكُّوا ويَجْتَنِبُونَ مَنْ صَدَقَ المِصاعا

عبدة بن الطبيب

هو من بني عبشمس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

ويقال لعبشمس قريش سعد لجمالهم.

وهو القائل:

واعْصُوا الَّذِى يُسْدِى النَّميمَةَ بَيْنَكُمْ مُتَنَصِّحاً وهْوَ السِّمامُ المُنْقَعُ

يُزْجِى عَقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ حَرْباً كَمَا بَعَثَ العُرُوقَ الأَخْدَعُ

حَرَّانَ لا يَشْفِى غَلِيلَ فُؤَادِه عَسَلٌ بماءٍ في الإناءِ مُشَعْشَعُ

لا تَأْمَنُوا قَوْماً يَشِبُّ صَبِيُّهُمْ بَيْنَ القَوَابِلِ بالعَدَاوَةِ يُنْشَعُ

إنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ خُلاَّنَكُم يَشْفِى صُدَاعَ رُؤوسِهِمْ أَنْ تُصرَعُوا

فَضَلَتْ عَدَاوَتُهُمْ على أَحْلامِهِمْ وأَبَتْ ضِبَابُ صُدُورِهِمْ لا تُنْزَعُ

قَوْمٌ إِذا دَمَسَ الظَّلاَمُ عليْهِمُ حَدَجُوا قَنَافِذَ بالنَّميمَةِ تَمْزَعُ

وهو القائل في الصعلكة:

ثُمَّتَ قُمْنا إِلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أَعْرافُهُنَّ لأَيدِينا مَنَدِيلُ

وأخذه من قول امرىء القيس:

نَمُشُّ بأَعْرَافِ الجِيَادِ أَكُفَّنا إِذا نَحْنُ قُمْنا عن شِوَاءٍ مُضَهَّبِ

ويستجاد له قوله في قيس بن عاصمٍ يرثيه:

عليكَ سَلامُ الله قَيْسَ بنَ عاصِمٍ ورَحْمَتُهُ ما شاءَ أَنْ يَتَرَحَّما

تَحِيَّةَ مَنْ أَلْبَسْتَهُ منك نِعْمَةً إِذا زار عَنْ شَحْطٍ بِلادَكَ سَلَّما

فلم يَكُ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ ولكِنَّهُ بُنْيانُ قَوْمٍ تَهَدَّما

أبو الأسود الدؤلي

هو ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان، من كنانة.

وهو يعد في الشعراء، والتابعين، والمحدثين، والبخلاء، والمفاليج، والنحويين، لأنه أول من عمل في النحو كتاباً، ويعد في العرج.

وشهد مع علي بن أبي طالب "رضي الله عنه" صفين.وولى البصرة لابن عباس، ومات بها، وقد أسن، سنة في طاعون الجارف.

وكان يقول لولده لا تجاودوا الله، فإنه أجود وأمجد، ولو شاء الله أن يوسع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج لفعل!! ومما يستجاد له قوله:

لَيْتَ شِعْرِى عن أَمِيرِى ما الَّذِى غالَهُ في الوُدِّ حَتَّى وَدَّعَهْ

لا تُهِنِّى بَعْدَ إِذْ أَكْرَمْتَنِى فشَدِيدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَهْ

لا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقاً خُلَّباً إِنَّ خَيْرَ البَرْقِ ما الغَيْثُ مَعَهْ

وهو القائل:

إِذا كُنْتَ مَظْلوماً فلا تُلْفَ راضياً عَنِ القَوْمِ حَتَّى تَأْخُذَ النِّصْفَ واغْضَبِ

وإِن كُنْتَ أَنْتَ الظَّالِمُ القَوْمَ فاطَّرِحْ مَقَالَتَهُمْ واشْغَبْ بِهِمْ كُلَّ مَشْغَبِ

وقارِبْ بِذِى جَهْلٍ وباعِدْ بعالِمٍ جَلُوبٍ عليكَ الحَقَّ من كُلِّ مَجْلَبِ

وإنْ حَدِبُوا فاقْعَسْ، وإنْ هُمْ تَقَاعَسُوا لِيَنْتَزِعُوا ما خَلْفَ ظَهْرِكَ فاحْدَبِ

ابن الدمينة

هو عبيد الله بن عبد الله. والدمينة أمة.وهومن خثعم.

وهو القائل:

يا لَيْتَنَا فَرَداً وَحْشِيَّةٍ أَبَداً نَرْعَى المتَانَ ونَخْفَى في نَوَاحِيها

أَوْلَيْتَ كُدْرَ القَطَا حَلَّقْنَ بِى وبِهَا دُونَ السَّماءِ فعِشْنا في خَوَفِيها

أَكْثَرْتُ مِنْ لَيْتَنا لَوْ كان يَنْفَعُنا ومِنْ مُنَى النَّفْسِ لَوْ تُعْطَى أَمَنِيها

وهو القائل:

ولَمَّا لَحِقْنَا بالحُمُولِ ودُونَنا خَفِيفُ الحَشَى تَزْهى القميصَ عَوَاتِقُهْ

قَلِيلُ قَذَى العَيْنَيْنِ تَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ المَوْتُ إِنْ لم تُلْقَ عَنَّا بَوَائِقُهْ

عَرَضْنا فسَلَّمْنَا فَسَلَّمَ كارِهاً عَلَيْنَا، وتَبْرِيحٌ مِنَ الغَيْظِ خانِقُهْ

فرافَقْتُهُ مِقْدَارَ مِيلٍ ولَيْتَنِى على كُرْهِهِ ما دُمْتُ حَيًّا أُرَافِقُهْ

فلمَّا رأَتْ أَلاَّ سَبِيلَ وأَنَّمَا مَدَى الصَرْمِ أَنْ يُلْقَى عليها سُرَادِقُهْ

رَمَتْنى بطَرْفٍ لَوْ كَمِيًّا رَمَتْ به لَبُلَّ نَجِيعاً نَحْرُهُ وبَنَائِقُهْ

وهو القائل:

بنَفْسِى وأَهْلِى مَنْ إذا عَرَضُوا لَهُ ببَعْضِ الأَذَى لم يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ

ولم يَعْتَذِرْ عُذْرَ البَرِئِ ولم تَزَلْ به ضَعْفَةٌ حتى يُقَالَ مُرِيبُ

تَلَجِّينَ حَتَّى يُزْرِى الهَجْرُ بالهَوَى وحتى تَكادُ النَّفْسُ عَنْكِ تَطِيبُ

وإِنى لأَسْتَحيِيكِ حتى كَأَنَّمَا عَلَّى بظَهْرِ الغَيْبِ مِنْكِ رَقِيبُ

أبو جلدة

هو من بني يشكر. ومات في طريق مكة. وكان مولعاً بالشراب.

وهو القائل:

ولَسْتُ بلاحٍ لى نَدِيماً بزَلَّةٍ ولا هَفْوَةٍ كانَتْ ونَحْنُ على الخَمْرِ

عَرَكْتُ بِجَنْبِى قَوْلَ خذنِى وصاحبى ... ونَحْنُ على صَهْبَاءَ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
فلَمَّا تَمَادَى قُلْتُ خُذْهَا عَرِيقَةً ... فإنَّكَ من قَوْمٍ جَحَاجِحَةٍ زُهْرِ
وما زِلْتُ أَسْقِيهِ وأَشْرَبُ مثْلَ ما ... سَقَيْتُ أَخى، بَدَا وَضَحُ الفَجْرِ
وأَيْقَنْتُ أَنَّ السُّكْرَ طار بِلُبِّه ... فأَغْرَقَ في شَتْمِى وقال وما يَدْرى

وكان يهاجي زياداً لأعجم.

الأجرد

هو من ثقيف. وقد وفد على عبد الملك بن مروان في نفر من الشعراء، فقال له إنه ما من شاعرٍ إلا وقد سبق إلينا "من" شعره قبل رؤيته، فما قلت؟ قال أنا القائل:

مَنْ كانَ ذا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلامَتَهُ ... إنَّ الذَّلِيلَ الذي لَيْسَتْ له عَضُدُ
تَنْبُو يَدَاهُ إِذَ ما قَلَّ ناصِرُهُ ... ويَمْنَعُ الضَّيْمَ إِنْ أَثْرَى له عَدَدُ

وهو القائل:

ما بالُ من أَسْعَى لأَجْبُرَ عَظْمَهُ ... حِفَاظاً ويَنْوِى من سَفَاهَتِهِ كَسْرِى
أَعُودُ على ذِى الجَهْلِ بالحِلْمِ مِنْهُمُ ... حَيَاءً، ولوْ عاقَبْتُ غَرَّقَهُمْ بَحْرِى
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِى تُخَافُ عَرَامَتِى ... وأَنَّ قَنَاتِى لا تَلِينُ على قَسْرِ
أَظُنُّ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَيْنِى وبَيْنَهُمْ ... سَتَحْمِلُهُمْ مِنِّى على مَرْكَبٍ وَعْرِ
أَنَاةً وحِلْماً وانْتِظَاراً بِهِمْ غداً ... فما أَنا بالوانِى ولا الضَّرَعِ الغُمْرِ
وإِنِى وَإِيَّاهُمْ كَمَنْ نَبَّهَ القَطَا ... ولَوْ لَمْ تُنَبَّهْ باتَتِ الطَّيْرُ لا تَسْرِى

مدرج الريح

هوعامر بن المجنون، من قضاعة. وسمى "مدرج الريح" لقوله:

ولها بأَعْلَى الجَزْعِ رَبْعٌ دارِسُ ... دَرَجَتْ عليهِ الرِّيحُ بَعْدَكَ فاسْتَوَى

أنس بن أبي أنـاس

هو أنس بن أبي أناسٍ بن زنيم، من كنانة من الدؤل، رهط أبي الأسود الدؤلي، وكان أعور.
وأبوه أبو أناسٍ شاعر شريف، وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فَمَا حَمَلَتْ من ناقَةٍ فَوْقَ رَحْلِها أعفَّ وأَوْفَى ذِمَّةً من مُحَمَّدٍ

وفي أنس يقول أبو الأسود:

تَبَدَّلْتُ من أَنَسٍ أَنَّهُ كَذُوبُ الأَمَانَةِ خَوَّانُها

وأنس هو القائل لعبد الله ابن الزبير، حين تزوج مصعب عائشة بنت طلحة على ألف ألف درهم:

أَبْلِغْ أَميرَ المُؤمنِينَ رِسَالَةً من ناصِحٍ لَكَ لا يُرِيدُ خِدَاعا

بُضْعُ الفَتَاةِ بأَلْفِ أَلْفٍ كامِلٍ وتَبِيتُ ساداتُ الجُنُودِ جِيَاعا

لَوْ لأَبِى حَفْصٍ أَقُولُ مَقَالَتِى وأَقُصُّ شَأْنَ حَدِيثِكُمْ لارْتَاعا

وعم أنسٍ سارية بن زنيم، الذي قال له عمر رضي الله عنه يا سارية، الجبل الجبل.

ولما ولى حارثة بن بدر الغدانيُّ سرَّق كتب إليه أنس:

أَحَارِ بنَ بَدْرٍ قد وليتَ إمارَةً فكُنْ جُرَذاً فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ

وباهِ تَميماً بالغنَى، إنَّ لِلْغنَى لِسَانا به المَرْءُ الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ

فإنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إمَّا مُكَذِّبٌ يَقُولُ بما يَهْوَى وإمّا مُصَدِّقُ

يَقُولُونَ أَقْوَالاً ولا يَعْلَمُونها وإنْ قيلَ هاتُوا حَقِّقُوا، لم يُحَقِّقُوا

فلا تَحْقِرَنْ يا حار شَيْئاً أَصَبْتَهُ فَحَظُّكَ من مُلْكِ العِراقَيْنِ سُرَّقُ

فلما بلغت حارثة قال لا يعمى عليك الرشد.

المقنع الكندي

هو محمد بن عمير، من كندة. وكان من أجمل الناس وجهاً، وأمدهم قامةً، فكان إذا كشف عن وجه لُقِعَ، أي أصيب بالعين، فكان يتقنع دهره، فسمى المقنع.

وهو القائل في قومه:

لا أَحْمِلُ الحِقْدَ القَدِيمَ عليهِمُ ولَيْسَ رَئِيسَ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ

ولَيْسُوا إلى نَصْرِى سِرَاعاً، وإنْ هُمُ دَعَوْنِى إلى نَصْرٍ أَتَيْتُهُمُ شَدَّا

إذا أَكَلُوا لَحْمِى وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ وإنْ هَدَمُوا مَجْدِى بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا

يُعَيِّرُنى بالدَّيْنِ قَوْمِى، وإنَّما دُيُونِىَ في أَشْياءَ تَكْسِبُهُمْ حَمْدَا

وهو القائل:

وفي الظَّعَائِن والأَحْداجِ أَحْسَنُ مَنْ ... حَلَّ العِراقَ وحَلَّ الشَّأْمَ واليَمَنَا

جِنِّيَّةٌ من نِساءِ الإِنْسِ أَحْسَنُ مِنْ ... شَمْس النَّهارِ وبَدْر اللَّيْلِ لَوْ قُرِنَا

وفيها يقول:

وصاحبُ السَّوْءِ كالدَّاءِ العَيَاءِ إذا ... ما ارْفَضَّ في الْجِلد يَجْرِى ها هُنَا وهُنا

يُبْدى ويُخْبرُ عَنْ عَوْراتِ صاحِبِه ... وما يَرَى عِنْدَهُ من صالحٍ دَفَنَا

إِنْ يَحْىَ ذاكَ فكُنْ منه بمَعْزِلَةٍ ... أَو ماتَ ذاكَ فلا تَشْهَدْ له جَنَنَا

يحيى بن نوفل اليماني

هو من حمير، ويكنى أبا معمر. ويقال إنه كان أولاً ينتمي إلى ثقيف، فلما ولى الحجاج خالد بن عبد الله القسْريَّ العراق ادعى أنه من حمير.

وكان أبان بن الوليد البجلي في زمن الحجاج "بن يوسف" في كتاب ديوان الضياع، يجري عليه الرزق، فلما ولى الحجاج خالداً ولى أباناً ما وراء بابه من حرب السواد وخراجه، فدخل يحيى بن نوفل من حسده ما لم يملكه، فقالت له امرأته "هشيمة" ما لي أراك لا تدخل إلا عابساً، وأرى الناس قد أصابوا من خالد،غيرك، وأنت شاعر مصرك؟ فقال:

تَقُولُ هُشَيْمَةُ فيما تَقُولُ ... مَلِلْتَ الحَيَاةَ أَبا مَعْمَرِ

وما لِىَ أَلاَّ أَمَلَّ الحَيَاةَ ... وهذا بِلالٌ على المِنْبَرِ

وهذا أَخُوهُ يَقُودُ الجُيوشَ ... عَظِيمُ السَّرَادِقِ والعَسْكَرِ

وأَمَّا ابنُ سَلْمَى فشِبْهُ الفَتَاة ... بَكُورٍ على الكُحْلِ والمِجْمَرِ

دَبُوبِ العِشَاءِ إذ أَطْعَمَتْ ... حَلِيلَةَ كُلِّ فَتًى مُعْوِرِ

وأَمَّا ابْنُ أَشْعَثَ ذو التُّرَّهَاتِ ... وذُو الكِذْبِ والزُّورِ والمُنْكَرِ

فلَوْ قيلَ عَبْدٌ شَرَتْه التِّجار ... سَبِيٌّ منَ الرُّومِ، لم يُنكَرِ

وأَمَّا ابنُ ماهانَ بَعْدَ الشَّقَاءِ ... وبَعْدَ الخياطَةِ في كَسْكَرِ

يُرُوحُ يُسَامِي مُلوكَ العِرَاقِ ... وقَدْ عاشَ حيناً ولم يُذْكَرِ

يَرُوحُ إذا راح في المُعْسِرِينَ ... وإنْ أَيْسَرَ الناسُ لم يُوسرِ

وأَمَّا المُكَحَّلُ وَهْبُ الهُنَاةِ فلَوْ دُهِقَ الدَّهْرَ لم يَصبْرِ

عَنِ الصَّنْج والزَّفْنِ والمُسْمِعاتِ وقَرْعِ القَواقِيزَ والمِزْهَر
ولا عن هَنَاتٍ له لَوْ ظَهَرْنَ فماتَ عَلَيْهِنَّ لم يُقْبَرِ
وهذا ابنُ زَيْدٍ له جُبَّةٌ تَفُوحُ منَ المِسْكِ والعَنْبَرِ
وهذا أَبَانٌ بُنَيُّ الوَلِيدِ خَطِيبٌ إذا قام لم يُحْصَرِ
أَبَعْدَ الدَّواةِ وبَعْدَ الطُّروسِ وبَعْدَ انْكِبَابٍ على الدِّفْتَرِ
ولَوْ حَلَّ ضَيْفٌ به لم يَزِدْهُ على الأَبْيَضَيْنِ مَعَ الصَّعْتَرِ

وكان يحيى بن نوفل كثير الهجاء، ولا يكاد يمدح أحداً.

وهو القائل لبلال بن أبي بردة:

فلَوْ كُنْتُ مُمتَدِحاً للنَّوالِ فَتًى لامْتَدَحْتُ عليهِ بلاَلاَ
ولكِنَّنِي لَسْتُ ممَّن يُرِيدُ بمَدْحِ الرِّجالِ الكِرَامِ السُّؤَالا
سَيَكْفِى الكَرِيمَ إخاءُ الكَرِيمِ ويَقْنَعُ بالوُدِّ منْه نَوَالاَ

ودخل على ابن شبرمة القاضي، وهو عليل من سقطةٍ سقطها عن دابته، فوثئت رجله، فقال:

أَقُولُ غَدَاةَ أَتانا الخَبِيرُ يَدُسُّ أَحادِيَثَهُ هَيْنَمَهْ
لَكَ الوَيلُ من مُخْبِرٍ ما تَقولُ أَبِنْ لِى وعَدِّ عنِ الجمْجَمَهْ
فقال خَرَجْتُ وقاضِي القُضَا ةِ مُنْفَكَّةٌ رِجْلُهُ مُؤْلِمَه
فقُلْتُ وضاقَتْ عَلَّى البلادُ وخِفْتُ المُجَلِّلَةَ المُعْظَمَهْ
فغَزْوانُ حُرٌّ وأُمُّ الولِيدِ إنِ الله عافَى أَبا شُبْرُمَهْ
جَزَاءً لمَعْرُوفِه عِنْدَنا وما عِتْقُ عَبْدٍ له أَو أَمَهْ

فقال ابن شبرمة جزاك الله خيراً يا أبا معمر! وكان في المجلس جارٌ له، فلما خرج قال له يا أبا معمر، أنا جارك منذ ثلاثين سنةً، وما أعرف غزوان ولا أم الوليد؟! فقال "رحمك الله"، هما سنوران عندي في البيت!!.

وهو القائل في بلال بن أبي بردة:

أَبِلاَلُ إِنِّى رابَنِى من شأْنِكُم قَوْلٌ تُزَيِّنُهُ وفعْلٌ مُنْكَرُ

ما لي أراك إذا أردت خيَانَةً ... جَعلَ السُّجودُ بحُرِّ وَجْهِكَ يَظْهَرُ
متَخَشِّعاً طَبِناً لكُلِّ عَظِيمَةٍ ... تَتْلُو القُرَانَ وأَنْتَ ذِئْبٌ أَغْبَرُ
فتى قد كان يعما إصبعه ... بنافذة من البيض العقار

ومما يسأل عنه من شعره قوله في سالم بن المسيب فتىً قد كان يعمل إصبعيه بنافذةٍ من البيض القصار يعني الإبرة، يريد أنه خياط.

وقال ليزيد بن خالد بن عبد الله القسري:

فما تِسْعُونَ تَحْفِزُها ثَلاثٌ ... يَضُمُّ حِسابَها رَجُلٌ شَدِيدُ
بِكَفٍّ حُزُقَّةٍ جُمِعَتْ لِوَجْءٍ ... بِأَنْكَدَ من عَطَائِكَ يا يَزِيدُ

نحوه قول الخليل:

فكَفٌّ عَن الخَيْرِ مَقْبُوضةٌ ... كما نُقِصَتْ مائةٌ سَبْعَهْ

ويروي:

كما حُطَّ عن مائةِ سَبْعَهْ
وأُخْرَى ثَلاثَةُ آلافِها ... وتِسْعُ مِئِيها لها شِرْعَهْ

وقال لزياد بن عمران البهراني:

أَتَرَى أَنْتَ يا ابْنَ عِمْرَانَ أَجْدا ... دُكَ كانوا يَدْرُونَ ما بَهْرَاءُ
لَوْ سُئِلوا ما كان بَهْرَاءُ؟ قالوا ... هو إمَّا بَقْلٌ وإمَّا دَوَاءُ!

وقال لسعيد بن راشد:

بكَى الخَزُّ من إبْطَى سَعِيدِ بن راشدٍ ... ومن اسْتِهِ تَبْكِي بِغَالُ المواكِبِ
فَوَا عَجَبَا حَتَّى سَعِيدُ بن راشدٍ ... له حاجِبٌ بالباب من دُونِ حاجِبِ

وقال لبلال بن أبي بردة، وكان مجذوماً:

فأَمَّا بِلاَلٌ فإنَّ الجُذَا ... مَ جَلَّلَ ما جاز منه الوَرِيدَا
فأَنْقَعَ في السَّمْنِ أَوْصَالَهُ ... كما أَنْقَعَ الآدِمُونَ الثَّرِيدَا
فأَكْسَدَ سَمْنَ تِجارِ العِراقِ ... عَلَيْنَا فأَصْبَحَ فِينا كَسِيدَا

وقال:

إنْ يَكُ عَمْرٌو فَصِيحَ اللِّسانِ ... خَطِيباً فإنَّ اسْتَهُ تَلْحَنُ

عَلَيْكَ بُسكٍّ ورُمَّانَةٍ	ومِلْحٍ يُدَقُّ ولا يُطْحَنُ
وحِلْتيتِ كِرْمَانَ والنَّانُخَاةِ	ومُومٍ يُسَخَّنُ في مُدْهُنِ

العباس بن مرداس السلمى

كان العباس يهاجي خفاف بن ندبة السلمى، ثم تمادى الأمر بينهما، إلى أن احتربا، وكثرت القتلى بينهما، فقال الضحاك ابن عبد الله السلمي، وهو صاحب أمر بني سليم يا هؤلاء، إني أرى الحليم يعصى، والسفيه يطاع، وأرى أقرب القوم إليكما من لقيكما بمواكما، وقد علمتم ما هاج الحرب على العرب حتى تفانت، فهذه وائل في ضرع ناب، وعبس وذبيان في لطمة فرسٍ، وأهل يثرب في كسعة رجل، ومراء وهمدان في رمية نسرٍ، وأمركما أقبح الأمور بدءاً، وأخوفها عاقبة، فحطا رحل هذه المطية النكداء، وانحرفا عن هذا الرأي الأعوج.

فلجا وأبيا إلا السفاهة، فخلعتهما بنو سليم، وأتاهما دريد بن الصمة ومالك بن عوف النصري رأس هوازن، فقال دريد يا بني سليم إنه أعلمني إليكم صدرٌ وادٌ، ورأيٌ جامعٌ، وقد قطعتم بحربكم هذه يداً من أيدي هوازن، وصرتم بين صيد بني الحارث وصهب بني زبيد وجمار خثعم، وقد ركبتما شر مطيةٍ، وأوضعتما إلى شر غايةٍ، فالآن قبل أن يندم الغالب، ويذل المغلوب، ثم سكت. فقال مالك بن عوف كم حيٍّ عزيز الجار، مخوف الصباح، أولع بما أولعتم به، فأصبح ذليل الجار، مأمون الصباح، فانتهوا ولكم كف طويلة وقرن ناطح، قبل أن تلقوا عدوكم بكف جذماء وقرن أغضب. فندم العباس، وقال جزى الله خفافاً والرحم عني شراً، كنت أخف سليم من دمائها ظهراً، وأخمصها من أموالها بطناً، فأصبحت ثقيل الظهر من دمائها، منفضج البطن من أموالها. وأصبحت العرب تعيرني بما كنت أعيرها به من لجاج الحرب، وايم الله لوددت أني كنت أصم عن جوابه، أخرس عن هجائه، ولم أبلغ من قومي ما بلغت. فلما أمسى تغنى:

أَلم تَرَ أَنَّى كَرِهْتُ الحُرُوبَ	وأَنِّى نَدِمْتُ على مَا مَضَى
نَدَامَةَ زار على نَفسِهِ	لِتِلْكَ الَّتى عارُهَا يُتَّقَى
وأَيْقَنْتُ أَنِّى لِمَا جِئْتُهُ	منَ الأَمْرِ لابِسُ ثَوْبَىْ خَزَى
حَيَاءً، ومِثْلى حَقِيقٌ به	ولم يَلْبَسِ القَوْمَ مِثْلَ الحَيَا
وكانَتْ سُلَيْمٌ إذا قَدَّمَتْ	فَتى للحَوَادِثِ كُنتُ الفَتَى
وكُنْتُ أُفِيءُ عليها النِّهَابَ	وأَنكِى عِدَاهَا وأَحْمِى الحِمَى

فلم أُقِدِ الحَرْبَ حَتى رَمى خُفَافٌ بأَسْهُمِه مَنْ رَمى

فأَلْهَبَ حَرْباً بأَصْبَارِها فلم أَكُ فيها ضَعِيفَ القُوَى

فإِن تَعْطِفِ القَوْمَ أَحْلاَمُها ويَرْجِعَ من وُدّهِمْ ما نَأَى

فلَسْتُ فقيراً إِلى حَرْبِهِمْ ولا بِيَ عن سِلْمِهِمْ من غِنَى

فأجابه خفاف:

أَعَبَّاسُ إِمَّا كَرِهْتَ الحُرُوبَ فقَدْ ذُقتَ من عَضِّها ما كَفَى

أَأَلْقَحْتَ حَرْباً لها دَرَّةٌ زَبُوناً تُسَعِّرُهَا باللَّظَى

فلما تَرَقَّيْتَ في غَيِّهَا دَحَضتَ وزَلَّ بِكَ المُرْتَقَى

فأَصْبَحْتَ تَبْكي على زلَّةٍ وماذا يَرُدُّ عَلَيْكَ البُكى

فإِنْ كُنتَ أَخْطَأْتَ في حَرْبِنا فَلَسْنَا مُقِيلِيْكَ ذاك الخَطَا

وإِن كُنْتَ تَطمَعُ في سِلْمِنَا فزَاوِلْ ثَبِيراً ورُكْنَيْ حِرَى

وأسلم العباس قبل فتح مكة، وحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، في تسع مائة ونيف من سليم، با لقنا والدروع على الخيل، وكان يرجع إلى بلاد قومه، ولا يسكن مكة ولا المد ينة.

وله ابن يقال له جاهمة، يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث.

وكان للعباس فرس يقال له العبيد. وقد ذكره حين قصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أعطاه عيينة بن حصنٍ والأقرع بن حابسٍ، فقال:

أَتجْعَلُ نَهْبى ونَهْبَ العُبَيْـ ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ

وكانَتْ نِهَاباً تَلافَيْتُهَا بِكَرِى على المُهْرِ في الأَجْرَعِ

وما كان حِصْنٌ ولا حابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ في مَجْمَعِ

وقد كُنْتُ في الحَرْبِ ذا تُدْرَإٍ فلم أُعْطَ شَيْئاً ولم أُمْنَعِ

وكانَتْ أَفائِلَ أُعْطِيتُهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهِ الأَرْبَعِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنا لسانه.فزادوه.

دريد بن الصمة

هو دريد بن الصمة، من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصوربن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.ويكنى أبا قرة.وهوازن أخو سليم بن منصور.

وكان دريد من فخذ من جشم يقال لهم بنو غزية. وأمه ريحانة بنت معدي كرب، أخت عمرو بن معدى كرب. وعمرو خاله.

وهو أحد الشجعاء المشهورين، وذوى الرأى في الجاهلية.

وشهد يوم حنين مع هوازن وهو شيخ كبير في شجار له يقاد به. والشجار مركب دون الهودج مكشوف الرأس.فقال بأي وادٍ أنتم؟ قالوا بأوطاس،قال نعم مجال الخيل.لا حزن ضرس،ولا سهل دهس،ثم قال لمالك بن عوف ما لي أسمع بكاء الصغير،ورغاء البعير،ونهاق الحمير،ويعار الشاء؟ فقال مالك يا أبا قرة، إني سقت مع النلس أموالهم وذراريهم، وأردت أن أجعل خلف كل رجلٍ أهله وماله يقاتل عنه، فأنقض به دريد، ثم قال رويعى ضأنٍ والله!وهل يرد المنهزم شيء؟! وقال هذا يوم لم أشهده و لم أغب عنه وقال:

يا لَيْتَنِى فيها جَذَعْ	أَخُبُّ فيها وأَضعْ
أَقُودُ وَطفاءَ الزَّمَعْ	كأَنها شاةٌ صدَعْ

وقتل دريد يومئذٍ فيمن قتل من المشركين.

ومن جيد شعره قوله:

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِى بمُنعَرَجِ اللِّوَى	فلم يَسْتبِينُوا الرُّشدَ إلا ضُحَى الغَد
فلمّا عَصَوْنِى كنْتُ منْهُمْ وقد أَرَى	غَوَايتَهُمْ، وأَنَّنِى غَيْرُ مُهْتَدِى
وهلْ أَنَا إلا من غَزيَّةَ إنْ غَوَتْ	غَوَيْتُ، وإنْ تَرْشُدْ غزيَّةُ أَرْشد
تنَادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخَيْلُ فارساً	فقُلْتُ أَعَبْدُ اللهِ ذلِكمُ الرَّد
فجِئْتُ إلَيْهِ والرِماحُ تنُوشُهُ	كرَقْعِ الصَّيَاصِى في النَّسِيجِ المُمَدَّدِ
فطاعَنْتُ عنه الخيْلَ حَتَّى تبَدَّدَتْ	وحَتى عَلانِى حالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدِ
قِتالَ امْرِىءٍ آسَى أَخاهُ بنَفْسِه	ويَعْلَمُ أَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخلدِ
فإن يَكُ عَبْدُ الله خَلَّى مكانَهُ	فما كان وَقَّافاً ولا رَعِش اليَدِ
كميشُ الإزارِ خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ	صَبُورٌ على الجَلاَّءِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ
قَليلٌ تَشكِّيهِ المَصَائِبَ حافظٌ	منَ اليَوْمِ أَعْقابَ الأَحاديث في غَدِ
صَبَا ما صَبَا حَتَّى عَلا الشيْبُ رَأْسَهُ	فلَمَّا عَلاَهُ قال للباطِلِ ابْعَدِ

وطَيَّبَ نَفْسِى أَنَّنِى لم أَقلْ له كَذَبْت، ولم أَبْخَلْ بما مَلَكتْ يَدِى

وقوله:

أَبَى القَتْلُ إلا آلَ صِمَّةَ أَنَّهُمْ أَبَوْا غَيْرَهُ والقَدْرُ يَجْرِي إِلى القَدْرِ
فإِمَّا تَرَيْنَا لا تَزَالُ دِماؤنا لَدَى واتِرٍ يَسْعَى بها آخِرَ الدَّهْرِ
فإنَّا لَلَحْمُ السَّيْفِ غيرَ نَكِيرَةٍ ونُلحِمُهُ حِيناً ولَيْسَ بذِى نكْرِ
قَسَمْنَا بذاك الدهْرَ شَطْرَيْن بَيْنَنا فما يَنْقَضِى إلا ونَحْنُ على شَطْرْ

قال وكان عبد الله بن الصمة أخو دريد أغار على إبل لعبسٍ وفزارة، ومعه دريد، بعد أن أشار عليه دريد ألا يفعل، فخالفه، فخرجت عليهم الخيل،فاستحر القتال في بني جشم، وقتل عبد الله بن الصمة، وصرع دريد، فقال ابن خرشاء العبسي أما أنا فأشهد أن دريداً حيٌّ، فقال له الربيع بن زياد وما علمك بذلك؟ قال أرى عرقاً ينبض في باطن عجانه، فدعني أبقره بالرمح، فنهاه، فقال أما والله ليملأنها عليك عاملاً قابلاً شراً. ثم إن الربيع أمر بحمله حتى بلغه مأمنه، وكانت لدريدٍ عنده يدٌ متقدمةٌ، فجازاه بذلك. ثم إن هوازن عقدت له رئاسة عبد الله أخيه، فخرج بهم، فلقى جماعة عبسٍ وذبيان، فقتل منهم زهاء مائة قتيلٍ، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، قاتل عبد الله بن الصمة، وبعث به إلى أمه ريحانة، لتقتله بعبد الله، فلم يصل إليها حتى قتل. وفي ذلك يقول دريد:

قتلنا بعَبْدِ اللهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذؤَابَ بنَ أَسْماءَ بنِ زَيْدِ بنِ قارِبِ

وكانت أم دريدٍ خضضته بشعرٍ لها على الطلب بثأر عبد الله أخيه، فقال:

ثَكِلْتِ دُرَيداً إن أَتَت لكِ شَتْوَةٌ سِوَى هذِهِ حَتَّى تَدُورَ الدَّوَائِرُ
وشَيَّبَ رَأْسى قَبْلَ حِينِ مَشِيبِهِ بُكاؤُكِ عَبْدَ اللهِ والقَلْبُ طائِرُ
إِذا أَنا حاذَرْت المَنِيَّةَ بَعْدَهُ فلا وَأَلَتْ نَفْسٌ عَلَيْها أُحاذِرُ

إبراهيم بن هرمة

هو من الخلج، والخلج من قيس عيلان. ويقال إنهم من قريشٍ، فسموا الخلج لأنهم اختلجوا منهم.
وكان إبراهيم من ساقة الشعراء.
حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي أنه قال ساقة الشعراء ابن ميادة، وابن هرمة، ورؤبة، وحكم الحضري، حي من محارب، ومكين العذري، وقد رأيتهم أجمعين.

وكان ابراهيم مولعاً بالشراب، وأخذه خيثم بن عراك صاحب شرط المدينة لزياد بن عبيد الله الحارثي في ولاية أبي العباس، فجلده الحد، فقال ابن هرمة:

عَقَقْتَ أَباكَ ذا نَشَبٍ ويُسْرٍ فلَمَّا أَفْنَت الدُّنْيا أَبَاكا

عَلِقْتَ عَدَاوتى، هذِى لَعَمْرِى ثِيَابُ السِّرِّ تُلْبِسُها عِرَاكَا

ولما ولى أبو جعفر شخص إليه وامتدحه، فاستحسن شعره، وقال سل حاجتك، قال تكتب إلى عامل المدينة أن لا يحدني إذا أتي بي إليه وأنا سكران!! قال أبو جعفر هذا حد من حدود الله "تعالى"، وما كنت لأعطله، قال فاحتل لي فيه يا أمير المؤمنين، فكتب إلى عامل المدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده مائة جلدةٍ، واجلد ابن هرمة ثمانين! فكان العون يمر به وهو سكران فيقول من يشتري ثمانين بمائة!! ويجوزه.

وإبراهيم القائل:

إنِّى وتَرْكِى نَدَى الأَكْرَمينَ وقَدْحِى بكَفِّىَ زَنْداً شَحَاحا

كتارِكَةٍ بَيْضَها بالعَرَاءِ ومُلْحِفَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحا

ومما يستجاد له من شعره قوله:

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفَتَى ورِدَاؤُه خَلَقٌ وجَيْبُ قَميصِهِ مَرْقُوعُ

إمَّا تَرَيْنى شاحِباً مُتَبَذِّلاً كالسَّيفِ يُخْلِقُ جَفْنُهُ فيضيعُ

فلَرُبَّ لَيْلَةِ لَذَّةٍ قد بِتُّها وحَرَامُها بحَلالَها مَدْفُوعُ

ويستجاد له قوله في الكلب:

يَكادُ إذا ما أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً يُكَلِّمُه من حُبِّهِ وهْوَ أَعْجَمُ

العماني

هو بن ذؤيب الفقيمي، ولم يكن من أهل عمان، وإنما قيل له "عمانيٌّ" لأن دكيناً الراجز نظر إليه وهو يسقي الإبل ويرتجز، فرآه غليماً مصفر الوجه ضريراً مطحولاً، فقال من هذا العمانيُّ؟ فلزمه الإسم. وإنما نسبه إلى عمان لأن عمان وبية، وأهلها مصفرةٌ وجوههم مطحولون، وكذلك البحران. قال الشاعر:

مَنْ يَسْكُن البَحْرَيْنِ يَعْظُمْ طِحَالُهُ ويُغْبَطْ بما في بَطْنِهِ وهْوَ جائِعُ

ودخل على الرشيد لينشده، وعليه قلنسوة، طويلة وخفٌ ساذج، فقال له إياك أن تنشدني إلا وعليك

عمامة عظيمة الكور وخفان دلقمان، فبكر عليه من الغد وقد تزيا بزي الأعراب، ثم أنشده وقبل يده، وقال يا أمير المؤمنين، قد-الله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته، ثم يزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، ثم السفاح، ثم المنصور، ثم المهدي، كل هؤلاء رأيت وجوههم وقبلت أيديهم وأخذت جوائزهم، إلى كثيرٍ من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء والسادة الرؤساء، لا والله ما رأيت فيهم أبهى منظراً ولا أحسن وجهاً ولا أنعم كفاً ولا أندى راحةً منك يا أمير المؤمنين. فأعظم له الجائزة على شعره، وأضعف له على كلامه، وأقبل عليه فبسطه، حتى تمنى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام.

وكان العماني يجيد وصف الفرس، فمما أخذه أو أخذ منه قوله:

كَأَنَّ تَحْتَ البَطْنِ منه أَكْلُبَا ... بِيضاً صِغاراً يَنْتَهِشْنَ المَنْقَبَا

وقال آخر:

كَأَنَّ أَجْراءَ كِلابٍ بِيضٍ ... دُونَ صِفاقَيْهِ إِلى التَّعْرِيضِ

وقال آخر:

كَأَنَّ قِطًّا أَوْ كِلاباً أَرْبَعَا ... دُونَ صِفَاقَيْهِ إِذا ما ضَبَعَا

بشار بن برد

هو مولى لبني عقيل، ويقال مولى لبني سدوس ويكنى أبا معاذ، ويلقب المرعث، والمرعث الذي جعل في أذنيه الرعاث، وهي القرطة.

ويرمي بالزندقة، وهو مع ذلك يقول:

كَيْفَ يَبْكِي لمَحْبَسٍ في طُلُولِ ... مَنْ سَيُقْصَى لِيَوْمِ حَبْسٍ طَوِيلِ

إِنَّ في البَعْثِ والحِسَابِ لَشُغْلاً ... عن وُقُوفٍ برسْمِ دارٍ مُحِيلِ

وبشار أحد المطبوعين. الذين كانوا لا يتكلفون الشعر، ولا يتعبون فيه، وهو من أشعر المحدثين.

وحضر يوماً عند عقبة بن سلم، وعقبة بن رؤبة بن العجاج ينشده رجزاً يمتدحه فيه، فاستحسن بشار الأرجوزة، فقال عقبة بن رؤبة هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ! فقال بشار ألمثلي يقال هذا؟! أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك، ثم غدا على عقبة بن سلم بأرجوزته التي أولها:

يا طَلَلَ الحَيِّ بذاتِ الصَّمْدِ ... باللهِ خبِّرْ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي

وفيها يقول:

ضَنَّتْ بِخَدٍّ وجَلَتْ عَنْ خَدِّ ... ثُمَّ انْثَنَتْ كالنَّفَس المُرْتَدِّ

ما ضَرَّ أَهْلَ النُّوْكِ ضعْفُ الكَدِّ ... أَدْرَكَ حَظّاً مَنْ سَعَى بِجَدِّ
الحُرُّ يُلْحَى والعَصَا للعَبْدِ ... ولَيْسَ للمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
وصاحِبٍ كالدُّمَّلِ المُمَدِّ ... حَمَلْتُهُ في رُقْعَةٍ من جِلْدِى

وهذا مثل قول الآخر:

لَقَدْ كنْتَ في قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشِحَّةٍ ... بِنَفْسِكَ إِلاَّ أَنَّ ما طاح طائحُ
يَوَدُّونَ لَوْ خاطُوا عَلَيكَ جُلُودَهُمْ ... ولا تَدْفَعُ المَوْتَ النُّفُوسُ الشَّحَائِحُ

وكان حماد عجرد يهجو بشاراً، فلم يكن فيما هجاه به شيءٌ أشد على بشار من قومه:

ويا أَقْبَحَ من قِرْدٍ ... إِذا ما عَمِيَ القِرْدْ

وقوله:

لَوْ طُلِيَتْ جِلْدَتُهُ عَنْبَراً ... لَنَتَّنَتْ جِلْدَتُهُ العَنْبَرَا
أَو طُلِيَتْ مِسْكاً ذَكِيّاً إِذنْ ... تَحَوَّلَ المِسْكُ عَلَيْهِ خرَا

ومن جيد شعر بشار قوله في عمر بن العلاء:

إِذا أَيْقَظَتْكَ حُرُوبُ العدَى ... فنضبِّهْ لها عُمَراً ثُمَّ نَمْ
دَعَانِى إِلى عُمَرٍ جُودُهُ ... وقَوْلُ العَشِيرَةِ بَحْرٌ خِضَمّْ
ولَوْلاَ الَّذي زَعَمُوا لم أَكُنْ ... لأَحْمَدَ رَيْحَانَةً قَبْلَ شَمّْ

ومن عجيب تشبيهه، وهوأعمى، قوله في الذكر:

وتَرَاهُ بعد ثَلاَثَ عَشْرَةَ قائِماً ... نِظْرَ المُؤَذِّنِ شَكَّ يَوْمَ سَحَابِ

ومن خبيث هجائه قوله:

ولا تَبْخَلا بُخْلَ ابْنِ قَزْعَةَ إِنَّهُ ... مَخَافَةَ أَن يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ
إِذا جِئْتَهُ للعُرْفِ أَغْلَقَ بابَهُ ... فلم تَلْقَهُ إِلاَّ وأَنْت كَمِينُ

فقُلْ لأَبِى يَحْيَى مَتَى تَبْلُغُ العُلَى ... وفي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ يمينُ

وفيه يقول:

أَجِدَّكَ يا ابنَ قَزْعَةَ نِلْتَ مالاً ... أَلاَ إِنَّ اللِّئَامَ لهم جُدُودُ

ومِنْ حَذَرِ الزِّيارَةِ في الهَدَايا   أَقَمْتَ دَجَاجَةً فِيمَنْ يَزِيدُ

ومما سبق إليه بشار قوله:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤوُسِهِمْ   وأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

أخذه العتابي فقال:

تَبْنِى سَنَابِكُها من فَوْق أَرْؤُسِهِمْ   سَقْفاً كَوَاكِبُهُ البيضُ المَبَاتِيرُ

ومن حسن شعره قوله:

كَأَنَّ فُؤَادَهُ كُرَةٌ تَنَزَّى   حِذَارَ البَيْنِ لو نفَعَ الحِذَارُ

كَأَنَّ جُفُونَهُ سُمِلَتْ بشوْكٍ   فلَيْسَ لنَوْمِهِ فيها قَرَارُ

أَقُولُ ولَيْلَتِى تَزْدَادُ طُولاً   أَمَا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمُ نَهَارُ

جَفَتْ عَيْنِى عن التَّغْمِيضِ حَتَّى   كَأَنَّ جُفُونَها عنها قِصَارُ

يُرَوِّعُهُ السِّرارُ بكُلِّ أَمْرٍ   مَخَافَةَ أَنْ يكُونَ به السِّرَارُ

ومما أفرط فيه قوله:

إِذا ما غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً   هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَو قَطَرَتْ دَمَا

وبعده:

إِذا ما أَعَرْنَا سَيِّداً من قَبِيلَةٍ   ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وسَلَّمَا

وكان بشار هجا المهدي، وذكر شغله بالشراب واللهو،فأمر به فقتل تغريقاً في الماء.

سديف بن ميمون

هو مولى بني العباس وشاعرهم. ويقال إنه كان مولى لإمرأةٍ من خزاعة، وكان زوجها من اللهبيين، فنسب إلى ولاء اللهبيين.

وكان يقول في أيام بني أمية اللهم قد صار فيئنا دولة بعد القسمة، وإمارتنا غلبة بعد المشهورة، وعهدنا ميراثاً بعد الاختيارللأمة، واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة،اللهم وقد استحصد زرع الباطل، وبلغ نهيته، واستجمع طريده،اللهم فأتح له من الحق يداً حاصدةً تبدد شمله، وتفرق أمره ليظهر الحق في أحسن صورته، وأتم

نوره.

وهو القائل في سليمان بن هشام لأبي العباس:

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى من رجالٍ إنَّ تحت الضُّلُوعِ داءً دَوِيَّا

فضَعِ السَّيْفَ وارْفَعِ السَّوْطَ حَتَّى لا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِها أُمَوِيَّا

وهو القائل:

وأَميرٍ من بني جُمَحٍ طَيِّبِ الأَعْرَاقِ مُمْتَدَحِ

إِنْ أَبَحْنَاهُ مَدَائِحَنَا عاضَنَا مِنْهُنَّ بالوَضَحِ

ولما ظهر إبراهيم بن عبد الله صار إليه سديف، فكتب بعض عيون أبي جعفر إليه أنه قام إلى إبراهيم لما صعد المنبر فقال:

إِيهٍ أَبا إِسحقَ مُلِّيتَهَا في صحَّةٍ مِنْكَ وعُمْرٍ طويلِ

اُذْكُرْ هَدَاكَ اللهُ ذَحْلَ الأُولى سيرَبَهِمْ في مُصْمَتَاتِ الكُبُول

أَيُّهَا المَنْصُورُ يا خَيْرَ العَرَبْ خير من ينميه عبد المطلب

أنا مولاك وراج عفوكم فاعْفُ عَنى اليَوْمَ من قَبْلِ العَطَبْ

ما نَمَانِى مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيّ إِنْ تَشَبَّهْتُ بعْدَها بوَلِيِّ

وكتب إلى عبد الصمد بن علي يأمره بقتله، فيقال إنه دفن حياً.

مروان بن أبي حفصة

ويكنى أبا السمط، هو مولى مروان بن الحكم، وكان أعتق أباه أبا حفصة يوم الدار، وقال مروان:

بَنُو مَرْوَانَ قَوْمِى أَعْتَقُوني وكُلُّ الناسِ بَعدُ لَهُمْ عَبيدُ

ويقال أن يحيى بن أبي حفصة كان يهودياً أسلم على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأثرى وكثر ماله، وكان جواداً، فتزوج خولة بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم، سيد أهل الوبر، فقال القلاخ:

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قالَتْ حِينَ أَنْكَحَها لَطالَ ما كُنْتُ مِنْكَ العارَ أَنْتَظِرُ

أَنْكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مالِهِمَا في فِيكَ ممّا رَجَوْتَ التُّرْبُ والحَجَرُ

للهِ دَرُّ جِيَادٍ أَنْتَ سائِسُها بَرْذَنْتَها وبها التَّحْجِيلُ والغُرَرُ

وكان أيضاً تزوج بنت إبراهيم بن النعمان بن بشير، على عشرين ألفاً، فعيره الناس، فقال إبراهيم:

ما تَرَكَتْ عِشْرُونَ أَلفاً لِقائلٍ   مَقالاً، فلا تَحْفِلْ مَقَالَةَ لائمِ

فإِنْ أَكُ قد زَوَّجْتُ مَوْلًى فقد مَضَتْ   به سُنَّةٌ قَبْلِي وحُبُّ الدَّراهِمِ

وكان يحيى بن أبي حفصة شاعراً. وهو القائل في وصف حيةٍ:

أَصَمُّ ما شَمَّ من خَضْراءَ أَيْبَسَها   أَو مَسَّ من حَجَرٍ أَوْهَاهُ فانْصَدَعَا

يَلُوحُ مِثْلَ مَخَطِّ النارِ مَسْلَكُهُ   في المُسْتَوى، وإذا ما انحَطَّ أَوطَلَعَا

لَوْ أَنَّ رِيقَتَهُ على حَجَرٍ   أَصَمَّ من جَنْدَلِ الصَّمَّان لا نْقَطَعَا

وكان عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الحسن بن علي بن أبي طالب، فقال أنا مولاك، وكان عبيد الله قبل يكتب لعلي بن أبي طالب، فقال مولى لتمام بن العباس بن عبد المطلب:

جَحَدْتَ بنى العَبَّاسِ حَقَّ أَبيهِمُ   فما كنْتَ في الدَّعْوَى كَرِيمَ العَوَاقِبِ

مَتَى كان أَوْلادُ البَنَاتِ كَوارِثٍ   يَحُوزُ ويُدْعَى والِداً في المَناسِبِ

فأخذه مروان فقال:

أَنَّى يَكُونُ، ولَيْسَ ذاك بكائِنٍ،   لِبَنِى البَنَاتِ وِرَاثَةُ الأَعْمامِ

ويستجاد له قوله في بني مطر:

هُمُ القَوْمُ إِنْ قالوا أَصابوا، وإِنْ دُعُوا   أَجابُوا، وإِنْ أَعْطَوْا أَطابُوا وأَجْزَلُوا

هُمُ يَمْنَعُونَ الجار حتَّى كأَنَّما   لِجارِهِمُ بَيْنَ السِّمَاكَيْن مَنْزِلُ

أبو عطاء السندي

اسمه مرزوق، مولى أسد بن خزيمة، وكان جيد الشعر، وكانت فيه عجمةٌ.

قال حماد عجرد كنت أنا وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوي وبكر بن مصعب المزني مجتمعين، فنظر بعضنا إلى بعض، فقلنا ما بقى شيءٌ إلا وقد تهيأ لنا في مجلسنا هذا، فلو بعثنا إلى أبي عطاءٍ السندي، فأرسلنا إليه، فقال حماد بن الزبرقان أيكم يحتال لأبي عطاءٍ حتى يقول "جرادة" و"زج" و"شيطان"؟! قال حماد الراوية أنا، فلم يلبث أن جاء أبو عطاءٍ، فقال مرهباً مرهباً، هياكم الله!! قلنا ألا تتعشى؟قال قد تأسيت، فهل عندكم نبيذ؟ قلنا نعم، فأتى بنبيذٍ، فشرب حتى استرخت علابيه وخذيت أذناه، فقال حماد الراوية كيف بصرك باللغز يا أبا عطاءٍ؟ قال هسنٌ، قال:

فما صَفْراءُ تُكْنَى أُمَّ عَوْفٍ كأَنَّ رُجَيْلَتَيْها مِنْجَلانِ؟

قال زرادة، قال أصبت، ثم قال:

فما اسْمُ حَدِيدَة في الرُّمْح تُرْسَى دُوَيْنَ الصَّدْرِ لَيْسَتْ بالسِّنان؟

قال ززّ، قال أصبت، ثم قال:

فتَعْرِفُ مَنْزِلاً لبَنِى تَمِيمٍ فُوَيْقَ المِيلِ دُونَ بنى أَبَانِ؟

قال في بني سيطان، قال أصبت.

وهو القائل لعمر بن هبيرة:

ثَلاَثٌ حُكْتُهُنَّ لقَرْمِ قَيْسٍ طَلَبْتُ بها الأُخوَّةَ والثَّنَاءَ

رَجَعْنَ على جَآجِئِهِنَّ صُوفٌ فعِنْدَ اللهِ أَحْتَسِبُ الجَزَاءَ

وقال يرثيه:

أَلا إِنَّ عَيْناً لم تَجُدْ يَوْمَ واسِطٍ عليك بجارِى دَمْعِها لَجَمُودُ

عَشِيَّةَ قام النائِحاتُ وشُقِّقَتْ جُيُوبٌ بأَيْدِي مَأْتَمٍ وخُدُودُ

فإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الفِناءِ فرُبَّما أَقامَ به بَعْدَ الوُفُودِ وُفُودُ

فإِنَّك لم تَبْعَدْ على مُتَعَهِّدٍ بَلى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ

ولما ولى أبو العباس مدح أبو عطاءٍ السندسي بني العباس، فقال:

إِنَّ الخِيَارَ مِنَ البَرِيَّةِ هاشِمٌ وبنو أُمَيَّةَ أَرْذَلُ الأَشرارِ

وبَنُو أُمَيَّةَ عودُهُمْ من خِرْوَعٍ ولهاشِمٍ في المَجْدِعُودُ نُضَارِ

أَما الدُّعاةُ إِلى الجِنانِ فهاشِمٌ وبَنُو أُمَيَّةَ من دُعاةِ النارِ

فلم يصله بشيءٍ، فقال:

يا لَيْتَ جَوْرَ بَنِى مَرْوَانَ عاد لنا وأَنَّ عَدْلَ بَنِى العَبّاس في النارِ

وقال يهجو بني هاشم:

بَنِى هاشِمٍ عُودُوا إِلى نَخَلاتِكمْ فقد قام سِعْرُ التَّمْرِ صاعاً بدِرْهَمِ

فإِنْ قُلْتُمُ رَهْطُ النَّبِىِّ وقَوْمُهُ فإِنَّ النَّصارَى رَهْطُ عيسَى ابنِ مَرْيَمِ

ابن ميادة

هو الرماح بن يزيد، وميادة أمه، وكانت أم ولدٍ، ويكنى أبا شراحيل، وهو من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

وكان يضرب جنبي أمه ويقول لها:

اعْرَنْزِمى مَيَّادَ للقَوَافِى

يريد أن يهجوالناس، فهم يهجونه ويذكرون أمه.

وأبوه من ولدٍ ظالمٍ أبي الحرث بن ظالم المري.

وهو القائل:

سَقَتْنى سُقَاةُ المَجْدِ من آلِ ظالِمِ ... بأَرْشِيَةِ أَطْرافُها في الكَوَاكِبِ

وهو القائل للوليد بن يزيد:

أَلا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبيتَنَّ لَيْلَةً ... بحَرَّةِ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّتَنِى أَهْلِى

بلاَدٌ بها نِيطَتْ علَيَّ تَمَائِمى ... وقُطّعْنَ عَنِّى حِينَ أَدْرَكَنِى عَقْلِى

وهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ ... تَطَالَعُ من هَجْلٍ خَصِيبٍ إِلى هَجْلِ

فإِنْ كُنْتَ عن تِلْكَ المَوَاطِنِ حابِسِى ... فأَفْشِ علَّى الرِّزْقَ واجْمَع إِذَنْ شَمْلِى

أخذ البيت من المجنون، فكتب الوليد إلى مصدق كلب أن يعطيه مائة ناقة دهماً جعاداً، فطلب المصدق أن يعفيه من الجعودة ويأخذها دهماً، فكتب الرماح إلى الوليد:

أَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّ الحَيَّ كَلباً ... أَرادُوا في عَطِيَّتِكَ ارْتِدادا

أَرادُوا لِى بها لَوْنَيْنِ شَتَّى ... وقد أُعْطِيتُها دُهْماً جِعَادا

فكتب إليه أن يعطيه مائة دهماً جعاداً، ومائة صهباً برعاتها.

أبو حية النميري

هو الهيثم بن الربيع، وكان يروي عن الفرزدق، وكان كذاباً!! قال ذات يومٍ عن لى ظبي فرميته، فراغ عن سهمى، فعارضه " والله" ذلك السهم، ثم راغ، فراوغه السهم حتى صرعه ببعض الخبارات!! وقال أيضاً رميت " والله" ظبيةً، فلما نفذ السهم عن القوس ذكرت بالظبية حبيبةً لي، فعدوت وراء السهم، حتى قبضت على قذذه!! وقال جارٌ له كان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان يسميه لعاب

المنية!! قال فأشرفت عليه ليلة، وقد انتضاه، وهو واقفٌ على باب بيتٍ في داره، وهو يقول إيهاً أيها المغتر بنا، والمجترئ علينا، بئس " والله" ما اخترت لنفسك، خيرٌ قليلٌ، وسيفٌ صقيلٌ، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورةٌ ضربته، لا تخاف نبوته، اخرج بالعفو عنك، لا أدخل بالعقوبة عليك، إني " ولله" إن أدع قيساً تملإ الفضاء خيلاً ورجلاً، يا سبحان الله، ما أكثرها وأطيبها! ثم فتح الباب، فإذا كلبٌ قد خرج عليه، فقال الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفاني منك حرباً!! ولقيه ابن مناذرٍ، فسأله أن ينشده، فأنشده:

أَلاَ حَيِّ مِنْ بَعْدِ الحَبيبِ المَغانيَ   الَبِسْنَ البِلى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَاليَا

إِذا ما تَقَاضَى المَرْءَ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ   تقاضاه شيءٌ لا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

فقال له ابن مناذر أوهذا شعر؟! فقال أبو حية ما في شعري شرٌ من أنك تسمعه!! ثم أنشده ابن مناذرٍ، فقال له أبو حية أما قلت لك؟!

أبو دلامة

هو زند بن الجون، مولى بني أسد.

وكان منقطعاً إلى أبي العباس السفاح.

وقال له يوماً سل حاجتك،فقال أبو دلامة كلب صيدٍ، قال لك كلب، قال ودابة أتصيد عليها، قال ودابة، قال وغلام يركب الدابة ويصيد، قال وغلام، قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه، قال وجارية، قال يا أمير المؤمنين، هؤلاء عيال، ولا بد من دارٍ، قال ودار، قال ولا بد من ضيعة تقوت لهؤلاء، قال قد أقطعناك مائة جريبٍ عامرة، ومائة جريبٍ غامرة، قال وأي شيءٍ الغامرة؟ قال ليس فيها نبات، قال فأنا أقطعك ألفاً وخمسمائة جريب من فيافي بني أسد!! قال قد جعلناها عامرة، قال فأذن لي أقبل يدك، قال أما هذه فدعها، قال ما منعت عيالي شيئاً أهون عليهم فقداً من هذه!!

وكان يستحسن شعره. وأنشده يوماً شعراً والناس يستحسنونه فقال له والله، يا أمير المؤمنين، إنهم لايفهمون بالقول شيئاً، ولا يستحسنون إلا باستحسانك، ثم أنشده:

أَنْعَتُ مُهْراً كامِلاً في قَدْرِهِ   مُرَكباً عِجَانُهُ في ظَهْرِهِ

فعجبوا من ذلك واستحسنوا! فقال يا أمير المؤمنين، أما قلت لك؟ وقال لهم كيف يكون عجانه في ظهره!! وقال أبو دلالة كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى شيبان الخارجي، فلما التقى الزحفان، خرج منهم فارسٌ، فنادى من يبارز؟ فلم يخرج إليه أحد إلا أعجله و لم ينهنهه، وأحجم الناس عنه، فغاظ

ذلك مروان، فجعل يندب الناس على خمسمائة درهم، فقتل أصحاب الخمسمائة، وزاد مروان في ندبته، فبلغ بها ألفاً، و لم يزل يزيد حتى بلغ خمسة آلاف درهم، فلم يخرج إليه أحد، وكان تحت فرسٍ لا أخاف خونه، فلما سمعت بالخمسة الآلاف ترقبته، واقتحمت الصف، فلما نظر إلى الخارجي علم أني إنما خرجت للطمع، فأقبل يتهيأ إلي، وإذا عليه فروٌ له قد أصابه المطر فارمعل، ثم أصابته الشمس فاقفعل، وعيناه تزران كأنهما في وقبين، فلما دنا مني قال:

وخارجٍ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعْ	فَرَّ مِنَ المَوْتِ وفي المَوْتِ وَقَعْ
مَنْ كان يَنْوِى أَهْلَهُ فلا رَجَعْ	

فلما وقرت في أذني انصرفت عنه هارباً، وجعل مروان يقول من هذا الفاضح لنا؟ ايتوني به، ودخلت في غمار الناس فنجوت.

وخرج أبو دلامة مع المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد، فسنحت لهم ظباء، فرمى المهدي ظبياً فأصابه، ورمى علي بن سليمان فأصاب كلباً، فضحك المهدي وقال لأبي دلامة قل في هذا، فقال:

قد رَمى المَهْدىُّ ظَبْياً	شَكَّ بالسَّهْم فُؤادَهْ
وعلِىٌّ بْنُ سُلَيْمَا	نَ رَمَى كَلْباً فصادَهْ
فَهَنيئاً لهُمَا، كُل	امرىءٍ يَأْكُلُ زادَهْ

وهو القائل في أبي مسلم صاحب الدولة:

أَبا مُجْرِمٍ ما غَيَّرَ اللهُ نعْمةً	على عَبْدِهِ حَتَّى يُغَيِّرُها العَبْدُ
أَبا مُجْرِمٍ خَوَّفْتَى القَتْلَ فانْتَحَى	عليك بما خَوّفْتَنى الأَسَدُ الوَرْدُ
أَفى دَوْلَةِ المَهْدِيِّ حَاوَلْتَ غدْرَةً	أَلا إِنَّ أَهْلَ الغَدْرِ آباؤُك الكُرْد

حماد عجرد

هو حماد بن عمر، من أهل الكوفة، مولى لبني سواءة بن عامر بن صعصعة وكان معلماً وشاعراً محساً.

وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون حماد عجردٍ وحماد الرواية، وحماد بن الزبرقان النحوي. وكانوا يتنادمون ويتعاشرون، وكأنهم نفس واحدة، ويرمون جميعاً بالزندقة.

وكان حماد بن الزبرقان عتب على حمادٍ الراوية في شيءٍ، فهجاه وقال:

نِعْمَ الفَتَى لَوْ كان يَعْرِفُ قَدْرَهُ	ويُقيمُ وَقْتَ صَلاَته حَمَّاد
هَدَلَتْ مَشَافِرَه الدّنَانُ فأَنْفُهُ	مِثْلُ القَدُوم يَسُنُّها الحَدَّادُ

وابْيَضَّ من شُرْبِ المُدَامَةِ وَجْهُهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الحسَابِ سَوَادُ

وحماد عجردٍ هو القائل:

إنَّ الكَرِيمَ لَيُخْفِى عَنْكَ عُسْرَتَهُ حتَّى تَرَاهُ غَنِيّاً وهْوَ مَجْهُودُ

وللبَخِيل على أَمْوَالِه عِلَلٌ زُرْقُ العُيُونِ عليْها أَوْجُهٌ سُودُ

إِذَا تَكرّمْتَ أَنْ تُعْطِى القَلِيلَ ولَم تَقْدِرْ على سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرِ الجُودُ

أَبْرِقْ بخَيْرٍ ترجى للنَّوَالِ فما تُرْجَى الثمارُ إذا لَمْ يُورِق العُودُ

بُثَّ النَّوَالَ ولا تَمْنَعْكَ قِلَّتُه فكلُّ ما سَدَّ فَقْراً فَهْوَ مَحْمُودُ

وهو القائل:

حُرَيْثٌ أَبو الصَّلْتِ ذو خِبْرَةٍ بما يُصلْحُ المَعِدَ الفاسِدَهْ

تَخَوَّفَ تَخْمَةَ أَضْيَافِهِ فَعَوَّدَهُمْ أَكْلَةً واحِدَهْ

وهو القائل:

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ تُنْكِرُه ما دُمْتَ من دُنْيَاك في يُسْرِ

مُتَصَنِّعٍ لكَ في مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بالتَّرْحِيبِ والبِشْرِ

يُطْرِى الوَفاءَ وذا الوفاءِ ويَلْ حَى الغدْرَ مُجْتَهِداً وذَا الغَدْرِ

فإِذا عَدَا، والدَّهْرُ ذُو غِيَرٍ، دَهْرٌ عليكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ

فارْفُضْ بإجْمالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَقْلِى المُقِلَّ ويَعْشَقُ المُثْرِى

وعليكَ مَنْ حَالاهُ واحِدَةٌ في العُسْرِ إِمَّا كُنْتَ واليُسْرِ

لا تَخْلِطَنَّهُمُ بغَيْرِهُمُ مَنْ يَخْلِطُ العِقْيَانَ بالصُّفْرِ

زرت امرءاً في بيته مرة له حياء وله خير

وهو القائل في محمد بن طلحة:

يَكْرَهُ أَنْ يُتْخِمَ إِخْوَانَهُ إِنَّ أَذَى التُّخْمَةِ مَحْذُورُ

ويَشْتَهِى أَنْ يُؤْجَرُوا عِنْدَهُ بالصَّوْمِ، والصَّائِمُ مَأْجُورُ

يابنَ أَبِى شُهْدَةَ أَنت امْرُؤٌ بِصِحَّةِ الأَبْدَانِ مَسْرُورُ

وهو القائل في محمد بن أبي العباس السفاح:

أَرْجُوكَ بَعْدَ أَبى العبَّاسِ إِذْ بانا ... يا أَكْرَمَ النَّاس أَعْراقاً وأغْصَانا

لَوْ مج عُودٌ على قَوْمٍ عُصَارَتَهُ ... لَمَجَّ عُودُكَ فينا المِسْكَ والْبَانَا

مالك بن أسماء

هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري. وآباؤه سادة غطفان.

وكان مالك شاعراً غزلاً ظريفاً.

وهو القائل في جارية له:

أمغَطى مِنِّى على بَصَرِى بالْ ... حُبِّ أَم أَنْتِ أَكْمَلُ الناسِ حُسْنا

وحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هو ممَّا ... يَشْتَهِى الناعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنا

مَنْطِقٌ صائِبٌ وتَلْحَنُ أَحْيَا ... ناً، وأَحْلَى الحَدِيثِ ما كان لَحْنا

وفيها يقول:

حَبَّذا لَيْلَتِى بتَلِّ بَوَنَّا ... إذْ نُسَقَّى شَرَابَنا ونُغَنَّى

من شَرَابٍ كأَنَّه دَمُ جَوْفٍ ... يَتْرُكُ السَّيْخَ والفَتَى مُرْجَحِنَّا

حَيْثُ دارَتْ بنا الزُّجاجة دُرْنا ... يَحْسِبُ الجاهِلُونَ أَنَّا جُنِنَّا

ومَرَرْنا بنِسْوَةٍ عَطِراتٍ ... وسَماعٍ وقَرْقَفٍ فنَزَلْنا

وكان أخوه عيينة بن أسماء هوى جاريةً لأخته هنداً بنت أسماء فاستعان بأخيه مالك بن أسماء على أخته، وشكا إليه ما به، فقال مالك:

أَعُيَيْنَ هَلاَّ إذْ شَغِفْتَ بها ... كُنْتَ اسْتَعَنْتَ بفارِغِ العَقْلِ

أَقْبَلْتَ تَرْجُو الغَوْث من قِبَلِى ... والمُسْتَغاثُ إِلَيْه في شُغْلِ

كان مالك يهوى جاريةً من بني أسد، وكانت تنزل داراً من قصبٍ، وكانت دار مالك في بني أسدٍ مبنيةً بالآجرِّ، فقال:

يا لَيْتَ لى خُصًّا مُجاوِرَها ... بَدْلاً بدارِى في بنى أَسَدِ

الْخُصُّ فيه تَقِرُّ أَعْيُنُنا ... خَيْرٌ مِنَ الآجُرِّ والكَمَدِ

عبيد بن أيوب

هو من بني العنبر. وكان جنى جنايةً، فطلبه السلطان وأباح دمه، فهرب في مجاهل الأرض، وأبعد لشدة الخوف، وكان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة، ويبايت الذئاب والأفاعي، ويأكل مع الظباء والوحش.

فمن شعره:

فلِلّهِ دَرُّ الغُولِ أيُّ رَفيقَةٍ ... لصاحِبِ قَفْرٍ خائِفٍ يَتَستَّرُ

أرَنَّتْ بلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وأوْقَدَتْ ... حَوَالَّى نِيرانا تَبُوخُ وتَزْهَرُ

وهو القائل:

أذِقْنِى طَعْمَ الأَمْنِ أو سَلْ حَقِيقةً ... علَّى، فإنْ قامَتْ ففصِّلْ بَنَانيا

خَلَعْتَ فُؤَادِى فاسْتُطِيرَ فأَصبَحَتْ ... تَرَامى بؤىَ البِيدُ القِفَارُ تَرَاميا

كأنِّى وآجالَ الظِّباءِ بِقَفْرَةٍ ... لنا نَسَبٌ تَرْعاه أصبَحَ دَانيا

رَأَيْنَ ضَرِيرَ الشَّخْصِ يَظْهَرُ تارةً ... ويَخْفَى مِرَاراً ناحِلَ الجِسْمِ عَارِيا

فأجْفَلْنَ نَفْراً ثُمَّ قُلْنَ ابنُ بَلْدَةٍ ... قَليلُ الأَذَى أَمْسَى لَكُنَّ مُصافيا

ألا يا ظِباءَ الوَحْشِ لا تَشْمَتُنَّ بى ... وأخْفِينَنِى إذْ كُنْتُ فيكنَّ خَافِيا

أكَلْتُ عُرُوقَ الشَّرْى مَعْكُنَّ فالْتَوَى ... بحلْقِىَ نَوْرُ الفَقْدِ حَتَّى وَرَانيا

وقد لَقِيَتْ منِّى السِّباعُ بَلِيَّةً ... وقد لاقَتِ الغِيلانُ منِّى الدَّوَاهيا

ومنْهُنَّ قد لاقَيْتُ ذاك فلم أكُنْ ... جَبَاناً إذا هَوْلُ الجَبَانِ اعْتَرَانيا

أذَقْتُ المَنَايا بَعْضَهُنَّ بأَسْهُمِى ... وقَدَّدْنَ لَحْمِى وامْتَشَقْنَ رِدَائيا

وهو القائل:

تَقُولُ وقد ألْمَمْتُ بالإِنْسِ لمَّةً ... مُخَضَّبَةُ الأطْرافِ خُرْسُ الخَلاخِلِ

أهذا خَلِيلُ الغُولِ والذِّئْبِ والذَّي ... يَهِيمُ برَبَّاتِ الحِجالِ الهَراكِلِ؟

رَأَتْ خَلَقَ الأَدْراسِ أَشْعَث شاحِباً ... على الجَدْبِ بَسَّاماً كَرِيمَ الشَّمائلِ

تَعَوَّدَ من آبائه فَتَكاتِهِمْ ... وإطعامَهُمْ في كُلِّ غَبْراءَ شامِلِ

إذا صاد صَيْداً لَفَّهُ بضِرَامَةٍ ... وَشِيكاً ولم يُنْظِرْ لنَصْبِ المَرَاجِلِ

ونَهْساً كنَهْسِ الصَّقْرِ ثُمَّ مِراسَهُ ... بكَفَّيْهِ رَأْسَ الشِّيخَةِ المُتَمَايِلِ

ولم يَسْحَبِ المِنْدِيلَ بَيْنَ جَمَاعَةٍ ولا فارِداً مُذْ صاحَ بَيْنَ القَوَابِلِ

وهو القائل في نحول جسمه:

حَمَلْتُ عَلَيْها ما لَوَ أنَّ حَمَامَةً تُحَمَّلُهُ طارَتْ به في الجَفَاجِفِ

رُحْيَلاً وأَقْطاعاً وأَعْظُمَ وامِقٍ أَضَرَّ به طُولُ السُّرَى والمَخَاوِفِ

الأحيمر السعدي

وكان الأحيمر لصاً كثير الجنايات، فخلعه قومه، وخاف السلطان، فخرج في الفلوات وقفار الأرض. قال فظننت أني قد جزت نخل وبار، أو قد قربت منها، وذلك لأني كنت أرى في رجع الظباء النوى، وصرت إلى مواضع لم يصل أحد إليها قط قبلي. وكنت أغشي الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني، لأنها لم ترى غيري قطُّ وكنت آخذ منها لطعامي ما شئت، إلا النعام، فإني لم أره قط إلا شارداً فزعاً.

وهو القائل:

وَى الذِئبُ فاسْتَأْنَسْتُ بالذِّئْب إذ عَوَى وصَوَّتَ إنسانٌ فكِدْتُ أَطيرُ

رَأَى الله أَنِّى للأَنِيسِ لَشَانِىءٌ وتُبْغِضُهم لي مُقْلَةٌ وضَمِيرُ

فلِلَّيْلِ إذْ وارانِىَ اللَّيْلُ حُكْمُهُ وللشَّمْسِ إنْ غابَتْ علَّى نُذُورُ

وإنِّى لأَسْتَحيِى لنَفْسِىَ أَنْ أُرَى أَمُرُّ بحَبْلٍ لَيْسَ فيه بَعِيرُ

وأَنْ أَسْئَلَ العَبْدَ الَّئِيمَ بَعِيرَهُ وبُعْرانُ رَبِّى في البِلادِ كَثِيرُ

وهو متأخر، قد رآه شيوخنا. وكان هربه من جعفر بن سليمان.

وهو القائل:

أَرَانِى وذِئْبَ القَفْرِ إلْفَيْنِ بَعْدَما بَدَأْنا كِلاَنا يَشْمَئِزُّ ويُذْعَرُ

تَأَلَّفَنِى لَمَّا دَنَا وأَلِفْتُهُ وأَمْكَنَنِى للرَّمْىِ لَوْ كُنْتُ أَغْدِرُ

ولكِنَّنى لم يَأْتَمِنِّىَ صاحِبٌ فيَرْتابَ بِى ما دام لا يَتَغَيَّرُ

وهو القائل:

نَهَقَ الحِمارُ فقُلْتُ أَيْمَنُ طائِرٍ إنْ الحمارَ منَ التِّجار قَرِيبُ

خلف الأحمر

هو خلف بن حيان، أبو محرز. وكان عالماً بالغريب والنحو والنسب والأخبار، شاعراً كثير الشعر جيده. و لم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه.

قال الأصمعي كان خلف مولى أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، أعتقه وأعتق أبويه، وكان فرغانيين.

وفيه يقول أبو نواسٍ يرثيه:

أَوْدَى جَمِيعُ العِلْمِ مُذْ أَوْدَى خَلَفْ   مَنْ لا يَعُدُّ العِلْمَ إلاَّ ما عَرَفْ

قَلَيْذَمٌ مِنَ العَيَالِمِ الخُسُفْ   كُنَّا مَتَى نشاءُ منه نَغْتَرِفْ

رِوَايَةً لا تُجْتَنَى منَ الصُّحُفْ

وهو القائل:

سَقَى حُجَّاجَنا لنَوْءُ الثُّرَيَّا   على ما كان من بُخْلٍ ومَطْلِ

هُمُ جَمَعُوا النِّعال وأَحْرَزُوها   وشَدُّوا دُونَها باباً بِقُفْلِ

فإنْ أَهْدَيْتَ فاكِهَةً وجَدْياً   وعَشْرَ دَجَائِجٍ بَعَثُوا بنَعْلِ

ومِسْوَاكَيْنِ قَدْرُهُما ذراعٌ   وعَشْرٍ من رَدِىءِ المُقْلِ خَشْلِ

أُنَاسٌ تائِهونَ لهم رُوَاءٌ   تَغِيمُ سَمَاؤُهم من غَيْرِ وَبْلِ

إذا انْتَسَبُوا ففَرْعٌ من قُرَيْشٍ   ولكِنَّ الفِعالَ فِعَالُ عُكلِ

وهو القائل:

إنَّ بالشِّعْبِ إلى جَنْبِ سَلَعٍ   لَقَتِيلاً دمُهُ ما يُطَلُّ

ونحله ابن أخت تأبط شراً.

وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين. ويكثر قول الشعر في وصف الحيات، وأراجيزه في ذلك كثيرة.

أبو العتاهية

هو إسماعيل بن القاسم، مولى لعنزة ويكنى أبا إسحق.

وأبو العتاهية لقب. وكان جراراً، ويرمى بالزندقة.

وحدثني شيخ من قدماء الكتاب أنه كان له ابنتان،يقال لإحداهما لله، وللأخرى بالله! ورأيته يستعظم ذلك.وكان له ابن شاعر ناسك.

وكان أحد المطبوعين، وممن يكاد يكون كلامه كله شعراً.

وغزله ضعيف مشاكل لطبائع النساء، ومما يستخففن من الشعر. وكذلك كان عمر بن أبي ربيعة في الغزل.

من ذلك قول أبي العتاهية:

بَسَطْتُ كَفّى نَحْوَكُمْ سائِلاً ... ماذا تَرُدُّونَ على السائِل

إنْ لم تُنيلُوهُ فقُولُوا له ... قَوْلاً جَميلاً بَدَلَ النائِل

أَوْ كُنْتُمُ العامَ على عُسْرَةٍ ... وَيْلِى فمَنُّوهُ إلى قابِلِ

وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب.

وقعد يوماً عند قصار، فسمع صوت المدقة، فحكى ذلك في ألفاظ شعره، وهو عدة أبيات فيها:

للمَنُونِ دائِرا ... تٌ يُدِرْنَ صَرْفَها

هُنَّ يَنْتَقِنَنا ... واحداً فواحدَا

وقال أيضاً:

عُتْبَ ما للخَيالِ ... خَبِّرينى ومالى

لا أراه أَتانى ... زائراً مُذْ لَيَالِى

لَوْ رآني صَدِيقى ... رَقَّ لى أَوْ رثَى لِى

أَوْ يَرَانى عَدُوَى ... لانَ من سُوءِ حالِى

وكانت عتبة هذه التي يشبب بها جاريةً لريطة بنت أبي العباس السفاح، وكانت تحت المهدى، فلما بلغ المهدى إكثاره في وصفها غضب فأمر بحبسه، ثم شفع له يزيد بن منصور الحميري خال المهدى، فأطلقه.

ثم حبسه الرشيد، فكتب إليه من الحبس بأبيات فيها:

تَفْدِيكَ نَفْسِى من كلِّ ما كَرِهَتْ ... نفْسُكَ إنْ كُنْتُ مُذْنِباً فاغفِرْ

يا لَيْتَ قَلبى مُصَوَّرٌ لَك ما ... فيه لِتَسْتَيْقِنَ الَّذِى أُضْمِرْ

فوقع الرشيد في رقعته لا بأس عليك. فأعاد عليه رقعةً بأبيات، فيها:

كأَنَّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ ... له جَسَدٌ وأَنْتَ عليه راسُ

أَمِينَ اللهِ إنَّ الحبْسَ بأْسٌ ... وقد وَقَّعْتَ لَيْسَ عَلَيْكَ باسُ

فأمر بإطلاقه.

وكتب إليه من الحبس:

إنَّما أَنْتَ رَحْمَةٌ وسَلاَمَهْ — زادكَ اللهُ غِبْطَةً وكَرَامَهْ

قِيلَ لى قد رَضيتَ عَنِّى فَمَنْ لى — أَنْ أَرَى لى على رضاك عَلاَمَهْ

وحَقِيقٌ أَلاَّ يُرَاعَ بسُوءٍ — مَنْ رآك ابْتَسَمْتَ منه ابْتِسَامَهْ

لَوْ تَوَجَّعْتَ لى فَرَوَّحْتَ عَنى — رَوَّحَ الله عَنْكَ يَوْمَ القِيامَهْ

وكان جعل أمره إلى خادمٍ له يقال له ثابت، فكتب إليه:

كَفَتنى العنَايةُ من ثابتٍ — بتَثْمِير ما كانَ من غَرْسِهِ

وكان الشَّفيعَ إلى غَيْرِه — فصار الشَّفيعَ إلى نَفْسِهِ

وكان أبو العتاهية أتى أحمد بن يوسف الكاتب، فحجب عنه، فقال:

مَتَى يَظْفَرُ الغادى إليك بحاجَةٍ — ونِصفُك مَحْجُوبٌ ونِصْفُك نائِمُ

وبعث إلى بعض الملوك بنعل، وكتب إليه:

نَعْلٌ بَعَثْتُ بها لتَلْبَسها — تَسْعَى بها قَدَمٌ إلى المَجْدِ

لَوْ كان يَحْسُنُ أَن أُشَرِّكَها — خَدِّى جَعَلْتُ شِرَاكَها خَدِّى

وسمع بقول جميل:

خَلِيلَّى فيما عِشْتُما هَل رأَيْتُما — قَتيلاً بَكَى من حُبِّ قاتِلِه قَبْلى

فأخذه كله فقال:

يا مَنْ رَأَى قَبْلى قَتِيلاً بَكَى — من شِدَّةِ الوَجْدِ على القاتِلِ

وسمعه رجل ينشد:

فانْظُرْ بِطَرْفكَ حَيثُ شِئْتَ — فلَنْ تَرَى إلاّ بَخِيلاً

فقال له بخلت الناس جميعاً؟! قال فأكذبني بسخي واحدٍ!! ومما يستحسن من شعره قوله:

ما أَنا إلاَّ لِمَنْ بَغَانى — أَرَى خَلِيلى كما يَرَانى

لسْتُ أَرَى ما مَلَكتُ طَرْفِى — مَكَانَ مَنْ لا يَرَى مَكانى

مَنْ ذا الَّذى يَرْتَجِى الأَقاصى — إنْ لم يَنَلْ خيْرَهُ الأَدانى

فَلى إلى أَنْ أَمُوت رزْقٌ — لو جَهَدَ الخلَقُ ما عدانى

لا تَرْتَجِ الخَيْرَ عِنْدَ مَنْ لا ... يَصْلُحُ إِلاَّ على الهوان

فاسْتَغْنِ باللهِ عن فُلاَنٍ ... وعن فُلاَنٍ وعن فُلاَن

ولا تَدَعْ مَكْسَباً حَلاَلاً ... تكُونُ منه على بَيَان

فالمالُ من حلِّهِ قِوَامٌ ... للعِرْضِ والوَجْهِ واللِّسان

والفَقْرُ ذُلٌّ عليه بابٌ ... مِفْتَاحُهُ العَجْزُ والتَّوانى

ورزِقُ ربَى له وُجُوهٌ ... هُنَّ منَ اللهِ في ضمَان

سُبْحان مَنْ لم يَزَلْ عَلِيَّا ... لَيْسَ له في العُلُوِّ ثانى

قَضَى على خَلْقِهِ المنايا ... فكُلُّ شَىءٍ سواَهُ فانى

يا ربّ لم نَبْكِ من زَمانٍ ... إلاَّ بكَيْنَا على الزَّمان

ويستحسن له قوله:

وَعَظَتْك أَجْداثٌ صُمُتْ ... ونَعتْك أَزْمِنَة خُفُتْ

وتكلَّمَتْ عن أَوْجُهٍ ... تَبْلى وعن صُوَرٍ سُبُتْ

وأَرَتْك قَبرَك في القُبُو ... رِ وأَنتَ حَىٌّ لم تَمُتْ

وشعره في الزهد كثير حسن رقيق سهل.

ومما يستحسن له من شعره قصيدته التي أولها:

أَتَتْهُ الخِلاَفَةُ مُنْقادَةً ... إِلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيَالَها

فلم تَكُ تَصْلُحُ إلاَّ له ... ولم يَكُ يَصْلُحُ إلاَّ لها

ولَوْ رامها أَحَدٌ غَيْرُهُ ... لَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلزَالَها

ومما نسب فيه إلى الزندقة قوله،وأشار إلى السماء:

إِذا ما اسْتجَزْتَ الشَّكَّ في بعضِ ما تَرَى ... فما لا تَرَاه الدَّهْرَ أَمْضَى وأَجْوَزُ

وقوله:

يارَبِّ لَوْ أَنْسَيْتَنيها وَهى ... في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ لم أَنْسَها

وقوله:

إنَّ المَلِيكَ رَآكِ أَحْ ... سَنَ خَلْقِه ورَأَى جَمالَكْ

فحَذا بقُدْرَةِ نَفْسِهِ حُورَ الجِنانِ على مِثالِكْ

أبو نواس

هو الحسن بن هانيء، مولى الحكم بن سعد العشيرة، من اليمن وهم الذين يقال فيهم "حا وحكم".

وفيه يقول والبة بن الحباب:

يا شَقِيقَ النَّفْسِ من حَكَمِ نِمْتَ عن لَيْلِى ولم أَنَمِ

فاسْقِنِى البِكْرَ الَّتى اعْتَجَرَتْ بخِمارِ الشَّيبِ في الرَّحِمِ

ثُمَّتَ انصَاتَ الشَّبَابُ لها بَعْدَ أَنْ جازَتْ مَدَى الهَرَمِ

فَهْىَ لِلْيَوْمِ الَّذى بُزِلَتْ وهى تِلْوُ الدَّهْرِ في القِدَمِ

عُتِّقَتْ حَتَّى لَوِ اتَّصَلَتْ بِلِسانٍ ناطِقٍ وفَمِ

لاحْتَبَتْ في القَوْمِ ماثِلَةً ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الأُمَمِ

قَرَعَتْها للمِزاجِ يَدٌ خِلُقَتْ للكَأْسِ والقَلَمِ

في نَدَامى سَادَةٍ نُجُبٍ أَخَذُوا الَّذَّاتِ من أَمَمِ

فتمَشَّتْ في مَفَاصِلِهِمْ كَتَمَشِّى البُرْءِ في السَّقَمِ

صَنَعَتْ في البَيْتِ إذْ مُزِجَتْ كَصَنِيعِ الصُّبْحِ في الظُّلَمِ

فاهْتَدَى سارِى الظَّلاَمِ بها كاهْتِدَاءِ السَّفْرِ بالعَلَمِ

هكذا قال له الدعلجي، رجل صحب أبا نواسٍ وأخذ منه. على أن أكثر الناس ينسبون الشعر إلى أبي نواس. وإنما هو لوالبة، قاله فيه.

وكان أبو نواس بصرياً، قال:

أَلاَ كُلُّ بَصْرِىٍّ يَرَى أَنَّما العُلى مُكَمَّمَةٌ سُحْقٌ لَهُنَّ جَرِينُ

وإِنْ أَكُ بَصْرِيّاً فإِنَّ مُهَاجَرِى دِمَشْقُ،ولكِنَّ الحَدِيثَ شُجُونُ

وقال:

أَيَا مَنْ كُنْتُ بالبَصْرَ ةِ أُصفِى لَهُمُ الوُدَّا

شَرِبْنا ماءَ بَغْدَادَ فَأَنْسَاناكُمُ جِدَّا

فلا تَرْعَوْا لنا عَهْداً	فما نَرْعَى لَكُمْ عَهْدَا
جِدُوا مِنَّا كما أَنَّا	وَجَدْنَا مِنْكُمُ بُدَّا

وهو أحد المطبوعين.

قال لي شيخٌ لنا لقيته يوماً ومعي تفاحة حسنة، فأريته إياها، وسألته أن يصفها، وما أريد بذلك إلا أن أعرف طبعه وسهولة الشعر عليه، فقال لي نحن على الطريق، فمل بنا إلى المسجد، فملنا إليه، فأخذها وقلبها بيده شيئاً، ثم قال:

يا رُبَّ تُفَّاحَةٍ خَلَوْتُ بها	تُشْعِلُ نارَ الهَوَى على كَبِدِي
قد بِتُّ في لَيْلَتِى أُقَلِّبُهَا	أَشْكُو إليها تَطَاوُلَ الكَمَدِ
لَوْ أَنَّ تُفَّاحَةً بَكتْ لَبَكَتْ	من رَحْمَتِى هذِى التى بيَدِي

وبسط يده فناولنيها.

وكان أبو نواس متفنناً في العلم، قد ضرب في كل نوع منه بنصيب، ونظر مع ذلك في علم النجوم، يدلك على ذلك قوله:

أَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ حَلَّت الحَمَلاَ	وقام وَزْنُ الزَّمَانِ فاعْتَدَلاَ
وغَنَّتِ الطِّيرُ بَعْدَ عُجْمَتِها	واستَوْفتِ الخَمْرُ حَوْلَها كَمَلاَ

وكان بعضهم يذهب إلى أنه أراد أن للخمر حولاً منذ جرى الماء في العود، وجعل ذلك الماء هو الخمر، لأنه يصير عنباً فيعصر.

وهذا قول، لولا أن الماء يجري في العود قبل حلول الشمس برأس الحمل بمدة طويلة.

والذي عندي فيه أن الهاء في قوله"حولها" كناية عن الشمس كملاً. وقد تقدم ذكر الشمس في البيت الأول، فحسنت الكناية عنها.

ومعنى استيفائها حول الشمس أن الله تبارك وتعالى خلق الفلك والنجوم والشمس براس الحمل، والنهار والليل سواء، والزمان معتدل في الحر والبرد، فكلما حلت الشمس برأس الحمل فقد أمضت سنةٌ للعالم، فقد استوفت الخمر حول الشمس كملاً، وإن هي لم يأت لها حول في نفسها. وإنما أراد أن الشرب يطيب في هذا الوقت لاعتدال الزمان، وتفتح الأنوار، وتفجر المياه، وغناء الطير في أفناء الشجر.

ويدل على علمه بالنجوم أيضاً قوله في قصيدةٍ أولها:

أَعْطَتْكَ رَيْحانَها العُقَارُ	وحان من لَيْلِك انْسِفارُ

ثم وصف الخمر فقال:

تُخُيِّرَتْ والنُّجُومُ وَقْفٌ لم يَتَمَكنْ بها المَدارُ

يريد أن الخمر تخيرت حين خلق الله الفلك.

وأصحاب الحساب يذكرون أن الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة واقفة في برج، ثم سيرها من هناك، وأنها لا تزال جارية حتى تجتمع في ذلك البرج الذي ابتدأها فيه، وإذا عادت إليه قامت القيامة وبطل العالم.

والهند تقول إنها في زمان نوح اجتمعت في الحوت إلا يسيراً منها، فهلك الخلق في الطوفان، وبقي منهم بقدر ما بقي منها خارجاً عن الحوت.

و لم أذكر هذا لأنه عندي صحيح، بل أردت به التنبيه على معنى البيت ونظر هذا الشاعر في هذا الفن.

ومما يغلط الناس فيه من شعره، إلا من أخذه عمن سمعه منه، قوله:

وخَيْمَةِ ناطُورٍ برَأْسِ مُنِيفَةٍ تَهُمُّ يَدَا مَنْ رامَها بزَلِيل
وَضَعْنا بها الأَثْقَالَ قَلَّ هَجيرةٍ عَبُورِيَّةٍ تُذْكَى بغَيْرِ فَتِيل

كأَنَّا لَدَيْها بَيْنَ عِطْفَيْ نَعَامَةٍ جَفَا زَوْرُها عن مَبْرَكٍ ومَقِيلِ
تَأَيَّتْ قَلِيلاً ثُمَّ فاءَتْ بمَذْقَةٍ منَ الظِّلِّ في رَثِّ الأَباءِ ضَئِيلِ

يروونه" رث الإناء" وليس للإناء ها هنا وجه، إنما هو" رث الأباء" و"الأباء" القصب. يريد أن الخيمة التي للناطور التي شبهها بنعامة متجافية كانت من قصب قد رث وأخلق، وأن الشمس عند الزوال تأيت قليلاً، أي احتبست قليلاً، وكذلك تكون في ذلك الوقت كأنها تتلبث شيئاً ثم تنحط للزوال. ألا ترى ذا الرمة يقول:

والشَّمْسُ حَيْرَى لها بالجَوِّ تَدْوِيمُ

يريد بحيري تلك الوقفة فإذا انحطت فقد زالت وفاءت بمذقةٍ من الظل، أي بشيء يسير منه، في أباءِ رث، أي في قصب وقوله" مذقة " يريد ليس بظلٍ خالصٍ، وهو ظل خرج من خلل قصب رث، فهو ممتزج بالشمس، فكأنه ممذوق.

ومثله قول أبي كبير:

وَضْعُ النَّعامات الرِّحال بَرِيدُها يَرْفَعْنَ بَيْنَ مُشَعْشَعٍ ومُظَلَّلِ

ومما أخذ عليه في شعره قوله في الأسد:

كأَنَّما عَيْنُهُ إِذا نَظَرَتْ   بارِزَةَ الجَفْنِ عَيْنُ مَخْنُوقِ

وصفه بجحوظ العين، وإنما يوصف الأسد بغؤورها. قال أبو زبيد:

كأَنَّما عَيْنُهُ وَقْبانِ من حَجَرٍ   قِيضَا اقْتِياضاً بأَطْرافِ المَناقيرِ

وأخذ عليه من الإفراط قوله:

حَتَّى الذى في الرِّحْمِ لم يَكُ صُورَةً   بفُؤَادِهِ من خوْفِهِ خفَقانُ

جعل لما لم يخلق بعد ولم يصور فؤاداً يخفق .

وكذلك قوله في الرشيد:

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إِنَّه   لتَخافُكَ النُّطَفُ الَّتى لم تُخلَقِ

وأخذ عليه قوله في الناقة:

كأَنَّما رِجْلُها قَفَا يَدِها   رِجْلُ وَليد يَلْهُو بدَبَّوق

وإذا كانت كذلك كان بها عقال، وهو من أسوء العيوب.

وأخذ عليه قوله في وصف الدار:

كأَنَّها إِذْ خَرِسَتْ جارِمٌ   بَيْنَ ذَوِى تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ

شبه ما لا ينطق أبداً في السكوت بما قد ينطق في حالٍ، وإنما كان يجب أن يشبه الجارم إذا عذلوه فسكت وأطرق وانقطعت حجته بالدار، وإنما هذا مثل قائلٍ قال مات القوم حتى كأنهم نيام!! والصواب أن يقول نام القوى حتى كأنهم موتى.

ونحوه قول الأحمر:

كأَنَّ نيرانَهُمْ من فَوْقِ حِصْنِهِمُ   مُعَصْفَراتٌ على أَرْسانِ قَصَّارِ

وإنما كان ينبغي أن يقول كأن المعصفرات نيران.

ومما يستخف من شعره قوله:

قُلْ لزُهَيْرٍ إِذا حَدَا وشَدَا   أَقْلِلْ وأَكْثِرْ فأَنْتَ مِهْذَارُ

سَخُنْتَ من شِدَّةِ البُرُودَةِ حَ   تَّى صِرْتَ عِنْدِى كأَنَّك النارُ

لا تَعْجَبُ السامِعُون من صِفَتى   كذلكَ الثَّلْجُ بارِدٌ حارُ

وهذا الشعر يدل على نظره في علم الطبائع، لأن الهند تزعم أن الشيء إذا أفرط في البرد عاد حاراً مؤذياً. ووجدت في بعض كتبهم لا ينبغي للعاقل أن يغتر باحتمال السلطان وإمساكه، فإنه إما شرس الطبع بمنزلة

الحية إن وطئت فلم تلسع لم يغتر بها فيعاد لوطئها، أو سميح الطبع،بمنزلة الصندل الأبيض البارد إن أفرط في حكه عاد حاراً مؤذياً.

وبلغني أن بعض الخلفاء سأل ابن ماسوية عن أصلح ما انتقل به على النبيذ؟ فقال نقل أبي نواس، وانشده:

مَالِيَ في الناس كلُّهم مَثَلُ ... مائِيَ خَمْرٌ ونُقْلِيَ القُبَلُ

يَوْمِيَ حَتَّى إِذا العُيُونُ هَدَتْ ... وحان نَوْمِى فَمفْرَشِى كَفَلُ

وكان محمد الأمين حبسه، فكتب إليه من الحبس:

قُلْ للخَلِيفَة إِنَّنِى ... حَتَّى أَرَاك بكُلِّ باسِ

مَنْ ذا يَكُونُ أَبا نُوَا ... سِكَ إِذْ حَبَسْتَ أَبا نُوَاسِ !

وكان حبسه لشيءٍ عتب عليه فيه، فكتب إليه بهذين البيتين وهو على الشراب، فلما أن قرأهما تبسم وقال لا أبا نواسٍ بعده، وناولهما الفضل ابن الربيع، فشفع له، فأمر بإطلاقه والإقبال به إليه، فلما أن دخل عليه أمر له بعشرة آلاف درهم، وحمله وكساه.

ومما قال في الحبس للفضل ابن الربيع، وهو مما يستخف من شعره:

أَنْتَ يا ابْنَ الرَّبيع عَلَّمْتَنى الخَيْ ... رَ وعَوَّدْتَنِيه، والخَيرُ عادَهْ

فارْعَوَى باطِلى وراجَعَنى الحِلْ ... مُ وأَحْدَثْتُ عِفَّةً وزَهَادَهْ

لَوْ تَراني ذَكرْتَ بى الحَسَن البَصْ ... رِىَّ في حالِ نُسْكِه أَو قَتَادَهْ

مِنْ خُشُوعٍ أَزِينُهُ بنُحُولٍ ... واصفِرَارٍ مِثْل اصْفِرارِ الجَراده

التَّسَابِيحُ في ذِراعِىَ والمُصْ ... حَفُ في لَبَّتى مَكانَ القِلاَدَه

فإذا شِئْتَ أَن تَرَى طُرْفَةً تَعْ ... جَبُ منها مَلِيحَةً مُسْتَفَاده

فادْعُ بى، لا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِى، ... فتَأَمَّلْ بعَيْنِك السَّجَّادَه

تَرَ سِيما منَ الصَّلاةِ بوَجْهِى ... تُوقِنُ النَّفْسُ أَنها من عِبَادَه

لَوْ رآها بَعْضُ المُرَائِينَ بوَجْهِى ... لاشْتَرَاها يُعِدُّها للشَّهَادَه

ولَقَدْ طال ما شَقِيتُ ولكنْ ... أَدْرَكَتنى على يَدَيْك السَّعَادَهْ

فتلطف الفضل بن الربيع لإطلاقه، فقال:

ما من يَدٍ في الناسِ واحِدَةٍ ... كيَدٍ أَبو العبَّاسِ مَوْلاها

نام الثِّقَاتُ على مَضَاجِعِهم ... وسَرَى إِلى نَفْسِى فأَحْياها

قد كُنْتُ خِفتُك ثُمَّ أَمَّننى ... مِن أَنْ أَخافَك خَوْفُك اللهَ

فعَفَوْتَ عَنَّى عَفْوَ مُقْتَدِرٍ ... وجَبَتْ له نِقْمٌ فأَلْغاها

وكان كتب إلى محمد من الحبس:

تَذَكَّرْ أَمينَ الله والعَهْدُ يُذْكَرُ ... مَقَامِى وإِنْشاديكَ والناسُ حُضَّرُ

ونَثْرِى عليك الدُّرَّ يادُرَّ هاشِمٍ ... فيامَنْ رَأَى دُرّاً على الدُّرِّ يُنثَرُ

مَضَتْ لى شُهُورٌ مُذْ حُبِسْتُ ثلاثَةٌ ... كأَنِّىَ قَدْ أَذْنَبْتُ ما ليس يُغْفَرُ

فإِنْ كُنْتُ لَمْ أُذْنِبْ فَفِيمَ تَعَنُّتِى ... وإِنْ كُنْتُ ذا ذنْبٍ فعَفْوُكَ أَكْبَرُ

ومن شعره الذي لا يعرف معناه قوله:

وجَنَّةٌ لُقِّبَتِ المُنْتَهَى ... ثُمَّ اسْمُهَا في العُجْمِ خُلَّرُ

قال أبو محمد لست أعرفه، ولا رأيت أحداً يعرفه، وهو يتلو بيتاً عمى فيه اسماً فقال

قَوْلُك علٌّ من لَعَلٍّ ومن ... قَوْلُك يا حارِثُ يا حارُ

فَهْوَ بحَذْفى ذا وتَرْخِيم ذا ... أَخُ الَّذى تَلْذَعُهُ النارُ

يريد راحة، ألا تراه إذا حذف أوله كما يحذف أول"لعل" فيقول "عل" وإذا رخم آخره فحذف الهاء بقي منه أخ، ثم قال:

وجنةٍ لقبت المنتهى

وأما قوله في الخمر:

لا كَرْمُهَا ممَّا يُذَالُ ولا ... فُتِلَتْ مَرائِرُها على عَجْمِ

فإنه يشكل معناه. والذي عندي فيه أنه وصف الخمر بالصلابة والشدة، فشبهها بحبل فتلت قواه، وهي مرائره،بعد أن نقيت من كسارة العيدان ورضاضها، وإذا نقيت من ذلك جاد الحبل وصلب، واشتد فتله، وأمن انتشاره، وإذا فتل على تلك الكسارة وذلك الرضاض لم يشتد الفتل، وأسرع إليه الانتشار. وأصل العجم النوى، شبه ما يبقى من عيدان الكتان في مرائر الحبل به، وهذا مثل يضرب لكل شيْ اشتد وقوى، فيقال إنه لذو مرةٍ، أي ذو فتل. وقال النبي"صلى الله عليه وسلم" " لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرةٍ سويٍ"، أي لذي قوة، كأن القوي من الرجال فتل. ثم يقال ولا فتلت مرائره على عجم، أي لم يفتل إلا بعد تنقيةٍ من العيدان المتكسرة وبعد تنظيفٍ. وكان أبو نواس ومسلم اجتمعا وتلاحيا، فقال له أبو مسلم

بن الوليد ما أعلم لك بيتاً يسلم من سقطٍ! فقال له أبو نواس هات من ذلك بيتاً واحداً، فقال له مسلم أنشد أنت أي بيت شعرٍ شئت من شعرك، فأنشد أبو نواس:

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بسُحْرَةٍ فارْتَاحَا — وأَملَّهُ دِيكُ الصَّبَاحِ صِيَاحَا

فقال له مسلم قف عند هذا البيت، لم أمله ديك الصباح وهو يبشره بالصبوح الذي ارتاح له؟ قال له أبو نواسٍ فأنشدني أنت، فأنشده مسلم:

عاصَى الشَّبابَ فراحَ غَيْرَ مُفَنَّدِ — وأَقامَ بَيْنَ عَزيمَةٍ وتَجَلُّدِ

فقال له أبو نواس ناقضت، ذكرت أنه راح، والرواح لا يكون إلا بانتقالٍ من مكان إلى مكان، ثم قلت وأقام بين عزيمةٍ وتجلد، فجعلته متنقلاً مقيماً!! وتشاغبا في ذلك ثم افترقا.

قال أبو محمد والبيتان جميعاً صحيحان لا عيب فيهما، غير أن من طلب عيباً وجده، أو أراد إعناتاً فدر عليه، إذا كان متحاملاً متحيناً، غير قاصد للحق والإنصاف.

ومما كفر فيه أو قارب قوله:

تُعَلَّلُ بالمُنَى إِذْ أَنْتَ حَيٌّ — وبَعْدَ المَوْتِ من لَبَنٍ وخَمْرِ

حَيَاةٌ ثم مَوْتٌ ثم بَعْثٌ — حَدِيثُ خُرَافَةٍ يا أُمَّ عَمْرِو

وقوله في محمد الأمين:

تَنَازَعَ الأَحْمَدَانِ الشِّبْهَ فاشْتَبَهَا — خَلْقاً وخُلْقاً كَمَا قُدَّ الشِّرَاكانِ

مِثْلاَنِ لا فَرْقَ في المَعْقُولِ بَيْنَهُمَا — مَعْنَاهُما واحِدٌ والعِدَّةُ اثْنانِ

وقوله في غلام:

نَتِيجُ أَنْوَارٍ سمَائيَّةٍ — حَلِيفُ تَقْدِيسٍ وتَطْهِيرِ

يَكِلُّ عَنْ إِدْرَاكِ تَحْدِ يدِهِ — عُيونُ أَوْهَامِ الضَّمَائِرِ

فُتَّ مَدَى وَصْفِي، ولكنَّ ذا — ، تفديكَ نفسي، جُهدُ مقدوري

وكيفَ أَحكِي وَصفَ مَنْ جَلَّ أَنْ — يَحْكِيهِ عِنْدَ الْوَصْفِ تَدْبِيرِي

إِلاَّ بما تُخْبِرُ أَمْشاجُهُ — مِنْ كامِنٍ فِيهِنَّ مَسْتُورِ

وقوله لغلام:

يا أَحْمَدُ المُرْتَجَى في كُلِّ نائِبَةٍ — قُمْ سَيِّدِي نَعْصِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ !!

وقال له الرشيد يا ابن اللخناء، أنت المستخف بعصى موسى، نبي الله! إذ تقول:

فإِنْ يَكُ باقي سِحْرِ فِرْعَوْنَ فيْكُمُ		فإِنَّ عَصَى مُوسَى بكَفّ خَصِيبِ !

وقال لإبراهيم بن عثمان بن نهيك لا يأوى إلى عسكري من ليلته، فقال له يا سيدي، فأجل ثمود؟ فضحك، وقال أجله ثلاثاً، فقال محمد لإبراهيم والله لئن حصصت منه شعرةً لأقتلنك، فأقام عند إبراهيم حتى مات هارون، فأخرجه محمد.

ومات وهو ابن اثنتين وخمسين سنةً.

وقد سبق إلى معانٍ في الخمر لم يأت بها غيره، كقوله في وصفها:

وخَدينِ لَذَّاتٍ مُعَلِّلِ صَاحِبٍ		يَقْتَاتُ منه فُكَاهَةً ومُزَاحا

قال ابْغِنى المِصْبَاحَ، قُلتُ لَهُ اتَّئِدْ		حَسْبِى وحَسْبُكَ ضَوْؤُهَا مِصْبَاحَا

فسَكَبْتُ منها في الزُّجَاجَةِ شَرْبَةً		كانَتْ له حتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا

وقوله في ذلك:

لا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ		فدَهْرُ شُرَّابها نَهَارُ

حتى لَوِ استُودِعَتْ سَرَاراً		لم يَخْفَ في ضَوْئِهَا السَّرَارُ

السرار استسرار القمر ليلة الثلاثين. يقول هي من ضوئها لو استودعت ما ليس شيئاً لم يخف ذلك في ضوئها. وهذا من الإفراط.

وقال بعض المتقدمين:

طَوَتْ لَقَحاً مِثْلَ السِّرَارِ فَبَشَّرتْ		بأَسْحَمَ رَنَّانِ العَشِيَّةِ مُسْبِدِ

أي خفيا مثل السرار.

وقوله في ذلك:

وخَمَّارٍ حَطَطْتُ إِلَيْهِ لَيْلاً		قَلائِصَ قد وَنَيْنَ منَ السِّفارِ

فجَمْجَمَ والكَرَى في مُقْلَتَيْهِ		كمَخْمُورٍ شَكا أَلَمَ الخُمارِ

أَبِنْ لى كَيْفَ صِرْتَ إِلَى حَرِيمى		ونَجْمُ اللّيْلِ مُكْتَحِلٌ بقَارِ؟

فقُلْتُ له تَرَفَّقِ بى فإِنى		رَأَيْتُ الصُّبْحَ من خَلَلِ الدِّيارِ

فكان جَوَابُهُ أَنْ قال صُبْحٌ		ولا صُبْحٌ سِوَى ضَوْءِ العُقَارِ

وقام إِلى العُقَار فسدَّ فاها		فعاد اللَّيْلُ مَصْبُغَ الإِزارِ

وقوله في نحو ذلك:

كأَنَّ يَوَاقيتاً رَواكِدُ حَوْلَها وزُرْقَ سَنَانيرٍ تُدِيرُ عُيُونَها

وقوله في مثل ذلك:

شكَكْتُ بُزَالَها واللَّيْلُ داج فسَالَ إلىَّ عَيُّوقُ الظَّلامِ

وفي ذلك يقول:

فتعَزَّيْتُ بصِرْفٍ عُقَارٍ نَشَأَتْ في حَجر أُمّ الزمانِ

فتناساها الجَدِيدَان حتى هِيَ أَنْصَافُ شُطُورِ الدِّنَانِ

فافْتَرعْنا مُزَّةَ الطَّعْم فيها نَزَقُ البِكْرِ ولِينُ العَوانِ

واحْتَسَينَا من عَتيقٍ رقيقٍ وشَدِيدٍ كامنٍ في لِيَانِ

لم يَجُفْها مِبْزَلُ القَوْمِ حتى نَجمتْ كثْلَ نجُوم السنَان

أَو كعِرْقِ السَامِ تَنْشَقُّ عنه شُعَبٌ مثْلُ انْفراجِ البَنَانِ

والسام عروق الذهب، شبهها، حين بزلت وانشق ما خرج عنها من المبزل قصار شعباً، بعروق السام إذا انفرجت انفراج الأصابع.

وفي نحو ذلك يقول:

إِذا عَبَّ فيها شارِبُ القَوْمِ خِلْتَهُ يُقَبِّلُ في داجٍ منَ اللَّيْلِ كَوْكَبَا

تَرَى حَيْثُ ما كانَتْ منَ البَيْتِ مَشْرِقاً وما لم تَكُنْ فيه من البَيْتِ مَغْرِبا

وله في تصاوير الكؤوس معنىً سبق إليه، وهو قوله:

تَدُورُ عَلَيْنا الراحُ في عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْها بأَلْوَانِ التَّصَاوِير فارسُ

قَرَارَتُها كِسْرَى وفي جَنَبَاتِها مَهاً تَدَّرِيها بالقِسِيِّ الفَوَارِسُ

فللخَمْرِ ما زُرَّتْ عليهِ جُيُوبُهَا وللماءِ ما حازَتْ عليهِ القَلاَنِسُ

وكذلك قوله:

فحَلَّ بُزالَها في قَعْرِ كَأْسٍ مُحَفَّرَةِ الجوَانِبِ والقَرارِ

رجال الفُرْس حَوْلَ رِكاب كسْرَى بأَعْمِدَةٍ وأَقْبِيةٍ قِصَارِ

وكذلك قوله:

بَنَيْنا على كِسْرَى سَماءَ مُدَامةٍ مكَلَّلَةٌ حافاتُها بنُجُومِ

ومما سبق إليه في الخمر قوله:

مِنْ شَرَابٍ أَلَذَّ من نَظَرِ المَعْ شُوقِ في وَجْه عاشِقٍ بابْتِسَامِ

ونحو ذلك قوله:

وكأنَّها إنْعَامُ خُلَّةِ عاشِقٍ بالبذْلِ بعد تعَسُّرٍ ومِكَاسِ

والراحُ طَيِّبَةٌ وليسَ تَمَامُها إلاَّ بِطِيبِ خَلاَئِقِ الجُلاَّسِ

فإذا نَزَعْتَ عَنِ الغَوَايَةِ فليكُنْ للهِ ذاكَ النَّزْعُ لا للنَّاسِ

وفي هذا حرف يؤخذ عليه، وهو قوله "ذاك النزع"، وكان ينبغي أن يقول " النزوع "، يقال نزعت عن الأمر نزوعاً، ونزعت الشيء من مكانه نزعاً، ونازعتٌ إلى أهلي نزاعاً.

ومما يستحسن له في الخمر قوله:

لا تَشِنْها بالَّتي كَرِهَتْ هِيَ تَأْبَى دِعْوَةَ النَّسَبِ

يريد لا تطبخها فتخرج عن اسم الخمر، فيقال مطبوخ، أو نبيذ، أحسبه قال " لا تسمها بالتي كرهت "، فهو أحسن وأشبه بالمعنى من " تشنها " فإن كانت الرواية " لا تشنها " فلعله أراد لا تمزجها بالماء، فإنها تأبى أن يقال خمر وفيها ماء، فكأنها ادعت غير نسبها، وهو معنىً حسنٌ.

ومن قوله في الحجاب وعتابه الفضل :

أَيُّها الراكبُ المُغِذُّ إلى الفَضْ لِ تَرَفَّقْ فدُونَ فَضْلٍ حجابُ

ونَعَمْ هَبْكَ قد وَصَلْتَ إلى الفَضْ لِ فَهَلْ في يَدَيْكَ إلاَّ السَّرابُ؟

ومن خبيث هجائه قوله للفضل الرقاشي:

وَجَدْنا الفَضْلَ أَكرَمَ من رَقَاشٍ لأَنَّ الفضلَ مَوْلاه الرَّسُولُ

فلَوْ نُضِحَ القَفَا منه بماءٍ بدا اليَنْبُوتُ منه والفَسِيلُ

أراد قول النبي " صلى الله عليه وسلم " " أنا مولى من لا مولى له ".

وقال في يؤيؤ:

كَيْفَ خطَا النَّتْنُ إلى مِنْخَرِى ودُونَهُ راحٌ ورَيْحانُ

أَظُنُّ كِرْيَاساً طمَا فَوْقَنَا أَو ذَكَرَ اليُؤْيُؤَ إِنْسانُ

وقال في إسماعيل بن صبيح:

أَلا قُلْ لإسمعيل إنَّك شارِبٌ بكَأْسِ بنى ماهَانَ ضَرْبَةَ لازمِ

أَتُسْمِنُ أَوْلادَ الطَّرِيدِ ورَهْطَهُ بإهْزالِ آلِ اللهِ من نَسْلِ هاشِمِ

وتُخْبِر مَنْ لاقَيْتَ أَنَّك صائِمٌ وتَغْدُو بفَرْجٍ مُفْطِرٍ غَيْرِ صائِمِ

فإِنْ يَسْرِ إسمعيلُ في فَجَراتِه فلَيْسَ أَميرُ المُؤْمنِينَ بنائِمِ

وقال فيه:

بَنَيْتَ بما خُنْتَ الإِمامَ سِقَايَةً فلا شَرِبوا إلاَّ أَمَرَّ منَ الصَّبْرِ

فما كُنْتَ إلاَّ مِثْلَ بائِعَةِ اسْتِها تَعُودُ على المَرْضَى به طَلَبَ الأَجْرِ

وقال فيه:

أَلَسْتَ أَمِينَ اللهِ سَيْفُك نِقْمَةٌ إذا ماقَ يَوْماً في خِلافِكَ مائِقُ

فكيْفَ بإِسماعيلَ يَسْلَمُ مِثْلُهُ عَلَيْك ولم يَسْلَمْ عَلَيْك مُنافِقُ

أُعِيذُك بالرَّحْمنِ من شَرِّ كاتِبٍ له قَلَمٌ زانٍ وآخَرُ سارِقُ

وقال في جعفر بن يحيى:

عَجِبْتُ لِهرُونَ الإمامِ وما الَّذي يُرَجَّى ويَبْغِى منك يا خِلْقَةَ السِّلْقِ

قَفاً خَلْفَ وَجْه قد أُطِيلَ كأَنَّه قَفَا مالكٍ يَقْضِى الهُمُومَ على بَثْقِ

وأَعْظَمُ زَهْواً من ذُبَابٍ على خِراً وأَبْخَلُ من كَلْبٍ عَقُورٍ على عَرْقِ

تَرَى جَعْفَراً يَزْدادُ لُؤْماً ودِقَّةً إذا زادَهُ الرَّحْمنُ في سَعَةِ الرِّزْقِ

وهو القائل:

يُحِبُّ الشَّمَال إذا أَقْبَلَتْ لأَنْ قيلَ مَرَّتْ بدارِ الحَبِيبِ

وأَحْسِبُ أَيْضاً كذا فِعْلَهُ إذا ما تَلَقَّتْهُ ريحُ الجَنُوبِ

غَنَاءٌ قَلِيلٌ وحُزْنٌ طَوِيلٌ تَلَقِّى الرِّياحِ بما في القُلُوبِ

ومما سبق إليه قوله في إبليس:

دَبَّ له إبْلِيسُ فاقْتادَهُ والشَّيْخُ نَفَّاعٌ على لَعْنَتِهْ

عَجِبْتُ من إبْلِيسَ في تِيهِهِ وعُظْمِ ما أَظْهَرَ من نَخْوَتِهْ

تاهَ على آدَمَ في سَجْدَةَ وصار قَوَّاداً لِذُرِّيَّتِهْ

وفي هذا الشعر من مجونه أشياء تستغرب وتستخف.

وقال الرشيد لو قيل للدنيا صفي نفسك، وكانت مما تصف. لما عدت قول أبي نواس فيها:

إِذا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ ... له عن عَدُوٍّ في ثِيابِ صَدِيقِ

ومن خير شعره قوله في محمد الأمين يرثيه:

طَوَى المَوْتُ ما بَيْنى وبَيْنَ مُحَمَّدٍ ... ولَيْسَ لما تَطْوِى المَنيَّةُ ناشِرُ

وكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ المَوْتَ وَحْدَهُ ... فلم يَبْقَ لى شَىءٌ عَلَيْه أُحَاذِرُ

لَئِنْ عَمَرتْ دُروٌ بِمَنْ لا تُحِبُّهُ ... لقَدْ عَمَرَتْ ممَّنْ تُحِبُّ المَقابِرُ

وقوله فيه يرثيه:

أَيَا أَمِينَ اللهِ مَنْ لِلنَّدَى ... وعِصْمَةَ الضَّعْفَى وفَكِّ الأَسِيرْ

خَلَّفْتَنا بَعْدَك نَبْكِى عَلى ... دُنْياك والدِّين بدَمْعٍ غَزِيرْ

يا وَحْشَتَا بَعْدَك ماذا بِنَا ... أَحَلَّ من بَعْدِك صَرْفَ الدُّهُورْ

لا خَيْرَ للأَحْياءِ في عَيْشِهِمْ ... بَعْدَك والزُّلْفَى لأَهْلِ القُبُورْ

وقال فيه:

أُسَلِّى يا مُحَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِى ... مَعاذَ اللهِ والمِنَنِ الجِسَامِ

فهَلاَّ مات قَوْمٌ لم يَمُوتُوا ... ودُوفِعَ عَنْكَ لى كَأْسُ الحِمامِ

كأَنَّ الدَّهْرَ صادَفَ منك ثَأْراً ... أَوِ اسْتَشْفَى بمَوْتِك من سَقَامِ

ومما يستحسن له قوله في امرأةٍ:

ومُظهِرَةٍ لخَلْق اللهِ وُدّاً ... وتَلْقَى بالتَّحِيَّةِ ة السَّلامِ

أَتَيْتُ فُؤَادَها أَشْكُو إِلَيْه ... فلم أخلص إليه من الزحام

فيا من ليس يكفيها خليل ... ولا ألفا خليل كل عامِ

أَرَاك بَقِيَّةً من قَوْمِ مُوسَى ... فهُمْ لا يَصْبِرُونَ على طَعامِ

أخذه منه ابن العباس بن الأحنف:

يا فَوْزُ لم أَهْجُرْكُمُ لِمَلالَةٍ ... منِّى ولا لمَقَالِ واشٍ حاسدِ

لكِنَّنى جَرَّبْتُكُمْ فوَجَدْتُكُمْ ... لا تَصْبِرُونَ على طعامٍ واحدِ

ونحوه قول الأعرابي:

أَلِمَّا على دارٍ واسِعَةِ الحَبْلِ ... سَوَاءٌ عليها صالِحُ القَوْمِ والرَّذْلِ

وَلَوْ شَهِدَتْ حُجَّاجَ مَكَّةَ كُلَّهُمْ لَراحُوا وكُلُّ القَوْمِ منها عَلَى وَصْلِ

ويستحسن له قوله:

اسْمِى لوَجْهِكِ يا مُنَى صِفَةٌ فكَفَى بوَجْهِكِ مُخْبِراً باَسْمِى

ثم قال:

لا تَفْجَعِى أُمِّى بواحِدِها لَنْ تُخْلِفِى مِثْلِى على أُمِّى

قال أبو محمد ولا أرى هذا حسناً.

ومثله قوله:

إِنَّ اسْمَ حُسْنٍ لوَجْهِها صِفَةٌ ولا أَرَى ذا لَغَيْرِها اجتْمَعَا

فَهْىَ إِذا سُمِّيَتْ فقدْ وصِفَتْ فيَجْمَعُ اللَّفْظُ مَعْنَيَيْنِ مَعَا

ومما عمى من الأسماء قوله:

إِذا ابْتَهَلْتُ سأَلْتُ اللهَ رَحْمَتَهُ كَنَّيْتُ عَنْك وما يَعْدُوك إِضْمارِى

يريد أنه سأل الله رحمته، والناس يظنون أنها رحمة الله. وإنما يسأله إنساناً يسمى "رحمته".

وله أو لغيره:

يَمْنَعُنى أَنْ أُكَلِّمَ الرِّيمَا ميمين أَلْغَيْت منهما مِيمَا

ومن حسن معانيه قوله:

يا قَمَراً للنِّصْفِ من شَهْرِهْ أَبْدَى ضِيَاءً لثَمانٍ بَقِينْ

يريد أنه أعرض عنه بوجهه فرأى نصفه. وقد ذكرت هذا في خبر النمر ابن تولبٍ في بيت يشبهه.

وقد كان يلحن في أشياء من شعره، لا أراه فيها إلا على حجةٍ من الشعر المتقدم، وعلى علةٍ بينةٍ من علل النحو.

منها قوله:

فلَيْتَ ما أَنْتَ واطٍ من الثَّرَى لِىَ رَمْساً

أما تركه الهمز في " واطيء " فحجته فيه أن أكثر العرب تترك الهمز، وأن قريشاً تتركه وتبدل منه. وأما نصبه " رمساً " فعلى التمييز، والبغداديون يسمونه " التفسير " ألا تراه قال " فليت ما أنت واطٍ من الثرى لي " ! فتم الكلام، وصار جواب " ليث" في " لي " ثم بين من أي وجهٍ يكون ذلك، فقال " رمساً " أي قبراً، كما تقول في الكلام ليت ثوبك هذا لي، ثم تقول إزراراً لأن جواب "ليت" صار في قولك "لي"

وصار الإزار تمييزاً.

ومنها قوله:

وَصِيفُ كَاسٍ مُحَدَّثَهْ مَلِكٍ   تِيهُ مُغَنٍّ وظَرْفُ زِنْدِيقِ

فجزم " محدثة " لما تتابعت الحركات وكثرت، كما قال الآخر:

إذا اعْوَجَجْنَ قُلْتُ صاحِبْ قَوِّمِ

وكما قال امرؤ القيس:

فاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ   إِثْماً منَ اللهِ ولا واغِلِ

ومنها قوله في الخمر:

شَمُولٌ تَخَطَّتْها المَنُونُ فقد أَتَتْ   سِنُونٌ لها في دَنِّهَا وسِنُونُ

تُراثُ أُنَاسٍ عن أُناسٍ تُخُرِّمُوا   تَوَارَثَها بَعْدَ البنين بَنُونُ

فرفع نون الجماعة، وهذا يجوز في المعتل، وقد أتى مثله، كأنه لما ذهب منه حرفٌ صار كأنه كلمة واحدة، وصارت " سنون " كأنها " منون " والمنون الدهر، و" بنون " كذلك.

ويتمثل من شعره بقوله:

تَرَى المُعَافَى يَعْذُلُ المُبْتَلى   ولا يَلُومُ المُبْتَلى المُبْتَلى

يستحسن له من التشبيه قوله في البط:

كَأَنَّما يَصْفِرْنَ من مَلاعِقْ   صَرْصَرَةَ الأَقْلامِ في المَهَارِقْ

وقوله في المنسر:

ومَنْسِرٌ أَكْلَفُ فيه شَغاً   كَأَنَّهُ عَقْدُ ثَمانِينا

وقوله في هذا الشعر أيضاً:

أَلْبَسَهُ التَّكْرِيزُ من حَوْكِه   وَشْياً على الجُؤْجُؤِ مَوْضُونا

له حِرَابٌ فَوْقَ قُفَّازِه   يَجْمَعْنَ تَأْنِيفاً وتَسْنِينا

كُلُّ سِنانٍ عِيجَ عن مَتْنِه   تَخالُ مَحْنَى عَطْفِهِ نُونا

وقوله:

في هَامَةٍ عَلْيَاءَ تَهْدِى مِنْسَراَ   كعَطْفِكَ الجيمَ بكَفٍّ أَعْسَرَا

يَقُولُ مَنْ فيها بِعَقْلٍ فَكَّرا   لَوْ زَادَها عَيْناً إِلى فاءٍ ورَا

فاتَّصلَتْ بالجِيمِ كانَتْ جَعْفَرَا

وقوله في النرجس:

لَدَى نَرْجِسٍ غَضَّ القِطَافِ كَأَنَّهُ إذا ما مَنَحْنَاهُ العُيُونَ عُيُونُ

وقوله في الشباب:

كانَ الشَّبَابُ مَظِنَّةَ الجهْلِ ومُحَسِّنَ الضَّحَكاتِ والهَزْلِ

يرويه الناس " مطية " ولا أراه إلا " مظنة " لأن هذا الشطر للنابغة، فأخذه منه، وهو قوله:

فإنَّ مَظِنَّةَ الجَهْلِ الشَّبَابُ

كان الجَمِيلَ إذا ارتَدَيْتُ به ومَشَيْتُ أَخْطِرُ صَيِّتَ النَّعْلِ

كان الفَصِيحَ إذا نَطَقْتُ به وأَصَاخَتِ الآذانُ للمُمْلِى

كان المُشَفَّعَ في مآربِه عند الفَتَاةِ ومُدْرِكَ النَّيْلِ

والباعِثِى والناسُ قد هَجَعُوا حتى أَكُونَ خَلِيفَةَ البَعْلِ

والآمِرِى حَتَّى إذا عَزَمَتْ نَفْسِى أَعَانَ يَدَىَّ بالفِعْلِ

فالآنَ صِرْتُ إِنى مُقَارِبَةٍ وحَطَطْتُ عن ظَهْرِ الصِّبَا رَحْلى

والكأس أهواها وإن رزأت بلغ المعاش وقللت فضلى

صفراء مجدها مراز بها جلت عن النظراء والمثل

والكَأْسُ أَهْوَاها وإنْ مَرازِبُها جَلَّتْ عَنِ النُّظَراءِ والمِثْلِ

ذُخِرَتْ لآدَمَ قَبْلَ خِلْقَتِهِ فتَقَدَّمَتْه بحُظْوَةِ القَبْلِ

فإذا عَلاها الماءُ أَلْبَسَها نَمَشاً كشِبْهِ جَلاجِلِ الحَجْلِ

فأَتاك شىءٌ لا تُلامِسُهُ إلاَّ بحُسنِ غَرِيزَةِ العَقْلِ

فتَرُودُ منها العَيْنَ في بَشَرٍ حُرِّ الصَّحِيفَةِ ناصِعٍ سَهْلِ

حَتَّى إذا سكَنَتْ جَوَامِحُها كَتَبتْ بمِثْلِ أَكارِعِ النَّمْلِ

خَطَّيْن من شَتَّى ومُجْتَمِعٍ غُفْلٍ منَ الإعْجامِ والشَّكْلِ

فاعْذِرْ أَخاك فإنّه رَجُلٌ مَرَنَتْ مَسامِعُه على العَذْلِ

وقوله:

يا منَّةً يمْتَنُّها السُّكْرُ ما يَنْقَضِى منِّى لها الشُّكْرُ
أَعْطَتْك قِيدَ مُناك من قُبَلٍ مَنْ قَبْلُ كان مَرامُها وَعْرُ
في مَجْلِسٍ ضَحِكَ السُّرُورُ به عن ناجِذَيْه وحلَّتِ الخَمْرُ

وهذا بيت يسأل عن معناه، وإنما أخذه من قول امرىء القيس حين قتلت بنو أسدٍ أباه، فحلف لا يشرب خمراً حتى يدرك بثأره، فلما أدرك ثأره قال:

حلَّتْ لِىَ الخَمْرُ وكُنْتُ امْرَأً عن شُرْبِها في شُغُلٍ شاغلِ

وكان أبو نواس حلف لا يشرب خمراً حتى يجمعه ومن يحب مجلس، فلما اجتمعا حلت له الخمر، فقال:

يَثْنِى إِلَيْك بها سَوَالِفَهُ رَشَأٌ صِناعَةُ طَرْفِهِ السِّحْرُ
ظَلَّتْ حُمَيَّا الكَأْسِ تبْسُطُنا حَتَّى تَهَتَّكَ بَيْنَنا السِّتْرُ
ولقد تَجُوبُ بِىَ الفَلاةَ إذا صامَ النَّهارُ وقالَت العُفْرُ
شَدَنِيَّةٌ رَعَتِ الحِمَى فأَتَتْ مِلْءَ الحِبَالِ كأنَّها قَصْرُ
تَثْنِى على الحاذَيْنِ ذا خُصَلٍ تَعْمالُهُ الخَطَرانُ والشَّذْرُ
أمَّا إذا رَفَعَتْهُ شامذَةً فتَقُولُ رَنَّقَ فَوْقَها نَسْرُ
أمَّا إذا أَرْخَتْه مُسْدِلَةً فتَقُلْ أُسْدِلَ خلْفَها سِتْرُ
وتَسِفُّ أَحْياناً فتَحْسِبُها مترَسِّماً يَقْتادُهُ أَثْرُ
فإذا قَصَرْتَ لها الزِّمامَ سَمَا فَوْقَ المَقادِمِ مَلْطَمٌ حُرٌّ
فكأنَّها مُصْغٍ لِتُسْمِعَهُ بَعْضَ الحَدِيث بأُذْنِهِ وَقْرُ
تَبْرِى لأَنْقاضٍ أَلَمَّ بها جَذبُ البُرَى فخُدودُها صُعْرُ
أَسْرَى إِلَيْكَ بها بنو أَمَلٍ عَتَبُوا فأَعْتَبَهم بك الدَّهْرْ
أَنْتَ الخَصِيبُ وهذه مِصْرُ فتَدَفَّقَا فكلاكما بَحْرُ
لا تَقْعُدَا بِى عن مَدَى أَمَلِى شَيْئاً فما لَكُما به عُذْرُ

ويَحُقُّ لى إذْ صِرْتُ بَيْنَكما ألاَّ يَحُلَّ بساحَتى فَقْرُ

وقوله في الرشيد:

مَلِكٌ تَصوَّرَ في القُلُوب مثالُهُ فكأَنَّهُ لم يَخْلُ منه مَكانُ
ما تَنْطَوِى عنه القُلُوب بفَجْرَةٍ إِلاَّ يُكَلِّمُهُ بها اللَّحَظانُ

وقوله فيه:

يَحْمِيكَ ممَّا يُسْتَسَرُّ بنَفْسِه ضَحَكاتُ وَجْهٍ لا يَرِيبُك مُشْرِقِ
حَتَّى إذا أَمْضَى عَزِيمَةَ رَأْيِه أَخذَتْ بسَمْعِ عَدُوِّهِ والمِنْطَقِ

وقوله في محمد بن الفضل بن الربيع:

أَخَذْتُ بحَبْلٍ من حِبالِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ به من نائِبِ الحَدَثانِ
تَغَطَّيْتُ من دَهْرِى بظِلِّ جَنَاحِهِ فعَيْنِى تَرَى دَهْرِى ولَيْسَ يرَانِى

وقوله:

أَوْحَدَهُ اللهُ فما مِثْلُهُ لِطالبٍ ذاك ولا ناشِدِ
ولَيْسَ لِله بمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العالَمَ في واحِدِ

وقوله:

أَنْتَ امْرُؤٌ أَوْلَيْتَنِى نِعَماً أَوهَتْ قُوَى شُكْرِى فقد ضَعُفا
فإِلَيْك بَعْدَ اليَوْمِ تَقْدِمَةٌ لاقَتْكَ بالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِفا
لا تُحْدِثَنَّ إِلىَّ عارِفَةً حَتَّى أَقُومُ بشُكْرِ ما سَلَفا

وقوله في غالب:

ما كان لو لم أَهْجُهُ غالبٌ قام له شِعْرِى مَقامَ الشَّرَفْ
يقول قد أَسْرَفْتَ في شَتْمِنا وإِنَّما طار بذاك السَّرَفْ
غالبُ لا تَسْعَ لبَنِى العُلَى بَلَغْتَ مَجْداً بهِجَائى فقِفْ
وكان مَجْهُولاً ولكنَّنى نَوَّهْتُ بالمَجْهُولِ حَتَّى عُرِفْ

ومن إفراط الهجاء قوله في الرقاشيين:

رَأَيْتُ قُدُورَ النَّاس سُوداً منَ الصِّلَى وقِدْرَ الرَّقَاشِيِّينَ بَيْضَاءَ كَالْبَدْرِ
يُبَيِّنُهَا لِلْمُعْتَفِى بِفِنَائِهِمْ ثَلاَثٌ كخَطِّ الثَّاءْ من نُقَطِ الحِبْرِ
ولو جِئْتَهَا مِلأَى عَبِيطاً مُجَزَّلاً لأَخْرَجْتَ ما فيها على طَرَفِ الظُّفْرِ

إذا ما تَنَادَوْا للرَّحِيلِ سَعَى بها   أَمَامَهُمُ الحَوْلِّى من ولَدِ الذَّرِّ

العباس بن الأحنف

هو من بنى حنيفة. ويكنى أبا الفضل، وكان منشأه بغداد.

ويدلك على أنه من بنى حنيفة قوله للمرأة:

فإنْ تَقْتُلُونِى لا تَفُوتُوا بِمُهْجَتِى   مَصَالِيتَ قومى من حَنِيفَةَ أَو عِجْلِ

وقد خطىء في توعده المرأة بطلب قومه بثأره إذا هو قتل عشقاً،والعادة في مثل هذا من الشعراء أن يجعلور القتيل مطلولاً.

وقال فيه مسلم:

بَنُو حَنِيفَةَ لا يَرْضَى الدَّعِيُّ بهم   فاتْرُكْ حَنيفَةَ واطْلُبْ غَيْرَهُمْ نَسَبَا

اذْهَبْ إلى عَرَبٍ تَرْضَى بِنُسْبَتِهِمْ   إنى أَرَى لك وَجْهاً يُشْبِهُ العَرَبَا

وكان العباس صاحب غزل.ويشبه من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة. ولم يكن يمدح ولا يهجو.

ومن حسن شعره قوله:

أَشْكُو الَّذين أَذَاقُونِى مَوَدَّتَهُمْ   حَتَّى إذا أَيْقَظُونى بالهَوَى رَقَدُوا

وقوله:

لَوْكُنْتِ عاتِبَةً لَسَكَّنَ رَوْعَتِى   أَمَلِى رِضَاكِ وزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقَبِ

لكِنْ مَلِلْتُ فلم تكُنْ لِىَ حِيلَةٌ   صَدُّ المَلُولِ خِلاَفُ صَدِّ العَاتِبِ

ما ضَرَّ مَنْ قَطَعَ الرِّجَاءَ بِبُخْلِهِ   لَوْكَان عَلَّلَنِى بوَعْدٍ كاذِبِ

وشبيه به قول الآخر:

أَمَتِّينِى فهَلْ لَكِ أَن تَرُدِّى   حَيَاتِى من مَقَالِكِ بالغُرُورِ

أَرى حُبِّيكِ يَنْمِى كُلَّ يَوْمٍ   وجَوْرَكِ في الهَوَى عَدْلاً فَجُورِى

ومن جيد شعر العباس قوله:

أُحْرَمُ منكمْ بما أَقُولُ وقد   نال به العاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا

صِرْتُ كَأَنى ذُبَالَةٌ نُصِبَتْ   تُضِيءُ للناس وهْىَ تَحْتَرِقُ

وقوله:

بَكَتْ غيْرَ آنِسَةٍ بالبُكاءِ   تَرَى الدَّمْعَ في مُقْلَتَيْهَا غَرِيبا

وأَسْعَدَهَا نِسْوَةٌ بالبُكاءِ   جَعَلْنَ مَغِيضَ الدُّمُوعِ الجُيُوبا

وفيها يقول:

أَيا مَنْ تَعلَّقْتُهُ ناشئاً   فشِبْتُ ولم يأْنِ لى أَنْ أَشِيبَا

ويا مَنْ دَعَانى إِلى حُبِّهِ   فلَبَّيْتُ لَمَّا دَعَانى مُجِيبا

وكَمْ باسِطِينَ إلى وَصْلنا   أَكُفَّهُمُ لم يَنالُوا نَصِيبا

لَعَمْرِى لقد كَذَبَ الزاعِمُو   نَ أَنَّ القُلُوبَ تُجَازِى القُلُوبا

ولَوْ كان ذاك كما يَذْكُرُو   ن ما كان يَشْكُو مُحِبٌّ حَبِيبا

وفيها يقول:

وأَنْتِ إِذا ما وَطِئتِ التُّرا   بَ صار تُرابُكِ للناس طِيبا

وقوله:

أَيا مَنْ سُرُورِى به شِقْوَةٌ   ومَنْ صَفْوُ عَيْشِى به أَكْدَرُ

تَجَنَّيْتَ تَطْلُبُ لَمَّا مَلِلْتَ   علَىَّ الذُّنُوبَ ولا تَقْدِرُ

فلَوْ لم يَكُنْ بِىَ بُقْيَا عَلَيْك   نَظَرْتُ لِنَفْسِى كما تَنْظُرُ

وماذا يَضُرُّك من شُهْرَتِى   إذا كان أَمْرُك لا يَظْهَرُ

أَمِنِّى تَخافُ انْتِشار الحَدِيث   وحَظِّىَ في صَوْنِهِ أَوْفَرُ

وقال فيها:

هَبُونى أَغُضُّ إِذا ما بَدَتْ   وأَمْلِكُ طَرْفِى فلا أَنْظُرُ

فكَيْفَ استِتارِى إِذا ما الدُّمُوعُ   نَطَقْنَ فبُحْنَ بما أُضْمِرُ

ومن بديع تشبيهه قوله في المرأة إذا مشت:

كأَنَّها حِينَ تَمْشِى في وَصائِفِها   تَخْطُو على البَيْضِ أَو خُضْرِ القَوارِير

وقوله:

قَلْبِى إِلى ما ضَرَّنِى داعى   يُكْثِرُ أَسْقَامِى وأَوْجاعِى

كَيْفَ احْتِراسِى من عَدُوِّى إِذا   كان عَدُوِّى بَيْنَ أَضْلاعِى

يعني قلبه.

ومن إفراطه قوله:

وَمَحْجُوبَةٍ بالسِّتْرِ عن كُلِّ ناظرِ ... ولو بَرَزَتْ باللَّيْلِ ما ضَلَّ مَنْ يَسْرِى

أخذه من قول الأول:

وُجُوهٌ لَوَ انَّ المُعْتَفِينَ اعْتَشَوْا بها ... صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللّيْلَ يَنْجَلِى

وقول الآخر:

أَضاءَتْ لهم أَحْسابُهم ووُجُوهُهم ... دُجَى اللَّيْل حَتَّى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُه

ثم قال العباس:

لَخالٌ بذاكِ الوَجْهِ أَحْسَنُ عِنْدَنا ... منَ النُّكْتَةِ السَّوْداءِ في وَضَحِ البَدْرِ

وهو القائل:

رَدُّ الجِبالِ الرَّوَاسِى من مَوَاضِعِها ... أَخَفُّ من رَدِّ نَفْسٍ حِينَ تَنْصَرِفُ

هَمُّوا بهَجْرِى وكانَتْ في نُفُوسِهِمُ ... بَقِيَّةٌ من هَوًى باقٍ فقد وَقَفُوا

وكان الرشيد هجر جاريةً له، ونفسه بها متعلقة،وكان يتوقع أن تبدأه بالترضى، فلم تفعل الجارية ذلك، حتى أقلقته وأرقته، وبلغ ذلك العباس فقال:

صَدَّتْ مغاضِبَةً وصَدَّ مُغَاضِباً ... وكِلاَهما ممّا يُعَالِجُ مُتْعَبُ

إِنَّ التَّجَنُّبَ إِنْ تَطاوَلَ منْكُما ... دَبَّ السُّلُوُّ له فعَزَّ المَطْلَبُ

وبعث إليه بالبيتين، وبعث إليه ببيتين آخرين،وهما

لا بُدَّ للعاشِقِ من وَقْفَةٍ ... تَكُونُ بَيْنَ الوَصْلِ والصُّرْمِ

حَتَّى إِذا الهَجْرُ تَمَادَى به ... راجَعَ مَنْ يَهْوَى على رُغْمِ

فاستحسن الرشيد إصابته حاليها، وقال أراجعها - والله - مبتدئاً على رغمٍ، وفعل ذلك، وأمر للعباس بصلة سنية، وأمرت له الجارية بمثلها.

صريع الغواني

هو مسلم بن الوليد، من أبناء الأنصار. وكان مداحاً محسناً، وجل مدائحه في يزيد بن مزيد، وداود بن يزيد المهلبي، والبرامكة، ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم.

وولى في خلافة المأمون بريد جرجان، فلم يزل بها حتى مات. وله عقبٌ.

وكان يلقب "صريع الغواني" لقوله في قصيدةٍ له:

هَلِ العَيْشُ إلاَّ أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصِّبَا وتَغْدُو صَرِيعَ الكأْسِ والأَعْيُنِ النُّجْلِ

وهو أول من ألطف في المعاني ورقق في القول، وعليه يعول الطائيُّ في ذلك وعلى أبي نواس.

وقد بين مسلم في شعره بيته في الأنصار بقوله:

تقَسَّمَنِي في مالِكٍ آلُ مالكٍ وفي أَسْلَمَ الأَثْرِينَ آلُ رَزِينِ

ومما يستحسن له من شعره قوله في الوداع:

وإنِّي وإسْماعيلَ يَوْمَ وَدَاعِهِ لكالغِمْدِ يَوْمَ الرَّوْعِ زايَلَهُ النَّصْلُ

فإِنْ أَغْشَ قَوْماً بَعْدَهُ أَو أَزُرْهُمُ فكالوَحْشِ يُدْنِيها منَ الأَنَسِ المَحْلُ

وقوله يهجو موسى بن حازم:

يا ضَيْفَ مُوسَى أخِي خُزَيْمَةَ صُمْ أَو فتَزَوَّدْ إن كُنْتَ لم تَصُمِ

أَطْرَقَ لَمَّا أَتَيْتُ مُمْتَدِحاً فلم يَقُلْ لا فَضْلاً على نَعَمِ

فخِفْتُ إنْ مات أَنْ أُقادَ به فقُمْتُ أَبْغِي النَّجَاءَ من أَمَمِ

لَوْ أَنَّ كَنْزَ البِلاَدِ في يَدِهِ لم يَدَعْ الاعْتِذارَ بالعَدَمِ

وقوله:

لَنْ يُبْطِيءَ الأَمْرُ ما أَمَّلْتَ أَوْبَتَه إذا أعانَك فيه رِفْقُ مُتَّئِدِ

والدَّهْرُ آخِذُ ما أَعْطَى، مُكَدِّرُ ما صَفَّى، ومُفْسِدُ ما أَهْوَى له بيَدِ

فلا تغُرَّنْك من دَهْرٍ عَطِيَّتُهُ فلَيْسَ يَتْرُكُ ما أَعْطَى على أَحَدِ

ومن بديعه الذي امتثله الطائي وغيره:

إذا ما نَكَحْنا الحَرْبَ بالبِيضِ والقَنَا جَعَلْنا المَنَايَا عِنْدَ ذاك طَلاَقَها

ويستحسن له قوله في الخمر:

شَجَجْتُها بلُعابِ المَزْنِ فاغْتَزَلَتْ نَسْجَيْنِ من بَيْنِ مَحْلُولٍ ومَعْقُودِ

أَهلاً بوافِدَةٍ للشَّيْبِ واحِدةٍ وإنْ تَرَاءَتْ بشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدود

لا أَجْمَعُ الحِلْمَ والصَّهْبَاءَ قد سَكَنَتْ نَفْسِي إلى الماءِ عن ماءِ العَنَاقِيدِ

ومن جيد شعره قوله في المدح ليزيد بن مزيد:

مُوفٍ على مُهَجٍ في يَوْمِ ذي رَهَجٍ ... كأَنَّه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلِ

يَنَالُ بالرِّفْقِ ما يَعْيَا الرِّجالُ به ... كالمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي على مَهَلِ

لا يَرْحَلُ الناسُ إلاَّ نَحْوَ حَجْرَتِه ... كالبيتِ يُضْحِي إلَيْه مُلْتَقَى السُّبُلِ

يَقْرِى المَنِيَّةَ أَرْواحَ الكُمَاةِ كما ... يَقْرِى الضُّيُوفَ شُحُومَ الكُومِ والبُزُلِ

يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤُسَ الناكثِينَ به ... ويَجْعَلُ الهامَ تِيجانَ القَنَا الذُّبُلِ

قد عَوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقْنَ بها ... فهُنَّ يَتْبَعْنَهُ في كلِّ مُرْتَحَلِ

تَرَاهُ في الأَمْنِ في دِرْعٍ مُضاعَفَةٍ ... لا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُؤتَى على عَجَلِ

للهِ من هاشمٍ في أَرْضِه جَبَلٌ ... وأَنْتَ وابْنُك رُكْنَا ذلك الجَبَلِ

صَدَّقْتَ ظَنِّي وصَدَّقْتَ الظُّنونَ به ... وحَطَّ جُودُك عَقْدَ الرَّحْلِ من جَمَلِي

وقوله في صفة النساء:

خَفِينَ على غَيْبِ الظنُونِ وغَصَّتِ ال ... بُرِينَ فلم يَنْطقْ بأَسْرارِها حِجْلُ

ولَمَّا تَلاقَيْنا قَضَى اللَّيْلُ نَحْبَهُ ... بوَجْهٍ لوَجْهِ الشَّمْسِ من مائِه مِثْلُ

وخالٍ كخالِ البَدْرِ في وَجْهِ مِثْلِه ... لَقِينَا المُنَى فيه فحاجَرنَا البَذْلُ

وماءٍ كعَيْنِ الشَّمْسِ لا يَقْبَلُ القَذَى ... إذا دَرَجَتْ فيه الصَّبَا خِلْتَهُ يَعْلُو

من الضُّحَّكِ الغُرِّ اللَّوَاتِي إذا الْتَقَتْ ... حَدِّثُ عن أَسْرارِها السَّبَلُ الهطْلُ

صَدَعْنا به حَدَّ الشَّمُولِ وقد طَغَتْ ... فالْبَسَها حِلْماً وفي حِلْمِها جَهْلُ

وفيها يقول يمدح الفضل بن يحيى:

تُساقِطُ يُمْناه النَّدَى وشِمالُهُ ال ... رَّدَى، وعُيونُ القَوْلِ مَنْطِقُهُ الفَصْلُ

عَجُولٌ إلى أَنْ يُودِعَ الحَمْدَ مالَهُ ... يَعُدُّ النَّدَى غُنْماً إذا اغْتُنِمَ البُخْلُ

له هَضْبَةٌ تَأْوِى إلى ظلِّ بَرْمَكٍ ... مَنُوطٌ بها الآمالُ، أَطْنابُها السُّبْلُ

حُبًى لا يَطِيرُ الجَهْلُ في عَذَباتِها ... إذا هِيَ حُلَّتْ لم يَفُتْ حَلَّها ذَحْلُ

بكَفِّ أَبي العَبَّاسِ يُسْتَمْطَرُ الغِنَى ... وتُسْتَنْزَلُ النُّعْمَى ويُسْتَرْعَفُ النَّصْلُ

مَتَى شِئتَ رَفَّعْتَ السُّتُورَ عَنِ الغِنَى ... إذا أَنتَ زُرْتَ الفَضْلَ أَو أَذِنَ الفَضْلُ

وقال في الخمر:

ومانِحَةٍ شُرَّابَها المُلْكَ قَهْوَةٍ   يَهُودِيَّةِ الأَصْهارِ مُسْلِمَةَ البَعْلِ

يعني بالأصهار باعتها وأولياءها، وهم يهود. والبعل هو الشارب لها، وذلك أنه اشتراها وخطبها. يعني نفسه.

مُعَتَّقَةٍ لا تَشْتَكِى يَدَ عاصرٍ   حَرُورِيّةٍ في جَوْفِها دَمُها يَغلي

وقال:

وبِنْتِ مَجُوسِيٍّ أَبُوهَا حَلِيلُها   إِذا نُسِبَتْ لم تَعْدُ نِسْبَتَهَا النَّهْرَا

وقال:

وأَحْبَبْتُ من حُبِّهَا الباخلي   نَ حَتَّى وَمِقْتُ ابنَ سَلْمٍ سَعِيدا

إذا سِيلَ عُرْفاً كَسَا وَجْهَهُ   ثِيَاباً منَ اللُّؤْمِ صُفْراً وسُودا

وقال في السفينة:

كَشَفْتُ أَهَاوِيلَ الدُّجَى عن مَهُولِهِ   بجاريةٍ مَحْمُولَةٍ حامِلٍ بِكْرِ

إذا أَقْبَلَتْ رَاعَتْ بقُلَّةِ قَرْهَبٍ   وإِنْ أَدْبَرَتْ راقَتْ بقادِمَتَىْ نَسْرِ

أَطَلَّتْ بِمِجْدَافَيْنِ يَعْتَوِرَانِها   وقَوَّمَها كَبْحُ اللِّجَامِ منَ الدُّبْرِ

كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِى بها، حينَ واجَهَتْ   نَسِيمَ الصَّبَا، مَشْىَ العَرُوسِ إلى الخِدْرِ

رَكِبْنَا إليك البَحْرَ في أُخْرَيَاتِها   فأَوْفَتْ بنا من بَعْدِ بَحْرٍ إلى بَحْرِ

وقال في الخمر:

سُلَّتْ فسُلَّتْ ثمَّ سُلَّ سَلِيلُهَا   فأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِها مَسْلُولا

لَطُفَ المِزَاجُ لها فزَيَّنَ كَأْسَها   بِقِلاَدَةٍ جُعِلَتْ لها إِكْلِيلا

قُتِلَتْ وعاجَلَها المُدِيرُ ولم تَفِظْ   فإذا به قد صَيَّرَتْهُ قَتِيلا

وقال:

إِبْرِيقنا سَلَبَ الغَزالَةَ جِيدَها   وحَكَى المُدِيرُ بمُقْلَتَيْهِ غزَالا

يَسْقِيكَ بالَّحَظاتِ كَأْسَ صَبَابَةٍ   ويُعِيدُها من كَفِّهِ جِرْيَالاَ

وقال:

إذا شِئْتُما أَنْ تَسْقِيانِى مُدَامَةً   فلا تَقْتُلاَهَا كُلُّ مَيْتٍ مُحَرَّمُ

خَلَطْنا دَماً من كَرْمَةٍ بدِمائِنَا فأَظْهرَ في الأَلْوانِ منَّا الدَّمَ الدَّمُ

وقال:

إنْ كُنْتِ تَسْقِينَ غَيْرَ الرَّاحِ فاسقِينى كَأْساً أَلَذُّ بها منْ فيكِ تَشْفِينى

عَيْنَاكِ راحِى، ورَيْحَانى حَدِيثُكِ لِى ولَوْنُ خَدَّيْكِ لَوْنَ الوَرْدِ يَكْفِينِى

وقال:

إذَا التَقَيْنَا مَنَعْنَا النَّوْمَ أَعْيُنَنَا ولا نُلائِمُ نَوْماً حينَ نَفْتَرِقُ

أُقِرُّ بالذَّنْبِ منّى لَسْتُ أَعْرِفُهُ كيما أَقُولَ كما قالَتْ فنتَّفِق

حَبَسْتُ دَمْعِى على ذَنْبٍ تُجَدِّدُهُ فكُلَّ يَوْمٍ دُمُوعُ العَيْنِ تَسْتَبِقُ

وقال:

فما سَلَوْتُ الهوَى جَهْلاً بلَذَّتِه ولا عَصَيْتُ إلَيْهِ الحلمَ منْ خُرُقِ

يا واشِياً حَسُنَتْ فينا إساءَتُهُ نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانى منَ الغَرَقِ

وقال:

أُعاوِدُ ما قَدَّمْتُهُ من رَجَائِها إذا عاوَدَتْ باليَأْسِ منها المطامعُ

رَأَتْنِى غبِيَّ الطَّرْفِ عنها فأَعْرَضَتْ وهَلْ خِفْتُ إلاَّ ما تَنُثُّ الأَصَابِعُ

وما زَيَّنَتْهَا النَّفْسُ لى عن لَجَاجَةٍ ولكِنْ جَرَى فيها الهَوَى وهو طائِعُ

مَلِلْتُ منَ العُذَّالِ فيها فأَطْرَقَتْ لَهُمْ أُذُنٌ قد صَمَّ منها المَسَامِعُ

فأَقْسَمْتُ أَنْسَى الداعياتِ إلى الصِّبَا وقد فاجَأَتْها العَيْنُ والسِّتْرُ واقِعُ

فغطَّتْ بأَيْدِيها ثِمارَ نُحُورِها كَأَيْدِى الأُسَارَى أَثْقَلَتْهَا الجَوامِعُ

وقوله في مرثية:

أَبْكِيكَ للأَيَّامِ حينَ تَجَهَّمتْ طَلَبِى ولم يَكُ لى وَرَاءَك مَنْجَعُ

قد كُنْتَ لى سَبَباً وغَيْثاً صَائِباً ويَداً أَضُرُّ بها العَدُوَّ وأَنفعُ

فاصْعَدْ إلى الغُرُفاتِ، يَوْمُكَ واقعٌ بالشامِتِينَ، لِكُلِّ جَنْبٍ مصرَعُ

هَلْ أَنْسَيَنْكَ وكَيْفَ يَنْساكَ امْرُؤٌ بنَوالِ جُودِكَ في الحَيَاةِ يُمَتَّعُ

فلَئِنْ سلَوْتُكَ ما جَزَيْتُكَ نِعْمَةً ... ولَئِنْ جَزِعْتُ لَوَاجِدٌ مَنْ يَجْزَعُ

وقال في مرثية أيضاً:

نَفَضَتْ بك الآمالُ أَحْلاسَ الغِنَى ... واسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَها الأَمْصارُ

أَجَلٌ تَنَافَسَهُ الحِمامُ وحُفْرَةٌ ... نَفِسَتْ عليها وَجْهَكَ الأَحْفارُ

فاذْهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوَادِى مُزْنَةٍ ... أَثْنَى عَلَيْها السَّهْلُ والأَوْعَارُ

وقال في هجاءٍ:

وكَمْ من مُعِدٍّ في الضَّمِيرِ لِيَ الاذَى ... رَآنِى فأَلْقَى الرُّعْبُ ما كان أَضْمَرَا

هَدَاهُ لِقَصْدِ الحِلْمِ جَهْلٌ جَهِلْتُهُ ... عَلَيْهِ ولو حالَمْتُهُ لَتَجَبَّرَا

وقال في غزلٍ:

يا نَظَراً نِلْتُهُ على حَذَرٍ ... أَوَّلُهُ كان آخِرَ النَّظَرِ

إِنْ حَجَبُوهَا عنِ العُيُونِ فقد ... حَجَبْتُ طَرْفِى لها عَنِ البَشَرِ

وقال:

ويُخْطِىءُ عُذْرِى وَجْهَ جُرْمِى عِنْدَها ... فأَجْنِى إِلَيْهَا الذَّنْبَ من حَيْثُ لا أَدْرِى

إِذا أَذْنَبَتْ أَعْدَدْتُ عُذْراً لِذَنْبِهَا ... فإِنْ سَخِطَتْ كان اعْتِذَارِى مِنَ العُذْرِ

مثله قول الأعرابي:

شَكَوْتُ فقالتْ كُلَّ هذا تَبَرُّماً ... بحُبِى، أَرَاحَ اللهُ قلْبَكَ من حُبِّى

فلمَّا كَتَمْتُ الحُبَّ قالَتْ لَشَدَّ ما ... صبَرْتَ وما هذا بفِعْلِ شَجِى القَلْبِ

فأَدْنُو فتُقْصِينِى فأَبْعُدُ طالباً ... رِضَاها فتَعْتَدُّ التَّبَاعُدَ من ذَنْبِى

فشَكْوَاىَ تُؤْذِيها وصَبْرِى يَسُؤُها ... وتَجْزَعُ من بُعْدِى وتَنْفِرُ من قُرْبِى

فيا قَوْمُ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرِفُونَهَا ... أَشِيرُوا بها واسْتَوْجِبُوا الشُّكْرَ من رَبّى

وقال في الزهد:

كَمْ رَأَيْنا من أُناسٍ هَلَكُوا ... فبَكَى أَحْبابُهُمْ ثمّ بُكُوا

تَرَكُوا الدُّنْيا لِمَنْ بَعْدَهُمُ ... وُدَّهُمْ لَوْ قَدَّمُوا ما تَرَكُوا

كم رَأَيْنا من مُلُوكٍ سُوقَةً ... ورَأَيْنا سُوقَةً قد مَلَكُوا

قَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ فَلَكاً   فاسْتَدَارُوا حَيْثُ دارُ الفَلَكُ

وقال في الهدية:

جَزَى اللهُ مَنْ أَهْدَى التُّرُنْجَ تحيَّةً   ومَنَّ بما يَهْوَى عَلَيْهِ وعَجَّلاَ
أَتَتْنا هَدَايَا منه أَشْبَهْنَ رِيحَهُ   وأَشْبَهَ في الحُسْنِ الغَزَالَ المُكَحَّلاَ
ولَوْ أَنَّه أَهْدَى إِلىَّ وِصَالَهُ   لَكان إِلى قَلْبى أَلَذَّ وأَفْضَلاَ

أبو الشيص

اسمه محمد بن عبد الله بن زرين، وهو ابن عم دعبل بن علي بن زرين الشاعر. وكان في زمن الرشيد. ولما مات الرشيد رثاه ومدح محمداً فقال:

جَرَتْ جَوَارٍ بالسَّعْدِ والنَّحْسِ   فنَحْنُ في وَحْشَةٍ وفي أُنْسِ
الْعَيْنُ تَبْكِى والسِّنُّ ضاحِكَةٌ   فنَحْنُ في مَأْتمٍ وفي عُرْسِ
يُضْحِكُنا القائِمُ الأَمِينُ وتُبْـ   كِينا وَفَاةُ الإِمامِ بالأَمْسِ

بَدْرانِ بَدْرٌ أَضحَى ببَغْداد في الْـ   خُلْدِ وبَدْرٌ بطُوسَ في الرَّمْسِ

ومن جيد شعره:

وَقَفَ الهَوَى بِى حَيْثُ أَنْتِ فليْسَ لى   مُتَأَخَّرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ
وأَهَنْتِنِى فأَهَنْتُ نَفْسِىَ جاهِداً   ما مَنْ يَهُونُ عَلَيْك مِمَّنْ يُكْرَمُ
أَشْبَهْتِ أَعْدائِى فصِرْتُ أُحِبُّهُمْ   إِذْ كان حَظِّى مِنْكِ حَظِّىَ مِنْهُمُ
أَجِدُ المَلاَمَةَ في هَوَاكِ لَذَاذَةً   حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّمُ

وقوله:

قُلْ للطوِيلَةِ مَوْضِعَ العِقْدِ   ولَطِيفَةِ الأَحْشاءِ والكِبْدِ
أَلاَّ وَقَفْتِ على مَدامِعِه   فنَظَرْتِ ما يَعْمَلْنَ في الخَدِّ
لَوْلا التنطُّقُ والسِّوارُ مَعاً   والحِجْلُ والدُّمْلُوجُ في العَضُدِ
لَتَزَايَلَتْ من كلِّ ناحِيَةٍ   لكِنْ جُعِلْنَ لها على عَمَدِ
جاءَتْ إِلى عَيْنَك وَجْنَتُها   في خِلْعَةِ الخِيرِىِّ والوَرْدِ

وقوله:

هذا كِتابُ فَتىً له هِمَمٌ عَطَفَتْ عَلَيْكَ رَجَاءهَ رَحِمُهْ

غَلَّ الزَّمَانُ يَدَىْ عَزِيمَتِهِ وهَوَتْ به من حالقٍ قَدَمُهْ

وتَوَاكَلَتْه ذَوُو قَرَابَتِه وطَوَاهُ عن أَكْفَائِه عَدَمُهْ

أَفْضَى إِلَيْكَ بسرِّه قَلَمٌ لوْ كان يَعْرِفُه بَكَى قَلَمُهْ

وقال أيضاً:

ما فَرَّقَ الأَحْبَابَ بَعْ د الله إِىَّ الإِبلُ

والنَّاسُ يَلْحَونَ غُرَابَ البَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

وما على ظَهْرِ غُرا بِ البَيْن تُمْطَى الرُّحُلُ

ولا إِذا صاحَ غُرَا بٌ في الدّيارِ احتَمَلُوا

وما غُرَابُ البَيْنِ إِ لاَّ نَاقَةٌ أَوْ جَمَلُ

ومن جيد شعره قصيدته التي يقول فيها:

أَبْدَى الزَّمَانُ به نُدُوبَ عِضَاضِ ورَمَى سَوَادَ قُرُونِه بِبَيَاضِ

لا تُنْكِرِي صَدِّي ولا إِعْرَاضِي لَيْسَ المُقِلُّ عَن الزَّمَانِ بِرَاضِي

وقوله:

خَلَعَ الصِّبَا عن مَنْكِبَيْهِ مَشِيبُ وطَوَى الذَّوَائِبَ رَأْسُهُ المَخْضُوبُ

نَشَرَ البِلَى في عارِضَيْهِ عَقَارِباً بِيضاً لَهُنَّ على القُرُونِ دَبِيبُ

ومن جيد شعره قصيدته التي يقول فيها:

نَهَى عن خُلَّةِ الخَمْرِ بَيَاضٌ لاحَ في الشَّعْرِ

لَقَدْ أَغْدُو وعَيْنُ الشَّمْ سِ في أَثْوَابِها الصُّفْرِ

على جَرْدَاءَ قَبَّاءِ الْ حَشَى مُلْهَبَةِ الحُضْرِ

بسَيْفٍ صارِمِ الحَدِّ وزِقٍّ أَحْدَبِ الظَّهْرِ

وظَبْيٍ تَعْطِفُ الأَرْدَا فُ مَتْنَيْه على الخَصْرِ

على أَلْطَفِ ما شُدَّتْ عَلَيْهِ عُقَدُ الأُزْرِ

مَهَاةٍ تَرْمِى الألْبَا ... بَ عن قَوْسٍ منَ السِّحْرِ

لها طَرْفٌ يَشُوبُ الخَمْ ... رَ للنَّدْمانِ بالخَمْرِ

عَفِيفِ الَّحْظِ والإغضا ... ءِ في الصَّحْوِ وفي السُّكرِ

على عَذْراءَ لم تُفْتَقْ ... بنارٍ لا ولا قِدْرِ

عَجُوزٍ نَسَجَ الماءْ ... لها طَوْقاً منَ الشَّذْرِ

كأَنَّ الذَّهَبَ الأَحْ ... مَرِ في حافاتِها يَجْرى

ولَيْلٍ يَرْكَبُ الرُّكْبَا ... نُ في أثْوابِه الخُضْرِ

بأَرْضٍ تَقْطَعُ الحَيْرَ ... ةُ فيها بالقَطَا الكُدْرِى

تَوَكَّلْتُ على أهْوا ... لِها باللهِ والصَّبْرِ

وإعْمالِ بَنَاتِ الرِّي ... حِ في المَهْمَهَةِ القَفْرِ

شَمَالِيلَ يُصافِحْنَ ... مُتُونَ الصَّخْرِ بالصَّخْرِ

بإيجَافٍ يَقُدُّ الَّليْ ... لَ عن ناصِيَةِ الفَجْرِ

وقصيدته التي يقول فيها:

أَشاقَكَ واللَّيْلُ مُلْقِى الجِرانِ ... غُرَابٌ يَنُوحُ على غُصْنِ بانِ

أَحَصُّ الجَنَاحِ شَدِيدُ الصِّيَاحِ ... يُبْكِّى بعَيْنَيْنِ ما تَدْمَعَانِ

وفي نَعَبَاتِ الغُرَابِ اغْتِرَابٌ ... وفي البانِ بَيْنٌ بَعيدُ التَّدَانى

أَهَلْ لَكَ يا عَيْشُ من رَجْعَةٍ ... بأَيَّامِكَ المُشْرِقَاتِ الحِسَانِ

لَعَلَّ الشَّبَابَ ورَيْعَانَهُ ... يُسَوِّدُ ما بَيَّضَ العارِضَانِ

وهَيْهاتَ يا عَيْشُ من عَهْدِنا ... وأَغْصانِكَ المائِلاتِ الدَّوَانى

لَقَدْ صَدَعَ الشَّعْبُ ما بَيْنَنا ... وبَيْنَكَ صَدْعَ الرِّدَاءِ اليَمَانى

وقال فيها يذكر الخمر:

وعَذْرَاءَ لم تَفْتَرِعْها السُّقَاةُ ... ولا اسْتَامَهَا الشَّرْبُ في بَيْتِ حانى

ولا احْتَلَبَتْ دَرَّها أَرْجُلٌ ... ولا وَسَمَتْها بنارٍ يَدَانِ

ولكنْ غذَتْها بأَلْبَانِها   ضرُوةٌ تَحَفَّى بها جَدْوَلاَنِ
فلم تَزَل الشَّمْسُ مَشْغُولَةً   بصنْعَتها في بُطونِ الدِّنَان
تُرَشِّحها لأَثَامِ الرِّجَال   إلى أَنْ تَصَدَّى لها الساقِيان
ففَضَّا الخَوَاتِمِ عن جَوْنَةٍ   صَدُودٍ عن الفَحْلِ بِكْرٍ هِجَانِ
عَجُوزٍ غذَا المِسْكُ أَصْداغهَا   مُضَمَّخَةِ الجِلْدِ بالزَّعْفَرَانِ
يَطُوفُ عَلَيْنا بها أَحْوَرٌ   يَدَاهُ منَ الكَأْسِ مَخْضُوبَتَانِ
لَيَالِيَ يُحْسبُ لِي من سِنِيَّ   ثَمَانٍ وواحِدةٌ واثْنَتَانِ
غُلاَمٌ صَغِير أَخُو شِرَّةٍ   يَطِيرُ مَعَ اللَّهْوِ بي طائِرانِ
جَرُورُ الإزارِ خَلِيعُ العِذَارِ   عَلَيَّ لعَهْدِ الصِّبا بُرْدَتان
أُصِيبُ الذُّنُوبَ ولا أَتَّقِي   عُقُوبَةَ ما يَكْتُبُ الكاتِبَانِ
تَنَافَسُ فِيَّ عُيُونُ الرِّجَال   ويَعْتَزُّ بي في الحِجَالِ الغَوَانِي
فراجَعْتُ لَمَّا أَطارَ الشَّبَابَ   غُرَابان عن مَفْرَقِي طائِرَانِ
وأَقْصَرْتُ لمَّا نَهَانِي المَشِيبُ   وأَقْصَرَ عن عَذْلِيَ العاذِلاَنِ
وعافَتْ لَعُوبُ وأَتْرابُها   دُنُوِّي إليها ومَلَّتْ مَكَانِي
رأَتْ رَجُلاً وَسَمَتْه السِّنُونَ   بِرَيْبِ المَشِيبِ ورَيْبِ الزَّمَانِ
فصَدَّتْ وقالَتْ أَخُو شَيْبَةٍ   عَدِيمٌ أَلاَ بِئْسَتِ الخَلَّتَانِ
فقُلْتُ كذلِكِ مَنْ عَضَّهُ   منَ الدَّهْرِ ناباه والناجِذَانِ

وقال يرثي:

خَتَلَتْهُ المَنُونُ بَعْدَ اخْتِيال   بَينَ صَفَّيْنِ من قَناً ونِصَالِ
في رداءٍ منَ الصَّفِيحِ صَقِيل   وقَمِيصٍ منَ الحَدِيدِ مُذَال

وقال في الرشيد يرثيه:

غَرَبَتْ بالمَشْرِقِ الشَّمْ   سُ فَقُلْ للعَيْن تَدْمَعْ
ما رَأَيْنا قَطُّ شَمْساً   غَرَبَتْ من حَيْثُ تَطْلَعْ

وكان لأبي الشيص ابن يقال له عبد الله، شاعر.

دعبل

هو دعبل بن علي بن زرين، من خزاعة، ويكنى أبا علي وكان قال للمأمون:

ويَسُومُنى المَأمُونُ خُطَّةَ عارِفٍ أَوَ مَا رَأَى بالأَمْسِ رَأسَ مُحَمَّدِ

نُوفِى على رُوسِ الخَلاَئِقِ مِثْلَما تُوفِى الجِبَالُ على رُؤُسِ القَرْدَدِ

ونَحُلُّ في أَكْنافِ كُلِّ مُمَنَّعٍ حَتَّى يُذَلَّلَ شاهِقاً لم يُصْعَدِ

إِنِّى منَ القَوْمِ الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ قَتَلَتْ أَخاك وشَرَّفُوكَ بمقْعَدِ

إِنَّ التِّرَابِ مُسَهَّدٌ طُلاَّبُها فاكْفُفْ مَذَاقَكَ عَنْ لُعَابِ الأَسْوَدِ

وإنما فخر برأس محمد لأن طاهر بن الحسين قتله،وطاهر مولى خزاعة. وكان جده رزيق مولى عبد الله بن خلف الخزاعي. وعبد الله ابن خلف هو أبو طلحة الطلحات. وكان عبد الله بن خلفٍ كاتباً لعمر بن الخطاب على ديوان الكوفة والبصرة، وولى سجستان فمات بها.

وهجا أبا إسحاق المعتصم فقال:

مُلُوكُ بنى العَبَّاسِ في الكتْبِ سَبْعَةٌ ولم تَأْتِنا عن ثامِنٍ لَهُمُ كُتْبُ

كذلِكَ أَهْلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سَبْعَةٌ كِرَامٌ إذا عُدُّوا وثامِنُهُمْ كَلْبُ

ونمى الشعر إلى المعتصم فأمر بطلبه فاستتر ثم هرب. ورأيته وهو يحلف ما قال الشعر. وإنما قيل على لسانه وكيد به.

وسئل وأنا حاضر عن أجود شعره فقال القديمة. وحدثنا بحديث اجتماعه مع أبي نواس ومسلم وأبي الشيص - وقد ذكرته في كتاب الأشربة - وهى التي يقول فيها:

لا تَعْجَبِى يا سَلْمَ من رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برأْسِهِ فبَكَى

قَصرَ الغَوَايَةَ عن هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مُشْتَركا

وكان المأمون يقول لإبراهيم بن المهدي لقد أوجعك دعبل إذ قال فيك:

إِنْ كان إبراهيمُ مُضْطَلِعاً بها فَلَتَصلُحَنْ من بَعْدِهِ لِمُخَارِقِ

ولَتَصْلُحَنْ من بَعْدِ ذاك لِزَلْزَلٍ ولَتَصْلُحَنْ من بَعْدِهِ للمارِقِ

أَنَّى يَكُونُ ولا يَكونُ ولم يَكُنْ لِيَنَالَ ذلكِ فاسِقٌ عن فاسِقِ

وهو القائل في الطائي:

انْظُرْ إليهِ وإلى ظَرْفِهِ كَيْفَ تَطَايَا وهو مَنْشُورُ
وَيْلَكَ مَنْ دَلاَّكَ في نِسْبَةٍ قَلْبُكَ منها الدَّهْرَ مَذْعُورُ
لَوْ ذُكِرَتْ طَيٌّ على فَرْسَخٍ أَظْلَمَ في ناظِرِكَ النُّورُ

وقال في هذا المعنى لقوم:

هُمْ قَعَدُوا فانْتَقَوْا لهُمْ حَسَباً يَجُوزُ بَعْدَ العِشَاءِ في العَرَبِ
حَتَّى إذا ما الصَّبَاحِ لاح له بَيَّنَ سَتُّوقَهُ من الذَّهَبِ
والناسُ قد أَصْبَحُوا صَيَارِفَةً أَبْصَرَ شَيءٍ بزِيبَقِ النَّسَبِ

وهو القائل:

يَمُوتُ رَدِيُّ الشعْرِ من قَبْلِ أَهْلِه وجَيِّدُهُ يَحْيَا وإِنْ ماتَ قائِلُهْ

وهو القائل:

إنْ مَنْ ضَنَّ بالكَنِيفِ عن الضَّيْـ ـفِ بغَيْرِ الكَنِيفِ كَيْفَ يَجُودُ
ما رَأَيْنَا ولا سَمِعْنا بحُشٍّ قَبْلَ هذا لبابِه إقْلِيدُ
إنْ يكُنْ في الكَنيفِ شيءٌ تَخبَّا هُ فعِنْدِى إنْ شِئْتَ فيه مَزِيدُ

وكان ضيفاً لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقاً، فلم يتهيأ فتحه حتى أعجله الأمر.

وهو القائل:

وإنَّ أَوْلى المَوَالى أَنْ تُوَاسِيَه عند السُّرُورِ لمَنْ وَاسَاكَ في الحَزَنِ
إنَّ الكِرَامَ إذا ما أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كان يأْلَفُهُمْ في المَنْزِلِ الخَشِنِ

الخريمي

هو إسحاق بن حسان، ويكنى أبا يعقوب، من العجم. وهو القائل:

إنى امْرُؤٌ من سُرَاةِ الصُّغْدِ أَلْبَسَنِى عِرْقُ الأَعاجِمِ جِلْداً طَيِّبَ الخَبَرِ

وكان مولى ابن خريم، الذي يقال لأبيه خريم الناعم. وهو خريم بن عمرو، من بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان. وكان لخريم ابن يقال له عمارة، ولعمارة ابنان يقال لهما عثمان وأبو الهيذام ابنا عمارة.

ولعثمان يقول أبو يعقوب:

جَزَى اللهُ عُثْمانَ الخُزَيْمِيَّ خَيْرَ ماجَزَى صاحِباً جَزْلَ المَوَاهِبِ مُفْضِلا

كَفَى جَفْوَةَ الإِخْوانِ طُولَ حَيَاتِهِ ... وأَوْرَثَ مِمَّا كان أَعْطَى وخَوَّلاَ

وكان عثمان عظيم القدر وأحد القواد.

وعمى أبو يعقوب الخريمي بعد ما أسن. وكان يقول في ذلك.

فمنه قوله:

فإِنْ تَكُ عَيْنِى خَبَا نُورُها ... فكم قَبْلَهَا نُورُ عَينٍ خَبَا

فلم يَعْمَ قَلْبِى ولكنَّمَا ... أَرَى نُورَ عَيْنِى إِلَيْه سَرَى

فأَسْرَجَ فيه إِلى نُورِهِ ... سِرَاجاً منَ العِلْمِ يَشْفِى العَمَى

وأخذ هذا من عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وكان قد عمى فقال:

إِنْ يَأْخُذِ اللهُ من عَيْنَىَّ نُورَهُما ... ففي لِسانى وقَلْبى منهما نُورُ

قَلْبى ذَكِىٌّ وعَقْلِى غَيْرُ ذى دَخَلٍ ... وفي فَمِى صارِمٌ كالسَّيْفِ مَأْثُورُ

وكان أبو يعقوب متصلا بمحمد بن منصور بن زياد. كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جياد، ثم رثاه بعد موته فقيل له يا أبا يعقوب مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من مراثيك وأجود! فقال كنا يومئذٍ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد! وهو القائل في عينيه:

أُصْغِى إِلى قائدِى لِيُخْبِرَنى ... إِذا الْتَقَيْنَا عَمَّنْ يُحَيِّينى

أَرِيدُ أَنْ أَعْدِلَ السَّلاَمَ وأَنْ ... أَفْصِلَ بين الشَّرِيفِ والدُّونِ

أَسْمَعُ ما لا أَرَى فأَكْرَهُ أَنْ ... أُخْطِىءَ والسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ

للهِ عَيْنِى التى فُجِعْتُ بها ... لوْ أَنَّ دَهْراً بها يُوَاتِينى

لَوْ كُنْتُ خُيِّرْتُ ما أَخَذْتُ بها ... تَعْمِيرَ نُوحٍ في مِلْكِ قارُونِ

حَقُّ أَخِلاَّئِى أَنْ يَعُودُونى ... وأَنْ يُعَزَّوْا عَنِّى ويَبْكُونِى

وهو القائل:

إِذا ما مات بَعْضُكَ فابْكِ بَعْضاً ... فإِنَّ البَعْضَ من بَعْضٍ قَرِيبُ

يُمَنِّنِي الطَّبيبُ شِفَاءَ عَيْنى ... وهَل غَيْرُ الإِلهِ لها طَبِيبُ

وهو القائل في بغداد في الفتنة:

يا بُؤْسَ بَغْدَادَ دارَ مَمْلَكَةٍ ... دارَتْ على أَهْلِها دَوَائِرُها

أَمْهَلَهَا اللهُ ثُمَّ عاقَبَهَا ... لَمَّا أَحاطَتْ بها كَبَائِرُهَا

رَقَّ بها الدِّينُ واسْتُخِفَّ بذي ال فَضْلِ وعَزَّ الرِّجَالَ فاجرُها

وصار رَبَّ الجِيرَانِ فاسِقُهُمْ وابْتَزَّ أَمْرَ الدُّرُوبِ شاطِرُها

يُحْرِقُ هذا وذاك يَهْدِمُها ويشْتَفِي بالنِّهابِ دَاعِرُها

والكَرْخُ أَسْواقُها مُعَطَّلَةٌ يَسْتَنُّ شُذَّانُها وعائِرُهَا

أَخْرَجَتِ الحَرْبُ من أَسَاقِطِهِمْ آسَادَ غِيلٍ غُلْباً قَسَاوِرُها

من البَوارِى ترَاسُها ومن ال خُوصِ إذا استْلأَمَتْ مَغَافِرُها

لا الرِّزْقَ تَبْغِي ولا العَطَاءَ ولا يَحْشُرُها بالعَنَاءِ حَاشِرُها

ومن جيد شعره قوله:

النَّاسُ أَخْلاقهُمْ وإِنْ جُبِلُوا على تَشَابُهِ أَرْوَاحٍ وأَجْسادِ

للخَيْرِ والشَّرِّ أَهْلٌ وُكِّلُوا بهما كُلٌّ له من دَوَاعِى نَفْسِهِ هادِ

مِنْهم خَلِيلُ صَفَاءٍ ذو مُحَافَظَةٍ أَرْسَى الوَفاءُ أَوَاخِيه بأَوْتادِ

ومُشْعَرُ الغَدْرِ مَحْنِيٌّ أَضالِعُهُ على سَرِيرَةِ غِمْرٍ غِلُّها بادِ

مُشَاكِسُ خَدِعٌ جَمٌّ غَوَائِلُهُ يُبْدِى الصَّفَاءَ ويُخْفِى ضَرْبَةَ الهادِى

يَأْتِيكَ بالبَغْى في أَهلِ الصَّفاءِ ولا يَنْفَكُّ يَسْعَى بإِصْلاَحٍ لإِفْسادِ

ومن جيد شعر الخريمي قوله:

أُضاحِكُ ضَيْفِى قَبْلَ إِنْزالِ رَحْلِهِ ويُخْصِبُ عِنْدِى والمَحَلُّ جَدِيبُ

وما الخِصْبُ للأَضْيافِ أَن يَكْثُرَ القِرى ولكنما وَجْهُ الكَرِيمِ خَصِيبُ

ومن جيد شعره قوله:

زاد مَعْرُوفَك عِنْدِى عِظَماً أَنَّهُ عِنْدَك مَحْقُورٌ صَغِيرُ

تتَنَاسَاهُ كأَنْ لم تَأْتِهِ وهْوَ عِنْدَ الناسِ مَشْهُورٌ كبِيرُ

وهو القائل:

إِنَّ أَشَدَّ الناسِ في الحَشْرِ حَسْرَةً لَمُورِثُ مالٍ غَيْرَه وهْوَ كاسِبُهْ

كَفَى سَفَهاً بالكَهْلِ أَنْ يَتْبَعَ الصِّبَا وأَنْ يَأْتِىَ الأَمْرَ الَّذِى هُوَ عائِبُهْ

ويستجاد له قوله:

وَدُونَ النَّدَى في كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ ... لها مَصْعَدٌ وَعْرٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ
ووَدَّ الفَتَى في كُلِّ نَيْلٍ يَنِيلُهُ ... إذا ما انْقَضَى لَوَ انَّ نائلَهُ جَزْلُ
وأَعْلَمُ عِلْماً ليس بالظَّنِّ أَنَّه ... لِكُلِّ أُناسٍ من ضَرَائِبِهِم شَكْلُ
وأَنَّ أَخِلاَّءَ الزَّمانِ غَنَاؤُهم ... قَليلٌ إذا الإنْسانُ زَلَّتْ به النَّعْلُ
تَزَوَّدْ منَ الدُّنْيا مَتاعاً لغَيْرِها ... فقد شَمَّرَتْ حَذَّاءَ وانْصَرَمَ الحَبْلُ
وهَلْ أَنْتَ إلاَّ هامَةُ اليومِ أو غَدٍ ... لكُلِّ أُناسٍ من طَوَارِقِها الثُّكْلُ

وفي هذا الشعر يقول:

أَبِالصُّغْدِ بَأْسٌ إذ تُعَيِّرُنى جُمْلُ ... سَفاهاً ومن أَخلاقِ جارَتِىَ الجَهْلُ
فإِنْ تَفْخَرِى يا جُمْلُ أَو تَتَجَمَّلِى ... فلا فخْرَ فَوْقَهُ الدِّينُ والعَقْلُ
أَرَى النّاسَ شَرْعاً في الحَيَاةِ ولا يُرَى ... لِقَبْرٍ على قبْرٍ عَلاَءٌ ولا فَضْلُ
وما ضرَّنى أَنْ لم تَلِدْنى يُحَابِرٌ ... ولم تَشْتَمِلْ جَرْمٌ عَلَّى ولا عُكْلُ

وهو القائل:

ما أَحْسَنَ الغَيْرَةَ في حينِها ... واَقْبَحَ الغَيْرَةَ في كُلِّ حِينْ
مَنْ لم يَزَلْ مُتَّهِماً عِرْسَهُ ... مُنَاصِباً فيها لِرَيْبِ الظُّنُونْ
أَوْشَكَ أَنْ يُغْرِيهَا بالَّذِى ... يَخَافُ أَنْ يُبْرِزَهَا للعُيُونْ
حَسْبُكَ من تَحْصِينِها وَضْعُها ... منك إِلى عِرْضٍ صَحِيحٍ ودِينْ
لا تَطَّلِعْ منْكَ على رِيبَةٍ ... فيَتْبَعَ المَقْرُونُ حَبْلَ القَرِينْ

النمري

هو منصور بن سلمة بن الزبرقان، من النمر بن قاسط.

وكان مع الرشيد مقدماً، وكان يمت إليه بأم العباس بن عبد المطلب وهي نمرية، واسمها نتيلة وكان الرشيد يعطيه ويجزل. وكان يظهر له أنه عباسي الرأي منافر لآل على ولغيرهم.

ومما قال في ذلك للرشيد:

يا ابنَ الأَئِمَّةِ من بَعْدِ النَّبِىِّ ويا ... ابْنَ الأَوْصِياءْ أَقَرَّ الناسُ أَو دَفَعُوا

إنَّ الخِلاَفَةَ كانَتْ إرْثَ والدِكُمْ — من دُونِ تَيْمٍ وعَفْوُ اللهِ مُتَّسِعُ

لَوْلاَ عَدِيٌّ وتَيْمٌ لم تَكَنْ وَصَلَتْ — إلى أُمَيَّةَ تَمْرِيها وتَرْتَضِعُ

وما لآلِ عَلِيٍّ في إمارَتِكُمْ — وما لهم أَبَداً في إرْثِكُمْ طَمَعُ

يا أَيُّها الناسُ لا تَعْزُبْ حُلُومُكُمُ — ولا تُضِفْكُمْ إلى أَكْنافِها البِدَعُ

العَمُّ أَوْلى من ابْنِ العَمَّ فاسْتَمِعُوا — قَوْلَ النَّصِيحَةِ إنَّ الحَقَّ مُسْتَمَعُ

وقال أيضاً:

أَلاَ للهِ دَرٌّ بنى عَلِيٍّ — ودَرٌّ من مَقالَتِهِمْ كَثِيرُ

يُسَمُّونَ النَّبِيَّ أَباً ويَأْبَى — منَ الأَحْزابِ سَطْرٌ بَلْ سُطُورُ

يريد قول الله عز وجل: "ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم"، وكان مع هذا شيعياً، وهو القائل:

شاءٌ منَ الناس راتِعٌ هامِلْ — يُعَلِّلُونَ النُّفُوسَ بالباطِلْ

تُقْتَلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ ويَرْ — جُونَ جِنانَ الخُلُودِ للقاتِلْ

وَيْلَكَ يا قاتِلَ الحُسَيْنِ لَقَدْ — نُؤْتَ بحِمْلٍ يَنُوءُ بالحامِلْ

أَيَّ حِباءٍ حَبَوْتَ أَحْمَدَ في — حُفْرَتِه من حَرَارةِ الثاكِلْ

بأَيِّ وَجْهٍ تَلْقَى النَّبِيَّ وقد — دَخَلْتَ في قَتْلِهِ مع الداخِلْ

هَلُمَّ فاطْلُبْ غَداً شَفَاعَتَهُ — أَوْ لا فرِدْ حَوْضَهُ معَ النَّاهِلْ

ما الشَّكُّ عِنْدِي في حالِ قاتِلِه — لكِنَّنِي قد أَشُكُّ في الخاذِلْ

نَفْسِي فِدَاءُ أَنْحَى بشَفْرَتِه — على سَنَامِ الإسْلامِ والكاهِلْ

نفسي فداء الحسين حين غدا — إلى المنايا غدو ولا قافل

ذلك يوم أنحى بشفرته — على سنام الإسلام والكاهل

حَتَّى مَتَى أَنْتِ تَعْجَبِينَ أَلاَ — تَنْزِلُ بالقَوْمِ نِقْمَةُ العاجِلْ

لا تَعْجَلُ اللهُ إنْ عَجِلْتِ وما — رَبُّك عَمَّا يُرِيدُ بالغافِلْ

وعاذِلِي أَنَّنِي أُحِبُّ بَنِي — أَحْمَدَ فالتُّرْبُ في فَمِ العاذِلْ

قد ذُقْتُ ما دِينُكُمْ عَلَيْهِ فما — وَصَلْتُ من دِينِكُمْ إلى طائِلْ

دِينُكُمُ جَفْوَةُ النَّبِيِّ وما الْ جافِى لآلِ النَّبِيِّ كالواصِلْ

مَظْلُومَةٌ والنَّبِيُّ والِدُها قريرُ أَرْجاءِ مُقْلَةٍ حافِلْ

أَلاَّ مَصَالِيتُ يَغْضَبونَ لها بسَلَّةِ البِيضِ والقَنَا الذابِلْ

وقال أيضاً:

آلُ النَّبِيِّ ومَنْ يُحِبُّهُمُ يَتَطَامَنُونَ مَخَافَةَ القَتْلِ

أَمِنُوا النَّصارَى واليَهُودَ وهُمْ من أُمَّةِ التَّوْحِيدِ في أزلِ

وأنشد الرشيد هذا بعد موته فقال لقد هممت أن أنبشه ثم أحرقه.

ومن جيد شعره قوله في الرشيد:

يا زائرينا من الخيامِ حيا كما الله بالسلام

يُحْزِنُنى أَنْ أَطَفْتُما بى ولم تَنَالاَ سِوَى الكَلاَمِ

لم تَطْرُقَانى وبِى حَرَاكٌ إِلى حَلاَلٍ ولا حَرَام

هَيْهَاتَ لِلَّهْوِ والتَّصابى وللغَوَانى وللمُدَامِ

أَقْصرَ جَهْلِى وثاب حِلْمى ونَهْنَهَ الشَّيْبُ من عُرَامى

عَمْرَ أَبيها لَقَدْ تَوَلَّتْ سالِمَةَ الخَدِّ من غَرامى

لله حِبِّى وتِرْبُ حِبِّى لَيْلَةَ أَعْياهُما مَرَامى

آذَنَتَانِى بطُولِ هَجْرٍ وعَزَّبانِى مَعَ السَّوَامِ

وانْطوَتَا لى على مَلاَمٍ والشَّيْبُ شَرٌّ منَ المَلاَمِ

بُورِكَ هارُونُ من إمَامٍ بطاعَةِ اللهِ ذى اعْتِصامِ

له إلى ذى الجَلاَلِ قُرْبَى لَيْسَتْ لعَدْلٍ ولا إمامِ

يَسْعَى على أُمَّةٍ تَمَنَّى أَنْ لَوْ تَقِيهِ منَ الحِمَامِ

لَوِ اسْتَطَاعَتْ لَقاسَمَتْهُ أَعْمارَها قِسْمَةَ السِّهَامِ

يا خَيْرَ ماضٍ وخَيْرَ باقٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ في الأَنَامِ

ما اسْتُودِعَ الدِّينَ من إمامٍ حامَى عليه كما تُحَامى

يَأْنَسُ من رَأيِهِ برأيٍ أَصْدَقَ من سَلَّةِ الحسَامِ

وقوله:

أَعُمَيْرَ كَيْفَ بِحاجَةٍ طُلِبَتْ إلى صُمِّ الصُّخُورِ
لِلهِ دَرُّ عِدَاتِكُمْ كَيْفَ انْتَسَبْن إلى الغُرُورِ
إِنَّ اللَّيالِ ضَمِنَّنِى ووَسَمْنَنِى سِمَةَ الكَبِيرِ
أَطْفَأْنَ نُورَ شَبِيبَتِى وفَرَشْنَنى كَنَفَ الغَيُورِ
ولَقَدْ تَبِيتُ أَنَامِلى يَجْنِينَ رُمَّانَ النُّحُورِ

العتابي

هو كلثوم بن عمرو من بنى تغلب من بنى عتاب، من ولد عمرو بن كلثوم التغلبي، ويكنى أبا عمرو.
وكان شاعراً محسناً، وكاتباً في الرسائل مجيداً، و لم يجتمع هذان لغيره.

ولما أشخصه المأمون إليه فدخل عليه قال له المأمون بلغتني وفاتك فساءتني، ثم بلغتني وفادتك فسرتني.
فقال العتابي يا أمير المؤمنين، لو قسمت هذه الكلمات على أهل الأرض لو سعتهم، وذلك لأنه لا دين إلا بك، ولا دنيا إلا معك. قال سلني. قال يدك بالعطاء أطلق من لساني.
ومما يستحسن له من شعره قوله في اعتذاره:

رَدَّتْ إليك نَدَامَتى أَمَلِى وثَنَى إليك عِنانَهُ شُكْرِى
وجَعَلْتُ عَتْبَك عَتْبَ مَوْعِظَةٍ ورَجَاءَ عَفْوِك مُنْتَهى عُذْرِى

ويستجاد قوله في الرشيد:

ماذا عَسَى قائلٌ يُثْنى عَلَيْك وقد ناداك في الوَحْىِ تَقْدِيسٌ وتَطْهِيرُ
فُتَّ المَدَائِحَ إلاَّ أَنَّ أَلْسُنَنا مُسْتَنْطَقَاتٌ بما تُخْفِى الضَّمائِرُ

علي بن جبلة

كان علي بن جبلة ضريراً، وكان يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى. وهو القائل فيه:

إِنَّما الدُّنْيَا أَبُو دُلَفٍ بَيْنَ مَغْزَاهُ ومُحْتَضَرِهْ
فإِذا ولَّى أَبُو دُلفٍ ولَّتِ الدُّنْيا على أَثَرِهْ

وكان يمدح حميد بن عبد الحميد، فلما سمع حميد هذا في أبي دلف قال أي شيءٍ بقيت لنا بعد هذا من مدحك؟ فقال:

إِنَّما الدُّنْيَا حُمَيْدٌ وأَيادِيهِ الجِسامُ
فإِذا ولَّى حُمَيْدٌ فعلَى الدُّنْيَا السَّلامُ

وهو القائل في حميد:

دِجْلَةُ تَسْقِى وأَبو غانِمٍ يُطْعِمُ مَنْ تَسْقِى منَ الناس
والناسُ جِسمٌ وإِمامُ الهُدَى رَأسٌ وأَنْتَ العَيْنُ في الراس

وقال للحسن بن سهل:

أَعْطَيْتَنى يا وَلِىَّ الحَقِّ مُبْتَدِئاً عَطيَّةً كافَأَتْ مَدْحى ولم تَرَنِى
ما شِمْتُ بَرْقَك حَتى نِلْتُ رَيِّقَهُ كأَنَّما كنْتَ بالجَدْوَى تُبادِرُنِى

وهو القائل في حميد:

إلى أَكْرَمِ قَحْطانٍ وَصلْنا السَّهْبَ بالسَّهْبِ
إِلى مُجْتَمَعِ النَّيْلِ ومُلْقَى أَرْحُلِ الرَّكْبِ
حُمَيْدٌ مفْزَعُ الأُمَّةِ في الشَّرْقِ وفي الغَرْبِ
كأَنَّ الناسَ جسمٌ وَهْو مِنْهُ مَوْضِعُ القَلْبِ
إِذا سالَمَ أَرْضاً غَنِيَتْ آمِنَةَ السَّرْبِ
وإِنْ حارَبَها حَلَّتْ بها راغِيَةُ السَّقْبِ
إِذا لاقى رَعِيلَ المَوْتِ بالشَّطْبِ
وبالماذِيَّةِ الخُضْرِ وبالهِنْدِيَّةِ القُضْبِ
غدَا مُجْتَمِعَ القَلْبِ له جُنْدٌ منَ الرُّعْبِ
فيا فَوْزَ الَّذى والى ويابُؤْسَى أَخِى الذَّنْبِ
أَيا ذا الجُودِ فاسْلَمْ ما جَرَتْ المَوْتُ في الحَرْبِ
فأَنْتَ الغَيْثُ في السِّلْمِ وأَنْتَ المَوْتُ في الحَرْبِ
وأَنْتَ الجامِعُ الفارِقُ بين البُعْدِ والقُرْبِ

بِكَ اللهُ تَلافَى النا س َبَعْدَ العَثْرِ والنَّكْبِ

ورَدَّ البِيض والبيضَ إلى الأَغْمادِ والحُجْبِ

بإقْدَامِكَ في الحرب وإطْعامِكَ في اللزْبِ

فكَمْ أَمَّنْتَ من خَوْفٍ وكَمْ أَشْغَبْتَ من شَغْبِ

وكَمْ أَصلَحْتَ من خَطْبِ وكَمْ أَيَّمْتَ من خِطْبِ

وما تَمْهَرُها إلاَّ دِراكَ الطَّعْنِ والضَّرْبِ

تَناهَتْ بك قَحْطانٌ إلى الغايَةِ والحَسْبِ

ففاتَتْ شَرَفَ الأَحْيا ءِ فَوْتَ الرَّأسِ للعَجْبِ

ومما أسرف فيه فكفر أو قارب الكفر، قوله في أبي دلف:

أَنْتَ الَّذي تُنْزِلُ الأَيَّامَ مَنْزِلَها وتَنْقُلُ الدَّهْرَ من حالٍ إلى حالِ

وما مَدَدْتَ مَدَى طَرْفٍ إلى أَحَدٍ إلاَّ قَضَيْتَ بأَرْزاقٍ وآجالِ

تَزْوَرُّ سُخْطاً فتُمْسِي البِيضُ راضيَةً وتَسْتَهِلُّ فتَبْكِي أَوْجُهُ المالِ

وقال فيها:

كأَنَّ خَيْلَكَ في أَثْناءِ غَمْرَتِها أَرْسالُ قَطْرٍ تَهَامى فَوْقَ أَرْسالِ

يَخْرُجْنَ من غَمَرَاتِ المَوْتِ ساميةً نَشْرَ الأَنامِلِ من ذى القِرَّةِ الصالِى

أخذه من الأسعر الجعفي إذ ذكر الخيل فقال:

يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغُبَارِ عَوَابِساً كأَصابِعِ المَقْرُورِ أَقْعَى فاصْطَلَى

أراد أنها تخرج متساويةً كأصابع المصطلي، لأنها تستوي إذا اصطلى فقبضها.

وقال في حميد:

والجُودُ في كَفِّ غَيْرِه خَشِنٌ وهْوَ بكَفَّيْه لَيِّنٌ سَرِبُ

أخذه من قول مسلم:

الجُودُ أَخْشَنُ مَسَّا يا بنى مَطَرٍ من أَنْ يَبُزَّكُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلِبِ

وقال أيضاً:

جَلاَءُ مَشِيبٍ نَزَلْ وأُنْسُ شَبَابٍ رَحَلْ

طَوَى صاحبٌ صاحباً كَذاكَ اخْتِلاَفُ الدُّوَلْ
شَبَابٌ كأَنْ لم يَكُنْ وشَيْبٌ كأَنْ لم يَزَلْ
كأَنَّ حُسُورَ الصِّبَا عن الشَّيْبِ حينَ اشْتَعَلْ
زَهَا أَمَلٍ مُونِقٍ أَطَلَّ عَلَيْهِ أَجَلْ

أخذه منه محمود الوراق فقال:

بَكَيْتُ لقُرْبِ الأَجَلْ وبُعْدِ فَوَاتِ الأَمَلْ
ووافِدِ شَيْبٍ طَرَا بعَقْبِ شَبَابٍ رَحَلْ
شَبَابٌ كأَنْ لم يَكُنْ وشَيْبٌ كأَنْ لم يَزَلْ
طَوَاكَ بَشِيرُ البَقَا وحَلَّ نَذِيرُ الأَجَلْ

وقال عبد الحميد الكاتب في نحو هذا:

ترَحَّلَ ما لَيْسَ بالقافلِ وأَعْقَبَ ما لَيْسَ بالآفِلِ
فلَهْفِى من الخَلَفِ النازِلِ ولَهْفِى من السَّلَفِ الراحلِ
أُبَكِّى على ذَا وأَبْكِى لذَا بُكاءَ المُوَلَّهَةِ الثاكلِ
تُبَكِّى على ابنٍ لها قاطِعٍ وتَبْكِى على ابنٍ لها واصلِ
تَقَضَّتْ غوَايَاتُ سُكْرِ الصِّبَا ورَدَّ التُّقَى عُنُقَ الباطلِ

ولا أحسب على بن جبلة أخذ هذا إلا من كتاب عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فإنه كتب إلي بعض عماله " أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل".

ابن مناذر

هو محمد بن مناذر مولى لبني يربوع، ويكنى أبا ذريح، ويقال إنه يكنى أبا جعفر.

وكأن في أول مستوراً حتى علق عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي، فاهتك ستره. ولما مات عبد المجيد خرج من البصرة إلى مكة، فلم يزل مجاوراً إلى أن مات.

وكان يجالس سفيان بن عيينة فيسأله سفيان عن غريب الحديث ومعانيه.

وفي صبوته على كبر السن يقول:

هَلْ عِنْدَكُمْ رُخْصَةٌ عَنِ الحَسَنِ الْ بَصْرِىِّ في اللَّهْوِ وابْنِ سِيرِينا

إنَّ سَفَاهاً بذى الجَلالَةِ وال شَّيْبَةِ أَلاَّ يَزَالُ مَفْتُونا

لَبِسْتُ طَوْقَ الصِّبَا ويَارَقَهُ وقَدْ مَضَتْ من سِنِىَّ ستُّونا

وفيها يقول للرشيد:

لَمَّا رَأَيْنَا هَارُونَ صار لنا ال لَّيْلُ نهاراً بضَوْءِ هارُونا

فلَوْ سَأَلْنا لِحُسْنِ وَجْهِكَ يا هارُونُ صَوْبَ الغَمَامِ أُسْقِينا

وهو القائل في خالد بن طليق وكان ولي قضاء البصرة:

قُلْ لأَميرِ المُؤْمنينَ الَّذى من هاشمٍ في سِرِّهَا واللُّبَابْ

إنْ كُنْتَ للسَّخْطَةِ عاقبْتَنَا بخالدٍ فَهْوَ أَشَدُّ العِقابْ

كان قُضَاةُ الناسِ فيما مَضَى من رَحْمَةِ الله، وهذا عَذابْ

يا عَجَباً من خالدٍ كَيْفَ لا يُخْطِىءُ فينا مَرَّةً بالصَّوَابْ

وله أيضاً:

جُعِلَ الحاكِمُ يا لَل نَّاسِ من آلِ طَلِيقِ

ضُحْكَةً يَحْكُمُ في النَّا سِ برَأْىِ الجَاثَلِيقِ

أَىُّ قاضٍ أَنْتَ لِلنَّقْ ضِ وتَعْطِيلِ الحُقُوقِ

يا أَبَا الهَيْثَمِ ما أَن تَ لهذا بخَلِيقِ

لا ولا أَنْتَ لِمَا حُ مِّلْتَ منه بمُطِيقِ

وهو القائل:

أَلاَ يا قمَرَ المَسْجِ دِ هَلْ عندك تَنْوِيلُ

شِفَائى منْكَ إنْ نَوَّلْ تَنِى شَمٌّ وتَقْبِيلُ

سَلاَ كُلُّ فُؤَادٍ وَ فُؤَادى بِكَ مَشْغُولُ

لَقَدْ حُمِّلْتُ من حُبِّي كَ ما لا يَحْمِلُ الفيلُ

وقال في آخر الشعر:

وهذا الشِّعْرُ في الوَزْنِ لِمَنْ كان له جُولُ

مَفَاعِيلُن مَفَاعِيلُن مَفَاعِيلُن، مَفَاعِيلُ

وهو القائل:

رَضِينَا قِسْمَةَ الرَّحْمنِ فِينا لنا حَسَبٌ ولِلثَّقَفِيِّ مالُ
وما الثَّقَفِيُّ إنْ جادَتْ كُسَاهُ وراعَكَ شَخْصُهُ إلاَّ خيَالُ

عبد الله بن محمد بن أبى عيينة

يكنى أبا جعفر، وأبو عيينة هو ابن المهلب بن أبي صفرة.

وكان بينه وبين طاهردخلل وله به خاصةً، فأتاه زائراً فلم يجد عنده الذي أمل فكتب إليه:

مَنْ آنَسَتْهُ البِلاَدُ لم يَرِمِ عنها ومَنْ أَوْحَشَتْهُ لم يُقِمْ
ومَنْ يَبِتْ والهُمُومُ قادحَةٌ في صَدْرِه بالزِّناد لم يَنَمِ
ومَنْ يَرَ النَّقْصَ في مَوَاطِئِه يُزِلْ عَنِ النَّقْصِ مَوْطِىءَ القَدَمِ
يا ذا اليَمِينَيْنِ لم أَزُرْكَ ولَمْ آتِكَ من خَلَّةٍ ولا عَدَمِ
إنِى مِنَ اللهِ في مُرَاحِ غنًى ومُغْتَدًى واسِعٍ وفي نِعَمِ
زارَتْكَ بى هِمَّةٌ مُنَازِعَةٌ إلى جَسِيمٍ من غايَةِ الهِمَمِ
فإن أَنَلْ همَّتى فأَنْتَ لها في الحَقِّ حَق الإخاءِ والرَّحِمِ
وإنْ يَعُقْ عائقٌ فلَسْتَ عَلى جَميلِ رَأيِ عِنْدى بمُتَّهَمِ
في قَدَرِ اللهِ ما أُحَمِّلُهُ تَعْوِيقَ أَمْرِى واللَّوْحِ والقَلَمِ
لم تَضقِ السُّبْلُ والفِجاجُ عَلَى حُرٍّ كَرِيمٍ بالصَّبْرِ مُعْتَصِمِ
ماضٍ كحد السنانِ في طَرَفِ ال عامِلِ أَو حَدِّ مُرْهَفٍ خَذِمِ
إذا ابْتَلاَهُ الزَّمانُ كَشَّفَهُ عن ثَوْبِ حُرِّيَّةٍ وعن كَرَمِ

وهو القائل:

ياذا اليَمِينَيْن ما شىءٌ إقامَتُهُ على الْإطالَةِ إقْصاءٌ وتَقْصِيرُ
وما شِهابٌ مُنِيرٌ قد أَضَرَّ بِهِ هَمٌّ ببَابِكَ حَتَّى ما له نُورُ

وهو القائل:

ياذا اليَمِينَيْنِ إنَّ العِتَا بَ يَشْفِى صُدُوراً ويُغْرِى صُدُورا

وكُنْتُ أرَى أنَّ تَرْكَ العِتَا ... بِ خَيْرٌ وأجْدَرُ ألاّ يَضيرا

إلى أنْ ظَنَنْتُ بأنْ قد ظَنَنْ ... تَ أنّى لنَفْسى أرْضَى الحَقيرا

فأضْمَرَتِ النَّفْسُ في وهْمِها ... منَ الهَم هَمًّا يَكُدُّ الضَّميرا

ولا بُدَّ للماءِ في مِرْجَلٍ ... على النار مُوقَدَةً أنْ يَفُورا

ومَنْ أشْرِبَ اليَأْسَ كان الغَنِيَّ ... ومَنْ أُشْرِبَ الحِرْصَ كان الفَقِيرا

عَلاَمَ وفِيمَ أرَى طاعَتِى ... لَدَيْكَ ونَصْرِى لَكَ الدَّهْرَ بُورا

ألَم أكُ بالمِصْرِ أدْعُو البَعِيدَ ... إلَيك وأدْعُو القَرِيبَ العَسِيرا

ألَم أكُ أوَّلَ آت أتاك ... بطاعَةِ مَنْ كان خَلْفِى بَشِيرا

فَفِيمَ تُقَدِّمُ جَفَّالَةً ... إلَيْك أمامِى وأُدْعَى أخِيرا

كأنَّكَ لم تَدْرِ أنَّ الفَتَى ال ... حَمِىَّ إذا زارَ يَوْماً أمِيرا

يُقَدِّمُ مَنْ دُونَهُ قَبْلَهُ ... ألَيْسَ يَكُونُ بسُخْطٍ جَدِيرا

ألَسْتَ تَرَى أنَّ سَفَّ التُّرَاب ... به كان أكْرَمَ من أنْ يَزورا

فهَلْ لَك في الإذْنِ لى راضِياً ... فإنِّى أرَى الإذْنَ غُنْماً كَبِيرَا

ثم هجاه فقال:

وما طاهِرٌ إلاَّ شِفاهٌ تَحَرَّكَتْ ... برائحَةِ الفَضْلِ بن سَهْلٍ فمَرَّتِ

فأغْنَتْ برِيحِ الفَضْلِ كُلَّ غَنائها ... وبالفَضْلِ ساءَتْ حِينَ ساءَتْ وسَرَّتِ

ثم فارقه فقال:

هو الصَّبْرُ والتَّسْلِيمُ لله والرِّضَا ... إذَا نَزَلَتْ بى خُطَّةٌ لا أشاؤُها

إذا نَحْنُ أُبْنا سالِمينَ بأنْفُسٍ ... كِرَامٍ رَجَتْ أمْراً فخاب رَجَاؤُها

فأنْفُسُنا خَيْرُ الغَنِيمةِ إنَّها ... تَؤُوبُ وفيها ماؤُها وحَيَاؤُها

هِىَ الأنْفُسُ الكُبْرَى التى إنْ تَقَدَّمَتْ ... أوِ اسْتَأْخَرَتْ فالقَتْلُ بالسَّيْفِ داؤُها

سَيَعْلَمُ ذو العَيْنَيْنِ أنَّ عَداوَتِى ... له رِيقُ أفْعَى ما يُصابُ دَوَاؤُها

وهو القائل:

تَسْتَقْدِمُ النَّعْجَتانِ والبَرَقُ في زَمَنٍ سُوقُ أَهْلِه المَلَقُ
عُورٌ وحُولٌ وبَيْذَقٌ لَهُمُ كأَنَّه بَيْنَ أَسْطُرٍ لَحَقُ
هذا زَمانٌ بالناسِ مُنْقَلِبٌ ظَهْراً لبَطْنٍ جَدِيدُهُ خَلَقُ

وأخوه أبو عيينة هو الذي كان يهجو خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، وكان في جنده وصحابته.

ويقال أن اسم أبي عيينة كنيته، وكان يكنى مع ذلك أبا المنهال.

وهو القائل:

لقد خَزِيَتْ قَحْطانُ طُرّاً بخالدٍ فهَلْ لكِ فيه يُخْزِكِ اللهُ يا مُضَرْ

وأنشد الرشيد هذا البيت فقال بل هو موفر على قحطان.

وفيها يقول:

له مَنْظَرٌ يُعْمِى العُيُونَ سَمَاجَةً وإن يُخْتَبَرْ يَوْماً فيا سَوْءَ مُخْتَبَرْ
أَبُوك لنا غَيْثٌ نَعيشُ بسَيْبِه وأَنْتَ جَرَادٌ لَسْتَ تُبْقِى ولا تَذَرْ
له أَثَرٌ في المَكْرُماتِ يَسُرُّنا وأَنْتَ تُعَفِّى دائماً ذلك الأَثَرْ
تُسِيءُ وتَمْضِى في الإِساءَةِ دائباً فلا أَنْتَ تَسْتَحْيِى ولا أَنْتَ تَعْتَذِرْ

وفيه يقول:

إِنَّ أَضْيافَ خالدٍ وبَنِيهِ لَيَجُوعُونَ فَوْقَ ما يَشْبَعُونا
وتَراهُمْ من غَيْرِ نسْكٍ يَصُومُو نَ ومن غَيْرِ عِلَّةٍ يَحْتَمُونا

وقال:

لَقَدْ جعَلَتْ تَعَرَّضُ لى مَصادُ تَعَرُّضَ مَنْ يُرِيدُ ولا يُرادُ
فَقُلْتُ لها كَسَدْتِ فلا تَغُتِّى كذاك لكُلِّ نافقَةٍ كَسادُ
فإِنْ تَرْضَىْ فقَدْ قَبِلَتْك عَيْنى ولكِنْ لَيْسَ يَقْبَلُك الفُؤادُ
فما لَكِ إِنْ أَقَمْتِ عَلَّى رِزْقٌ ولا لَكِ إِنْ ظَعَنْتِ عَلَّى زَادُ

وقال:

أَنا من وَجْدِ بدُنْياىَ منها ومِنَ العُذَّالِ فيها مُلَقَّى
زَعَمُوا أَنِّى صَدِيق لِدُنْيا لَيْتَ ذا الباطِلَ قد صار حَقَّا

وقال في آخر:

كَمْ أكْلَةٍ لَوْ قد دُعِي ... تَ بها إلى كُفرٍ كَفَرْتا

ودَعَاك عاملُ عَسْقَلا ... نَ إلى ولَيمَتِهِ فَطِرْتا

فأَقَمْتَ سَبْتاً عِنْدَهُ ... وأَقَمْتَ بَعْدَ السَّبْت سَبْتَا

ثمَّ انْصرَفْتَ ببِطْنَةٍ ... وسَرَقْتَ إبْرِيقاً وطَسْتَا

أَنْتَ امْرُؤٌ لَوْ متَّ ثُ ... مَّ وجَدْتَ رِيحَ الخُبْزِ عِشْتَا

ويستجاد له قوله:

خالِدٌ لولا أَبُوهُ ... كان والكَلْبَ سَواءَ

لوْ كما يَنْقُضُ يَزْدَا ... دُ إذاً نال السَّماءَ

وقوله:

على سلْمِهِ أَسَدٌ باسِلٌ ... وعن حَرْبِهِ ثَعْلَبٌ مُقْرِدِ

ويستجاد له قوله:

ضَيَّعْتِ عَهْدَ فَتًى لِعَهْدِك حافظٌ ... في حِفْظِهِ عَجَبٌ وفي تَضْيِيعك

وذَهَبْتِ عنه فما له من حِيلَةٍ ... إلاَّ الوُقُوفُ إلى أَوَان رُجُوعِك

مُتَخَشِّعاً يُذْرِى عَلَيْكِ دُمُوعَهُ ... أَسَفاً ويَعْجَبُ من جُمُودِ دُمُوعِك

إنْ تَفْتِنِيه وتَذْهَبِي بفُؤادِهِ ... فبحُسْنِ وَجْهِك لا بحُسْنِ صَنِيعِك

وقال في رجل تزوج امرأة لمالها:

رَأَيْتَ أَثاثَها فطمعْتَ فيه ... وكم نَصَبَتْ لغَيْرِكَ من أَثاثِ

فصَيِّرْ أَمْرَها بيَدَىْ أَبِيها ... وسَرِّحْ من حِبَالِكَ بالثَّلاثِ

وإلاَّ فالسَّلاَمَ عَلَيْكَ مِنِّى ... سأَبْدَأُ من غَدٍ لك بالمَرَاثِى

وقال:

فيا طيبَ ذاك القَصْرِ قَصْراً ومَنْزِلاً ... بأَفْيَحَ سَهْلٍ غَيْرِ وَعْرٍ ولا ضَنْكِ

بغَرْسٍ كأَبْكَارِ الجَوَارِى وتُرْبَةٍ ... كأَنْ ثَرَاها ماءُ وَرْدٍ على مِسْكِ

كأَن قُصُورَ القَوْمِ يَنْظُرْنَ نَحْوَهُ ... إلى مَلِكٍ مُوفٍ على مِنْبَرِ المُلْكِ

يُدِلُّ عليها مُسْتَطِيلاً بفَضْلِهِ   فيَضْحَكُ منها وهى مُطْرِقَةٌ تَبْكِى

وقال يذكر البصرة:

يا جَنَّةً فاتَتِ الجِنانَ فما   تَبْلُغُها قِيمَةٌ ولا ثَمَنُ
أَلِفْتُها فاتَّخَذْتُها وَطَناً   إِنَّ فُؤادِى لِحُسْنِها وَطَنُ
زُوِّجَ حِيتانُها الضِّبَابَ بها   فهذه كَنَّةٌ وذا خَتَنُ
فانْظُرْ وفَكِّرْ فيما تُطِيفُ بهِ   إِنَّ الأَرِيبَ المُفَكِّر الفَطِنُ
من سُفُنٍ كالنَّعامِ مُقْبِلَةٍ   ومن نَعامٍ كأَنَّها سُفُنُ

ويتمثل من شعره بقوله:

داوُدُ مَحْمُودٌ وأَنْتَ مُذَمَّمٌ   عَجَباً لذاك وأَنْتُما من عُودِ
ولَرُبَّ عُودٍ يُشَقُّ لمَسْجِدٍ   نِصْفٌ وسائرُه لِحُشٍّ يَهُودِ
فالحُشُّ أَنْتَ له وذاك لمَسْجِدِ   كم بَيْنَ مَوْضِعِ مَسْلَحٍ وسجُودِ

محمد بن يسير

هو من أسدٍ،مولى لهم. وكان في عصر أبي نواس، وعمر بعده حيناً.وقد يتمثل بكثير من شعره.
فمن ذلك قوله:

ماذا يُكَلِّفُك الرَّوْحاتِ والدُّلَجَا   البَرَّ طَوْراً وطَوْراً تَرْكبُ اللُّجَجَا
كم من فَتًى قَصُرَتْ في الرِّزقِ خُطْوَتُهُ   أَلْفَيْتَهُ بسِهامِ الرِّزْق قد فَلَجَا
إِنَّ الأُمُورَ إِذا انْسدَّتْ مَسالِكُها   فالصَّبْرُ يَفْتَحُ منها كُلَّ ما ارْتَتَجَا
لا تَيْأَسَنَّ وإِن طالَتْ مُطالَبَةٌ   إِذا اسْتَعَنْتَ بصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجا
أَخْلِقْ بذِى الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بحاجَتِهِ   ومُدْمِنِ القَرْعِ للأَبْوابِ أَنْ يَلِجَا

وقال:

زارنا زَوْرٌ فلا سَلِموا   وأُصِيبُوا أَيَّةً سَلَكوا
أَكَلُوا حَتَّى إِذا شَبِعُوا   حَمَلُوا الفَضْلَ الَّذى تَرَكُوا
لم يَكُنْ رأْيِى إِضافَتَهُمْ   غَيْرَ أَنَّ الرَّأْىَ مُشْتَرَكُ

وقال:

ماذا علَّى إِذا ضَيْفٌ تأَوَّبَنى ما كان عِنْدى إِذا أَعْطَيْتُ مَجْهُودِى

جُهْدُ المُقِلِّ إِذا أَعْطاه مُصْطَبِراً أَو مُكْثِرٍ من غِنًى سِيَّانِ في الجُودِ

لا يَعْدَمُ السائِلُونَ الخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالاً وإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ

وقال:

اصْبِرْ على مَضَضِ الإِدْلاجِ في السَّحَر وفي الرَّوَاحِ إِلى الحاجاتِ والبَكَرِ

لا تَعْجزَنَّ ولا يُضْجِرْك مَحْبَسها فالنُّجْحُ يَتْلَفُ بَيْنَ العَجْزِ والضَّجَرِ

إِنِّى رَأَيْتُ وفي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ للصَّبْرِ عاقِبَةً مَحْمُودَةَ الأَثَرِ

وقَلَّ مَنْ جَدَّ في أَمْرٍ يُطالِبُهُ فاستَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلاَّ فاز بالظَّفَرِ

وقال:

شَمِّرْ نَهاراً في طِلاَبِ العُلَى واصْبِرْ على هَجْرِ الحَبِيبِ القَرِيبْ

حَتَّى إِذا اللَّيْلُ أَتَى مُقْبِلاً واسْتَتَرَتْ فيه عُيُونُ الرَّقِيبْ

فاسْتَقْبِلِ اللَّيْلَ بما تَشْتَهِى فإِنَّما اللَّيْلُ نَهارُ الأَرِيبْ

كَمْ من فَتًى تَحْسِبُهُ ناسِكاً يَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ بأَمْرٍ عَجِيبْ

غَطَّى عليه اللَّيْلُ أَسْتَارَهُ فبات في خَفْض وعَيْشٍ خَصِيبْ

ولَذَّةُ المَأْفُونِ مَكْشُوفَةٌ يَسْعَى بها كُلُّ عَدُوٍّ رَقِيبْ

أشجع السلمى

هو أشجع بن عمرو من بني سليم، وكان متصلاً بالبرامكة، وله فيهم أشعار كثيرة.

منها قوله في يحي بن خالد، وكان غاب:

قد غاب يَحْيَى فما أَرى أَحَداً يَأْنَسُ إِلاَّ بذِكْرِهِ الحَسَنِ

أَوْحَشَتِ الأَرْضُ حِينَ فارَقَها مِنَ الأَيَادِي العِظامِ والمِنَنِ

لَوْلاَ رَجَاءُ الإِيابِ لانْصَدَعَتْ قُلُوبُنا بَعْدَهُ منَ الحَزَنِ

وقال فيه أيضاً:

رَأَيْتُ بُغَاةَ الخَيْرِ في كُلِّ وُجْهَةٍ لِغَيْبَةِ يَحْيَى مُسْتَكِينين خُضَّعا

فإنْ يُمْسِ مَنْ في الرَّقَّتَيْنِ مُؤمِّلاً لأَوْبَةِ يَحْيَى نَحْوَها مُتَطَلِّعا
فما وَجْهُ يَحْيَى وَحْدَه غاب عَنْهُمُ ولكِنَّ يَحْيَى غاب بالخَيْرِ أَجْمَعا

وقال أيضاً:

إذا غاب يَحْيَى عن بلادٍ تَغيَّرَتْ وتُشْرِقُ إنْ يَحْتَلَّها فتَطِيبُ
وإنَّ فَعَالَ الخَيْرِ في كُلِّ بَلْدَةٍ إذا لم يَكُنْ يَحْيَى بها لَغرِيبُ

وقال فيه حين اعتل:

لَقَدْ قَرَعَتْ شَكَاةُ أَبِي عَلَّى قُلُوبَ مَعَاشِرٍ كانَتْ صِحَاحا
فإنْ يَدْفَعْ لنا الرَّحْمنُ عنه صُرُوفَ الدَّهْرِ والأَجَلَ المُتَاحا
فقد أَمْسَى صَلاَحُ أَبِي عَلَّي لأَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهِمُ صَلاَحا
إذا ما المَوْتُ أَخْطَأَهُ فلَسْنا نُبَالِي المَوْتَ حَيْثُ غَدا وراحا

وهو القائل:

لَيْسَ لِلْحاجات إلاَّ مَنْ له وَجْهٌ وقاحُ
ولِسانٌ طِرْمِذَانٌ وغُدُوٌّ ورَوَاحُ
إنْ أَكُنْ أَبْطَأَتِ الْحا جَةُ عَنِّى والسَّراحُ
فعلَيَّ الجَهْدُ فيها وعلَى اللهِ النَّجاحُ

ويستجاد له في مدح الرشيد:

وصَلَتْ يدَاك السَّيْفَ يَوْمَ تَقَطَّعَتْ أَيْدِي الرِّجالِ وزَلَّتِ الأَقْدَامُ
وعلَى عَدُوِّكَ يا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ والإظْلاَمُ
فإذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وإذا هَدَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفَكَ الأَحْلامُ

ويستجاد له أيضاً قوله:

غداً يَتفَرَّقُ أَهْلُ الهَوَى ويَكْثُرُ بَاكٍ ومُسْتَرْجِعُ
وتَخْتَلِفُ الأَرْضُ بالظَّاعنِينَ وُجُهاً تُشَذُّ ولا تُجْمَعُ
وتَفْنَى الطُّلُولُ ويَبْقَى الهَوَى ويَصْنَعُ ذُو الشَّوْقِ ما يَصْنَعُ
وأَنْتَ تُبَكِّي وهُمْ جِيرةٌ فكَيْفَ يَكُونُ إذا وَدَّعُوا

أَتَطْمَعُ في العَيْشِ بَعْدَ الفِراقِ فبِئْسَ لَعَمْرُكَ ما تَطْمَع

وفيها يقول في جعفر بن يحيى:

بَدِيهَتُهُ مِثْلُ تَدْبِيرِهِ متَى هِجْتَهُ فهو مُسْتَجْمِعُ

إذا هَمَّ بالأَمْرِ لم يَثْنِه هُجُوعٌ ولا شادِنٌ أَفْرَعُ

ففى كَفِّه للغِنى مَطْلَبٌ وللسِّرِ في صَدْرِهِ مَوْضِعُ

وكم قائلٍ إذْ رَأَى بَهْجَتِى وما في فُضُولِ الغِنَى أَصْنَعُ

غَدَا في ظِلاَل نَدَى جَعْفَرٍ يَجُرُّ ثِيَابَ الغِنَى أَشْجَعُ

وما خَلْفَهُ لامْرِىءٍ مَطْمَعٌ ولا دُونَهُ لامْرِىءٍ مَقْنَعُ

وهو القائل في محمد بن منصور بن زياد يرثيه:

أَنْعَى فَتَى الجُودِ إلى الجُودِ ما مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بمَوجُودِ

أَنْعَى فَتًى أَصْبَحَ مَعْرُوفُهُ مُنْتَشِراً في البِيضِ والسُّودِ

أَنْعَى فَتًى مَصَّ الثَّرى بَعْدَهُ بَقِيَّةَ الماءِ منَ العُودِ

قد ثَلَمَ الدَّهْرُ به ثُلْمَةً جانِبُها لَيْسَ بمَسْدُودِ

أَنْعَى فَتًى كان ومَعْرُوفُهُ يَمْلأُ ما بَيْنَ ذُرَى البِيدِ

فأَصْبَحَا بَعْدَ تَسَامِيهِما قد جُمِعَا في بَطْنِ مَلْحُودِ

أَلآنَ نَخْشَى عَثَرَاتِ النَّدى وعَدْوَةَ البُخْلِ على الجُودِ

ويستجاد له قوله في إبراهيم بن عثمان بن نهيك، وكان صاحب شرط الرشيد، وكان جباراً عبوساً:

في سَيْفِ إبْراهِيمَ خَوْفٌ واقِعٌ بذَوِى النفاقِ وفيه أَمْنُ المُسْلِمِ

ويَبِيتُ يَكْلأُ والعُيُونُ هَوَاجِعٌ مالَ المُضِيعِ ومُهْجَةَ المُسْتَسْلِمِ

جَعَلَ الخطامَ بأَنْفِ كُلِّ مُخالِفٍ حَتَّى استَقَامَ له الَّذى لم يُخْطَمِ

لا يُصْلِحُ السُّلْطانَ إلاَّ شِدَّةٌ تَغْشَى البَرِىَّ بفَضْلِ ذَنْبِ المُجْرِمِ

ومِنَ الوُلاةِ مُقَحَّمٌ لا يَتَّقِى والسَّيْفُ تَقْطُرُ شَفْرَتَاهُ منَ الدَّمِ

مَنَعَتْ مَهابَتُكَ النُّفوسَ حَدِيثَها بالأَمْرِ تَكْرَهُهُ وإن لم تَعْلَمِ

وقال لأخيه:

أَبَتْ غَفَلاتُ قَلْبِكَ أَن تَرُوحا ... وكأْسٌ لا تُزايِلُهَا صَبُوحا

كأَنَّكَ لا تَرَى حَسَناً جَمِيلاً ... بعيْنِكَ يا أَخِى إلاَّ قَبيحا

ويستجاد له قوله في الرشيد:

لا زِلْتَ تَنْشُرُ أَعْياداً وتَطْويها ... تَمْضِى بها لك أَيَّامٌ وتَثْنِيها

مُسْتَقْبِلاً جِدَّةَ الدُّنْيَا وبَهْجَتَها ... أَيَّامُها لك نَظْمٌ في لَيَالِيها

الْعِيدُ والعِيدُ والأَيَّامُ بَيْنَهُمَا ... مَوْصُولَةٌ لك لا تَفْنَى وتُفْنِيهَا

وَلْيَهْنِكَ النَّصْرُ والأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ ... إِليك بالفَتْحِ مَعْقُوداً نَوَاصِيها

ويستجاد له قوله يمدح إسماعيل بن صبيح:

له نَظَرٌ لا يُغْمَضُ الأَمْرُ دُونَهُ ... تَكادُ سُتُورُ الغَيْبِ عنه تُمَزَّقُ

وهو القائل:

وما تَرَك المُدَّاحُ فيك مَقَالَةً ... ولا قال إِلاَّ دُونَ ما فيك قائِلُ

أخذه من قول الخنساء.

وهو القائل أيضاً يرثي أخاه:

خَلِيلَّى لا تَسْتَبْعِدا ما انْتَظَرْتُما ... فإِنَّ قَرِيباً كُلُّ ما كان آتِيَا

أَلاَ تَرَيَانِ اللَّيْلَ يَطْوِى نَهَارَهُ ... وضَوْءَ النَّهَارِ كَيْفَ يَطْوِى اللَّيَالِيَا

هُمَا الفَتَيَانِ المُتْرَفَانِ إِذا انْقَضَتْ ... شَبِيبَةُ يَوْمٍ عاد آخَرُ ناشِيَا

كَأَنَّ يَمِينِى يَوْمَ فارَقْتُ أَحْمَداً ... أَخِى وشَقِيقِى فارقَتْها شِمَالِيَا

ويَمْنَعُنِى من لَذَّةِ العَيْشِ أَنَّنِى ... أَراهُ إِذا فارَقْتُ لَهْواً يَرَانِيَا

أخذه من قول الآخر وهو ابن الدمينة:

وإِنِى لأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا ... علَّى بظَهْرِ الغَيْبِ منكَ رَقِيبُ

الفهرس